

مجموعه ندوة أبناء الأثير



جامعة الموصل
كلية الآداب

مكتبة
الموسم

ندوة أبناء الأثير

المنفذة بين ٢٧/٣ - ١/٤/١٩٨٢

فهرس الكتاب

- ٤ - الإمام محمد العدين ابن الاثير وجهوده في الحديث الشريف - ٣ -
الدكتور حارث سليمان الضاري
العراق/بغداد
- ٢ - أثر ضياء الدين ابن الاثير وصدى عصره وحياته فيها - ٤١ -
الدكتور أحمد مطلوب
العراق/بغداد
- ٣ - ابن الاثير المحدث
الدكتور إمتياز أحمد
باكستان
- ٤ - «أثر عمر الدين ابن الاثير في تطوير الكتابة التاريخية» - ٨٥ -
الدكتور إبراهيم خليل أحمد
العراق/الموصل
- ٥ - ابن الاثير في المراجع العربية والأجنبية - ٩٩ -
الدكتور حسين علي محفوظ
العراق/بغداد
- ٦ - دراسة في شواهد واستشهاد ابن الاثير - ١٤٥ -
السيد عبدالجبار علوان
العراق/الموصل
- ٧ - القيمة الأدبية في كتاب الكامل في التاريخ - ١٨٣ -
الدكتور عبدالكريم توفيق
العراق/بغداد

- ٨ - المثل السائر في طبعة دار نهضة مصر - ٢٠٧ -
الدكتور علي جواد الطاهر
العراق/بغداد
- ٩ - الحضور التاريخي لمدينة طرابلس الشام من خلال الكامل في التاريخ بن
الانير
- ١٩٩ -
الدكتور عمر عبدالسلام تدمري
لبنان
- ١٠ - ضياء الدين وعلم العربية في الميزان - ٣٢٣ -
الدكتور فخر الدين قباوة
المغرب
- ١١ - منهجية ابن الانير في كتابه الكامل في التاريخ - ٣٤٧ -
السيد محمد جلوب فرحان
العراق/الموصل
- ١٢ - مجد الدين ابن الانير وجهوده في علم غريب الحديث - ٤٠١ -
الدكتور محمود محمد الطناحي
السعودية
- ١٣ - ملخص مخطوطة للجزء الثاني من ديوان رسائل ابن الانير - ٤٦٩ -
السيد هلال ناجي
العراق/بغداد
-

بحوث من الندوة نشرت في مكان آخر

- ١ - ضياء الدين ابن الانير ومنهجه النقدي البلاغي
الدكتور داود سلوم
العراق/بغداد

٢ - المغرب في كتاب الكامل

الدكتور عبدالقادر زمامة

المغرب

٣ - باب الانساب لابن الاثير ومعطياته الاجتماعية

الدكتور معن خليل عمر

المغرب

بحث ورد الى الندوة متأخرا

مع المرصع

الدكتور إبراهيم السامرائي

العراق/بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

تميزت الامة العربية عن غيرها، في عمق حبها للعلم، وتسجيلها ما دق مما خلفته. ويسرت سبل نشره وطلبه. فكانت تفرضه فرضا على ابنائها: رجالا ونساء. وكانوا يستمرون على تعلمه وتعليمه، لهذا خلقت من الكتب ما يعجز الباحثون عن احصائه. ومعرفة مواضع حفظه. والقدرة على نشره. ونظرة في اخبار المنشور من تلك الكتب يظهر لنا سعة: ماتناوله في اللغة والتاريخ والعلوم الصرفة، ويظهر لنا تدقيق علماء تلك الامة في كل شأن من شؤون الحياة وكثرة ماخالغوا.

ولو تضافرت جهود كل العلماء اليوم ما استطاعت ان تحيي الا جزءاً يسيرا منه. لان كثيرا من تلك الكتب كانت واسعة فقد وضعها مؤلفوها بعدد كبير من المجلدات. قد تصل عند عدد منهم الى مئات. وقد تتجاوز صفحات المجلدات الالاف. وليس هذا مقتصر على واحد او اثنين بل تتميز به اسر معروفة. يتوارثه الابناء عن الاباء، والصغار عن الكبار.

فهذه اسرة «ابناء الاثير»: الاب عالم. والابناء الثلاثة مجد الدين وعز الدين وضياء الدين علماء معروفون وابناؤهم علماء ايضا. وكل قد تقدم في علمه وصار مبرزا يرجع اليه في تخصصه: ففي الفقه والعربية يعد مجد الدين. واذا ذكر كتابه جامع الأصول او كتابه النهاية في الحديث اکتفى القارىء بهما عن غيرهما. وفي التاريخ عز الدين وكتابه الكامل في التاريخ يغني عن غيره من الكتب: صحة رواية. واحاطة وصف. وفي العربية ضياء الدين وكتابه المثل السائر درة الكتب في تخصصه.

ومن هنا فقد اندفعت كلية الاداب انطلاقا من رسالتها في حفظ التراث وصورته ونشره الى اقامة ندوة علمية عالمية عن ابناء الاثير من ١٩٨٢/٣/٢٧ - ١٩٨٢/٣/٣١ شارك فيها علماء اعلام وباحثون مشهورون في رقد

المسيرة العلمية في قطرنا بما خلصوا اليه من نتائج ومانشروا من كتب، وبما
اوصت به الندوة في استمرار المسيرة لخدمة هذا التراث.
ايها القارئ الكريم :

نضع امامك هذا الكتاب الذي يضم البحوث التي شاركت في الندوة
نقصد من ذلك ان نحفظ ما توصلت اليه تلك العقول من كشف عن تلك
الاسرة العالمة، ونحفظ لجامعة الموصل بشخص رئيسها الدكتور محمد مجيد
السعيد ومتسببها: تدريسين وموظفين. ما بذلته من جهود. وما يسرته من
سبل لاقامة الندوة. انطلاقا مما تيسره قيادتنا لاحياء التراث ونشره، ليكون
دافعا لاسترجاع هذه الامة مجدها التليد وعزها المنيع وليندفع ابناءؤها
للتدقيق في الكشف عن مآثر الاجداد، وعن نصاعة تلك الحضارة التي حملوها
للنام كافة فعم نورها الافاق، فعمرت ما لم تعمره حضارة،. والله من وراء
القصص.

اللجنة التحضيرية لندوة ابناء الاثير

١٩٨٣/٥١٤٠٣ م

الامام مجد الدين بن الاثير وجهوده في الحديث الشريف

اعداد

الدكتور حارث سليمان الضاري
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بكلية الشريعة جامعة بغداد

- الفصل الأول -

« حياته »

ويشتمل على خمسة مباحث

« المبحث الأول »

اسمه، ونسبه، وأسرته

أولاً : اسمه

هو الامام : المبارك بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الشافعي - يكنى أبا السعادات ويلقب بمجد الدين ويعرف بابن الاثير الجزرى (١) والاثير لقب أبيه : محمد بن محمد بن عبد الكريم (٢) والجزرى . نسبة الى جزيرة ابن عمر التي ولد فيها وهي بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام تحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة شبه الهلال. قال ياقوت : واحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي (٣) وقيل أنها منسوبة الى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر من أهل برقعيد الى أبنى عمروهما :

أوس وكامل أبنا عمر بن أوس التغلبي . وقيل غير ذلك (٤) واما الشافعي ، فمذهبه نسبة الى الامام : محمد بن أدريس الشافعي الامام المشهور .

(١) انظر ابن الاثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤/٤ ،

والسيوطي : بغية الوعاة ٢٧٤/٢-٢٧٥ ، والزركلي الاعلام ١٥٢/٦ .

(٢) ياقوت : معجم الادباء ١٧(٧١)

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٢/١٣٨

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٣٩ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/١٣٩٩ - ١٤٠٠ .

ثانياً : نسبه

ينتسب الامام مجد الدين بن الاثير الى قبيلة : بني شيان العربية المعروفة (١) التي تنتسب الى : شيان بن زهل بن ثعلبة بن عكابة ابن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٢) والتي ينسب اليها كثير من الصحابة والتابعين والامراء والفرسان والعلماء في كل فن (٣) ولعل من أشهر من ينسب اليها الصحابي الجليل والبطل الشهير : المشئي بن حارثة الشيباني (٤) .

ثالثاً : اسرته

كان الامام مجد الدين من أسرة علمية كريمة اذ كان ثالث ثلاثة أخوة اشتهروا بالعلم والفضل والتأليف في كثير من العلوم النافعة فكان أخوه أبو الحسن : علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم الشيباني الملقب بعز الدين أمام في الحديث وعلومه والتاريخ والانساب . له كتاب الكامل في التاريخ ، وكتاب أخبار الصحابة المعروف بأسد الغابة في أسماء الصحابة واختصر كتاب الانساب للسمعاني واطاف اليه اضافات حسنة وكان مكملًا بالفضائل مع الامانة والكرم والتواضع ، توفي سنة / ٦٣٠ هـ (٥) . كما كان أخوه أبو الفتح : نصر الله بن أبي الكرم الشيباني الملقب بضياء الدين ، حافظاً للقرآن الكريم وكثير من الاحاديث النبوية وماهراً في النحو واللغة والبيان وحفظ الشعر ، له كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وكتاب : الوشي المرقوم في حل المنظوم ، وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء وكتاب : ديوان رسائل في عدة أجزاء وكان ذا لسان وفصاحة وبيان توفي سنة / ٦٣٧ هـ (٦) .

(١) انظر الغلامي : الانساب والاسر ٢٣٦

(٢) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٢٩٨ وما بعدها ، وعز الدين بن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب ٢١٩/٢ .

(٣) انظر عز الدين : اللباب ٢١٩/٢ .

(٤) انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٣٠٥ ، وعز الدين : اسد الغابة ٢٩٩/٤ .

(٥) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٣٩ ، وابن خلكان :

وفيات ٣/٣٤٨ وما بعدها والذهبي تذكرة الحفاظ : ١٣٩٩/٢ - ١٤٠٠ .

(٦) انظر ابن خلكان : وفيات ٥/٣٨٩ وما بعدها ، والسيوطي : بغية الوعاة ٢/٣١٥ .

المبحث الثاني

نشأته ، وطلبه العلم ، ومناصبه

اولاً - ولادته ونشأته

أجمع المؤرخون على ان الامام مجد الدين : كان قد ولد بجزيرة ابن عمر في أحد الربيعين سنة / ٥٥٤٤ هـ (١) ولم يخالف هذا الاجماع الا: ابن تغري بردي ، الذي ذكر أنه ولد سنة ٥٥٤٠ هـ (٢) وهو خلاف لايعتد به لمخالفته جمهور المؤرخين في ذلك، كما اجمعوا على أنه نشأ بها حتى استوى عوده واشتد ساعده ، فطلب فيها العلم وتلقى دروسه الاولى ومكث فيها الى ان شب وبلغ مبلغ الرجال فانتقل الى الموصل واقام بها الى ان توفي فيها سنة / ٦٠٦ هـ (٣) .

ثانياً - طلبه العلم

بدأ الامام مجد الدين طلب العلم في سن مبكرة كعادة أقرانه اذ جالس أهله وتردد على كثير من مشاهيرهم من أهل الجزيرة والموصل وبغداد ، متنقلا من استاذ لاستاذ ومن مدينة لاخرى ولم يزل كذلك حتى ألم باطراف أهم العلوم التي كانت شائعة في عصره وبرز في كثير منها ، كاللغة والنحو والادب والفقه والاصول وعلوم القرآن والحديث وعلومه وغيرها (٤) .

-
- (١) انظر عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن خلكان وفيات ١٤١/٤-١٤٢، وياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ والسيوطي : بغية الوعاة ٢٧٤/٢ وابن العماد/شذرات الذهب ٢٢/٥ .
- (٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٩٨/٦
- (٣) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤٣/٤ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ والقفطي : انباه الرواة ٢٥٧/٣ وياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ .
- (٤) انظر عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢ ، وياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ .

وقد حدثنا بنفسه عن بداية طلبه للعلم ونشاطه فيه ودأبه على طلبه في مقدمة كتابه «جامع الاصول» فقال : ما زلت منذ ريعان الشباب مشغولاً بطلب العلم ومجالسة أهله والتشبه بهم حسب الامكان وذلك من فضل الله علي ولطفه بي : أن حبه الي فبدلت الوسع في تحصيل ماوقفت له من أنواعه حيث صارت في قوة الاطلاع على خفيايه وادراك خباياه ولم آل جهداً . والله الموفق في أكمال الطلب وابتغاء الارب الي ان تشبثت من كل بطرف تشبعت فيه باضرابي ولا أقول تميزت به على أترابي (١) .

ثالثاً : مناصبه واحترام ملوك وامراء عصره له

حظي الامام مجد الدين باحترام ملوك الموصل وامرائها ، وتقديرهم له وثقتهم به لما كان يتحلى به من الفضل والامانة والعلم (٢) اذ ولاه جماعة منهم مهام تصريف الكثير من أمور ولاياتهم .

قال ياقوت : ولاه الامير سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الخزانة ثم ولاه ديوان الجزيرة واعمالها (٣) وقال ثم عاد الي الموصل ، فتاب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الاصبهاني (٤) وزير سيف الدين غازي (٥) ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضاً فنال عنده درجة رفيعة (٦) وكان مجاهد الدين قايماز نائب سيف الدين غازي على الموصل وكان رحمه الله من صالحى الامراء وارباب المعروف بنى عدة جوامع ومدارس وخانات

(١) مجد الدين : جامع الاصول
(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن تفرى : النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ .
(٣) كان سيف الدين هذا : صاحب الموصل وديار الجزيرة على عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله توفي سنة ٥٧٦هـ انظر الكامل ٤٦٢/١١ والجزيرة تشمل حران والرها والرقعة وغيرها .

(٤) ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

(٥) انظر عز الدين : الكامل ٤٣٤/١١

(٦) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

ووقف املاكاً وله صدقات كثيرة (١) ، ثم اتصل بعد ذلك بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود الى ان توفي عز الدين فاتصل بولده : نور الدين ارسلان شاه فصار كما قال ياقوت : واحد دولته حقيقية بحيث ان السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه لانه أقعد في آخر زمانه (٢)

وقد طلب منه نور الدين أن يلي الوزارة والح عليه في ذلك فابى وأعتذر له بكبر السن وخدمة العلم والشهرة فيه وخوف الوقوع في الظلم فأعفاه قال أخوه عز الدين : حدثني أخي أبو السعادات قال : لقد الزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا استعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي وقال : فجعلت أبكي فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبلغ الامر إلى هذا ؟ ما عملت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ماكرهت فقلت : أنا يامولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري وأشتهرت ذلك عني في البلاد بأسرها وأعلم أنني لو أجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أن أؤدى حقه ولو ظلم أكار في ضيعه من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه الي ... فأعفاه (٣) .

وكان نور الدين شاه شهماً شجاعاً ميالاً الى فعل الخير وعمل المعروف قال عز الدين سمعت أخي أبا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس اختصاصاً به ، يقول : ما قلت له يوماً في فعل خير فامتنع منه ، بل بادر اليه بفرح واستبشار (٤) .

(١) انظر عز الدين : الكامل ٤٣٤/١١ وابن كثير : البداية والنهاية ٢١/١٣ وابن خلكان :

وفيات ٨٢/١٤-٨٣

(٢) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

(٣) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وابن العماد :

شذرات ٢٢/٥ والآكار : هو الحراث .

(٤) عز الدين : الكامل ٢٩١/٢١-٢٩

المبحث الثالث

علومه ، ومؤلفاته ، ومكانته العلمية

اولا : علومه

جمع الأمام مجدالدين الكثير من العلوم التي كانت معروفة في زمانه وتبحر في كثير منها كالنحو واللغة والتفسير والحديث وعلومه والفقه والاصول وكان (١) إلى جانب ذلك كاتباً مُعَلِّقاً يضرب به المثل (٢) كما كان ادبياً بارعاً وشاعراً ماهراً ، أخذ الأدب من شيخه ابن الوهاب الذي كان يحثه كثيراً على قول الشعر .

قال ياقوت : حدثني عزالدين أبو الحسن قال : حدثني أخي أبو السعادات رحمه الله قال : كنت اشتغل بعلم الأدب على الشيخ ابي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وانا امتنع من ذلك قال : فيينما أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر ، فقلت له : ضع لي مثالا اعمل عليه ، فقال :

جب الفلا مدمنا ان فاتك الظفر
وخذخذ الثرى والليل معتكر

فقلت أنا :

فالعز في صهوات الخيل مركبه
والمجد ينتجه الأسراء والسهر

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣

(٢) انظر عز الدين : الكامل ٢٨٨/١٢

فقال لي : أحسنت هكذا فقل فاستيقظت فاتممت عليها نحو العشرين بيتاً (١)

ومن شعره ما كتبه إلى صديق له في صدر كتاب حيث قال

واني لمهد عن حنين مبرح

اليلك على الأقصى من الدار والأدنى

وإن كانت الأشواق تزداد كلما

تناقص بعد الدار واقترب المغنى

سلاماً كنشر الروض باكراً الحيا

وهبت عليه نسمة السحر الأعلى

فجاء بمسكي الهوا متحلياً

ببعض نتجايا ذلك المجلس الأسمى

ومن شعره أيضاً :

عليك سلامٌ فاح من نشر طيبة

نسيم تولى بثه الرند والبان

وجاز على اطلال مي عشية

وجاد عليه مغدق الويل هتان

فحملته شوقاً حوته ضمائري

تميد له اعلام رضوى ولبنان (٢)

ومع ما عرف عنه من قول الشعر ومهارته فيه فإنه كان مقلاً فيه قال

أخوه أبو الحسن : كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية وما أعرف

الآن له غير هذا (٣) .

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧٣/١٧-٧٤ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ .

(٢) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧٤/١٧-٧٥

(٣) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧٥/١٧-٧٦

ثانياً : مؤلفاته

الف الامام مجد الدين في اغلب ما عرف عنه من علوم ومعارف
قال: ياقوت بعد عدده لاهم علومه ومعارفه : وصنف في كل ذلك
تصانيف هي مشهورة في الموصل وغيره (١)

وقال ابن كثير: وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة (٢) واليك
ما ذكره المؤرخون من كتبه :

١ - كتاب البديع ، في النحو ويتألف من نحو أربعين كراسة
قال ياقوت : وقفني عليه اخوه ، فوجدته بديعاً كاسمه سلك فيه
مسلكاً غريباً وبويه تبويهاً عجبياً.

٢ - كتاب الباهر في الفروق ، في النحو

٣ - كتاب تهذيب فصول ابن الدهان ، في النحو ايضاً

٤ - كتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف ، الكشف للثعلبي ،
والكشاف للزمخشري في التفسير اربع مجلدات.

٥ - كتاب الشافي شرح مسند الشافعي في الحديث ، نحو مائة كراسة
توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٣٠٦ حديث) في أربع مجلدات
ونسخة اخرى في مجلد واحد برقم (٢٢١١٨٤ ب) (٣).

٦ - كتاب غريب الحديث ، على حروف المعجم وهو المعروف بالنهاية
في غريب الحديث والأثر .

٧ - كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول ، جمع فيه ابن الأثير
بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داؤد وسنن النسائي وجامع الترمذي ،

(١) ياقوت : معجم الادباء ٧١/١٧

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣

(٣) انظر النهاية : مقدمة التحقيق ١٧

ورثه على حروف المعجم أيضاً وسيأتي مزيد تفصيل عن مؤلفاته في الحديث وعلومه عند الكلام على جهوده في الحديث في الفصل الثاني .

٨- له كتاب : رسائل في الحساب .

٩- كتاب ديوان رسائل

١٠- كتاب البنين والبنات والاباء والأمهات والاذواء والذوات ومنهم من يسميه : المرصع في الاباء والأمهات والابناء والبنات والاذواء والذوات وهو مجلد واحد ومطبوع كما ذكر محققا (١) النهاية في مدينة (ويماز) سنة ١٨٩٦ بعناية « سيولد » الألماني في ٢٦٧ صفحة من القطع الصغيرة (٢) . كما قام بتحقيقه وطبعه الدكتور ابراهيم السامرائي ١٣٩١ هـ ١٩٧١ ديوان الأوقاف .

١١- كتاب المختار في مناقب الأخيار ، اربع مجلدات توجد منه (٣) نسخة « بليدن » برقم (١٠٩٠) كما يوجد النصف الثاني منه بمكتبة فيض الله « باستانبول » برقم (١٥١٦) وهو مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (٤) .

١٢- كتاب شرح غريب الطوال (٥) سماه منال الطالب في شرح طوال الغرائب في مجلد (٦) . وقد حققه الدكتور محمود محمد الطناحي ونشره المركز العلمي بمكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

١٣- كتاب في شرح غريب كتابه «جامع الاصول» في مجلد أيضاً (٧)

(١) انظر النهاية : مقدمة التحقيق ١٨

(٢) نفس المصدر ١٨

(٣) انظر فيما تقدم من كتب : ياقوت : معجم الادباء ٧٦-٧٧ وعز الدين : الكامل ١٢ / ٢٨٨ والسيوطي : بغية الوعاة ٢/٢٧٤-٢٧٥ .

(٤) انظر النهاية مقدمة التحقيق ١٧/١

(٥) انظر ابن السبكي : طبقات الشافعية ٣٦٧/٨

(٦) انظر السخاوي : فتح المغيث ٣/٩٤

(٧) انظر السخاوي : فتح المغيث ٣/٩٤

١٤ - كتاب المصطفى والمختار في الادعية والاذكار (١)

١٥ - كتاب لطيف في صنعه الكتابة (٢)

١٦ - كتاب تجريد أسماء الصحابة : مخطوط (٣)

١٧ - كتاب: في علم الحديث أشار اليه القفطي (٤) ولعل المراد به مقدمته في مصطلح الحديث التي صدر بها كتابه (جامع الاصول) ويذكر أنه كان قد ألف هذه الكتب أيام تعطله وجلوسه في منزلة بسبب المرض الذي ألم به.

قال ابن خلكان: ويلفني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة فإنه تفرغ لها وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة (٥) وقال ابن العماد : وحكي ان تصنيفه كله في حال تعطله لانه كان عنده طلبة يعينونه على ذلك (٦)

ثالثاً : مكانته العلمية:

ولما كان الامام مجد الدين قد جمع بين أشات هذه العلوم وبرز في الكثير منها وصنف في فنونها المختلفة تصانيفه المشهورة المفيدة كما رأينا كان حرياً في ان يهرع اليه الامراء ويغشاه أكابر العلماء ويتوافد عليه أماجد الطلبة تقديراً لفضله واعترافاً بمكانته العلمية السامية وان ينال ثناء العلماء وتقديرهم.

(١) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤١/٤ وابن السبكي/طبقات ٣٦٧/٨ وابن العماد/شذرات

٢٣/٥ .

(٢) انظر ابن خلكان/وفيات ١٤١/٤ وابن تغري : النجوم الزاهرة ١٩٨/٦ .

(٣) انظر الزركلي/الاعلام ١٥٢/٦ .

(٤) القفطي : انباء الرواة ٢٦٠/٣ .

(٥) ابن خلكان : وفيات ١٤٢/٤ .

(٦) ابن العماد : شذرات ٢٣/٥ .

قال ياقوت في ترجمته له : وكان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً (١) وقال أبو البركات ابن المستوفي أشهر العلماء ذكراً وانبئ النبلاء قدراً واحداً الأفاضل المشار إليهم وفرد الامثال المعتمد في الامور عليهم (٢).
 وقال ابن السبكي : وكان فاضلاً رئيساً مشاراً اليه (٣)
 وقال ابن العماد : ذكره ابن المستوفي والمنذري واثني كل واحد منهما عليه وبقي مدة يغشاه الاكابر من العلماء (٤).
 وقال السيوطي : من مشاهير العلماء واكابر النبلاء وأوحد النضلاء (٥)
 وقال أخوه عزالدين بعد ذكره لعلومه ومؤلفاته : فلقد كان من محاسن الزمان وكل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم اني مقصر (٦) .

-
- (١) ياقوت : معجم الأبياء ٧١ / ١٧
 (٢) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤١ / ٤
 (٣) ابن السبكي : طبقات ٣٦٧ / ٨
 (٤) ابن العماد : شذرات ٢٣ / ٥ وابن المستوفي : هو مبارك بن احمد بن مبارك العلامة شرف الدين ابو البركات اللخمي الاربلي كان اماماً في علوم كثيرة وله مصنفات وفضائل غزيرة توفي سنة / ٥٦٣٠ هـ انظر ابن كثير/ البداية والنهاية ١٣ / ١٣٩ واما الملذري : فهو الحافظ الكبير والامام الثبت : عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله ابن سلامة المنذري الشامي توفي سنة / ٥٦٥٦ هـ انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٣٦ / ٢ - ١٤٣٩
 (٥) السيوطي : بغية الوعاة ٣ / ٢٧٤
 (٦) عز الدين : الكامل ٢٨٨ / ١٢

المبحث الرابع

شيوخه ، وتلاميذه ، ومعاصروه

اولاً شيوخه :

تتلمذ الامام مجد الدين واخذ العلم عن كثير من فضلاء عصره وتلمذ عليه الكثير كما عاصر عدداً من المشاهير والاعلام الذين كان لهم دور بارز في الحفاظ على العلوم العربية والاسلامية وتنميتها ونشرها على اوسع نطاق وسنعرف فيما يلي بايجاز باشهر من تسنت لنا معرفتهم من شيوخه وتلاميذه ومعاصريه .

اولاً : شيوخه :

قلنا انه قد تتلمذ على كثير من الفضلاء وكان من بينهم جماعة اشتهروا بالعلم والفضل والافادة وهم :

١ - ابن الدهان

هو الامام : سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله ، ناصح الدين ابن الدهان النحوي اخذ عنه النحو ، وكان ابن الدهان من اعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية ، وقد صنف شرح الايضاح في اربعين مجلداً وشرح اللمع لابن جنبي في عدة مجلدات والدروس في النحو وغيرها من المصنفات المفيدة في اللغة والتفسير والشعر توفي في الموصل سنة / ٥٩٩هـ (١).

٢ - ابن سعدون

هو الامام : يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازري القرطي ابو بكر النحوي اللغوي المقرئ الاديب الملقب بسابق الدين ، كان شيخاً

(١) انظر ياقوت : معجم الادباء ١٥/٢ وما بعدها ، والقفطي : انباء الرواة ٣٧/٢ وما بعدها

والسيوطي : بغية الوعاة ٥٨٧/١

فاضلاً عارفاً بالنحو ووجوه القراءات ولسد بقرطبة ورحل إلى مصر
والاسكندرية وانخذ عن علمائهما ثم رحل إلى بغداد وسمع بها الحديث
وغيره ثم سكن دمشق مدة وانتفع به خلق كثير لحسن خلقه وتواضعه
وكان ثقة صدوقاً ثبتاً ديناً كثير الخير توفي بالموصل يوم عيد الفطر سنة /
٥٥٦٧ هـ (١)

٣ - الماكسيني

هو الامام : مكّي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني الضرير أبو
الحرم الملقب بصائين الدين وكان جامعاً لفنون الادب وحجة في كلام العرب.
وكان غاية في الفضل والذكاء والفطنة كما كان واسع الرواية شائع
الدراية صالحاً كريم الاخلاق يغلب عليه العلم بالنحو والقراءات ، مات
يوم السبت سادس شوال سنة ٥٦٠٣ هـ / (٢)

٤ - ابن سكينه

هو الامام : عبد الوهاب بن علي بن عميد الله ابو احمد الامين ابن
سكينه مسند العراق ومحدثه وسكينه جدته ام ابيه ولد في شعبان سنة /
٥٥١٩ هـ / وسمع الكثير من ابيه وابي القاسم ابن الحصين وغيرهما وروى
عنه خلائق وقصد من الارزاء كان صاحباً لابي الفرج ابن الجوزي ملازماً
لمجلسه .

وكان شيخ وقته في علو الاسناد وفي المعرفة والاتقان والزهد والعبادة
وحسن السمات وموافقة السنة توفي سنة ٥٦٠٧ هـ / (٣) .

- (١) انظر ياقوت : معجم الادياء ٢٠/١٤-١٥ والسيوطي : بغية الوعاة ٢/٣٣٤ .
- (٢) انظر السيوطي : بغية الوعاة ٢/٢٩٨ والماكسيني بكسر الكاف والسين وسكون الباء نسبة
إلى ماكسين مدينة بالجزيرة على الخابور انظر ؛ الباب ٣/١٥٠ .
- (٣) انظر ابن السبكي : طبقات ٨/٣٢٤-٣٢٥ وابن كثير : البداية والنهاية ١٣/٦١ وابن
العماد شذرات ٥/٢٥ .

٥ - الخطيب أبو الفضل

هو الامام : ابو الفضل عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد القادر الطوسي ثم البغدادي خطيب الموصل ولي خطابتها زمانا وكان ثقة، قصده الرحالون ، توفي سنة ٥٧٨ هـ (١) .

٦. ابن كليب (٢)

هو الامام : ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد الحراني ثم البغدادي الحنبلي التاجر ، الملقب بشمس الدين له سماعات عالية في الحديث وقد انتهت اليه الرحلة من الاقطار، توفي ببغداد ودفن في مقبرة الامام احمد بن حنبل سنة ٥٩٦ هـ (٣) .

٧. ابو القاسم صاحب ابن الخل

ابو القاسم هذا لم نقف له على ترجمة فيما رجعنا اليه من مصادر اما ابن الخل : فهو ابو الحسن محمد بن المبارك بن محمد عبد الله الفقيه الشافعي البغدادي ، توفي سنة / ٥٥٢ هـ (٤)

ثانياً : تلاميذه

تلمذ على الامام مجد الدين وروى عنه جماعة من الفضلاء غير ان الملاحظ ان المؤرخين لم يهتموا بذكرهم اهتمامهم بذكر شيوخته ، فنرى الكثير منهم قد اقتصروا في تراجعهم له على من ذكروا من اساتذته. دون ذكر لاي من تلاميذه بينما ذكر اخرون بعضهم باقتضاب وكان من بين من عرف بالاخذ منه والرواية عنه

١ - ولده

كان ممن تلمنوا عليه ولده كما اشار الى ذلك ابن السبكي الذي

(١) انظر ابن تغري : النجوم الزاهرة ٩٤/٦ وابن العماد/شذرات ٢٦٢/٤

(٢) ذكره ابن السبكي : طبقات ١٦٦/٨

(٣) انظر ابن خلكان / وفيات ٣٩٤/٣ وابن العماد : شذرات ٣٢٧/٤

(٤) انظر ابن خلكان : وفيات ٣٦٢/٣

ذكره ولم يذكر لنا اسمه ولا ما كان من شأنه (١) كما اننا لم نقف له على شيء من ذلك عند غيره من المؤرخين .

٢- الشهاب الطوسي

هو الامام ابو الفتح : محمد بن محمود بن محمد بن شهاب نزيل مصر وشيخ الشافعية ، درس وافتي ووعظ وانتفع به جماعة كثيرة وكان جامعا لفنون كثيرة معظمها للعلم واهله ، توفي سنة ٥٩٦هـ (٧)

٣- ابن البخاري

هو فخر الدين بن البخاري ذكره ابن السبكي ، فقال : وآخر من روى عنه بالاجازة : فخر الدين ابن البخاري (٣) ولم نقف له على ترجمة وقال محققا النهاية : لعله قاضي القضاة : ابو طالب علي ابن علي بن هبة الله بن محمد بن علي بن البخاري الشافعي المتوفى ببغداد سنة ٥٩٣هـ (٤).

٤- القفطي

وكان ممن رووا عنه ايضا : القفطي ، اذ قال : رويت عنه رحمه الله ، وكتب الي الاجازة بجميع مصنفاته ومسموعاته ومروياته (٥) .

والقفطي هو الوزير جمال الدين ابو الحسن : علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بالقاضي الاكرم احد الكتاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر جمع من العلم ما لم يجمعه غيره توفي سنة ٦٤٦هـ (٦).

(١) ابن السبكي : طبقات ٣٦٦/٨

(٢) انظر ابن العماد : شذرات ٣٢٧/٤-٣٢٨

(٣) ابن السبكي : طبقات ٣٦٦/٨

(٤) انظر النهاية : المقدمة ١٥ / هامش

(٥) القفطي : انباه الرواة ٢٥٨/٣ والقفطي ، نسبة إلى قفط ، مدينة بصعيد مصر ، والاجازة

نوع من انواع التحمل الثمانية والكتابة بالاجازة هي ان يقول : اجزتك ما كتبت لك او

ما كتب به اليك او نحو ذلك من عبارات الاجازات ، انظر السخاوي : فتح المعيث ٢/

١٢٢ والسيوطي : تدريب الراوي ٥٥/٢

(٦) انظر ياقوت / معجم الادباء ١٥/١٧٥-٢٠٤ وابن العماد : شذرات ٢٣٦/٥

ثالثاً : معاصروه :

عاصر الامام مجد الدين بن الاثير الكثير من الائمة المبرزين في شتى العلوم التي كانت شائعة في عصره ولاسيما في الحديث وعلومه واليك ثلاثة من اعلام محدثي عصره.

١ - ابن الجوزي

هو الامام الحافظ، عالم العراق وواعظ الافاق جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله البغدادي الحنبلي الواعظ المنسّر صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم المختلفة ككتاب المغن في علوم القرآن وكتاب زاد المسير وجامع المسانيد وغيرها كان من الاعيان في التفسير ومن الحفاظ في الحديث ومن المتوسعين في التاريخ، توفي سنة ٥٩٧ هـ (١).

٢ - ابن نقطة

هو الامام الحافظ المتقن محدث العراق معين الدين ابو بكر محمد ابن عبد الغني بن ابي بكر بن شجاع البغدادي الحنبلي مصنف كتاب التقييد في رواية الكتب والمسانيد، وكتاب المستدرك على اكمال ابي نصر بن ماكولا كان متقنا محققا، له سمت ووقار وفيه دين وقناعة، مات في الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ٦٢٩ هـ (٢).

٣ - ابن الصلاح

هو الامام الحافظ شيخ الاسلام، تقي الدين ابو عمرو: عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكروي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح صاحب كتاب علوم الحديث وشرح مسلم، تفقه على والده بشهرزور ثم اشتغل بالموصل مدة وارتحل إلى بغداد وهمدان ونيسابور

(١) انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/١٣٤٢-١٣٤٧ والسيوطي/طيقات الحفاظ ٤٧٧

(٢) انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/١٤١٢-١٤١٣ وابن كثير : البداية والنهاية ١٣/١٣٣.

ومرو ودمشق وحران وبيت المقدس واقام اخيرا بدمشق وولي فيها مشيخة
دار الحديث الاشرفية وصنف وافتي وكان من فضلاء عصره في التفسير
والحديث والفقہ، توفي في الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة ٦٣٣هـ (١).

(١) انظر ابن خلكان : وفيات ٢٤٣/٣-٢٤٥ والذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٣/٢-١٤٣٣.

المبحث الخامس

عبدته . عبادته . و اخلاقه . و مرضه .

اولاً - عبادته

عرف عن الامام مجد الدين : انه كان ذا دين رصين وعقيدة سليمة تقياً ورعاً زاهداً في الكثير من مظاهر الحياة ومغرباتها .

قال اخوه : كان ذا دين مكين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه (١) وقال ابن خلكان : كان ورعاً عاقلاً مهيباً ذا بر واحسان (٢)

ومما روى عن ورعه وتقواه أنّ نور الدين ارسلان شاه كلفه يوماً بالوزارة والح عليه في ذلك فابى خوفاً من الوقوع في الظلم واقتراف الاثام فقد روى عن اخيه عز الدين انه قال : حدثني اخي ابو السعادات قال :

الزميني نور الدين بالوزارة وانا استعفيه حتى غضب مني وامر بالتوكيل بي قال فجعلت ابكي فبلغه ذلك فجاءني على تلك الحال فقال لي : ابلغ بك الامر إلى هذا ؟ ما علمت ان رجلاً ممن خلق الله يكره ماكرهت فقلت :

انا يامولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري واشتهر ذلك عني في البلاد باسرها واعلم انني لو اجتهدت في اقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت اؤدي حقه ولو ظلم اكار في ضيعة من اقصى اعمال السلطان لنسب ظلمه الي ،

ورجعت انت وغيرك باللائمة علي ، والملك لا يستقيم الا بالتسبح بالعسف واخذ الخلق بالشدة وانا لا اقدر على ذلك فاعفاه ، وجاعنا إلى دارنا فخبّرنا بالحال فاما والده واخوه فلأماه على الامتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفاً (٣)

(١) عيزن الد : الكامل ٢٨٨/١٢

(٢) انظر ابن العماد : شذرات ٢٢/٥

(٣) انظر ياقوت : معجم الادباء ٧٢/١٧

ومن ذلك قصة مرضه وقطعه العلاج بعد أن قارب الشفاء الآتية قريباً

ثانياً : اخلاقه

ومع ما عرف عن الامام مجد الدين من العبادة والتقوى فإنه كان كريم الاخلاق متواضعاً جواداً محسناً انفق الكثير مما افاء الله تعالى عليه من مال على الفقراء والمحتاجين من طلبة العلم وغيرهم قال القفطي : وكان له بر ومعروف وقني من صحبة الناس ملكاً قريب الحال فوقفه على مصالح اهله وبني رباطاً فيه من يستريح بما وقفه عليه (١) .
وقال ابن السبكي : وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل ووقف املاكه عليه (٢) .

وقال ابن خلكان وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى «قصر حرب» ووقف املاكه عليه وعلى داره التي يسكنها بالموصل (٣) .

ثالثاً : مرضه ووفاته

يروى ان الامام مجد الدين كان قد اصاب بمرض اقعده (٤) في اخر زمانه فكانت الحركة تصعب عليه واخذ بعلاجه فأشرف على الشفاء لكنه قطع العلاج ايثاراً للانقطاع والدعة ورغبة كما قال : في العيش بحرية وكرامة .

قال ابن خلكان : وحكى اخوه عز الدين أبو الحسن علي أذنه لما اقعده جاءهم رجل مغربي والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لا يأخذ اجراً الا بعد برئه ، فلمناه إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه فظهرت ثمرة صنعه ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مداها واشرف على كمال

(١) القفطي : انباه الرواة ٢٥٨/٣

(٢) ابن السبكي : طبقات ٣٦٧/٨

(٣) ابن خلكان : وفيات ١٤٢/٤

(٤) اصاب بمرض النقرس الذي ابطل حركة يديه ورجليه ، وصار يحمل في محفة ، انظر ابن العماد شذرات ٢٢/٥

البرء فقال لي ، اعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نجح معاناته ؟ فقال : الامر كما تقول ولكنني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام باخطارهم (١) وقد سكنت زوحي إلى الأنقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافي أذل نفسي بالمسعى اليهم وها انا اليوم قاعداً في منزلي فاذا طرأت لهم امور ضرورية جاؤني بانفسهم لاخذ رأيي وبين هذا وذلك كثير ولم يكن سبب هذا الا هذا المرض ، فما ارى زواله ولا معالجته ولم يبق من العمر الا القليل فدعني أعيش باقيه عمراً سليماً من الذل وقد أخذت منه باوفر حظ قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل باحسان (٢)

وبقي بقية حياته مريضاً إلى ان توفي رحمه الله يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ ودفن برباطة بدرج داخل البلد (٣) وكان له من العمر اثنتان وستون سنة وتسعة اشهر (٤) .

(١) والالتزام ، باحضارهم

(٢) ابن خلكان : وفيات ١٣٢/٤-١٤٣ واوردها باختصار ، ابن العماد : شذرات ٢٣/٥ .

(٣) انظر ابن خلكان : وفيات ١٤٣/٤ وابن كثير : البداية والنهاية ٥٤/١٣ وياقوت ؛

معجم الادباء ٧١/١٧ والقفطي : انباه الرواة ٢٥٧/٣ وما بعدها .

(٤) انظر الذهبي : دول الاسلام ١١٣/٢ .

الفصل الثاني

«جهوده في الحديث الشريف»

ويشتمل على اربعة مباحث

المبحث الاول:

علمه بالحديث وتأليفه فيه

كان الامام مجد الدين : عالماً بالحديث (١) عارفاً باحواله بصيراً بمعانيه حافظاً للكثير منه ، وقد دعاه علمه بالحديث واهتمامه به الى ان يؤلف فيه تاليفاً نافعا ، فألف كتابه الشهير المسمى جامع الاصول في احاديث الرسول الذي ستنحدث عنه وعن الغرض من تأليفه وعن مزاياه وثناء العلماء عليه واهتمامهم به .

اولاً: التعريف بجامع الاصول، وبيان الغرض من تأليفه.

جامع الاصول: كتاب : جمع فيه الامام مجد الدين ابن الاثير بين الاصول الستة وهي : صحيح البخاري وصحيح مسلم وموطا الامام مالك وسنن ابي داود وسنن النسائي وجامع الترمذي ورتبه على الكتب ، ورتب الكتب على حروف المعجم ، وقسم الكتب الى ابواب والابواب الى فصول احيانا ، والفصول الى فروع ، واهتم فيه بايراد ما روي عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة

(١) الحديث : هو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير وما روي عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

رضي الله عنهم ولم يورد فيه ماروي عن التابعين رضي الله عنهم الا نادرا وحذف الاسانيد واقتصر منها على ذكر الصحابي الذي روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كان خبرا ، وعلى ذكر ما يرويه عن الصحابي ان كان أثرا (١) ويذكر فيه رموز الكتب التي خرجت الحديث في اوله كالحذاء للبخاري والميم لمسلم وهكذا ، كما يذكر في آخر الحديث اسماء المخرجين له من الائمة الستة المتقدمين ، وكان غرضه من تاليفه لجامعه ، هو انه لما رأى جماعة من الفضلاء المتقدمين عليه (٢) قد جمعوا بين الاصول الستة او بين بعضها كالجمع بين الصحيحين مثلا وانهم لم يوفوا وان كان لهم فضل الريادة والسبق في هذا المجال ، بكل ما كانت الامال تتطلع اليه من مثل هذا الجمع بين هذه الامهات من كتب الاصول ، قرر ان يؤلف جامعا يحقق فيه تلك التطلعات ، فألف هذا الجامع ووضعه على طريقة وضع جامع «رزين» (٣) الذي جمع بين هذه الاصول ورتبها على ترتيب ابواب البخاري ، وتلافى فيه بعض جوانب الجمال ومظان الكمال التي أغفلها رزين في جامعه ، فقال : لما وقفت على هذه الكتب ورأيتها في غاية من الوضع الحسن والترتيب الجميل ورأيت كتاب رزين هو اكبرها واعمها حيث حوى هذه الكتب الستة التي هي ام كتب الحديث واشهرها في ايدي الناس ، وبأحاديثها اخذ العلماء واستدل الفقهاء واثبتوا الاحكام ، وشادوا مباني الاسلام ، الى ان قال : فناجتني نفسي ان اهدب كتابه ، وارتب ابوابه واوطىء مقصده واسهل مطلبه واضيف

(١) يريد بالخبر : ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالأثر : ماروي عن الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) كاحمدي والبعوي وابن الفرات والبرقاني وغيرهم ممن جمعوا بين صحيح البخاري ومسلم ورزين الذي جمع بين الاصول الستة .

(٣) رزين : هو ابو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدي السرقطي الاندلسي ، امام الحرمين ، نسبة إلى سرقسطة من بلاد الاندلس . جاور بمكة زماناً طويلاً . توفي سنة ٥٣٥ / انظر ابن العماد : شذرات ١٠٦/٤ والزركلي الاعلام ٤/٣٦٣

اليه ما سقطه من الاصول واتبعه شرح مافي الاحاديث من الغريب والاعراب والمعنى وغير ذلك مما يزيده ايضاحاً وبيانا (١).

ثانياً: مزايا جامعه

امتاز جامع ابن الاثير على جامع رزين بمزايا عديدة جعلته موضع ثقة العلماء واهتمامهم، ومن هذه المزايا :

١- لم يعتمد الامام مجد الدين في تبويبه لجامعه على تبويب كتاب معين من الكتب الستة، كما اعتمد رزين على تبويب البخاري وذلك لاختلافها في الوضع كما قال، بل بنى الابواب على المعاني التي دلت عليها الاحاديث، فكانت هذه ميزة لم يسبق اليها (٢).

٢- اُضيف إلى جامعه الاحاديث التي اسقطها رزين من الاصول اما اختصاراً، او لغرض اخر وقع له .

٣- اعاد فيه الاحاديث التي وضعها رزين في ابواب غيرها اولى بها إلى ابوابها الاولى بها .

٤- شرح ما في الاحاديث من الغريب والاعراب والمعاني والاحكام وغير ذلك مما يزيد الكتاب ايضاحاً وبيانا (٣).

ثالثاً: ثناء العلماء على الجامع واعجابهم به

حاز كتاب جامع الاصول ثناء العلماء واعجابهم به لما اشتمل عليه من النخبة المختارة من كتب الحديث الشريف التي اعتمدها الامة وتلقته بالقبول، ولما امتاز به من حسن الترتيب ودقة التبويب، وجودة الاخراج. وغير ذلك من المزايا التي فاق بها جوامع من سبقوه .

(١) مجد الدين : جامع الاصول ٢٠/١

(٢) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٢٤/١

(٣) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٢٠/١ ، وياقوت : معجم الادباء ٧٦/١٧

قال ياقوت : اقطع قطعاً انه لم يصنف مثله قط ولا يصنف (١)
وقال حاجي خليفة، في معرض كلامه عن جامع الاصول : ولهذا الكتاب
العظيم مختصرات (٢)

وقال ابن الاهدل : له مصنفات بدیعة وسیعة ، منها جامع الاصول
السته امهات الحديث (٣)

رابعاً : اهتمام العلماء بجامعه

كان من نتائج اهتمام العلماء بجامعه ان عكف جماعة من اعيانهم
على اختصاره وتقريره لطلاب الحديث والمهتمين به، ومن مختصراتهم له :

١- مختصر ابي جعفر محمد المروزي الاستربادي الذي وضعه على
نسق وضع الكتاب واتمه في ذي القعدة سنة ٥٦٨٢هـ

٢- مختصر : شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي الحموي
الشافعي المتوفى سنة ٥٧٣٨هـ الذي جرده عما زاد على الاصول من شرح
الغريب والاعراب والتكرار ، وسماه تجريد الاصول .

٣- مختصر : الشيخ صلاح الدين خليل بن كيكلوي العلائي الدمشقي
ثم القدسي المتوفى سنة ٥٧٦١هـ المشهور بتهذيب الاصول .

٤- مختصر الشيخ عبد الرحمن بن علي الشهرير بابن الربيع الشيباني اليمني
المتوفى سنة ٥٩٤٤هـ تقريباً وهو كما قال حاجي خليفة : احسن المختصرات ،
سماه : تيسير الوصول إلى جامع الاصول .

٥- مختصر : الشيخ احمد بن رزق الله الاقصاري الحنفي (٤)
وبالاضافة إلى اختصار العلماء لجامعه فان منهم من الف في غريبه
ايضاً كمحب الدين احمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٥٦٩٤هـ (٥)

(١) ياقوت : معجم الادباء ٧٦/١٧

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ٥٣٦/١

(٣) انظر ابن قعماد : شذرات ٢٣/٥

(٤) انظر في ذلك : كشف الظنون ٥٣٥/١-٥٣٧

(٥) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ٥٣٧/١

خامساً : امثلة مما جاء في جامعه من أحاديث
نسوق اليك فيما يلي ثلاثة احاديث مما جاء في جامعه لترى من خلالها
كيفية جمعه لها وترتيبه اياها :

الحديث الاول : (خ م ت س عبد الله بن عمر) قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : وبني الاسلام على خمس : شهادة الا اله الا الله
وان محمداً عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة . وحج البيت
وصوم رمضان»

وفي رواية «ان رجلا قال له : ألا تغزو؟ فقال له إني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الاسلام بني على خمس»
وذكر الحديث

وفي اخرى «بني الاسلام على خمسة : على ان يوحد الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان والحج ، فقال رجل : الحج وصيام رمضان؟
قال لا : صيام رمضان والحج» هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي اخرى «بني الاسلام على خمس : على ان يعبد الله ويكفر بما
دونه واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »
اخرج طرقه جميعها مسلم ، ووافقه على الاولى : الترمذي ، وعلى
الثانية البخاري والنسائي (١)

فاشار لذلك إلى رموز كتبهم في صدر الحديث ، فاشار بالخاء إلى
صحيح البخارى ، وبالميم إلى صحيح مسلم ، وبالتالي إلى جامع الترمذي
وبالسين إلى سنن النسائي .

الحديث الثاني : (د- ابو الدرداء رضي الله عنه) قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم
فحسبوا اسماءكم» اخرجه ابو داود (٢) .

(١) انظر مجد الدين : جامع الاصول ١٢٧/١-١٢٨

(٢) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٢٥٨/١

الحديث الثالث : (مت د- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) قال :
«لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله» قال مغيرة : قلت
لابراهيم «وشاهديه وكاتبه ؟ فقال : انما نحدث بما سمعنا هذه رواية
مسلم . وفي رواية الترمذى وابي داود : «لعن آكل الربا وموكله وشاهديه
وكاتبه» (١)

هذا وقد طبع كتاب جامع الاصول طبعته الاولى بمطبعة السنة المحمدية
بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م بأشراف الشيخ عبد المجيد سليم مفتي
الديار المصرية سابقا ، وتصحيح الشيخ حامد الفقي ، وهي الطبعة التي
اعتمدنا عليها في التعريف بجامع الاصول والنقل منه وله طبعة ثانية
بتحقيق عبد القادر الارناؤوط سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(١) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٤٥١/١ .

المبحث الثاني :

علمه بمصطلح الحديث وتأليفه فيه

اولاً: علمه بمصطلح الحديث :

وكما كان الإمام محمد الدين بن الاثير عالماً بالحديث رواية . فإنه كان عالماً دراية (١) اذ كان على جانب كبير من المعرفة بمصطلح الحديث وسائر علومه ، وخير شاهد على ذلك ما جاء في صدر كتابه جامع الاصول ، سالف الذكر ، من الابحاث العديدة المتنوعة في مصطلح الحديث التي أجاد فيها وابدع ، وما ألفه في أنواع أخرى من علوم الحديث ، مما يدل على سعة علمه بعلوم الحديث وتقدمه فيها .

وقد عزى اليه تأليف كتاب في «علم الحديث (٢) ولم تقف عليه ولعل المراد به الابحاث التي أشرنا اليها أنفا ، فإنها تشكل بمجموعها كتاباً في علوم الحديث ، لسعة مادتها ، وتعدد موضوعاتها ، وسنعتك فيمالي فكرة سريعة عن تأليفه في مصطلح الحديث

ثانياً: تأليفه في مصطلح الحديث

وضع الامام محمد الدين في صدر جامعه ، مقدمة اشتملت على عدة أنواع من مصطلح الحديث ، وهي تمثل أغلب أنواعه المعروفة لدى أهل هذا الفن ، وقد جمعها من كتب من سبقه من أئمة الحديث ككتاب «معرفة

(١) علم الحديث رواية : علم يشتمل على اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وروايتها وضبطها وعلم الحديث دراية : علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وانواعها واحكامها وما يتعلق بها .

انظر السيوطي : تدريب الراوي ٤٠/١

(٢) انظر القفطي : انباه الرواة ٢٦٠/٣

علوم الحديث) للحاكم أبي عبد الله النيسابوري وكتب الخطيب البغدادي ،
وكتاب العلل للإمام الترمذي وغير ذلك من كتب العلماء الذين جمع بين أقوالهم
واختصرها (١) ورتبها وقسمها الى أربعة فصول : تحدث في الفصل الاول
منها عن صفة الراوى وشروط الرواية ، وطرق التحمل وصيغ الاداء .
ورواية الحديث بالمعنى ، ورواية بعض الحديث وزيادة الثقة واطافة ما ليس
من الحديث اليه ، ومعنى المسند والاسناد ، وبيان المرسل وغير ذلك من
الانواع الاخرى التي تسير على هذا المنوال ،

وتحدث في الفصل الثاني : عن الجرح والتعديل وكل مايتعلق بهما
من أمور وتحدث في الفصل الثالث : عن النسخ وحده واركانه وشروطه
واحكامه ، وفي الفصل الرابع : عن أقسام الصحيح ، من الحديث
والكذب واقسام الخبر وأقسام الصحيح من الاخبار وعن الغريب والحسن
وما يجرى مجراهما ، ثم ختم هذه الابحاث .

بالترجمة لاصحاب الكتب الستة الذين جمع بين أحاديثهم في جامعه (٢).
وهم البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والنسائي والترمذي .

(١) انظر مجد الدين : جامع الاصول ٣٢/١

(٢) انظر مجد الدين : جامع الاصول ١١٦-٢٣٢/١

المبحث الثالث

«علمه بغريب الحديث وتأليفه فيه»

غريب الحديث : هو عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم لقلة استعمالها (١).

وهو نوع من أنواع علوم الحديث كما هو معلوم ، وقد اهتم به العلماء في وقت مبكر من تاريخ هذا العلم ، فألفوا فيه مؤلفات كثيرة وكان أول من ألف فيه على ما قيل : ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة (٢١٠ هـ) أو قبلها بستين (٢) وقيل : ان أول من ألف فيه : النضر ابن شميل المازني ، المتوفى (سنة ٢٠٣ هـ) وقيل بعدها بسنة (٣) ثم توالى التأليف فيه من معاصريهما وغيرهم ممن جاؤوا بعدهم كابني عبيد القاسم ابن سلام ، المتوفى سنة (٢٢٤ هـ) الذي ألف كتابه المشهور في غريب الحديث الذي استقصى فيه وأجاد ، ثم ألف فيه ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (٢٧٦ هـ) كتابا جمع فيه ما فات ابا عبيدة ثم ألف بعدهما : أبو سليمان الخطابي ، المتوفى سنة (٤٠١ هـ) كتابا تتبع فيه ما فات ابا عبيدة وابن قتيبة في كتابيهما (٤) وقد استمر التأليف فيه على مر الأيام إلى أن ألف فيه الامام مجد الدين ابن الأثير كتابه الشهير المعروف بالنهاية في غريب الحديث ، الذي سنحدثك عنه بعد قليل ، وقد افردنا لعلمه بغريب الحديث مبحثا خاصا ، مع أنه نوع من أنواع علوم الحديث ومصطلحه لشديد

(١) انظر ابن الصلاح : علوم الحديث بشرح تقييد الايضاح ٢٧٤

(٢) انظر مجد الدين : النهاية ٥/١ والخطيب : تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢

(٣) انظر الحاكم : معرفة علوم الحديث ١٨ ، والسيوطي : تدريب الراوي ١٨٤/٢

(٤) انظر السيوطي : تدريب الراوي ١٨٤/٢-١٨٥ ، والسخاوي : فتح المغيب ٣/٣-٣٢

عنايته بهذا العلم ، واشتهاره به ، واهمية مؤلفه فيه واليك ما وعدنا به قبل قليل ، من الحديث عن النهاية ، الذي سنتناول فيه : التعريف بها ، وبيان مزاياها وأهميتها وغير ذلك مما يتصل بها ، ويجدر ذكره هنا .

اولا: التعريف بانهاية في غريب الحديث:

النهاية في غريب الحديث « كتاب » جمع فيه الأمام مجد الدين ابن الأثير بين كتاب ابي عبيد أحمد بن محمد الهروي في غريبي القرآن والحديث وكتاب الحافظ ابي موسى محمد بن ابي بكر بن أبي عيسى المدني الأصفهاني ، الذي جمع فيه ما فات الهروي من غريب القرآن . والحديث ، واقتصر فيه على غريب الحديث مجردا من غريب القرآن واطراف اليه ما عثر عليه في كتب الحديث من الكلمات الغريبة ، التي فاتتهما ، ورتبه على حروف المعجم ، كترتيب الكتابين فبدأ بذكر كل كلمة تبدأ بالهمزة ، ثم التي تبدأ بالباء وهكذا إلى آخر حروف المعجم ، ورمز إلى ما نقله من كتاب الهروي بالهاء وإلى ما نقله من كتاب ابي موسى الاصفهاني بالسين وترك ما اضافه من غيرهما مهملا بغير علامة ليميز كما ، قال : ما فيهما عما ليس فيهما (١)

ثانيا: مزايا النهاية

- امتازت النهاية على غيرها من كتب غريب الحديث بعدة مزايا منها:
- ١ - جمعها بين كتابين كبيرين مشهورين في غريب الحديث يكمل احدهما الاخر في كتاب واحد .
 - ٢ - اضافة كل كلمة فيها لدى الجمع إلى اختها في بابها تسهلا للطلابين ، وتيسيرا عليهم عند الرجوع إلى ما يحتاجونه منها .
 - ٣ - اشتمالها على ما زاد على ما في الكتابين ، مما اضافه من الكلمات الغريبة التي فاتت الكتابين ، والتي زادت لكثرتها من سعة مادتها وكبر حجمها .

(١) انظر مجد الدين : النهاية ١١/١

٤ - حسن ترتيبها وعرضها .

٥ - سهولة تناولها والرجوع اليها عند الحاجة من غير كلفة او مشقة .

ثالثا: ثناء العلماء عليها واعجابهم بها

اثني العلماء على النهاية ، لما اشتملت عليه من المزايا التي اشرنا اليها وغيرها ، واليك طرفا مما نقل من ثنائهم عليها واشادتهم بها
قال : ابن كثير : واجل كتاب يوجد فيه مجامع ذلك كتاب الصحاح للجوهري وكتاب النهاية لابن الاثير رحمهما الله (١)

وقال السخاوى : ثم جمع بينهما اعني كتاب الهروى والذيل عليه لابى موسى مقتصر على الحديث خاصة : المجد أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير مع زيادات جمّة ، فكان كتابه النهاية كاسمة ، وعول عليه كل من جاء بعده ، لجمعه وسهولة التناول منه (٢) .

وقال السيوطي في معرض حديثه عن كتب غريب الحديث ، ثم النهاية لابن الأثير ، وهي احسن كتب الغريب واجمعها واشهرها الان واكثرها تداولاً (٣) .

رابعا: امثلة مما جاء في النهاية من غريب

سنقدم لك فيما يلي : ثلاثة امثلة مما جاء في النهاية من الغريب لتكون على علم بمضمونها وادراك لماهية مكنونها .

المثال الاول من حرف الهمزة :

« أب » في حديث انس : أن عمر بن الخطاب قرأ قول الله تعالى « وفاكهة ابا » وقال : « فما الأب ؟ » ثم قال : ما كلفنا وما امرنا بهذا «
الاب المرعى المتهيء للرعى والقطع ، وقيل : الأب من المرعى للدواب

(١) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ١٨٨

(٢) السخاوي : فتح المغيث ٤٩/٣

(٣) السيوطي : تدريب الراوي ١٨٥/٢

كالفاكهة للانسان ، ومنه حديث قس بن ساعدة ، فجعل يرتع ابا وأصيد
ضباً (١) .

المثال الثالث : من حرف الباء

« بأر » (هـ) فيه « أن رجلا آتاه الله مالا فلم خيرا » اى لم يقم
لنفسه خبيثة خير ولم يدخر (٢) والهاء التي بين القوسين هي علامة النقل من
كتاب الهروى كما اسلفنا .

المثال الثاني : من حرف التاء

« تأم » (س) في حديث عمير بن افضى «متئم او مفرد» يقال أتأمت
المرأة فهي متئم ، اذا وضعت اثنين في بطن فاذا كان ذلك عادتفا فهي متأم ،
والولدان توأمان ، والجميع توأم ، وتوأم والمفرد التي تلد واحدا (٤)
هذا والسين التي بين القوسين علامة النقل من كتاب ابي موسى الاصفهاني ،
ولم يضع للكلمة الغربية في المثال الاول علامة كما ترى ، لأنها من زياداته على
ما في كتابي الهروي والاصفهاني .

وقد طبعت النهاية طبعها الاولى سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م بمطبعة عيسى
البابي الحابي وشركاه في القاهرة بمصر وبتحقيق الفاضلين : طاهر احمد
الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في التعريف
بالنهاية والنقل منها وتقع النهاية في هذه الطبعة في خمس مجلدات ولها طبعة
ثانية اقدم من هذه سنة ١٣١١ هـ بالمطبعة العثمانية بمصر على نفقة الفاضل
صاحبها ومدير ادارتها : الشيخ عثمان عبد الرزاق وبهامشها كتاب (الدر
الشير وتلخيص نهاية ابن الاثير) للجلال السيوطي وتقع في اربع مجلدات .

(١) انظر مجد الدين : النهاية ١٣/١

(٢) انظر مجد الدين : النهاية ٨٩/١

(٣) انظر مجد الدين : النهاية ١٧٨/١

«المبحث الرابع»

«تأليفه في غير ما تقدم من علوم الحديث»

وبالإضافة الى ما تقدم من تأليفه في مصطلح الحديث وغيره فإنه قد نسب إليه التأليف في انواع اخرى من علوم الحديث واليك ما نسب اليه في هذا المجال :

اولاً : تأليفه في شرح الحديث

الف الامام مجد الدين كتاباً في شرح الحديث ، شرح فيه مسند الامام محمد بن ادريس الشافعي ، وسماه «الشافعي» في شرح مسند الشافعي ، قال ياقوت : ابدع في تصنيفه ، فذكر احكامه ولغته ونحوه ، ومعانيه نحو مائة كراسة (١)

ثانياً : تأليفه في الالباء والامهات وغيرها :

والف الامام مجد الدين كتاباً : في الالباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات ، ومنهم من يسميه كما تقدم ، المرصع في الالباء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات ، وهو مجلد واحد . قال السيوطي : وقفت عليه ولخصت منه الكنى في كراسة (٢)

ثالثاً : تأليفه في الرجال

وألف كتاباً في الرجال ، سماه «المختار في مناقب الاخيار» اربعة مجلدات ، كما ألف كتاباً في تجريد اسماء الصحابة وبهذا تأتي الى نهاية بحثنا املين ان يسهم في ابراز جوانب شخصية الامام : مجد الدين ابن الاثير ، وجهوده المشكورة في خدمة الحديث النبوي الشريف .

(١) ياقوت : معجم الادباء ٧٦/١٧

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ٢٧٥/٢

« مراجع البحث »

- ١ - اختصار علوم الحديث
للإمام ابن كثير ، طبعة ثانية ، مطبعة محمد علي صبيح واولاده
القاهرة ، تحقيق أحمد شاكر
- ٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة
للإمام عزالدين ابن الأثير ، المكتبة الإسلامية / طهران
- ٣ - الأعلام
للزركلي ، طبعة ثانية
- ٤ - الأنساب والأسر
لعبد المنعم الفلامي ، طبعة اولى ، مطبعة شفيق بغداد
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م
- ٥ - انباه الرواة على انباه النحاة
لابي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥
- ٦ - البداية والنهاية
للإمام ابن كثير ، مطبعة السعادة بمصر
- ٧ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
للأمام جلال الدين السيوطي ، طبعة اولى ، مطبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه
- ٨ - تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي ، طبعة اولى ، مطبعة الخانجي ، بالقاهرة
١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م

تذكرة الحفاظ

للإمام شمس الدين الذهبي ، طبعة رابعة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت

١٠- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ،
للإمام جلال الدين السيوطي طبعة ثانية ، مطبعة دار الكتب الحديثة ١٣٨٥هـ /
١٩٦٦م تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .

١١- التقريب

للإمام محي الدين النووي ، بهامش التدريب ، الطبعة السابقة

١٢- جامع الاصول في احاديث الرسول
للإمام مجد الدين بن الاثير طبعة اولى ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ /
١٩٤٩م .

١٣- جمهرة انساب العرب

للإمام ابن خزم ، دار المعارف بمصر

١٤- دول الاسلام

للإمام شمس الدين الذهبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م تحقيق
فهم محمد شلتوت ، ولحمد مصطفى ابراهيم

١٥- شذرات الذهب في اخبار من ذهب

للمؤرخ ابي الفلاح عبد الحي بن العماد بن الحنبلي ، المكتب التجاري
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان

١٦- طبقات الحفاظ

للإمام السيوطي

١٧- طبقات الشافعية الكبرى

للإمام تاج الدين السبكي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ،
طبعة اولى ، مطبعة عيسى البادي الحلبي وشركاه

١٨- علوم الحديث

للإمام ابن الصلاح ، وشرحها ، التقييد والايضاح ، للحافظ العراقي

تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، طبعة اولى مكتبة القاهرة بمصر
سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٩م

- ١٩- فتح المغيث
للامام شمس الدين السخاوي ، مطبعة القاهرة
- ٢٠- كشف الظنون
لحاجي خليفة ، طبعة بالافست ، مكتبة المثني / بغداد
- ٢١- اللباب في تهذيب الانساب
للامام عز الدين ابن الاثير ، مكتبة المثني / بغداد
- ٢٢- معجم الادباء
لياقوت الحموي ، الطبعة الاخيرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي
وشركاه بمصر
- ٢٣- معجم البلدان
لياقوت ايضاً ، دار صادر للطباعة والنشر
- ٢٤- معرفة علوم الحديث
للكاظم ابي عبد الله النيسابوري ، مطبعة دار الكتب المصرية
القاهرة ١٩٣٧
- ٢٥- النجوم الزاهرة
لابن تغرى بردى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والنشر .
- ٢٦- النهاية في غريب الحديث والاثار
للامام مجد الدين ابن الاثير ، تحقيق الزاوي والطناحي ، مطبعة
عيسى البابي الحلبي وشركاه
- ٢٧- وفيات الاعيان
للامام ابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار
دار الثقافة بيروت / لبنان .

آثار ضياء الدين بن الاثير
وصدى عصره وحياته فيها

الدكتور احمد مطلوب
أستاذ في كلية الاداب/ جامعة بغداد

في جزيرة ابن عمر شمالي الموصل كان ثلاثة أخوة يقال لهم «أبناء الاثير» وقد قاموا بدور عظيم في الفكر العربي الاسلامي خلال القرن السادس للهجرة . أكبرهم مجد الدين أبو السعادات المبارك الذي وُلد في أحد الربيعين سنة أربع واربعين وخمسمائة ومات في الموصل سنة ست وستمائة للهجرة ، وترك عدة كتب منها : «النهاية في غريب الحديث والاثر» و«جامع الاصول في أحاديث الرسول» و« الشافي في شرح مسند الشافعي » و« شرح غريب الطوال » و« المرصع في الاباء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات » و« ديوان رسائل . »

والثاني أبو الحسن علي الملقب بعز الدين الذي وُلد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ومات في الموصل سنة ثلاثين وستمائة للهجرة ، والـف عدة كتب منها : «الكامل في التاريخ» و« أسد الغابة في معرفة الصحابة » و« اللباب في مختصر الانساب » و« تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل» .
والثالث أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري . ولد ضياء الدين يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة في جزيرة ابن عمر ، ونشأ بها وقضى شطراً من طفولته فيها ، ورحل مع عائلته الى الموصل وتلقى فيها دراسته الأولى وحصل العاوم وحفظ القرآن الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلوم البيان وشيئاً كثيراً من الأشعار . وكان للقرآن الكريم أثر عظيم في ثقافته تجلّى في كتبه التي زينها بشواهد من آياته ، وكان يختم كتاب الله مرة في كل اسبوع ليبلغ به ، ثم نظر فيه فجعل يقرؤه مرة في شهر ، ثم أبعد في النظر فكان يختمه في سنة ، ثم امعن فقال إنه قطع سبع سنين ولما يفرغ منه ولا أتى على الغاية من تدبر ما فيه من أنواع البلاغة المستكنة في كلمه وحروفه . والقرآن عند ابن الاثير اساس البلاغة وقد استخرج منه ثلاثين ضرباً من علم البيان لم يأت بها أحد من العلماء الاعيان (1) .

أما الشعر فقد قرأ منه كثيراً ، قال : «وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة مالا أحصيه كثرة ثم اقتصررت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب ابن أوس و أبي عبادة البحتري وشعر ابي الطيب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت اكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني و صار الادمان لي خلقاً وطبعاً (١) . وقال : « ولقد تصفحت الاشعار قديمها وحديثها وحفظت ما حفظت منها ، وكنت اذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه الالفاظ أجد لها نشوة كشوة الخمر وطربا كطرب الالحان ، وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك ولا يتفطن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا فيه ، ويظنه كغيره من الالفاظ المستحسنة » (٢) .

كانت ثقافة ابن الاثير واسعة ، وكان يدعو الى التشبث بكل فن والنظر في كل علم ، وارصاد السمع لمحاورات الناس وتتبع اقوالهم . وقد استفاد من ذلك « فوائد كثيرة حتى من اكار وفلاح اعجمي من الاعجام الاغتام ومن يجري مجراهم » (٣) ، واطلع على « ماتقوله النادية في المآتم ، وما تقوله الماشطة عند جلوة العروس ، وما يقوله المنادي في السوق على السلعة » (٤) . وقرأ كتب البيان كلها ، فما من تأليف فيه الا وقد تصفح شينه وسينه وعلم غنه وسمينه (٥) . وكان الى جانب ذلك ملما ببعض اللغات الاعجمية كالفارسية والسريانية والرومية (٦) ، ولاعجب في ذلك فقد كان مثقفاً ثقافة رفيعة ، وكان عصره ملتقى للحضارات والامم ، وكان وزيراً يفرض عليه منصبه معرفة غير العربية ليدير الامور .

(١) الجامع الكبير همص ٣

(٢) الوشي المرقوم ص ١٠

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٥٠

(٤) الوشي المرقوم ص ٤

(٥) الوشي المرقوم ص ٣

(٦) المثل السائر ج ١ ص ٣

(٧) المثل السائر ج ١ ص ٣٦ ، ٣٨ ، و ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢٨١

وقد هيأت هذه الثقافة الواسعة السبل لابن الأثير فتسنى أعلى المناصب والرتب وأصبح كاتباً لأنشاء صلاح الدين الأيوبي ووزيراً لابنه الملك الأفضل . وكان كاتب الأنشاء أو الوزير في ذلك العهد يحتاج إلى ان « يكون ملماً بعلوم الأدب وهي : اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي ، أخذاً من كل فن من فنون عصره بطرف حتى اذا وردت مسألة دينية او سياسية كان مستطيعاً ان يخوض فيها وان يتحدث عنها » (١).

ولما كملت لضياء الدين « الادوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين - تغمده الله برحمته - في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادي الآخرة من السنة » (٢) ولم يطل بقاءه عند الملك صلاح الدين الأيوبي ، فقد طلبه ابنه الملك الأفضل نورالدين منه ، فخيرته السلطان بين الإقامة في خدمته أو الانتقال إلى ولده ، فاختار ضياء الدين الملك الأفضل وكان في ذلك العهد شاباً فاستوزره وحسنت حاله عنده . ولما ذهب الأفضل إلى مصر دعاه ، ولم يطل مقام الملك هناك فقد استولى الملك العادل عمه على القاهرة وخرج الأفضل منها ثم لحق به وزيره ابن الأثير في سميساط ، واقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة للهجرة ، واتصل بخدمة الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها مقامه وتولى دار الأنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عزالدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه وذلك في سنة ثمان مائة وستمائة . وفي هذه الأثناء حاول ابن خلكان ان يجتمع به ولكنه لم يستطع ، قال : « ولقد ترددت إلى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات وهو مقيم بها ، وكنت أود الاجتماع به لأخذ عنه شيئاً ولما كان بينه وبين الوالد - رحمه الله تعالى - من المودة الأكيدة، فلم يتفق ذلك . ثم فارقت بلاد

(١) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ص ٣٣٩

(٢) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٥

المشرق وانتقلت إلى الشام واقمت بها مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة « (١) »
 وظل ضياء الدين في ديوان انشاء صاحب الموصل وكان يرسله إلى بغداد ليمثله في دار الخلافة العباسية ، وفي احدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة مات ببغداد وقد توجه إليها رسولا من ناصر الدين وصلي عليه بجامع القصر ودفن بمقابر قریش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر — رضي الله عنهما — (٢) . وقيل انه توفي في شهر ربيع الآخر من السنة نفسها ، قال الأتابكي : « وتوفي صاحب ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الشيباني الجزري مؤلف كتاب « المثل السائر » في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة وله نحو من ثمانين سنة (٣) . ويؤيد ذلك ما جاء في تاريخ بغداد لأبي عبدالله محمد بن النجار البغدادي ، وقد علق ابن خلكان على ذلك بقوله : «وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم » (٤) .

مات ضياء الدين بعد أن خلف ثروة أدبية كبيرة عكف على تأليفها في المرحلة الأخيرة من حياته أي بعد أن التقى عصاه واستقر به النوى في الموصل ، فهو في أول حياته كان طالب علم ، وفي المرحلة الثانية كان وزيراً ومطارداً ، ولم يركن إلى الراحة الا بعد أن عاد إلى مرتع صباه ووجد الدعة والأطمثان . ومعظم كتب ضياء الدين في البلاغة وفن الكتابة ، ولا غرابة في ذلك فقد كانت الكتابة السبيل المفضية إلى ديوان الانشاء والوزارة ، وقد وصل إلى ذلك بفضل ثقافته واسلوبه وتحديث الأعلام بكتبه وآرائه ، مما دفع بعضهم إلى الرد عليه ووصفه بالغرور . وقد قسم الدكتور محمد زغلول سلام كتب ضياء الدين ثلاثة أقسام : المختارات ، والبلاغة وصناعة الانشاء ،

(١) وفيات الاعيان ج٥ ص٢٦

(٢) وفيات الاعيان ج٥ ص٣٢

(٣) النجوم الزاهرة ج٦ ص٣١٨

(٤) وفيات الاعيان ج٥ ص٣٢

والمعارف العامة (١) . وهو تقسيم جيد ، ولكن معظم كتب ابن الأثير غير مطبوعة او مفقودة ولذلك فالكلام عليها في إطار هذا التصنيف لا يكون دقيقاً كدقة الحديث عنها مطبوعة ومخطوطة ومنسوبة ، ولعل في تقديم الأهم منها ما يحقق الهدف ويخدم الغاية التي من اجلها كان البحث عن كتب ضياء الدين وصدى عصره وحياته فيها .

ألف ضياء الدين بن الاثير كتباً كثيرة في البلاغة والادب وصناعة الانشاء وكأنه اراد ان يكمل جهود ابناء الاثير في التأليف وان يكون لعلوم الدين والدنيا نصيب كبير من تلك الجهود .

ومعظم آثاره مخطوطة ولم يطبع منها الا القليل ، وسيكون الكلام على الطبع اولاً ثم يتبع ذلك المخطوط والمنسوب اليه .

١- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر :

هذا الكتاب اهم كتب ضياء الدين وأنفعها ، وقد قال عنه ابن خلكان : « ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبه كتابه الذي سماه : « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره » (٢) ، وقال القفطي : « كتاب جميل في صناعة البيان وغير ذلك » (٣) ، وقال السيوطي : « وقد اشتهر وكتب الناس عليه » (٤) .

يبدأ الكتاب بقول ابن الاثير : « نسأل الله ربنا ان يبلغ بنا من الحمد ما هو اهله ، وأن يعلمنا من البيان ما يقصر عنه مزية الفضل واصله ، وحكمة الخطاب وفصله ، ونرغب اليه أن يوقفنا للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذي هو أفصح من نطق بالضاد ونسخ هديه شريعة كل هاد ، وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبلدر ، ومنهم من صابر وصبر ، ومنهم

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦٥ ، وضياء الدين بن الاثير ص ٣٩

(٢) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٧

(٣) إنباه الرواة ج ٣ ص ٢٦٠

(٤) بغية الوعاة ج ٢ ص ٣١٥

من آوى ونصر» (١) . وقد بناء صاحبه على مقدمة ومقالتين ، فالمقدمة تشمل على اصول علم البيان ، والمقالتان تشتملان على فروعها . والاولى هي الصناعة اللفظية وفيها تحدث عن اللفظة المفردة ، والالفاظ المركبة ، والسجع ، والتصريح ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الالفاظ في السبك . والمقالة الثانية في الصناعة المعنوية وفيها بحث أهم موضوعات البلاغة كالاستعارة والتشبيه ، والالفتات والتقديم والتأخير ، والايجاز والاطناب ، والكناية والتعريض ، والتضمين ، والتوشيح ، والسرقات .

وكان الدافع إلى تأليفه «المثل السائر» مارآه من خبط القدماء في فنون البيان واهمالهم الكثير منها ورغبته في ان يضيف اليهم مافاتهم ويستدرك ما نكد عنهم في مؤلفاتهم . وقد اوضح بعض ذلك في قوله : «وبعد فان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة اصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام ، وقد الف الناس فيه كتباً وجلبوا ذهباً وحقائباً وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غنه وسمينه فلم اجد ما ينتفع به في ذلك الا كتاب «الموازنة» لابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب «سر الفصاحة» لابي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، غير ان كتاب «الموازنة» اجمع اصولاً وأجدي محصولاً ، وكتاب «سر الفصاحة» وان نبه فيه على نكت منيرة - فإنه قد أكثر مما قلل به مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لاجابة إلى اكثره ، ومن الكلام في مواضع شذت عنه الصواب فيها ، وسيرد بيان ذلك كله في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . على أن كلا الكتابين قد اهملا من هذا العلم أبواباً ، ولربما ذكرا في بعض المواضع قشوراً وتركوا لباباً . وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ، ولم أجد احداً ممن تقدمني تعرض لذكر شي منها ، وهي اذا عدت كانت في هذا العلم

بمقدار شطره ، واذا نظر إلى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره . وقد اوردتها ههنا وشفعتها بضروب آخر مدونة في الكتب المتقدمة بعد ان حذفت منها ما حذفته واضفت اليها ما اصفته ، وهداني الله لا ابتداء اشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون اقوالها تابعة وانما هي متبعة ، وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى غيره من الكتب» (١).

وقد ألفه بعد عام ٦١٨ هـ وانتهى منه عام ٦٢٢ هـ ، ودليل ذلك ما جاء فيه من رسالة كتبها لناصر الدين صاحب الموصل ، الذي اتصل به سنة ٦١٨ هـ ، يضاف إلى ذلك ان الجزء الاول منه المحفوظ بدار الكتب المصرية قد انتهى من كتابته يوم السبت سنة ٦٢٢ هـ وفي اوله اجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من العام نفسه ، أجاز بها الشيخ عضد الدين أبا محمد مظفر بن محمد بن علي بن جعفر بن زهير .

وقد احدث «المثل السائر» دويماً في عصره والعصور التالية ، فما ان انتهى مؤلفه منه حتى انتشر ووصلت نسخ منه إلى بغداد وتصدى له ابن أبي الحديد وألف كتاباً في الرد عليه سنة ٦٣٣ هـ سماه «الملك الدائر على المثل السائر» ، وانتقده في كتابه «شرح نهج البلاغة» أيضاً (٢) .

وصنف ابو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى سنة ٦٤٠ هـ كتاباً ردّ فيه على ابن أبي الحديد وسماه «نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر» ، وألف عبد العزيز بن عيسى كتاباً سماه «قطع الدابر على الفلك الدائر» (٣). وصنف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتاباً سماه «نصرة الثائر على المثل السائر».

واختصر «المثل السائر» بعض الافاضل ، وفي دار الكتب المصرية نسخة من ذلك المختصر برقم (٣٢٠) أدب ، واختصره ابن العسال أيضاً (٤)

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣-٤

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤١

(٣) كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٨٦

(٤) (٣) عروبة الافراح ج ١ ص ٣٠

وطبع «المثل السائر» عدة طبعات هي :

١. طبعة بولاق سنة ١٢٨٢هـ بتصحيح الشيخ محمد الصباغ
٢. طبعة بيروت عام ١٢٩٨هـ.
٣. طبعة القاهرة عام ١٣٢١هـ.
٤. طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٥. طبعة الدكتورين احمد الحوفي وبدوي طبانة بالقاهرة سنة ١٢٧٩هـ - ١٩٥٩م
وقد ضم الجزء الرابع من هذه الطبعة كتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» لابن ابي الحديد. وللكتاب نسخ كثيرة منها:
١ - نسخة دار الكتب المصرية (الجزء الأول) وهي مخطوطة بقلم معتاد بخط ابي المكارم ابن منصور الباشناي الموصلية وقد فرغ منها في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة ٦٢٢ هـ ، وفي أول الجزء اجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان سنة ٦٢٢ هـ ، اجازها الشيخ عضد الدين ابا محمد مظفر بن محمد ابن جعفر بن زهير الدمشقي . وهذه النسخة برقم (٥٤٤) أدب .
٢ - نسخة اخرى بدار الكتب المصرية وهي بخط معتاد ، ورقمها في الدار (٢٩) مجاميع .
٣ - نسخة الشيخ أحمد محمد شاكر وقد كتبت في نهار الأربعاء الموافق اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادي الثانية عام ١٠٩٣ هـ ، وكاتبها محيي الدين بن ناصر الدين الصفوري ، وقد نقلها عن نسخة كتبها أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن مهران القويسني وفرغ من كتابتها في مستهل جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وستمائة . قال الصفوري عنها : « وهي نسخة صحيحة - رحم الله مؤلفها وكاتبها رحمة واسعة - وهي على هذا التاريخ مكتوبة قبل موت المؤلف بعشر سنين او مايقرب منها » ثم كتب على حاشية آخر ورقة : « بلغ مقابلة على اصله الذي كتب منه والله الموفق » . وفي دار الكتب المصرية نسخة منها .
٤ - وهناك نسخ اخرى في فينا و المتحف البريطاني وباريس والاسكوربال

وكوبرلي وآيا صوفيا وباتنة وبني جامع أحمد خان وبنكيبور ونور عثمانية
وطوبة بوسراي ولاله لي ودمشق والمهصل (١) .

٢ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور :

ومن كتب ضياء الدين المتصلة بالبلاغة والنقد وفن الكتابة والأنشاء
كتاب « الجامع الكبير » وقد سماه الحاج خليفة « الجامع الكبير في علم البيان »
ونسبه إلى ابن الأثير علي بن محمد صاحب « الكامل في التاريخ » (٢) .
وليس الأمر كذلك ، وقد نبه جرجي زيدان إلى ذلك فقال : « نسبة صاحب
كشف الظنون إلى ابن الأثير صاحب الكامل أخي ضياء الدين خطأ » (٣)
وهذه النسبة قديمة فالسبكي نسبة إلى أخي ضياء الدين ، قال : « والمثل
السائر للصاحب ضياء الدين نصر الله بن الأثير والجامع الكبير لآخيه » (٤) ،
وقال : « وذكره ابن الأثير في المثل السائر وأخوه في الجامع (٥) ، وقال
القلقشندي : « والجامع الكبير لابن الأثير الجزري » (٦) . وهذه الأشارات
القديمة تبعث الشك في نسبة الكتاب إلى ضياء الدين ، فالسبكي نسبة إلى أخيه
ولم يعينه ، والقلقشندي نسبة إلى أحد أبناء الأثير ، ولكن ذلك كله لا يسلب
ضياء الدين حقه في كتابه فكل ما فيه يشير إلى أنه من آثاره لاشتهاره في فن
البيان ولقرب « الجامع الكبير » من « المثل السائر » في منهجه وموضوعاته .
يضا إلى ذلك ان الثقة ابن قيم الجوزية نقل عنه كثيرا ونسبه إلى ضياء الدين
فقال وهو يتحدث عن مصادره : « وكتاب المثل السائر لابن الأثير وكتاب
الجامع الكبير لابن الأثير أيضا » (٧) . وهذا تأكيد لنسبته وإن لم يذكر
في الكتب التي ترجمت لضياء الدين قديما . وكلمة « أيضا » في عبارة ابن

(١) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٣

(٢) كشف العظنون ج١ ص٥٧١

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص٥١

(٤) عروس الافراح ج١ ص٣٠

(٥) عروش الافراح ج١ ص٩١

(٦) صحح الاعشى ج١ ص٤٦٩

(٧) الفوائد ص ٨

قيم الجوزية لاتدع مجالا للشك في ان الكتابين اللذين ذكرهما لمؤلف واحد سماه « ابن الأثير » وهو ضياء الدين . وقد نسبه بروكلمان اليه وذكر مخطوطاته (١) ، ونسبه اليه الزركلي ايضا (٢) ولكن كلام ابن قيم يقطع الشك ويرجع الكتاب إلى صاحبه الذي اشتهر بالادب والبلاغة والنقد .

بدأ ابن الاثير كتابه بقوله : « الحمد لله مبدىء النعم أولا وآخرا ، مسدي الولاء باطنا وظاهراً ، الذي فطر الأنسان بحكمته ولطفه وركب فيه آلة النطق فبلغ به كمال وصفه» (٣) ثم تحدث عن علم البيان وما ألف فيه ، وهو كلام قريب مما ذكره في مقدمة « المثل السائر » وجعله على قطبين : الأول في الأشياء العامة ، والثاني في الأشياء الخاصة . وقسم القطب الاول إلى فنين : الأول فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به ، والثاني في الكلام على الألفاظ والمعاني وتفصيل الكلام المشور على المنظوم . والقطب الثاني في الفصاحة والبلاغة واصناف علم البيان وأقسامها ، وقد تحدث عن الصناعة المعنوية قبل الصناعة اللفظية ، وفي ذلك اختلف عن منهج « المثل السائر » الذي كانت الصناعة اللفظية فيه قبل المعنوية .

والدافع إلى تأليف هذا الكتاب هو ان ابن الاثير تصفح آيات القرآن الكريم واستخرج منه بعد الكشف عن سره المكنون ثلاثين ضربا من علم البيان لم يأت بها أحد من العلماء الذين سبقوه . وكان ما ظفر به أصل فن البيان وعمدته وزبدته ، قال : « فحيث احرزت هذه الفضيلة وحصلت عندي هذه العقيلة ، أحببت ان افرد لها كتابا وافصلها فيه اقساما وأبوابا ليكون مقصورا على شوارد هذا العلم وغرائبه ورموزه الخفية وعجائبه ، وليجعله مؤلف الكلام رأس بضاعته، ويعلم به مواقع الصواب في صناعته»(٤).

(١) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٣

(٢) الاعلام ج٨ ص٣١

(٣) الجامع الكبير ص٣ .

(٤) الجامع الكبير ص٣

ونسخ الجامع الكبير هي

١ - نسخة دار الكتب المصرية وقد كتبت سنة ١٣١٤ هـ وهي برقم (٢٧٠) بلاغة و (٣٠٠٦٤) عمومية . وفي صدرها « كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنشور ، تأليف الشيخ الامام العالم العلامة لسان الأدب وترجمان العرب ابي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري الشهير بابن الأثير - رحمه الله تعالى - وعفا عنه » وعدد اوراقها (١٦٥) ورقة ، وخطها واضح . وقد جاء في آخرها : « تم الكتاب بمنته تعالى . وكان الفراغ من تحريره نهار الثلاثاء عشرين من شهر شوال سنة الف وثلثمائة واربعة عشر هجرية . على نبينا افضل الصلاة والسلام وازكى التحية . ونقل هذا الكتاب على ذمة الكتبخانة الخديوية بخط الفقير الحقير محمود صالح - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين آمين » .

ومنها نسخة مصورة محفوظة في المجمع العلمي العراقي ونسخة أخرى في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب (جامعة بغداد) .

٢ - نسخة ثانية بدار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٠٥ هـ ، وهي برقم (١٦٦) مجاميع .

٣ - قطعة من نسخة في مكتبة المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد (١) .

٤ - نسخ اخرى ذكرها بروكمان في برلين واسعد أفندي وينكيبور (٢) .

وقد عهد المجمع العلمي العراقي الى الدكتورين جميل سعيد ومصطفى جواد بتحقيق الكتاب فأخرجاه عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م في مطبوعات المجمع .

٣ - الاستدراك :

ذكره اسماعيل البغدادي (٣) وسماه «الاستدراكات» وذكره بروكلمان وهو يتحدث عن المتنبى وقال : «الف ضياء الدين بن الاثير

(١) المثل السائر ج١ ص (١٦٤)

(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص ٢٧٣

(٣) هدية العارفين ج٢ ص ٤٩٣

المتوفى سنة ٥٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م» «الاستدراك» في الأخذ على المعاني الكندية من المعاني الطائية» وهو نقد لكتاب ألفه أبو محمد سعيد بن المبارك الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م في سرقات المتنبي من أبي تمام «(١)». وذكره عند كلامه على ابن الدهان وكتابه قال : «وعليه كتاب الاستدراك. في الأخذ على الآخذ الكندية لنصر الله بن محمد بن الاثير ابي الفتح» (٢) وذكره في كتب ضياء الدين أيضاً (٣) .

فلاستدراك صحيح النسبة وهو من كتب النقد المهمة وقد جمع فيه ابن الاثير بحثين :

الاول : مؤاخذاته لابن الدهان على مؤاخذاته للمتنبي .

الثاني : استدراكه على ما فات ابن الدهان من مأخذ المتنبي .

ويبدو أن ضياء الدين بعد ان حقق في كتابيه «الجامع الكبير» و«المثل السائر» وجال جولات رائعة في علم البيان ، اراد ان يضع كتابا يطبق فيه نظرياته وآراءه ... التي بثها في كتابيه السابقين ، فألف «الاستدراك» الذي كان جديداً في منهجه وآرائه . واذا كان «المثل السائر» عمدة آرائه في النقد والبلاغة فان كتاب «الاستدراك» الصورة العلمية التي تكشف عن منهجه في النقد وتطبيق آرائه التي شرعها وأرسى اصولها .

ومقدمة هذا الكتاب هي أهم ما فيه ، فقد تكلم فيها على الشعر ونقده والمفاضلة بين الشعراء ، والسرقات الادبية ، وموقف اللغويين والنحاة من الشعر ونقده ، ونقد شرح حماسة ابي تمام ، ووازن بين الامثلة الشعرية . والمقدمة بعد ذلك كله تعد دستوراً للنقد أتى فيها ابن الاثير باشياء جدير بان تقيد وتحفظ وتتبع ، ولم يكن مقلدا فيما كتب وانما مجددا وناقدا ناثرا. الف ابن الاثير كتاب «الاستدراك» «بعد» المثل السائر» وقد ذكر ذلك فقال

(١) تاريخ الادب العربي ج٢ ص ٨٥

(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص ١٧٠

(٣) تاريخ الادب العربي ج٥ ص ٢٧٤

وهو ينقد بعض الابيات : «والكلام في مثل هذا الموضوع طويل عريض ، ولو اخذت في استقصائه لاتسع المجال ، لكنه يوجد في كتابي الموسوم بالمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، فانه موضوع لبيان اسرار الالفاظ والمعاني وتفصيل اقسامهما » (١) .
ونسخ الكتاب هي :

١ - نسخة خطية قديمة بالمكتبة الخالدية في دمشق في ١٤٠ ورقة
٢ - نسخة خطية منسوخة عن السابقة ، وهي محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وقد تمت كتابته في ١٣ مارس سنة ١٩١٨م الموافق الثالث من جمادي الاولى سنة ١٣٣٦هـ . وهي بخط محمد أمين الانصارى في ٢٠٧ صفحة .

٣ - نسخة مصورة عن نسخة الشيخ عبد القادر المغربي ومحفوظة بدار الكتب المصرية (٢) .

٤ - نسخة محفوظة ، في مكتبة كوبرلي برقم (١٢٠٤) (٣) والكتاب مطبوع سنة ١٩٥٨ بأسم «الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالماخذ الكندية من المعاني الطائفية » وقد حققه الدكتور حفني محمد شرف وصدّره بتقديم تحدث فيه عن الكتاب وعرض اهم مافيه من آراء نقدية .

٤ - الوشي المرقوم في حل المنظوم:

قال ابن خلكان وهو يتحدث عن ضياء الدين: «وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم ، وهو مع جازته في غاية الحسن والافادة» . (٤)

(١) الاستدراك ص١٨

(٢) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٧٠ ، ومقدمة الاستدراك ص٣٢

(٣) تاريخ الادب العربي ج٢ ص٨٥ ، ج٥ ص١٧٠ .

(٤) وفيات الاعيان ج٥ ص٢٧ ، وينظر بغية الوعاة ج٢ ص٣١٥ ، وكشف الظنون ج٢ ص٢٠١٢

وهدية العارفين ج٢ ص٤٨٣

بدأه مؤلفه بقوله: «احمد الله على فضيلة النطق وبيانه» وبناء على مقدمة وثلاثة فصول: الاول في حل الشعر، والثاني في حل آيات القرآن الكريم، والثالث في حل الاخبار النبوية.

وذكر في المقدمة ان الكاتب يحتاج الى التشبث بكل فن، والنظر في كل علم، وارصاد السمع لمحاورات الناس، وانتهى الى ان الكاتب يحتاج الى ثلاثة اشياء:

الاول: حفظ القرآن الكريم

الثاني: حفظ ماينبغي له حفظه من الاخبار النبوية

الثالث: حفظ الاشعار الكثيرة

وغرضه من الكتاب هدف تعليمي قال: «لانه كتاب تعليم وتمثيل لاكتاب تكثير وتطويل». (١) وقد كان الكتاب في عصره يؤمنون بان القرآن الكريم والشعر البليغ هما الينوعان اللذان يستقون منهما معانيهم، ولذلك عكفوا عليهما وعلى الحديث الشريف وافادوا من ذلك فائدة عظيمة تجلت في كتاباتهم ورسائلهم في الاغراض المختلفة.

وفي تاريخ تأليفه حيرة فمؤلفه يقول فيه: «ولما الفت كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، قصرت فصلا منه على ذكر هذه الطريق» (٢). وقال في موضع اخر: «وهذا المعنى قد ذكرته بلفظ آخر، واوردته في كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، وهو مأخوذ من الاخبار النبوية» (٣). وقال في المثل السائر: «وقد بسطت القول في هذا الموضوع وكشفت عن دقائمه في الكتاب الذي وسمته بالوشي المرقوم في حل المنظوم، وهو كتاب مفرد في هذا الفن خاصة» (٤). وقال: «وهذا المعنى المشار اليه في وصف القلم

(١) الوشي المرقوم ص ٣١

(٢) الوشي المرقوم ص ٤

(٣) الوشي المرقوم ص ١٠٧

(٤) المثل السائر ج ١ ص ١٠٦-١٠٧

أوردته بعبارة أخرى ونهت عليه في كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم». وهذا كتاب الفته في صناعة حل الشعر وغيره» (١).

والتوفيق بين ذلك قد يكون ظناً، وهو إن ابن الأثير كان يؤلف الكتابين في وقت واحد، وكان يحيل في كل واحد منهما إلى الآخر حينما يتعرض للمسائل المتشابهة ولاسيما حل المنظوم. ولكن ما في «المثل السائر» من نضح يدل على أنه ألف بعد «الوشي المرقوم» ويغلب الظن أنه كتب بعد سنة ٦٠٠هـ بدليل ما جاء فيه: «وكنت سافرت إلى بلاد الروم في سنة ستمائة» (٢) وأنه انتهى منه قبل سنة ٦٢٢هـ، وهي السنة التي يظن أنها كانت زمن الانتهاء من «المثل السائر».

ونسخ الكتاب هي:

- ١ - نسخة دار الكتب المصرية، وهي بقلم معتمد تمت كتابة ومقابلة في اليوم الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٠٠٦هـ، وهي برقم (١٣٢) أدب.
- ٢ - نسخة مصورة محفوظة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب (جامعة بغداد) وقد جاء في آخرها: «نجز كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم، ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذي الحجة من سنة إحدى وخمسين وستمائة هجرية والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلم كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل» وفي هامش الورقة الأخيرة هذه العبارة: «بلغ مقابلته بنسخة عليها خط المصنف - رحمه الله - وصحح بقدر الإمكان في ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة، والحمد لله وصلواته على محمد وآله الطاهرين». وهذه هي نسخة التيمورية (٤٦٣) أدب وفي معهد أحياء المخطوطات العربية وفي المجمع العلمي العراقي مصورة منها.
- ٣ - نسخة مكتبة نور عثمانية وهي في ٧٥ ورقة وقد كتبت سنة ٦٣٤هـ بخط نسخ نفيس مشكول نقلا عن نسخة قوبلت بأصل المصنف. وفي معهد أحياء المخطوطات العربية مصورة منها.

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣٣٣

(٢) الوشي المرقوم ص ٧٢

٤ - وذكر بروكلمان والاستاذ ميخائيل عواد نسحا كثيرة لهذا الكتاب منها في برلين وباريس والاسكندرية وعاشرا افندي وحسين جلبي والموصل ودبلن والمكتبة الازهرية (١).

وطبع «الوشي المرقوم» في القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ (٢)، ولكن المعروف انه طبع في بيروت في ذلك العام بمطبعة ثمرات الفنون في ٢١٢ صفحة من الحجم المتوسط.

٥ - ديوان ترسله:

لضياء الدين ديوان ترسل، وهي مجموعة كتبه ورسائله التي كتبها حينما كان كاتباً لديوان الانشاء ووزيراً. قال ابن خلكان: «وله ايضا ديوان ترسل في عدة مجلدات، والمختار منه مجلد واحد» (٣). وسماه السيوطي: «ديوان رسائل» (٤).

وقد بقي كثير من هذه الرسائل والكتب مفرقاً في كتبه ولا سيما «المثل السائر» و«الوشي المرقوم» وفي مجموعة رسائله التي عثر عليها، وفي المصادر الاخرى.

ولهذه الرسائل اهمية كبرى، فهي تصور حياة ابن الاثير تصويراً صادقاً، وتصور البيئة والعصر في حياته. ومن هذه الرسائل ماصور الحروب الصليبية وحروب صلاح الدين معهم، ومنها ماصور الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العهد.

وعلى الرغم من ضياع كثير من تلك الرسائل والتقاليد فقد عثر على الجزء الثاني من ديوان ترسل ضياء الدين. وهذا الجزء في خزانة مخطوطات الجامعة الامريكية ببيروت وهو في ٢٣٠ صفحة، وفي ذيل خاتمته هذه

(١) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٢، ومخطوطات المجمع العلمي العراقي ج٢ ص٢٤٨، وفهرس المخطوطات المصورة ج١ ص٥٤٦.

(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٢

(٣) وفيات الاعيان ج٥ ص٢٨، وبنظر هدية العارفين ج٢ ص٤٩٣

(٤) بغية الوعاة ج٢ ص٣١٥

العبارة: «كتاب كتبه الى بعض غلمانه وقد ارسل على يده كتابا فغرق في الفرات. والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه». قال الاستاذ حبيب زيات : «يظهر ان هذه الكتابة هي عنوان اولى رسائل الجزء الثالث فيكون الموجود من هذا الديوان الثاني فقط ، ولا يعرف أي خزانة أم أي ارض اشتملت على الجزئين الاول والثالث» (١) وفي الورقة الاخيرة من الكتاب : «تم الجزء الثاني من ترسل المولى الصاحب ضياء الدين -رحمه الله- بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة» .

واطلع الاستاذ انيس المقدسي على هذا الجزء وفتش عن نسخة ثانية او عن مجموعة اخرى من رسائل ضياء الدين ، ولما اعياه التفتيش اعلن عن مساعاه في مجلة المجمع العلمي العربي بمقال وصف فيه مخطوطة الجامعة الاميركية ، ورجا ممن يعرف شيئاً عن رسائل ابن الاثير ان يتكرم عليه بما لديه. وسرعان ما اخبره الدكتور صلاح الدين المنجد ان في مكتبة احمد الثالث باستانبول نسخة من رسائل ابن الاثير ، وان في معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عنها في ١٧٢ ورقة وقد كتبت سنة ٦٥٥هـ بقلم نسخ حسن (٢) . وفي عام ١٩٥٩ اخرج الاستاذ المقدسي كتاباً سماه «رسائل ابن الاثير» عن نسخة احمد الثالث وتحدث في مقدمتها عن هذه المخطوطة التي جاء في صدرها : «ترسل المولى الوزير الصدر الكبير الصاحب الامام العالم الفاضل الكامل يتيم دهره وفريد عصره ضياء الدين بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير الجزرى . وفي ختامها «نجزت رسائل الوزير الاوحد العالم الفاضل ضياء الدين المعروف بابن الاثير . وتمت في سحر يوم السبت الخامس من رمضان المبارك سنة خمس وخمسين وستمائة» ورجح الاستاذ المقدسي ان تكون هذه المخطوطة هي المجلد المختار الذي ذكره ابن خلكان وليست الجزء الاول الذي يكمل مخطوطة الجامعة الاميركية لتكرر بعض الرسائل في النسختين واختلاف الخطين .

(١) الخزانة الشرقية ج٣ ص ١٥٧

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ج١ ص ٤٧٤

ويشمل الجزء الذي طبعه المقدسي رسائل من الملوك والامراء والاعيان ورسائل في التهاني والتعازي والتقاليد والاخوانيات، وكان ابن الاثير قد كتبها في هذه الاغراض وغيرها، وهي مائة وتسع وستون رسالة، وهو عدد قليل اذا ما قورن بما ذكر عن رسائل ابن الاثير في المصادر القديمة وما نقل منها أو أشير إليها.

وذكر بروكلمان كتاباً باسم «ترسل الوزير الصدر الكبير» وقال ان له مخطوطة في طوبقو سراى برقم (٢٦٣٠) (١). وكان المرحوم الدكتور مصطفى جواد قد أخبرني في آذار عام ١٩٥٦ حينما كنت اعد رسالة عن ابن الاثير ان جزءاً من ديوان ترسل صاحب ضياء الدين كان في بيت الزهاوي ثم انتقل الى غيره. ولم يعرف مصير الديوان بعد ذلك الانتقال وقد عثر الدكتور نوري القيسي والاستاذ هلال ناجي على مجموعة من رسائل ابن الاثير واعدائها للطبع وظهرت في مطبوعات «ندوة أبناء الاثير» في هذه الايام. ولابي السعادات المبارك أخي ضياء الدين ديوان رسائل (٢) وفي دار الكتب المصرية نسخة منها كتبت سنة ٦٠١ هـ وهي في ١٧٧ ورقة وبرقم (٢٠٤٠) أدب وقد جمعها شقيقه عز الدين أبو الحسن علي محمد بن عبد الكريم ورتبها على قسمين: الاول في التقليد والمناشير، والثاني في المكتبات، وفي اولها خط جامعها. وفي معهد احياء المخطوطات العربية نسخة منها (٣).

هذه هي كتب ضياء الدين التي رأيتها مطبوعة، أما كتبه الاخرى او الكتب المنسوبة اليه فهي:

٦- الاخبار النبوية:

لضياء الدين كتاب «الاخبار النبوية» جمع فيه أكثر من ثلاثة آلاف خبر من الاخبار النبوية، وهو خلاصة ما يحتاج اليه الكاتب. قال: «وقد

(١) تاريخ الادب العربي ج ٥ ص ٢٧٤

(٢) وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٨٩

(٣) فهرس المخطوطات المصورة ج ١ ص ٤٧٣

اتعبت نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيه كتاباً يشتمل على أكثر من ثلاثة الاف خبر من الاخبار النبوية كلها يحتاج اليه في أسباب الكتابة ، وكنت الزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل ، ولا ازال في مطالعته كالخال المرتحل حتى صار لدى منضودا وبلسان قلبي معقودا . وكذلك ينبغي للمترشح لهذه الصناعة «(١) . وقال عنه أيضاً :» وكنت جردت من الاخبار النبوية كتاباً اشتمل على ثلاثة آلاف خبر كلها تدخل في الاستعمال وما زلت اواظب على مطالعته مدة تزيد على عشرين سنين فكنت أنهي مطالعته في كل اسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظاً لايشد عني منه شيء » (٢) .

٧- الامثال :

قال ضياء الدين عنه : «وكنت جردت من كتاب الامثال للميداني أوراقاً خفيفة تشتمل على الحسن من الامثال الذي يدخل في باب الاستعمال» (٣) . ويبدو انه جرده لينظر فيه كما كان ينظر في الاخبار النبوية ، لتمثل في خاطره وتظهر امام ناظره .

٨- البديع :

قال الدكتور محمد زغلول سلام : «وهناك كتاب ثالث يظن انه له ، واسمه «البديع» منسوب إلى أخيه أبي السعادات مجد الدين ولم يعرف منه تأليف في البلاغة إذ كان ميدانه الحديث واللغة . واذا صحّت نسبة الكتاب إلى احد ابناء الاثير الجزري الثلاثة فهو بضياء الدين الصق . والكتاب صغير الحجم ويتكلم على ابواب من البديع مجردة في غالب الظن من المثل السائر او الجامع الكبير ، ويرجح انها من عمل بعض المتأخرين» (٤) ومن الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٦١٥) بلاغة بخط حديث .

(١) الوشي المرقوم ص٥

(٢) المثل السائر ج١ ص١٢٨

(٣) المثل السائر ج١ ص٢٣

(٤) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص٧٠-٧١

ولأبي السعادات مجد الدين كتاب اسمه «البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان» (١) ولعله غير البديع « السابق .

٩- البرهان في علم البيان:

ذكره البغدادي وبروكلمان وجرجي زيدان والزركلي ، وله مخطوطة في مكتبة برلين (٢) .

١٠- تحفة العجائب وطرفة الغرائب:

قال الدكتور محمد زغلول سلام: «وهناك كتاب آخر يشك في نسبه أيضاً هو «تحفة العجائب وطرفة الغرائب» لم يشر اليه احد ممن ترجم له . وهو مجموعة من الشعر والنثر في مشاهد الكون المختلفة من سماء ونجوم وشمس وقمر وماء ونهر وشجر .

ويقع في جزئين كبيرين وهو من المجموعات الطريفة في موضوعها وخاصة لأنه سبق نهاية الارب للنويري . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (٤٩٩ جغرافية) عن الاصل المحفوظ بمكتبة كوبريللي تحت رقم (١٠٥٨) وذيلت بأنها تمت كتابته في اليوم العاشر من شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة . وهذه النسخة منسوبة لضياء الدين ، وكذلك فعل صاحب كشف الظنون في نسبتها لابن الاثير الجزري وصححها ناشر الكتاب بانها لعز الدين شقيقه . وذكر كوركيس عواد ان هناك نسخة من الكتاب بجامعة برنستن بالولايات المتحدة منسوبة إلى عماد الدين بن الاثير الحلبي صاحب كنز البراعة. وذكر جرجي زيدان ان نسخة منه موجودة بالمكتبة العثمانية بحلب» (٣) .

(١) وفيات الاعيان ج٣ص٢٨٩

(٢) هدية العارفين ج٢ص٤٩٢ ، وتاريخ الادب العربي ج٥ص٢٧٣ ، وتاريخ آداب اللغة

العربية ج٣ص٥١ ، وا

ص٣١ .

(٣) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦٧ وضياء الدين بن الاثير ص ٥٠

١١ - الحماسة:

قال ابن الاثير وهو يتحدث عن الاختيارات: «وهنا مواضع اخرى في كتاب الحماسة منفية عن الاختيار تبلغ خمسمائة بيت وكنت عزمت على افرادها وتأليف كتاب لجمعها وان اتكلم عليها واين نزولها عن درجة الشعر الذي تضمنته الحماسة، فان بقي عزمي هذا حالة ولم يعترضه كسل فسأفضيه إن شاء الله تعالى» (١) ولم تشر المصادر الى هذا الاختيار.

١٢ - رسالة في الازهار:

أشار بروكلمان الى رسالة باسم «الازهار» وذكر ان منها نسخا في باريس ومكتبة دحاح واسعد افندي (٢) وأشار اليها جرجي زيدان ايضا (٣).

١٣ - رسالة في الضاد والطاء:

ذكرها اسماعيل البغدادي (٤) والحاج خليفة (٥).

١٤ - رسالة في وصف مصر:

ذكرها البغدادي باسم «رسالة في اوصاف مصر» (٦)، وكان ابن خلكان قد قال: «وله رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة، ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته، وهو معنى بديع غريب لم أقف لغيره على اسلوبه» (٧).

١٥ - السرقات الشعرية:

تكلم ابن الاثير على السرقات الشعرية بالتفصيل في كتابه «المثل السائر» وفي «الجامع الكبير» و«الأستدراك»، والى كتابها فيها، وقال إنه قسمها

(١) الاستدراك ص ٢٠

(٢) تاريخ الادب العربي ج ٥ ص ٢٧٣

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٥١ .

(٤) هدية العارفين ج ٢ ص ٤٩٢

(٥) كشف الظنون ج ٢ ص ٨٧٦

(٦) هدية العارفين ج ٢ ص ٤٩٢ .

(٧) وفيات الأعيان ٣١/٥

فيه ثلاثة أقسام : النسخ والسلخ والمسوخ ثم قال : « وههنا قسمان آخران أدخلت بذكرهما في الكتاب الذي الفتة ، فأحدهما : أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده . وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسوخ ، وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع وتخرج به القسمة إلى مسالك دقيقة ، وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب» (١) .

١٦ - العقيد :

قال الدكتور محمد زغلول سلام : « ويذكر ضياء الدين نفسه كتابا له اسمه العقيد ، لم يوضح موضوعه » (٢) .

١٧ - عمود المعاني :

قال ضياء الدين وهو يتحدث عن المعاني : « وقد الفت في ذلك كتابا سميته «عمود المعاني» وجعلته مقصورا على ضروب المعاني الموجودة في النظم والنثر وما فيها من الاعمدة المطروقة وما يخرج عنها من الشعب وهذا كتاب تعبت في تأليفه زمنا طويلا وأنا ضنين به» (٣) .

١٨ - القول الفائق :

قال الدكتور محمد زغلول سلام : «وينسب اليه كتاب بعنوان «القول الفائق الاديب بعثى وليد وذكري حبيب». وهو كتاب يجمع بين فنون مختلفة من شعر ابي تمام والبحثري. ومقدمته تعرض بصورة عامة للمفاضلة بين الشعارين في ضروب الشعر المختلفة، وقد قسمها الى ثلاثين فصلا يتناول كل فصل منها موضوعاً فالفصل الاول في ذكر ماقالاه في الوقوف على الديار والثاني في ذكر ماقالاه في السلام على الديار، والثالث في ذكر ماقالاه في الدهر والازمان، والمتصفح للكتاب يلمس بوضوح انه ليس لضياء الدين، ويأتيه الدليل فيمن ينقل عنهم المؤلف من رجال القرن الثالث واوائل الرابع

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٦

(٢) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٧٢

(٣) الاستدراك ص ١١-١٢

الهجري، كما انه يبدو قريب الشبه في منهجه واسلوبه من كتاب الموازنة للأمدي، الا انه ليس مما هو مطبوع، ولعله جزء متمم له (١).

ومن الكتاب نسخة بجامعة استانبول في ٩٥ ورقة، وقد كتبت سنة ١٠١٣هـ، وفي معهد احياء المخطوطات العربية مصورة منها وجاء فيها انها لضيء الدين، وان الكتاب يتضمن مقاله ابو تمام والبحتري في فنون مختلفة ومعان مؤتلفة، وجعل له مقدمة رائعة في محاسن اخبارهما وطرائف اشعارهما. ورتبه على ثلاثين فصلا (٢).

١٩ - كتاب في الادعية :

قال ابن الاثير عنه : «وكنت الفت كتاباً في ذكر ادعية مخصوصة ضمته مائة دعاء مما توضح في الكتب السلطانيات والاخوانيات وضمنت على نفسي ان اودع كل دعاء منها معنى آية من القرآن الكريم او خبر من الاخبار النبوية او معنى بيت سائر» (٣). وقال: «لاني أنشأت مائة دعاء وادعت كلا منها معنى آية من القرآن، او خبر من الاخبار، أو معنى بيت سائر، وأفردت لتلك الادعية كتابا يخصصها» (٤).

٢٠ - كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب :

لم يذكره ابن الاثير في كتبه التي وصلت اليها وكانت اول اشارة لفتت النظر اليه ماجاء في كتاب «انوار الربيع في أنواع البديع» لابن معصوم المدني، فقد نقل منه عدة مرات، ومن ذلك قوله: «قال نصر الله بن الاثير في كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: يكره للشاعر ان يكون معجبا بنفسه مثنيا على شعره وان كان مجيدا الا ان يريد ترغيب ممدوح او ترهيبه، وقد جوز ذلك مسامحة (٥) وقوله: «قال ابن الاثير في المثل

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٧٢

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ج ١ ص ٥١١

(٣) الوشي المرقوم ص ٧٠

(٤) الوشي المرقوم ص ٩٧، وتنظر ص ٦٩، ١١٢

(٥) انوار الربيع ج ١ ص ٣٨٣

السائر: ولا أعلم من أي شيء اشتقوا هذا الاسم ولا وجه للمناسبة بينه وبين مسماه، ولعلهم قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن» (١). ثم قال: وكان ابن الاثير ظهر له وجه المناسبة فيما بعد فقال في كفاية الطالب المطابقة هي عند الجمهور: الجمع بين المعنى وضده. ومعناها ان يتألف في اللفظ ما يصاد في المعنى وكان كل واحد منهما وافق الكلام فسمي طباقاً (٢). وقوله: «وعدّ منه ابن الاثير في كفاية الطالب، قول زهير:

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً او اصابك جاهلٌ
قال: فان الحلم ليس بضد الجهل والخنا، وانما ضده السنه والطيش
وضد الجهل العلم او المعرفة وما شاكلهما» (٣).

ويبدو من كلام ابن معصوم ان ابن الاثير الف « كفاية الطالب » يعيد المثل السائر، ولذلك لم يشر اليه، مع أنه ذكر بعض كتبه فيه. وقد يكون « كفاية الطالب » اسبق من « المثل السائر » لما فيه من سهولة المأخذ والابتعاد عن المنهج الدقيق الذي التزم به ضياء الدين في « الجامع الكبير » و « المثل السائر » فقد قسم البيان إلى صناعة لفظية وصناعة معنوية وصنف الموضوعات تصنيفاً دقيقاً وفصل القول وعلل وأبدى الرأي. وليس في الكفاية شيء من ذلك فهو أقرب إلى كتاب « البديع » لابن المعتز و « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ. وقد بدأه بالكلام على البديع، وأدب الشاعر، واغراض الشعر، وفنون البلاغة المعروفة، وختمه بانواع من عيوب الشعر، وهي معظم الموضوعات التي عالجه في كتبه الأخرى مع الأختلاف في المنهج والتقسيم وازضافة بعض الفنون.

وذكر الحاج خليفة كتاباً باسم « تمثال الطالب » وقال انه لابن الاثير « الجزري ولم يعينه ولذلك وضع نقاطاً بين « ابن الاثير و « الجزري » (٤)

(١) انوار الربيع ج ٢ ص ٣١

(٢) انوار الربيع ج ٢ ص ٣١-٣٢

(٣) انوار الربيع ج ٢ ص ٤٤

(٤) كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٣

وقال الزركلي عن كفاية الطالب إنه « في ٩٨ ورقة رأيت في خزانة محمد سرور الصبان بجدة » (١) وقلد حصل الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن والأستاذ هلال ناجي على هذه النسخة وبدأوا بتحقيقها ، وأصدروا الكتاب في مطبوعات « ندوة أبناء الأثير » في هذه الأيام .

وفي الصفحة الأولى من هذه المخطوطة عنوان الكتاب وهو : « كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب . تأليف صاحب الصدر الفاضل أبي الفتح نصر الله بن محمد ابن عبدالكريم بن الأثير الجزري - رحمه الله تعالى - » . وأولها بعد البسمة : « رب أعن . الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة على سيدنا محمد النبي المختار ، وعلى آله ، ورضي الله عن اصحابه الأبرار » .. وخط النسخة جميل واضح مضبوط بالشكل ، وقد جاء في الورقة الأخيرة بخط مغاير إنها مكتوبة بخط يرقى إلى القرن السابع أي إلى عصر المؤلف .

وللكتاب مخطوطة اخرى في تونس ، قال الأستاذ عبد المجيد الشرفي وهو يتحدث عن الرسالة العسجدية : « يوجد نص الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية ، في المجموع عدد (٤٣٧٢) قسم ادب من فهارس مخطوطات الجامعة التونسية ، ويحتوي هذا المجموع أيضا على كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب المنسوب لابن الأثير » (٢) . وقال الشرقي ان صديقه الأستاذ الطيب العماش حقق « كفاية الطالب » وانه اطلع على الكتاب محققا وكان ذلك قبل عام ١٩٧٦ .

٢١ - كثر البلاغة :

ذكره عمر رضا كحالة ونسبة إلى ضياء الدين (٣) وذكره السبكي ونسبة إلى ابن الاثير (٤) ، ونسبه الحاج خليفة إلى عماد الدين اسماعيل بن

(١) الاعلام ج ٨ ص ٣١

(٢) الرسالة العسجدية ص ٧

(٣) معجم المؤلفين ج ١٣ ص ٩٨

(٤) عروس الافراح ج ١ ص ٨٢

الاثير الحلبي (١) وهو الصحيح وقد طبع تلخيصه باسم «جواهر الكنز» لنجم الديون احمد بن اسماعيل ابن الاثير الحلبي وقال في مقدمته: «وبعد فاني لما وقفت على الكتاب الذي الفه والذي الفقير إلى الله تعالى عماد الدين اسماعيل بن الفقير إلى الله تعالى تاج الدين أحمد بن الاثير الشافعي الحلبي - رحمهم الله تعالى - في علم الادب وضمنه من انواعه ما لم يسبقه اليه اديب ولا نحا نحوه في فنه الا ذو لب أريب وسماه كنز البراعة. وهذا الاسم موافق للمسمى فانه قد اجتمع فيه البلاغة والفصاحة ، ولقد وجدت فيه اسهابا على من يروم حفظه او يقيد لفظه فقصدت اختصاره رغبة في سهولة تناوله وقصدنا لنظم شتات نوعه لمبتغيه ومحاولة» (٢).

فكتاب «كنز البلاغة» او «كنز البراعة» لابن الاثير الحلبي وليس لابن الاثير الجزري.

٢٢ - مؤنس الوحدة :

جمع فيه ضياء الدين اشعارا رائقة واخبارا فائقة في المدائح والوصاف . وقد ذكر بروكلمان له نسخة في كوبرلي (٣) وفي دار الكتب المصرية مصورة منها برقم (٥٠٧٠) ادب وهي في ١٤٤ ورقة وقد كتبت في القرن السابع ، وفي معهد احياء المخطوطات العربية مصورة منها ايضا (٤) وقال الدكتور محمد زغلول سلام عن هذا الكتاب « والكتاب الثاني يشك في نسبه اليه وهو مؤنس الوحدة» مجموع يحوي طائفة من جيد الشعر لجماعة من الشعراء كالبحتري وابن الرومي وابي تمام وآخرين من شعراء القرنين الخامس والسادس. وهو مرتب حسب الموضوعات فيبدأ بالمديح ثم الهجاء، وقد اورد فيه كثيرا من شعر ابن الرومي. ووجه عنايته إلى ما في تلك المختارات من تشبيهات، وهي في طابعها العام تمتاز بنوق رفيع،

(١) كشف الظنون ج٢ ص١٥١٤

(٢) جواهر الكنز ص٢٧

(٣) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٤

(٤) فهرس المخطوطات المصورة ج١ ص٥٣٩

فاذا صحت نسبة الكتاب اليه كان ذلك دليلاً جديداً على ذوقه وحسن درايته وتمكنه في اصول البيان العربي وحذق بدقائق آياته» (١).

٢٣ - مجموعة شعرية :

ولضياء الدين مجموع اختار فيه شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمنتبي، قال ابن خاكان: « وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد. وقال ابو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل: نقلت من خطه في آخر هذا الكتاب المختار مامثاله:

تمتع به علقا نفسياً فانه اخ تيار بصير بالامور حكيم
اطاعته انواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نهج اليه قويم (٢).

٢٤ - المرصع :

نسب إلى ضياء الدين كتاب «المرصع في الالباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات». وكان الحاج خليفة قد قال عنه: «المرصع لابن الاثير» (٣) ولم يحدد واحداً من ابناء الاثير. والكتاب لمجد الدين المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦هـ وليس لضياء الدين، وقد طبع في فايمر سنة ١٨٩٦م بعناية سيولد الالماني في ٢٦٧ صفحة من القطع الصغير، واعد تحقيقه الدكتور ابراهيم السامرائي وطبعته وزارة الاوقاف العراقية عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م في سلسلة «إحياء التراث الاسلامي».

٢٥ - المعاني المخترعة:

ولضياء الدين كتاب «المعاني المخترعة في صناعة الانشاء» وقد قال عنه ابن خاكان: «وهو ايضا نهاية في بابه» (٤)، وذكره السيوطي والبغدادى بهذا الاسم (٥)، ونسبه الحاج خليفة إلى موفق الدين المدائني (٦).

- (١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦٦، وضياء الدين بن الاثير ص ٤٩ - ٥٠
- (٢) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٨
- (٣) الحياة العقلية في عهد الحروب الصليبية ص ٢٤٨
- (٤) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢٧
- (٥) بغية الوعاة ج ٢ ص ٣١٥، وهدي العارفين ج ٢ ص ٩٢
- (٦) كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٣

وسماه ابن الاثير نفسه «المعاني المتدعة» وقال عنه: «وقد صنفت كتابا وسميته بالرسالة في المعاني المتدعة واشرت فيه إلى المفاضلة بين الكلامين المختلفي المعنى، وحقت القول في ذلك فليؤخذ من هناك» (١).

٢٦- المفتاح المنشأ في حديقة الانشاء:

وهو كتاب يرمي إلى تمرين كاتب الانشاء واعداده وامداده كما يظهر من وصفه في فهرس دار الكتب: وقد رتبه على بابين في مراتب الكتب والمخاطبات وكيفية وضع الاسماء واين يكون محلها وفي صور العنوانات والالقب والرتب ووضع الاسماء.

وفي دار الكتب نسخة مصورة عن نسخة نور الدين مصطفى وهي برقم (٤٩٣٤) ادب، في ٢٣ ورقة بخط قديم. ومنها مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية (٢) وذكر بروكلمان نسخة القاهرة (٣) وقال الزركلي ان من الكتاب نسخة في جستربريتي كتبت سنة ٧٤٨ (٤).

وقال الدكتور محمد زغلول سلام: «نسبه اليه بروكلمان بين كثير مما ليس له من كتب أخيه او عماد الدين بن الاثير. والصحيح ان الكتاب ليس له فهذا الكتاب يبحث في اوليات الكتابة وطريقة عمل الرسالة، واسلوب الكتاب مخالف إلى حد كبير لاسلوبه في المثل السائر والاستدراك ويغلب على الظن انه لعماد الدين صاحب كنز البلاغة او لابنه (٥)»

٢٧- مقالة في الحكم بين المعنيين:

وهي مقالة ضمنها ضياء الدين الحكم بين المعنيين المختلفين، وقد قال عنها: «ولي مقالة مفردة ضمنها الحكم بين المعنيين المختلفين، وتكلمت

(١) الاستدراك ص ٦٠

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ص ٥٢٩

(٣) تاريخ الادب العربي ج ٥ ص ٢٧٤

(٤) الاعلام ج ٨ ص ٣١

(٥) ضياء الدين بن الاثير ص ٥٥

عليه كلاً طويلاً عريضاً ... ومأمونني من إيرادها في كتابي هذا إلا أنها
سححت لي بعد تصنيفه وشياعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به» (١) .

٢٨- مناظرة بين الخريف والربيع :

ذكرها بروكلمان (٢) ، وهي ليست كتاباً وإنما هي رسالة صغيرة
ذكر النويري منها سطوراً (٣) .

هذه كتب ضياء الدين بن الاثير ، وقد ظهر ان منها المطبوع
والمخطوط ، وان منها الثابت والمنسوب . ولعل الذي اوقع القدماء
والمعاصرين في الاضطراب ان هناك ثلاثة اخوة باسم «ابن الاثير» وان
هناك غيرهم كابن الاثير الحلبي ، ولكن العثور على كتبه المفقودة والاطلاع
على مصنفاته المخطوطة ودراسة آثاره المطبوعة تكون اكثر إثباتاً أو نفيّاً ،
ولعل فيما تقدم بفتح السيل للدارسين .

تلك كتب ضياء الدين الثابت منها والمنسوب ، وقد كانت صدى
لعصره وثقافته وحياته ، ذلك العصر الذي اهتم الناس فيه بدراسة الادب
واختيار النصوص وحفظها لتهذيب الاخلاق وتقويم اللسان . وما كان
لابن الاثير الذي عاش في ذلك العهد الا ان يتأثر بالثقافة العامة وان ينحو
منحى معاصريه في التأليف ، وقد الف «مؤنس الوحدة» وهو مختارات
من الشعر ولعله وضعه - إن صححت نسبته - في ايام محنته التي تلت ذهابه
إلى مصر وهروبه منها . وجاء «المفتاح المنشأ في حديقة الانشا» تنمة لذلك
الكتاب وتعميقاً للاتجاه السائد في القرن السادس للهجرة وما بعده .

واختار ضياء الدين مجموعة من شعر ابي تمام والبحري وديك الجن
والمتنبي بعد ان اطلع على كثير من الدواوين ، وابو تمام والبحري والمتنبي
عنده «لات الشعر وعزاه ومنااته» قال : «وقد وقفت من الشعر على كل

(١) المثل السائر ج٢ ص٤٠٩

(٢) تاريخ الادب العربي ج٥ ص٢٧٣

(٣) نهاية ادب ج١ ص١٧٥-١٧٦

ديوان ومجموع وأنفدت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع تأليفته بحراً لا يوقف على ساحله، وكيف ينتهي إلى احصاء قول لم تحصص أسماء قائله ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده وتشعب مقاصده ، ولم اكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم اذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل . وقد اكتفيت في هذا بشعر ابي تمام حبيب بن اوس وأبي عبادة الوليد وابي المتنبي وهؤلاء الثلاثة : لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، جمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء» (١) . ولم يهتم ابن الاثير بالشعر لو لم يكن حفظه ضرورياً لمن يتصدى للكتابة ، وقد جعل ذلك احد آلات البيان ، فقال : «النوع الرابع : الاطلاع على تأليفات من تقدمه من ارباب هذه الصناعة المنظومة منه والمشورة والتحفظ للكثير منه» (٢) .

ولا يكتفي ابن الاثير بحفظ الشعر او دراسته وانما يطلب ممن يرشح نفسه للخوض في الكتابة ان يحل الشعر مرة بعد مرة ، وقد ألف في ذلك كتاب «الوشى المرقوم في حل المنظوم» ، وان يحفظ كتاب الله العزيز وكثيراً من الاحاديث الشريفة ويتمرن على حلها ، وهذه هي الطريقة السليمة الموصلة الى صنعة الكتابة ، بل هي الوسيلة الاولى في ذلك العصر . قال : « حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني — رحمه الله — بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال : كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غصا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رئيس يرأس مكانا وبيانا، ويقوم لسلطانه بقلمه سلطانا، وكان من العادة ان كلا من ارباب الدواوين اذا أنشأ له ولد رشيد شيئا في علم الادب أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٦٨

(٢) المثل السائر ج ١ ص ١٠ ، والجامع الكبير ص ٧

قال : فارسلني والدي وكان إذ ذاك قاضيا بشعر عسقلان الى الديار المصرية في ايام الحافظ وهو احد خلفائها وامرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الايام رجل يقال له « ابن الخلال » فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من انا وما طلبتي رّحّب بي وسهل ، ثم قال : ماالذي اعددت لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى اني احفظ القرآن وكتاب الحماسة ، فقال : في هذا بلاغ ، ثم امرني بملازمته . فلما ترددت اليه وتدبرت بين يديه امرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من أوله الى آخره ، ثم امرني ان احله مرة ثانية فحللته ثم قال ابن الاثير : « ان هذه الحكاية تحقق عندك ماأشرت اليك به وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لاتحصىه كثرة ثم اقتصررت بعد ذلك على شعر الطائين حبيب بن اوس وابي عبادة البحرني وشعر ابي الطيب المتنبي فحفظت هذه الدواوين الثلاثة . وكنت اكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الادمان لي خلقا وطبعاً » (١) .

لقد كان حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الرفيع سبيلا الى تعلم الكتابة ، ولذلك اتجه ابن الاثير اليها واوضح سبلها في كتبه ولاسيما « الوشي المرقوم » وكان المنهج المتبع في ذلك العصر في تعليم البلاغة يقوم على التمرين والاقتداء والاكتثار من النصوص الادبية الرفيعة ، ويتضح ذلك في كتب ابن الاثير ولاسيما « المثل السائر » و « الجامع الكبير » فقد ملأ المؤلف كتبه بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة والشعر البليغ والنثر البديع . وكان الهدف من ذلك اطلاع الناشئة على رفيع الكلام لتتهذب اذواقهم وتصلق مواهبهم وتسمو ثقافتهم . ولم يكن ابن الاثير بدعاً في ذلك ، فقد شهد عصره التأليف في الكتابة وايضاح طرقها ، ومن ذلك كتاب « محالم الكتابة ومغانم الاصابة » لعبد الرحيم بن شيت القرشي ، و « قانون ديوان الرسائل » لابي القاسم

(١) الوشي المرقوم ص ٩ - ١٠

علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي . ويمثل ذلك اتجاهاً أدبياً ظهر في مصر والشام في الوقت الذي ظهر فيه الاتجاه الفلسفي في دراسة البلاغة والادب علي يد السكاكي صاحب «مفتاح العلوم» .

ويتضح اثر عصر ابن الاثير في كتبه باهتمامه بالمحسنات البديعية ، فقد كان الاسلوب الغالب على الكتابة السجع ، وكان المثل الاعلى في الكتابة مقامات الحريري التي يغلب عليها السجع . تكلم ابن الاثير في كتابيه «المثل السائر» و «الجامع الكبير» على السجع والتصريع والتجنيس التصریح ولزوم مالا يلزم وغيرها من المحسنات البديعية ، ودافع عن السجع دفاعاً قوياً واتهم الذين لايسجعون بالعجز ، قال : «وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم ان يأتيوا به والا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم» (١) ولو رجع الدارس إلى ماكتب والف في ذلك العصر لوجد الاهتمام بالسجع عظيماً ، فما من رسالة او تقليد او كتاب يخلو من سجع او صنعة ، وما رسائل القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني وابن الاثير الا دليل على ذلك الاتجاه . ولم يقف الامر عند الرسائل والتقاليد وانما تعدى ذلك إلى الكتب المؤلفة في العلوم والآداب والتاريخ ، ويتجلى ذلك في «الفتح القسي في الفتح القدسي» و «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الاصفهاني . وقد استطاع ابن الاثير ان ينجو من هذا التأثير في كتبه وانساق مع كتاب عصره في رسائله وتقاليده وترسله . وكان الفرق كبيراً بين اسلوب مؤلفاته واسلوب انشائه ، وبذلك كانت مصنفاته اقرب إلى الاذواق من كتب معاصريه . فالعماد الاصفهاني يقول عن الغزي : «مولده غزة الشام وانتقل الى العراق والى خراسان واصفهان وكرمان وفارس وخوزستان ، وطال عمره وراج شعره ، وماج بحر فكره ، وأتى بكل معنى مخترع ، ونظم مبتدع ، وكلمة محكمة النسيج ، وفقرة واضحة النهج ،

(١) المثل السائر ١٦ ص ١٩٣

وكلام احلى من منطق الحسناء، واعلى من منطقة الجوزاء . فكم له من قصائد كالفرائد وقلائد كنجور الخرائد ، وغرر حسان ودرر وجمان « (١) ويقول في النساء الصليبيات : « وفي الفرنج نساء فوارس لهن دروع وقوانس ، وكن في زي الرجال ويبرزن في حومة القتال ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات حجال . وكل هذا يعتقدونه عبادة، ويخلن انهن يعقدن به سعادة، ويجعلنه لهن عادة» (٢) . فهذان نسان من كتابين الاول في الادب والثاني في التاريخ ، ولكن صاحبهما انساق مع اتجاه العصر واهتم بالسجع في تدوين الاخبار . ولا يجد الدارس مثل ذلك في كتب ابن الاثير ولاسيما كتبه البلاغية والنقدية كالمثل السائر ، والجامع الكبير ، والاستدراك ، والوشي المرقوم ، وان وجد الصنعة واضحة في رسائله وتقليداته التي كان يكتبها للخلفاء والسلاطين والامراء والاعيان . قال في المثل السائر : « اعلم أنّ العرب كما كانت تعني بالألفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها ، واكرم عليها ، واشرف قدرأ في نفوسها ، فاول ذلك عنايتها بالفاظها ، لانها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار اغراضها اصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك اوقع لها في النفس واذهب بها في الدلالة على القصد » (٣) . وقال في الجامع الكبير : « وحسن التأليف ان توضع الالفاظ في مواضعها وتجعل في اماكنها، وسوء التأليف بخلاف ذلك. الا ترى انه اذا قدّم في التأليف مايجب تأخيره وأخر مايجب تقديمه تصير المعاني نافرة عن مواضعها محوّلة وجوهها . ومثال ذلك كالصورة التي تحوّل بعض اعضائها الى موضع بعض فتحول الرأس الى موضع اليد او الرجل أو غير ذلك ، فانه اذا فعل هذا قبحت الصورة وفسدت هيئتها الجميلة الحسنة » (٤) وقال في الوشي المرقوم : « اعلم ان الكاتب يحتاج

(١) خريدة القصر - قسم الشام ج١ ص٣

(٢) الفتح القسي ص٢٣٠

(٣) المثل السائر ج١ ص٣٥٢

(٤) الجامع الكبير ص٦٥

إلى التثبيت بكل فن والنظر في كل علم وارصاد السمع لمحاورات الناس فإنه لا يعلم من ذلك فائدة فإن كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها (١) وقال في الاستدراك : «وإما صاحب علم الشعر فإنه ينظر في دلالة بعض اللفاظ على بعض المعاني ، وتلك دلالة خاصة ، وهي أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن» (٢) . وقال في تقليد انشأه لمنصب الحسبة : «إما بعد فقد جعل الله جزاء التمكين في أرضه ، أن يقام بحدود أرضه ، ونحن نسأله التوفيق لهذا الأمر الذي ثقل حمله وعُلم أهله ، فقد جيء بنا في زمن أصبح الناس فيه سدى ، وعاد الإسلام فيه غريباً كما بدا ، وهو الزمان الذي كثرت فيه أشراف اليوم الأخير وغربت فيه الأمة حتى لم يبق إلا التمر والشعير» (٣) . والفرق كبير بين أسلوبه في مؤلفاته ، وأسلوبه في رسائله وتقليداته .

وأغرب ما يلاحظ على كتب ابن الأثير البلاغية والنقدية ذكره شواهد نابية لا يقبلها الذوق المعاصر ، ولم يسبق إلى ذلك في الإكثار منها ، ولعل لعصره أثراً في ذلك . وليس من الذوق إيراد تلك الأمثلة والشواهد ولكن الرجوع إلى شرح قوله تعالى : «ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون» ، وإلى باب الزيادة في الكلام لغير فائدة ، وباب الكناية والتعريض ، وأبيات المرأة التي مجت بابي نواس ، وقصة الفرزدق مع ليلى وغيرها (٤) ، يعطي صورة واضحة عن ذوق ذلك العصر وقيمه الاجتماعية .

أما أثر حياة ضياء الدين وثقافته في كتبه ورسائله فقد تجلى في الاهتمام بالتأليف والبحث في البلاغة والنقد ورسم الخطوات العملية لمن يريد أن

(١) الوشي المرقوم ص ٤

(٢) الاستدراك ص ٥

(٣) رسائل ابن الأثير ص ١٣٩

(٤) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٣١ ، ٢٧٤ ، ٣٧٢ ، وج ٢ ص ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

يصبح كاتباً او يرقى إلى منصب الوزارة . وكان ابن الاثير كاتباً ووزيراً
وذا ثقافة ادبية واسعة ، وقد اعتنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف
والشعر الرفيع ، وقرأ معظم الكتب الادبية والبلاغية المؤلفة قبله ولذلك
اهتم بالناحية الادبية واهمل اهمالاً تاماً النواحي الاخرى من فلسفة وفقه
وتفسير ونحو ولغة ، وقصر تأليفه على البلاغة وفن الكتابة
فهو في « الوشي المرقوم» يبحث في طريق حل الآيات القرآنية والاحاديث
والشعر ، ويرسم الطريق الذي ينبغي ان يسلكه المتأدب ، ويعيد ذلك في
المثل السائر ، ويعقد فصلاً في آلات علم البيان وادواته وفصلاً في اركان
الكتابة وفصلاً في الطريق الى تعلم الكتابة . وقد اخذ ابن الاثير بالخطوات
التي رسمها للتاشئة والمتعلمين ، وعكف على القرآن الكريم والحديث والشعر
بحفظه ويحلّه حتى استوت عنده الملكة وتقوم لسانه واستقام قلمه . وما
قصة القاضي الفاضل التي رواها في « الوشي المرقوم» إلا شاهد على ماكان
في ذلك العصر من طرق التعلم والانشاء .

ويتجلى أثر حياته الثقافية وذوقه في الاكثار من الامثلة والشواهد ،
وهذا ما لا يجده الدارس في كتب البلاغة الاخرى كمفتاح العلوم والتلخيص
والشروح ، وذلك لان اصحابها نظروا الى البلاغة نظرة عقلية فأحالوها
قواعد واقساماً تفتقر الى الامثلة الكثيرة والنصوص الرفيعة الا ماكان من
ايات قرآنية قليلة في هذا القسم او ذاك . وتعد كتب ابن الاثير في ذلك
العهد لونا متميزاً من التأليف البلاغي والنقدي لما فيها من آراء ناضجة وامثلة
نادرة وتحليل عميق الى جانب ما فيها من سبل لتعلم فن الكتابة وطرائف
بديعة وقصص شائقة ونوادير فريدة . وهذا من أثر عقليته المفتحة ، وثقافته
الواسعة ، وذوقه الصافي الرفيع .

وكان لمنصب الوزارة اثر في كتبه ورسائله ، ويتجلى ذلك في أسلوبه
وجدله واعتزازه وفخره بنفسه ، وفي تسخير البلاغة والافادة منها في الكتابة
وتدبير امور السلطان . لقد مارس ضياء الدين الوزارة سنوات وعمل في

ديوان الانشاء كاتباً اعواماً ، وشعر بأن على من يتولى منصب الوزارة ان يكون كاتباً قادراً على الانشاء في أي غرض من اغراض الاحكام السلطانية كالتقليد والعزل والمراسلات وعقد المعاهدات ، وعرف بحكم منصبه مايحتاج اليه الوزير والكاتب من ثقافة ومعرفة ، ولذلك شرع بعد ان استقرت به الحال في تأليف كتب توضح الطريق لمن يريد ان يسلك دروب الكتابة وكان « المثل السائر » اهم كتبه فقد بدأه بما يحتاج اليه الكاتب ، وتحدث عن الحكم على المعاني والترجيح بينها ، لما في ذلك من قدرة على ادراك القضايا والتصرف في الكتابة والحذر مما تقود اليه الكلمات في المعاهدات والمواثيق او العزل والتقليد وتكلم على الاستدراج ، وهو فن او باب استخرجه من القرآن ، قال : « وهذا الباب انا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال ، والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض منها ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ماتضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الازعان والتسليم . واذا حقق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه ، لانه لانتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون ان تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها . والكلام في مثل هذا ينبغي ان يكون قصيراً في خلاهه لاقصيراً في خطابه ، فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده فليس بكاتب ولا شبيه به الا صاحب الجدل . فكما ان ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية » (١) . وهذا الباب ينفع في الاستجواب ويفيد في مواجهة الخصوم لما فيه من قدرة على استدراج الخصم وتسليمه . وكان من يتولى المناصب الرفيعة او الذي يحكم بين الناس احوج إلى مثل هذا الاسلوب في الجدل والاستدراج .

ويبدو اثر منصبه في اعتزازه بنفسه والاكتثار من رسائله وتقليداته ، وكأنه يريد ان يفرض على الادباء رأيه كما فرضه على الناس الذي ضجوا

(١) المثل السائر ج٢ ص٦٨ ، والجامع الكبير ص٢٣٥

من تصرفه حينما كان وزيراً . وهو في رسائله التي اودعها كتبه البلاغية والنقدية انما أراد ان يعطي صورة لكتابة الرسائل والتقليدات وان يضع قواعد يترسمها المنشئون . وقد وضع في ادوات الكتابة معرفة الاحكام السلطانية ووجب معرفتها والاحاطة بها فقال : «معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والقضاء والحسبة وغير ذلك فانما اوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب في تقليدات الملوك والامراء والقضاة والمحتسين ومن يجري مجراهم . وايضاً فانه قد يحدث في الامامة حادث في بعض الاوقات بان يموت الامام القائم بامر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة او يكون كامل الشرائط غير ان الامام الذي كان قبله عهد بها إلى آخر غيره وهو ناقص الشرائط ، او يكون قد تنازع الامامة اثنان او يكون ارباب الحل والعقد قد اختاروا إماماً وهم غير كاملي الشرائط التي توجب ان توجد فيهم ، او يكون امر غير ما ذكرناه فتختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه او يكتب كتاباً في امره إلى الاطراف المخالفة له . واذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفاً بالحكم في هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو رخصة في ذلك ، وما ليس برخصة ، لا يكتب كتاباً ينتفع به . ولسنا نعني بهذا القول ان يكون الكاتب مقصوراً على فقه محض فقط ، لأننا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه إلى كتاب بلاغي بل كنا نقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه عوضاً عن الكتاب وانما قصدنا ان يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاقة في موضع ، مشحوناً ذلك بالنكتة الشرعية المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكاتب الصابي في الكتاب الذي كتبه عن عز الدولة بختيار ابن معز الدولة بن بويه إلى الامام الطائع لما خلع المطيع ، فانه من محاسن الكتب التي تكتب في هذا الفن » (١).

(١) المثل السائر ج١ ص ٢٩ ، والجامع الكبير ص ١٧٥

وقد أكثر ضياء الدين من ذكر رسائله وتقاليده وغرضه من ذلك
رسم طريقة ينتهجها الكاتب في إنشائه ، واشترط في الكتابة خمسة شروط
لابد من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن وهي :

١- أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فان الكاتب من أجادالمطلع
والمقطع ، او يكون مبنياً على مقصد الكتاب .

٢- أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقاً من المعنى الذي بني
عليه الكتاب .

٣- ان يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة لتكون رقاب
المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة .

٤- ان تكون الفاظ الكتاب غير مخلوطة بكثرة الاستعمال .

٥- ان لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والايخبار النبوية
فانها معدن الفصاحة والبلاغة (١) .

وطبق هذه الشروط في كتبه ورسائله وتقاليده ، وهي كثيرة جاء
بعضها في كتبه وتضمن اكثرها ديوان ترسله .

تلك وقفة عند كتب ضياء الدين وصلتها بعصره وحياته ، وقد اتضح
أثر عصره وثقافته ومنصبه فيها ، لانه حاول أن يجعل من تجاربه طريقاً
ممهداً للوصول الى الكتابة وتعلمها واجادتها ، واراد ان تكون رسائله وتقليداته
صوراً ينسج الكتاب على منوالها . وقد استطاع ابن الاثير ان يكون ذلك
المؤلف العالم ، وذلك الاديب الصادق ، وذلك الرجل الذي قام بدور مهم
في الحياة الثقافية والسياسية في القرن السادس للهجرة ، وأن يكون بعد ذلك
كله علماً من اعلام الفكر في عصر الحروب الصليبية .

وضفوة القول ان هذا البحث قدّم عرضاً لكتب ضياء الدين بن الاثير
وهو عرض كشف عن مادتها ، وأشار الى منهجها ، ودل على اماكنها
وربط بين العصر الذي عاش فيه المؤلف وكتبه ، وهو ربط لا بد منه في

(١) المثل السائر ج١ ص ٧٢-٧٥

الدراسات الادبية والتاريخية لتتضح أهم معالم الفكر وتتحدد الاتجاهات ولا يقلل من أهمية الكتب التي تعرض لها البحث ان لا تكون لضياء الدين فقد اتضح ان صلتها بعصر الحروب الصليبية قوية ، وانها تمثل روح ذلك العصر وتعبر عن كثير من ملامحه ولذلك كان الاهتمام بها وطبع مالم يطبع ضرورة تقتضيها الحركة العلمية ، وتفرضها المناهج ، وتنتهزها الدعوة الى اعادة كتابة تاريخ العرب. والمسلمين في ضوء العلم وطرائق البحث الحديثة .

المصادر:

- ١ - الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائفة . ضياء الدين بن الاثير . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢ - الاعلام . خير الدين الزركلي . الطبعة الرابعة بيروت ١٩٧٩ م
- ٣ - إنباه الرواة على أنباه النحاة . علي بن يوسف القفطي . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٤ - أنوار الربيع في أنواع البديع . علي صدر الدين بن معصوم المدني . تحقيق شاكر هادي شكر . النجف الاشرف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
- ٥ - بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة . جلاء الدين عبد الرحمن السيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- ٦ - تاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان . القاهرة ١٩٣١ م .
- ٧ - تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان (الطبعة العربية) القاهرة
- ٨ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ضياء الدين بن الاثير تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد . بغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
- ٩ - جوهر الكثر . نجم الدين احمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبي . تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام . الاسكندرية .
- ١٠ - الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية . الدكتور احمد احمد بدوي . القاهرة ١٩٥٤ .
- ١١ - الحياة العقلية في عهد الحروب الصليبية . الدكتور احمد احمد بدوي . القاهرة ١٩٥٢ م .

- ١٢- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم الشام) عماد الدين الاصبهاني
الكاتب . تحقيق الدكتور شكري فيصل. دمشق ١٣٧٥هـ -
١٩٥٥م.
- ١٣- الخزانة الشرقية. حبيب الزيات. بيروت ١٩٤٦م.
- ١٤- رسائل ابن الاثير. تحقيق انيس المقدسي. بيروت ١٩٥٩م
- ١٥- الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية. عباس بن علي بن ابي عمر
الصنعاني تحقيق عبد المجيد الشرفي. ليبيا - تونس ١٣٩٦هـ -
١٩٧٦م.
- ١٦- شرح نهج البلاغة. ابن ابي الحديد. الطبعة الاولى القاهرة
- ١٧- صبح الاعشى في صناعة الانشا. احمد بن علي القلقشندي. طبعة
دار الكتب بالقاهرة.
- ١٨- ضياء الدين بن الاثير. الدكتور محمد زغلول سلام. القاهرة.
- ١٩- ضياء الدين بن الاثير وجهوده في التقد. الدكتور محمد زغلول
سلام. القاهرة.
- ٢٠- عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح. بهاء الدين السبكي. (في
شروح التلخيص) القاهرة.
- ٢١- الفتح القيسي في الفتح القدسي. عماد الدين الاصبهاني الكاتب. ليدن
١٨٨٨م
- ٢٢- فهرس المخطوطات المصورة. فؤاد سيد. القاهرة ١٩٥٤م
- ٢٣- الفوائد (المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان). ابن قيم الجوزية
القاهرة ١٣٢٧هـ
- ٢٤- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. الحاج خليفة. استانبول
١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م

- ١٥ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الاثير . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م
- ٢٦ - مخطوطات المجمع العلي العراقي. ميخائيل عواد. بغداد ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- ٢٧ - معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. دمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م
- ٢٨ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. يوسف بن تغري بردي الاتابكي . القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
- ٢٩ - نهاية الارب في فنون الادب. احمد بن عبد الوهاب النويري. طبعة دار الكتب - القاهرة
- ٣٠ - هدية العارفين. اسماعيل باشا البغدادي. استانبول ١٩٥٥م .
- ٣١ - الوشي المرقوم في حل المنظوم. ضياء الدين بن الاثير. بيروت ١٢٨٩هـ
- ٣٢ - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. احمد بن محمد بن خلكان. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م.

اثر عز الدين ابن الاثير في تطوير
الكتابة التاريخية العربية

الدكتور ابراهيم خليل أحمد
كلية التربية / جامعة الموصل

١ - مقدمة :

١-١ قد لانكون مخطئين اذا قلنا: ان العرب من اكثر الامم في العالم اهتماما بدراسة التاريخ والكتابة فيه. لهذا اصبح التاريخ عندهم جزءا من تطورهم الثقافي العام. ان اسباب هذا الاهتمام ترجع الى عوامل تتعلق بتاريخية الاسلام اولاً، وتكوين الدولة العربية الاسلامية والاحتكاك بين الاراء والتيارات الفكرية ثانياً، وتطور الامة وتجاريتها وخبراتها وحاجاتها ثالثاً. (١)

٢-١ ولم تقف انجازات العرب الرائعة في حقل المعرفة التاريخية عند حدود التدوين التاريخي فحسب، بل ظهرت مدارس وتفسيرات تاريخية مختلفة دلت على استيعابهم لكثير من اهداف علم التاريخ وفلسفته. كما تنوعت اساليبهم الكتابية في التاريخ لذلك ظهر اهتمام كبير بتوطيد التاريخ (علماً) له مناهجه وطرقه وقواعده ومكانته في منظومة الفكر العربي (٢).
٣-١ ولقد كان من ابرز ملامح هذا التميز، ان اعطت الامة العربية للتراث التاريخي العالمي نماذج قيمة من الكتابات التاريخية احتلت منزلة مرموقة في المكتبة التاريخية العالمية وعزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير ٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ (١١٦٠ - ١٢٣٢م)، هذا المؤرخ العظيم الذي نحنتل به اليوم وبأخوته مجلالدين وضياءالدين واحد من اولئك الذين جادت بهم هذه الامة المعطاءة. فهو يتمتع - بحق - بشهرة بارزة بين كافة المؤرخين العرب، لم يصل اليها أحد، الا (٣) الطبري الذي توفي قبله بقرنين من الزمان تقريباً (٣١٠هـ/٩٢٣م).

٤-١ وليس غرضنا في هذه الورقة متابعة حياة عزالدين بن الاثير واسرته ومؤلفاته وظروف حياته وماشاكل. فقد تصدى عدد من الكتاب العرب والاجانب لمعالجة ذلك. (٤) وانما يقتصر بحثنا على الاشارة الى بضع نقاط نراها اساسية في معرفة اثره في تطور الكتابة التاريخية العربية وهي مصادر ثقافية، ودواعي اهتمامه بالتاريخ ومفهومه للتاريخ وأسلوبه في معالجة

الحدث التاريخي ومن ثم حجم الاضافات التي قدمها في مجال الكتابة التاريخية.

٢ . مصادر ثقافة ابن الاثير :

لثقافة العامة في حقول المعرفة البشرية أثر كبير في تطوير تقنية المؤرخ وفهمه للاحداث وتفسيره لها . كما ان هناك مؤهلات شخصية ينبغي توفرها عند من يريد التصدى للكتابة التاريخية ، ومنها مايتصل بالصفات والسجايا الشخصية التي تجعل منه المؤرخ القدير في البحث عن الحقيقة . وفوق هذا وذلك فأن للظروف الحياتية التي يعيش المؤرخ في ظلها دورا كبيرا في فهم التاريخ ومحركاته (٥) . وهذا يدعونا الى الوقوف عند مصادر ثقافة (ابن الاثير) عليها تقربنا من فهم منهجه في الوصول الى الحقيقة . ومن أبرز هذه المصادر :

١- ٢ يؤكد كثير من المفكرين ان عهود النكبات في التاريخ كانت دائماً حافزاً الى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة للاهتمام في تفسير التاريخ وتعليه (٦) . ومن هنا فان العصر الذي عاش فيه ابن الاثير تميز بالتقارب والفوضى والاضطراب (٧) . وهذا لاشك كان مصدرا من مصادر اهتمامه بجمع الحقائق التاريخية في عصره وعصر من سبقوه .

٢- ٢ ان ابن الاثير ينتمي الى اسرة اهتمت بالعلم وعرفت قيمته فوالده شغل مناصب حكومية عديدة اهلته لها ثقافته (٨) . فضلا عن كونه واحد من ثلاثة اخوة برزوا في مجالات الحديث النبوي والتفسير واللغة والادب والشعر (٩) .

٣- ٢ تلقى ابن الاثير علومه الاولى على ايدي شيوخ وعلماء بارزين وخلال رحلاته العديدة الى بعض الاقطار العربية والاسلامية احتك بعلماء وشيوخ كثيرين وعقد صلات شخصية معهم (١٠) .

٤- ٢ ابن الاثير من الذين تسلحوا بعلوم القرآن والحديث ورجاله وكان لثقافته ذلك أثر كبير في تطوير ثقافته التاريخية (١١) . فقد كان «اماماً

في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به» (١٢) وصلة علم التاريخ بعلم الحديث ، كما هو معروف ، وثيقة تستحق اهتماماً خاصاً من حيث التركيز على الأسناد وماهيمته ، علماً بان الاستاذ في التاريخ لم يبلغ ما بلغه فسي الحديث نلما عزف به المؤرخون من تساهل في الاسانيد وروايتها (١٣). ووقع هذا فقد كان ابن الاثير حريصاً على معرفة ما يهيمه ، بوصفه مؤرخاً ، من قوانين (الجرح والتعديل) (١٤) .

٥-٢ كان ابن الاثير خبيراً في علم الانساب وادبياته. ولقد قيل عنه: إنه كان عارفاً بالرجال خبيراً بالانساب وإنه كان (اماماً نساباً) (١٦). وقد اعطاه هذا قابلية شديدة في تتبع مسار الادوار التاريخية التي تقوم بها الشخصيات البارزة.

٦-٢ لم يكن ابن الاثير من المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم في غرف مغلقة بل انغمس في الحياة السياسية العملية . وكانت صلته الشخصية بآدارة الموصل في عهد الحكام الزنكيين قد جعلته في وضع سمح له بالاطلاع على المستندات والوثائق والاورام الرسمية ومعرفة الوقائع الخارجية وما شاكل (١٧). وقد يسر له خروجه محارباً ومشاهداً مع صلاح الدين الايوبي القائد العربي المعروف في الشام لقتال الصليبيين في سنة ٥٥٨٤هـ وصف المعارك ووقفه على بعض الجوانب في خطط الايوبي واساليبه العسكرية ، وتوجيه النقد الى بعضها. تضاف الى هذا مشاركته في الدفاع عن الموصل كلما تعرضت لحصار (١٨). ولاشك في ان مشاهدته ابن الاثير شخصياً وما سمعه من معاصريه الذين شهدوا الاحداث بانفسهم او سمعوها يؤلف مصدراً ثرا من مصادره التاريخية كان له اثر كبير في تكوين ثقافته وتوسيع مدى ادراكه لكثير من وقائع التاريخ (١٩) .

٧-٢ أما قراءاته التاريخية واهتماماته بما وقع تحت يديه من كتب تاريخية فلها أثر كبير في جعل كتاباته لا تقتصر على لون واحد من الالوان التاريخية التي عرفها علم التأريخ العربي (٢٠). فلقد كان حافظاً للتواريخ المتقدمة

والتأخرة «ولم يزل، كما يقول، محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وما فيها» (٢١). وقد ساعده هذا على المشاركة في أربعة أنواع من الكتابة التاريخية والتبريز فيها جميعا. فكتابة (الكامل) في التاريخ العام، وكتابة (الباهر) في تاريخ الاسر الحاكمة، وكتابة (أسد الغابة) في التراجم وكتابه (اللباب) في علم الانساب (٢٢).

٨-٢. لقد شكلت كتب أيام العرب وسيرهم مصدرا مهما من مصادر ثقافة ابن الاثير. بل لقد عد من اوائل المؤرخين العرب الذين انتبهوا الى اهمية «الايام» مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام. اذ حاول ان يورد أخبار أيام العرب ويضعها ضمن تسلسل تاريخي (٢٣). ومن هنا فقد وصف بانه كان (مؤرخا اخبارياً) (٢٤).

٩-٢ وبالنظر لامتراج التاريخ بالتراجم في عهد متقدم عند العرب فان ابن الاثير كان من المؤرخين الذين عنوا بالتراجم ولاسيما تراجم الصحابة. ونحن اذا علمنا ان عدد الذين ترجم لهم ابن الاثير بلغ سبعة الاف وخمسمائه وخمسين صحابيا نعرف مدى سعة ثقافة هذا المؤرخ ومدى النشاط الذي يحتاج اليه جمع المعلومات عن هذه الالاف وتدوينها (٢٥). ناهيك عن كثرة قراءاته الادبية من شعر ونثر، وعمقها، بحيث جعلت منه أديباً ذواقة، لذوقه أثر في اجادته لعرض الحوادث التاريخية والرشاقة وبساطة الاسلوب في التعبير عنها (٢٦).

٣- دواعي اهتمامه بالتاريخ والتأليف فيه :

١-٣ يتساءل الكثيرون عن جدوى الاهتمام التاريخي. وابن الاثير من أبرز المؤرخين الذين اجابوا على هذا التساؤل من خلال ادراكه هدف التاريخ وعنايته بدراسة تجارب الامة وخبراتها وتدوين الاحداث التي مرت بها وذلك لغرض «الاتعاظ» و «العبرة» وتوجيه الحكام وتعريف الحاضر بالماضي والتوسل الى تنظيم حياة الانسان (٢٧).

٢-٣ ولقد كان لتعرض الامة العربية للتحديات الاجنبية (الغزو الصليبي من الغرب والغزو المغولي من الشرق) وتعاقب الاعداء عليها في تسلسل زمني مستهدفين وحدثها وتقدمها أثر كبير في اندفاع ابن الاثير في تتبع هذه التحديات والاختطاز والكتابة عنها، وكما هو معروف فالمؤرخ هو ابن عصره، واضطراب الازمات سبب رئيس يدفعه الى الاهتمام بالتاريخ ووقائعه وعبره محاولاً رسم الطريق امام ابناء امته وتجنبهم الكوارث والهزائم ولم يغفل ابن الاثير ان يضع يده على العوامل الداخلية التي يسرت على الاجانب غزوه وسهلته ومن ذلك الانقسامات والصراعات الاسرية وحالة التجزئة والتخلف التي كانت تعيشها الامة العربية انذاك (٢٨).

٣-٣ ومن اهداف الكتابة التاريخية عند ابن الاثير كونها اداة ترويح عن النفس ومادة طيبة مؤنسة في المجالس تزين المتكلم وتجذب اليه الحاضرين. قال ابن الاثير في هذا الصدد:

«ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الاسماع مصغية اليه. والوجوه مقبلة عليه، والقلوب متأمة بما يورده وبصدره» (٢٩).

٤- مفهومه للتاريخ :

اما مفهوم التاريخ عند ابن الاثير فيمكن تلخيصه بما يلي:

١- ٤ ان حال التاريخ عنده حال وضعه عند من سيقوه من المؤرخين العرب والاولائل وفي مقدمتهم الطبري فهو تعبير عن المشيئة الالهية المتمثلة في توالي الرسائل واخرها واكملها الاسلام واصبح بعد ذلك تاريخ امة هي الامة العربية (٣٠).

٢- ٤ الا ان هذا لا يعني اهمال الدور الانساني وفعاليت البشر. ومن هنا فابن الاثير اهتم كذلك بتخليد الاعمال المهمة للانسان وتسجيل الاحداث البشرية المتميزة. ومع هذا وذاك فهو يتابع تعاقب الامم والدول: نشأتها وسقوطها اي يتابع ديناميكية التقدم في التاريخ (٣١).

٣-٤ وكما ان الحديث دراية ورواية، فالتاريخ عنا. ابن الاثير دراية ورواية ايضا. ليس مهمته تعقب القشور وظواهر الاحداث وانما البحث والتدقيق في بواطن الامور. ومن هنا يمكن انقول ان ابن الاثير سبق ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خالدون (٧٣٢-٥٨٠٨هـ / ١٣٣٢-١٤٠٦م) في الاعلان بان التاريخ في ظاهره الرواية وفي باطنه النظر والتحقيق وبذلك يعد ابن الاثير من اوائل المؤرخين العرب الذين ارسوا قواعد واسس الميثودولوجيا التاريخية. (٣٢)

اسلوبه في اعادة تشكيل الحدث التاريخي وتفسيره :

١-٥ لقد لفت ابن الاثير الانظار اليه لمنهجته التاريخية ولسلامة اسلوبه في معالجة الحدث التاريخي وتفسيره. اذ اتبع طريقة الحوليات كغيره من المؤرخين العرب الاوائل، وراعى ترتيب السنين ولقد تعرض لنقد من جراء هذه الطريقة التي لم تراعى تسلسل الحوادث المماثلة واطرادها. ويتصدى احد المؤرخين مدافعا عن طريقة ابن الاثير قائلا: «وهذا مغتفر في تاريخ عام.. بدون كافة الحوادث ويتعرض لجميع الوقائع والحكومات مراعىا سلسلة ترتيبها، وتاريخ وقوعها فكأنه سجل او بحر وقائع نغرف منه ماشاء. فلا وجه للنقد الموجه اليه من هذه الجهة.. لان الوقائع غير محدودة، وتصنيفها مختلف تتباين فيه الاذواق وتتضارب الفهوم.. وثبت الحوادث اصل، والامور الاخرى متفرعة عنه». (٣٣)

٢-٥ كان ابن الاثير يفقه اصول الكتابة التاريخية ويعرف تقنياتها وقد اتضح ذلك في خطوات البحث العلمي التي كان يسير عليها وهي جمع الاصول التاريخية وحسن اختيار الحقائق وعرضها للقارىء، فهو يقول: «لم انقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المنشورة. ولم اكن كالحاطب في ظلماء الليالي، ولاكن يجمع بين الحصباء والآلء». (٣٤) فقد كان يربط بين الاحداث المتقاربة، ويوحد الاسباب ويحرص على تعليل الظواهر التاريخية ونقدها. ومعنى هذا انه لم يكن مجرد مسجل احداث واخبار وانما كان ناقدا ممتازا، نقد اصحاب مصادره وناقش كثيرا من اخبارهم (٣٥).

٣-٥ وكان يكثر من استخدام (لو) في التاريخ مما جعله هدفاً لنقد بعض الكتاب الذين رأوا في ذلك ضعفاً في قيمة كتاباته التاريخية. (٣٦) وقد استندوا في ذلك على المثل الشائع الذي يقول ان (لو) زرعت وخضرت اى ان (لو) عقيمة عندما تزرع لاتخضر ولا تورق. ان استخدام (لو) امر قد يبدو غير صحيح بالنسبة للتاريخ (الفعل - الحدث) ولكن التاريخ (الفكر) شيء اخر وبامكان المؤرخ ان يزرع فيه (لو) ثم يراقبها لتخضر وتورق وتنمو. ومن هنا فان من حق المؤرخ ، كما نرى، ان يتساءل ويستفسر بل ويستخدم (لو). (٣٧)

٦. حجم الاضافات التي قدمها ابن الاثير في مجال تطوير كتابة التاريخ: ١-٦ لقد كان ابن الاثير مؤرخاً مذكراً. مدركاً واعياً. ويتضح ذلك في قدرته على مراعاة التوازن المعقول بين الاحداث التاريخية وانصافه للاحداث والشخصيات دون اخلاخ. (٣٨)

٢-٦ وفوق هذا كله فهو يمتلك إحساساً تاريخياً حقيقياً لاسيما في التنبيه إلى خطر المغول واعتباره الغزو الصليبي للشام استمراراً لمضايقة عرب الاندلس. ولم يكتف بذلك بل كان يذكر المواطنين بدورهم في ردالحدوان الاجنبي والاحتفاظ بالارض والشرف. وهو في هذا يعد من المؤرخين الذين نظروا الى التاريخ بوصفه سلاحاً نضالياً. (٣٩)

٣-٦ ولم يغفل ابن الاثير دور الابطال وأثرهم في ديناميكية الحدث التاريخي وانما حاول ان يبرز دورهم في صنع حركة التاريخ. ومن هنا جاء اهتمامه بتدوين سير عظماء الامة وفي مقدمتهم الصحابة لان سيرهم هي سنن الهداية والقُدوة للعرب والمسلمين. (٤٠)

٤-٦ وعظمة ابن الاثير تكمن في اهتمامه بمساحة واسعة من التاريخ العربي الإسلامي (مكاناً وزماناً). فهو لم يقتصر على تتبع العصور السالفة وإنما أهتم بعصره كذلك. ولم يقتصر أهتمامه على المشرق العربي وإنما اهتم بالمغرب العربي كذلك بل وانتقد من سبقوه من المؤرخين في عدم

العناية بهذا الجزء من العالم الاسلامي. (٤١) ولو لم يكتب لنا ابن الاثير ما كتب لضاعت علينا حقائق كثيرة على مدى سبعة قرون متصلة. فهو المؤرخ الوحيد الذي ضمن كتابه اخبار الحروب الصليبية حتى الثلث الاول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). كما حوى كتابه اخبار الزحف المغولي منذ بدايته في سنة ٦١٦هـ وحتى سنة ٦٢٨هـ وهي السنة التي وقف عندها كتاب ابن الاثير (الكامل في التاريخ). وبعد الطبري لم يظهر كتاب يغطي أخبار حقبة طولها اكثر من ثلاثة قرون اى ما بين وفاة الطبري ٣١٠هـ وظهور كتاب الكامل في سنة ٦٣٠هـ (٤٢).

٥-٦ لقد اعتقد ابن الاثير ان التاريخ ليس الاحوارا متصلا بين المؤرخ ووقائعه. لذلك فهو لم يقف عند حدود النظرة الرانكوية (نسبة الى ليوبولد رانكة المؤرخ الالماني المعروف ١٧٥٩-١٨٨٦) التي تذهب الى ان مهجة المؤرخ هي تسجيل ما حدث من وقائع بالضبط، بل وصل به الامر الى حد الانفعال مع الاحداث الخطيرة وابرز انفعالاته بالنقد والتعليق والابتهاال والدعاء، فهو على اية حال ليس مؤرخا موضوعيا حياديا. (٤٣) ولقد تأكدت هذه المسألة من خلال موقفه السلبي من الايوبيين وصلته الشخصية بالزنكيين ومما يجدر ذكره ان للمواقف السياسية للمؤرخ ودرجة صلته بالمؤسسة الحاكمة اثرا كبيرا في تشكيل مفاهيمه التاريخية. لذلك فمن الحق وصف ابن الاثير بانه مؤرخ رسمي ارتبطت حياته وكتابات وواقفه بالاسرة الزنكية الموصلية التي عاش في كنفها سنوات عديدة هو ووالده وأخواه. (٤٤) فمادته التاريخية عكست فلسفة الدولة الزنكية ووجهة نظرها المخالفة للايوبيين وهذا الاختلاف الحاصل في ايراد الروايات، لاشك يحفز الباحث الى المزيد من التحرى عن الروايات المتناقضة للوصول الى الحقيقة عن طريق نقدها ومعارضة بعضها لبعض. (٤٥)

٦-٦ وابن الاثير وان كان ينقل عن غيره من المؤرخين السابقين له، الا انه يضيف معلومات جديدة غير موجودة في تلك المصادر. فهو قد انفرد

بمعلومات قيمة لا يشير الى مصدرها الاساسي. إذ كثيراً ما كان يستخدم الاسناد المجهول كأن يقول «بلغني من خبره وحدثني من اثق به وحكى بعض اصحابنا» مما يدل على انه نقلها من مصدر لم يصل اليها ولا شك انه في ذلك يساعدنا في استكمال الروايات التاريخية. (٤٦) وأمال النواقص التي وجدها في بعض المؤلفات التاريخية ولا سيما في ميل بعضها الى التويل والاسهاب، وميل البعض الاخر الى الاختصار المخل بالاحداث، او ترك الاحداث المهمة والاهتمام بصغائر الامور او اختلال بعض الدراسات في ترتيب الاحداث التاريخية وعرضها، ومن هنا فهو لم يمتنع عن توجيه النقد التاريخي الى من يستحقه مهما علت منزلة ذلك الذي ينقده. (٤٧) ان التزامه بمنهجية التاريخية تتمثل في طرح الروايات المختلفة وذات المواقف المتقاطعة وبعد عرضها يوجه لها نقداً او يبرز موقفه تجاهها في ميله الى رواية منها وترجيحها. (٤٨)

٦-٧ واخيراً فان ابن الاثير لم يهتم بالتاريخ السياسي وحده وانما تضمنت اهتماماته وكتبه ملاحقة للجوانب المتنوعة من العملية التاريخية. فثمة تفاصيل كثيرة في كتاباته من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في الوطن العربي والعالم الاسلامي انذاك. (٤٩)

٧. الوامش والمصادر:
- (١) للتفاصيل انظر: عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عنه العرب، (بيروت، ١٩٦٠) وكذلك شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، (بيروت، ١٩٧٩)، صص ٥٧-٦٢
 - (٢) للتفاصيل انظر: عبدالعزيز الدوري وآخرون، تفسير التاريخ (بغداد لا.ت) ص ٩ وسنشير اليه ب: (الدوري وآخرون).
 - (٣) محسن محمد حسين، موضوعات في التاريخ الكردي، (بغداد، ١٩٧٦) ص ٥
 - (٤) للتفاصيل انظر: عبدالقادر أحمد طليمات، ابن الاثير الجزري المؤرخ (القاهرة، ١٩٦٩).
 - (٥) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط٤ (القاهرة، ١٩٧٦) صص ٢٢-٢٣.
 - (٦)
 - (٧) للتفاصيل انظر طليمات، المصدر السابق، ص ٧-١٢
 - (٨) المصدر نفسه، ص ١٣-١٧
 - (٩) أما الاخوان الاخران فهما مجدالدين أبو السعادات وكان مولده في سنة ٥٥٤٣ (١١٤٨م) وضياءالدين نصرالله وولد في سنة ٥٥٥٨ (١١٦٢م). وقد اشتهر الاول مجدثا ومفسراً ولغويًا. اما الثاني فقد عرف اديباً شاعراً. انظر طليمات، المصدر السابق، صص ١٤-١٦ شاكر مصطفى، المصدر السابق، ج٢، ص ١١١.
 - (١٠) عباس الغزاوي، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، (بغداد، ١٩٥٧)، ص ٢٧
 - (١١) المصدر نفسه، ص ٢٥
 - (١٢) أحمد ابن إبراهيم ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء الزمان، (القاهرة، ١٢٩٦) ج١، ص ٤٩٤
 - (١٣) انظر: أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط٣، (بيروت، ١٩٥٥) ص (ز)
 - (١٤) الغزاوي، المصدر السابق، ص ٤٨
 - (١٥) ابن خلكان، المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٤
 - (١٦) الغزاوي، المصدر السابق، ص ٣٠
 - (١٧) طليمات، المصدر السابق، صص ٧٦-٧٩، ١١٣ وكذلك محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص ٥
 - (١٨) للتفاصيل انظر: عزالدين ابي الحسن ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الاول، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥) ج١١، صص ٥١٢، ٢١٥-٢١٦.
 - (١٩) دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ٢٧

- (٢٠) طليعات، المصدر السابق، ص ٥٣، شاكِر مصطفى، المصدر السابق ج٢، ص ١١٢،
العزاوى، المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٢١) ابن الاثير، الكامل، ج١، ص ٢
- (٢٢) راجع مؤلفات ابن الاثير وهي:
- (-) أسدالغابة في معرفة الصحابة (المطبعة الوهيبية/القاهرة ١٩٢٨٠هـ)
- (-) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبدالقادر أحمد طليعات (القاهرة، ١٩٦٣)
- (-) الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦٥)
- (-) الباب في تهذيب الانساب، (القاهرة، ١٩٣٥هـ).
- (٢٣) اللورى، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ١٣
- (٢٤) العزاوى، المصدر السابق، ص ٣٠
- (٢٥) أمين مدني، التاريخ العربي ومصادره (القاهرة، ١٩٧١)، ص ٣٢٣
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٣-٣٢٣
- (٢٧) انظر: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤-٥ وكذلك العزاوى المصدر السابق،
ص ٤٣.
- (٢٨) طليعات، المصدر السابق، ص ٧-١٠
- (٢٩) الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥
- (٣٠) الدوري وآخرون، المصدر السابق، ص ٩
- (٣١ و٣٢) قارن: الكامل في التاريخ، ج١، ص ١ مع عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المقدمة،
(بيروت، لا.ت)، ص ٣ وكذلك انظر: العزاوى المصدر السابق، ص ٣٣
- (٣٣) العزاوى، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١
- (٣٤) الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣
- (٣٥) العزاوى، المصدر السابق، ص ٣٣، طليعات، المصدر السابق ص ٣٩، ٤
- (٣٦) دريد عبدالقادر نوري، المصدر السابق، ص ٢٨ وللمقارنة انظر: الكامل في التاريخ،
ج١ ص ٣٤ و٣٥، ٣٩، ٧٠.
- (٣٧) انظر: خلدون ساطع الحصري، مقدمة مذكرات طه الهاشمي (بيروت، ١٩٦٧)
ص ٣٩-٣٠
- (٣٨) طليعات، المصدر السابق، ص ٤٠
- (٣٩) انظر: العزاوى، المصدر السابق، ص ٤٧
- (٤٠) للمقارنة انظر كتاب ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، والمشار اليه آنفاً. راجع
كذلك: شاكِر مصطفى، المصدر السابق، ج٢، ص ١١٥
- (٤١) انظر: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢

- (٤٢) طليعات ، المصدر السابق ، ص ٣-٥ ، دريد عبد القادر نوري ، المصدر السابق ، ص ٢٨
- (٤٣) المصدر نفسه ، ص ٣ ، دريد عبد القادر نوري ، المصدر نفسه ، ص ٢٣ . طليعات ، المصدر السابق ، ص ٤ ، محسن محمد حسين ، المصدر السابق ، ص ١١ .
- (٤٤) انظر على سبيل المقارنة : نظير حسان سداوي ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٩
- (٤٥) دريد عبد القادر نوري ، المصدر السابق ، ص ٢٨
- (٤٦) واجه ابن الاثير لذلك نقداً شديداً اعتمد اساساً على ان ابن الاثير تصد من ذلك تضليل قصد بعدم ذكر تلك المصادر ، انظر سداوي ، المصدر السابق ، ص ٩
- (٤٧) انظر للتفاصيل : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٢
- (٤٨) محمد جلوب فرحان ، منهجية ابن الاثير في كتابه الكامل التاريخ مجلة الفكر العربي المناصر ، العدد ١٢ (ايار ، ١٩٨١) ص ١٥٣
- (٤٩) يمكن للقارئ ملاحظة ذلك من خلال النظر في مؤلفات ابن الاثير المشار اليها انفا . انظر كذلك شاكر مصطفى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٤

ابناء الاثير
في المراجع العربية والاجنبية



تأليف الدكتور حسين علي محفوظ
أستاذ الدراسات الشرقية في
كلية الاداب / جامعة بغداد

ثبت الموضوعات

تصديرو :

مجد الدين، ابو السعادات، المبارك، ابن الاثير

ترجمة مجد الدين ابن الاثير

مراجع ترجمة مجد الدين ابن الاثير (مرتبة على الوفيات)

القرن السابع الهجري

القرن الثامن الهجري

القرن التاسع الهجري

القرن العاشر الهجري

القرن الحادي عشر الهجري

القرن الثاني عشر الهجري

القرن الثالث عشر الهجري

القرن الرابع عشر الهجري

دوائر المعارف والموسوعات

عز الدين، ابو الحسن، علي، ابن الاثير

ترجمة عز الدين ابن الاثير

مراجع ترجمة عز الدين ابن الاثير (مرتبة على الوفيات)

القرن السابع الهجري

القرن الثامن الهجري

القرن التاسع الهجري

القرن العاشر الهجري

القرن الحادي عشر الهجري

القرن الثالث عشر الهجري

القرن الرابع عشر الهجري

دوائر المعارف والموسوعات

ضياء الدين، ابو الفتح، نصر الله، ابن الاثير

ترجمة ضياء الدين ابن الاثير

مراجع ترجمة ضياء الدين: ابن الاثير (مرتبة على الوفيات)

القرن السابع الهجري

القرن الثامن الهجري

القرن التاسع الهجري

القرن العاشر الهجري

القرن الحادي عشر الهجري

القرن الثالث عشر الهجري

القرن الرابع عشر الهجري

دوائر المعارف والموسوعات

فهرس المراجع «مرتبة على الوفيات»

القرن السابع الهجري

القرن الثامن الهجري

القرن التاسع الهجري

القرن العاشر الهجري

القرن الحادي عشر الهجري

القرن الثاني عشر الهجري

القرن الثالث عشر الهجري

القرن الرابع عشر الهجري

دوائر المعارف والموسومات

فهرس المراجع «مرتبة على الوفيات»

تصدير

يعتبر ابناء الاثير - الاخوة الثلاثة النابغون المحدث مجد الدين المبارك ، والمؤرخ عز الدين علي ، والكاتب ضياء الدين نصر الله من اركان التراث في تاريخ الادب العربي .

ولد اولهم في اوائل العشر الخامس من القرن السادس ، ومات في
أواسط العشر الاول من القرن السابع مشرفاً على الستين. وقد خلف مؤلفات
كثيرة عدت المصادر ثمانية عشر كتاباً منها ، تشمل على التفسير والنحو ،
والرجال ، والحديث ، والحساب ، والكتابة ، والمناقب ، والادعية ،
واللغة . ولعل اشهرها : (جامع الاصول) و (الموضع).

وولد الثاني في منتصف العشر السادس من القرن السادس ، وتوفي
في نهاية العشر الثالث من القرن السابع من نيف وسبعين عاما. وقد ترك عدة
مؤلفات في التاريخ ، والانساب ، والتراجم ، أهمها : (الكامل) ، و (أسد
الغابة) ، و (اللباب).

وولد الثالث في أواخر العشر السادس من القرن السادس ، وتوفي
في اواخر العشر الرابع من القرن السابع موشكاً ان يبلغ الثمانين. وقد ترك بضعة
عشر كتابا احصت المراجع خمسة عشر منها ، في الحديث ، وعلوم البلاغة ،
واللغة والادب ، والانشاء ، أهمها : (الجامع الكبير) ، و (المثل السائر) ،
و (الوشي المرقوم).

والحق - أن مؤلفات ابناء الاثير من قواعد العلم ، ومن اسس التراث.
ومن ذا الذي يستغني عن كتاب (النهاية) لمجدالدين ابن الاثير في اللغة
وغريب الحديث ، وكتاب (الكامل) لعزالدين ابن الاثير في التاريخ ، وكتاب
(المثل السائر) لضياءالدين ابن الاثير في علوم البلاغة.

لقد اغنى ابناء الاثير (المكتبة العربية) بهذا التاج البديع العظيم.
هنا - وقد حاولت - في هذه البيلوغرافيا الاولى المتواضعة أن
احصي مئتان تراجم ابناء الاثير المنشورة في المصادر والمراجع العربية
والاجنبية ، منذ القرن السابع الهجري حتى الان. وهي (١٠٥) كتب ، ثلاثة
عشر منها في القرن السابع ، وخمسة عشر في القرن الثامن ، وستة في القرن
التاسع ، ومثلها في القرن العاشر ، واربعة في القرن الحادى عشر ، واثنان

في القرن الثاني عشر، واثنان في القرن الثالث عشر كذلك، وسبعة واربعون في القرن الرابع عشر، اضافة الى دوائر المعارف والموسوعات وهي عشر. اما المصادر المخطوطة - وهي عدة - فالمرجو أن يتاح لنا اخصاؤها ونشرها استكمالا للدراسة سير ابناء الاثير، في المستقبل ان شاء الله تعالى. وهو مولانا ونعم المولى ونعم النصير .

الدكتور حسين علي محفوظ
أستاذ الدراسات الشرقية في كلية
الاداب بجامعة بغداد

بغداد ١٩٨٢/١/٧

ترجمة

مجد الدين ابن الاثير

هو ، مجد الدين ، ابو السعادات ، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، الشيباني ، الجزري ، المعروف بابن الاثير ، المحدث .

ولد سنة ٥٤٤هـ . وتوفي في سنة ٦٠٦هـ

ترك مؤلفات كثيرة منها :

- ١ . الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف / اربع مجلدات .
- ٢ . الباهر في الفروق والابنية .
- ٣ . البديع في النحو / شرح الفصول لابن الدهان «نحو الاربعين كراسة» .
- ٤ . البنين والبنات من رجال الحديث .
- ٥ . تجريد اسماء الصحابة .
- ٦ . تهذيب فصول ابن الدهان في النحو .
- ٧ . جامع الاصول في احاديث الرسول / جمع فيه بين الصحاح الستة «في أحد عشر مجلدا» .
- ٨ . الجواهر واللال من انشاء المولى الجلال / مجموع رسائل الوزير جلال الدين ابي الحسن الاصبهاني .
- ٩ . الدر المنثور / رسائل مدونة في مجلدين جمعها أبو محمد اسماعيل بن علي الكاتب الخضيرى ، المتوفى سنة ٦٠٣هـ .
- ١٠ . ديوان الرسائل .
- ١١ . رسائل في الحساب مجدولات .
- ١٢ . الشافي / شافي العي بشرح مسند الشافعي «نحو مائة كراسة» .
- ١٣ . صناعة الكتاب / كتاب لطيف في صناعة الكتابة .

- ١٤.المختار في مناقب الاخيار «او / الابرار» «أربع مجلدات» .
 ١٥.المرصع في الالباء والامهات والابناء والبنات والاذواء والذوات .
 ١٦.المصطفى والمختار في الادعية والاذكار .
 ١٧.منال الطالب في شرح طوال الضرائب .
 ١٨.النهاية في غريب الحديث والاثر .

ترجمة

مجدالدين ابن الاثير

مراجع ترجمة

مجدالدين ابن الاثير

(مرتب على الوفيات)

القرن السابع الهجري

- معجم الادباء / ياقوت الحموى (٦٢٦هـ)

ج ١٧ ص ٧١-٧٧

- ارشاد الاديب (= معجم الادباء)

ج ٦ ص ١٣٨-٢٤١

- معجم البلدان / ياقوت الحموى

ج ٣ ص ١٠٣ مادة «جزيرة ابن عمر»

- الكامل في التاريخ/ ابن الاثير (٦٣٠هـ)

ج ١٢ ص ٢٨٨ «حوادث سنة ٦٠٦هـ»

ج ١١ ص ٤٢٩ «حوادث سنة ٥٧١هـ»

- انباه الرواة / القفطى (٦٤٦هـ)

ج ٣ ص ٢٥٧-٢٦٠

- مرآة الزمان / سبط ابن الجوزى (٥٦٥٤) ج ٨ ق ١ ص ٤٣٥ «استطرادا في تضاعف الاخبار»
- التكملة لوفيات النقاة / المنذرى (٥٦٥٦) ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣١٠
- ذيل الروضتين / ابن ابي شامة ص ٦٨ - ٦٩
- الجامع المختصر / ابن الساعي (٥٦٧٤) ج ٩ ص ٢٩٩ - ٣٠١ «خوادث سنة ٦٠٦هـ»
- تكملة اكمال الاكمال / ابن الصابوني (٥٦٨٠) ص ٤، مادة «الايثر»
- وفيات الاعيان / ابن خاكان (٥٦٨١) ج ٣ ص ٢٩٤ - ٢٩٨

القرن الثامن الهجري

- تلخيص مجمع الاداب / ابن الفوطي (٥٧٢٣) ج ٤ ق ٢ هامش ص ٨٢
- ج ٣ هامش ص ٦٦ - ٦٧
- هامش ص ١٩٨ - ١٩٩
- المختصر في أخبار البشر / ابو الفداء (٥٧٣٢) ج ٣ ص ١١٨ - ١١٩
- تاريخ كزيدة / حمد الله المستوفى (٥٧٤٠) ص ٧٠٣

- دول الاسلام / الذهبي (٥٧٤٨)
ج ٢ ص ٨٤
- المختصر المحتاج اليه / الذهبي
ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦
هامش ص ١٧٥
- العبر / الذهبي
ج ٥ ص ١٩
- تيمة المختصر / ابن الوردي (٥٧٤٩)
ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣
- مرآة الجنان / اليافعي (٥٧٦٨)
ج ٤ ص ١١ - ١٢
- طبقات الشافعية / السبكي (٥٧٧١)
ج ٨ ص ٢٩٩ - ٣٠٠
- طبقات الشافعية / الاسنوي (٥٢٧٢)
ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٢
- البداية والنهاية / ابن كثير (٥٧٧٤)
ج ١٣ ص ٥٤
ص ١٣٩ «استطراداً»

القرن التاسع الهجري

- المسجد المسبوك / الملك الاشرف الغساني (٥٨٠٣)
ص ٣٣٢
- كتاب الوفيات / ابن قنفذ (٥٨٠٩)
ص ٣٠٣

- وهامش (٢) ص ٣٠٣ - ٣٠٤
- مجمل فصیحی / فصیح الخوافی (+ ٥٨٤٥)
- ج ٢ ص ٥٢٨٥
- النجوم الزاهرة/ ابن تغری بردي (٥٨٧٤)
- ج ٦ ص ١٩٨ - ١٩٩
- القرن العاشر الهجري
- الاعلان بالتوبيخ/ السخاوي (٥٩٠٢)
- ص ٦٧٣
- تاريخ الخلفاء/ السيوطي (٥٩١١)
- ص ٤٩٨ «ذيل ترجمة الناصر لدين الله»
- بغية الوعاة/ السيوطي
- ص ٣٨٥ - ٣٨٦
- دستور الوزراء/ طوندمير (٥٩٤٢)
- ص ٢٧٣ - ٢٧٤ و ص ٢٨٠
- مفتاح السعادة/ طاشكبرى زادة (٥٩٦٨)
- ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩
- ص ٢٢٢ «استطرادا»
- ج ٢ ص ١٢٨ «استطرادا» مادة «جامع الاصول».
- ص ١٤٧
- ص ٢٠١، مادة «الجامع الكبير».
- ص ٣٧٩
- الخميس/ الديار بكرى (+ ٥٩٨٢)
- ج ٢ ص ٣٦٨

القرن الحادى عشر الهجري

- كشف الغانون / حاجي خليفة كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
ج١ ص١٨٢ ، مادة «الانصاف» .
ص٢١٩ ، مادة «الباهر» .
ص٢٣٦ ، مادة «البديع» .
ص٢٥٦ ، مادة «البنين والبنات» .
ص٥٣٥ — ٥٣٧ ، مادة «جامع الاصول» .
ص٦١٨ ، مادة «الجواهر والآل» .
ص٧٨٩ ، مادة «ديوان الرسائل» .
ج٢ ص١٢٠٧ «استطرادا» .
ص١٣٨٣ ، مادة «كتاب الاباء والامهات» .
ص١٦٢٣ ، مادة «المختار في مناقب الابرار» .
ص١٦٨٣ ، مادة «شافي العي» في مادة «مسند الشافعي»
ص١٧١١ ، مادة «المصطفى المختار في الادعية والاذكار» .
ص١٩٨٩ ، مادة «النهاية في غريب الحديث» .

— اسماء الكتب / رياضى زادة (١٠٧٨هـ)

ص١٣١ ، مادة «جامع الاصول» .
ص١٩٤ و ٢١٨ و ٣٣٠

— شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)

ج٥ ص٢٢ — ٢٣

القرن الثاني عشر الهجري

— نزهة المجلس / السيد عباس المكي (ج١١٨٠هـ)

ج٢ ص٤١٣ — ٤١٤

القرن الثالث عشر الهجري

- منهل الاولياء / محمد أمين العمري (١٢٠٣هـ)

ج ١ ص ٢٠٠-٢٠١

- تاج العروس / السيد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)

ج ٣ ص ٦-٧ ، مادة «اثر»

القرن الرابع عشر الهجري

- التعليقات السنية، على الفوائد البهية في تراجم الحنفية / الكنوي (١٣٠٤هـ)

هامش ص ٣٢

- البلغة في اصول اللغة / السيد محمد صديق حسن خان (١٣٠٧هـ)

ص ١٧٧ ، مادة «النهاية»

- نامه دانشويان / مجمع دار التأليف (١٣١٣هـ)

ج ٣ ص ٢١٩-٢٢٦

- روضات الجنات / السيد محمد باقر الخوانساري (١٢١٣هـ)

ج ٧ ص ٢٣٢-٢٣٣

- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع / ادوردفنديك (+) (٢٣١٣هـ)

ص ٧٣ «استطرادا»

ص ١٣١

- هدية العارفين / اسماعيل باشا البغدادي (١٣١٩هـ)

ج ٢ ص ٢-٣

- ايضاح المكنون / اسماعيل باشا البغدادي

ج ٢ ص ٤٦٨ ، مادة «المرصع»

- قاموس الاعلام / ش. سامي (١٣٢٢هـ)

ج ١ ص ٥٩٩

- تاريخ آداب اللغة العربية/ جرجي زيدان (١٩١٤هـ)
ج ٣ ص ١٠٩ – ١١٠
- الرسالة المستطرفة/ الكتاني (١٣٤٥هـ)
ص ١٥٦
- فهرس الخزانة التيمورية/ اجمد تيمور (١٢٤٨هـ)
ج ٢ ص ١٩٧ – ١٩٨، مادة «جامع الاصول».
- ج ٣ ص ٩
- معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس (١٩٣٢هـ)
ص ٣٤ – ٣٥
- الكنى والالقب/ الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)
ج ١ ص ٢٠٧ – ٨، مادة «ابن الاثير»
- تمة المنتهى/ الشيخ عباس القمي
ص ٥١٧ «حوادث سنة ٦٠٦هـ»
- هدية الاحباب/ الشيخ عباس القمي
ص ٤٧، مادة «ابن الاثير».
- سفينة البحار/ الشيخ عباس القمي
ج ١ ص ١١، مادة «اثر»
- ريحانة الادب/ محمد علي المدرس (١٣٧٣هـ)
ج ٥ ص ٢٤٣، مادة «ابن الاثير».
- لغتنامه/ علي اثير دهخدا (١٣٧٤هـ)
ج ١ حرف الالف ص ٢٩٠، مادة «ابن»
- تاريخ الادب العربي/ كارل بروكلمان (١٩٥٦هـ)
ج ٦ ص ١٩٣ – ١٩٩
- تاريخ الموصل/ القس سليمان صائغ (١٩٦١م)
ج ٢ ص ٩٧ – ٩٨

- تاريخ الادب العربي في العراق / عباس العزاوي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص ٨٩
- فرهنگ فارس / دكتور محمد معين (١٣٩١هـ)
ج ٥ ص ٧٩
- فرهنگامه بارس / سعيد نفيسي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص ٤٥٠
- الاعلام / خير الدين الزركلي (١٩٧٦م)
ج ٦ ص ١٥٢
- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة
ج ٨ ص ١٧٤
- دليل المراجع العربية / عبد الكريم الامين وناهدة ابراهيم
ج ١ ص ٦٢
- مؤلفين كتب جابي / خانبايا مشار
ج ٥ ص ١٧٢ - ١٧٣
- دليل معرض اعلام الموصل / لجنة معرض اعلام الموصل
ص ٢٤
- دليل المراجع العربية والمعربة / عبد الجبار عبد الرحمن
ص ١٨٢ - ١٨٣
- الموصل في العهد الاتابكي / سعيد الديوه جي
ص ٩٦ - ٩٧
- دليل الموصل العام / عبد الجبار محمد جرجيس
ص ١٠٥ - ١٠٦
- راهنمای دانشوران / السيد علي اكبر البرقعي
ج ١ ص ١٤٨
- دولة الاتابكة في الموصل / الدكتور رشيد الجميلي
ص ٣٢٠

- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي الدكتور عصام عبد الرؤوف
ص ٢٥٠ - ٢٥١
- ذخائر التراث العربي الاسلامي
ج ١ ص ٣٩

دوائر المعارف والموسومات

- دائرة المعارف الاسلامية
ج ١ ص ٨٢
- دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين / محمد فريد وجدي
ج ١ ص ٥٤ - ٥٥
- كنز العلوم واللغة / محمد فريد وجدي
ص ٢٦
- دائرة المعارف / بطرس البستاني
ج ١ ص ٣٧٠
- دائرة المعارف / فؤاد البستاني
ج ٢ ص ٣٢٤
- دائرة المعارف / آريانا
ج ١ ص ٧٦٤
- دائرة المعارف فارس / غلا محسين مصاحب
ج ١ ص ١٤
- القاموس الاسلامي / احمد عطية الله
ج ١ ص ٢٤

عز الدين ، أبو الحسن ، علي
ابن الاثير «٥٦٣٠هـ»

ترجمة عز الدين ابن الاثير

هو ، عز الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم
بن عبد الواحد ، الشيباني ، الجزري ، المعروف بابن الاثير ، المؤرخ .
ولد سنة ٥٥٥ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٣٠ هـ .

ترك عدده مؤلفات ، منها :

١. اسد الغابة في معرفة الصحابة
٢. التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، في الموصل .
٣. تحفة العجائب وطفرة الغرائب
٤. الجامع الكبير في علم البيان (كذا)
٥. كتاب الجهاد
٦. الكامل في التاريخ
٧. كتاب اللباب في تهذيب الانساب
٨. المستقصى في التاريخ

مراجع ترجمة

(موتبه على الوفيات)

القرن السابع الهجري

- معجم البلدان / ياقوت الحموي (٥٦٢٦هـ)

ج ٣ ص ١٠٣ ، مادة «جزيرة ابن عمر» .

- انباه الرواة / القفطي (٥٦٤٦هـ)

ج ٣ ص ٣٦٠ «استطرادا»

ج ٤ ص ٧٨ «استطرادا / في ترجمة ياقوت» .

- مرآة الزمان / سبط ابن الجوزى (٥٦٥٤هـ)
 أ ج ٨ ق ١ ص ٣٢ سماه «الاستاذ الجزرى».
 — التكملة لوفيات النقلة / المنذرى (٥٦٥٦هـ)
 ج ٦ ص ٧٤-٧٦
 — ذيل الروضتين / ابن ابى شامة
 ص ١٦٢
 — تكملة اكمال الاكمال / ابن الصابونى (٥٦٨٠هـ)
 ص ٤، مادة «الاثير»
 — وفيات الاعيان / ابن خلكان (٥٦٨١هـ)
 ج ٣ ص ٣٣-٣٥

القرن الثامن الهجري

- تلخيص مجمع الاداب / ابن الفوطى (٥٧٢٣هـ)
 ج ٤ ق ١ ص ٢٦٠-٢٦١
 ق ٣ هامش ص ٦٦-٦٧
 هامش ص ١٩٨-١٩٩
 — الحوادث الجامعة (؟) / ابن الفوطى (؟)
 ص ٨٨
 — المختصر فى اخبار البشر / أبو الفداء (٥٧٣٢هـ)
 ج ٣ ص ١٥٨-١٦١
 — تاريخ كزيدة/ حمدالله المستوفى (+) (٥٧٤٠هـ)
 ص ٦٩٦
 — دول الاسلام / الذهبى (٥٧٤٨هـ)
 ج ٢ ص ١٠٢-١٠٣
 — تذكرة الحفاظ / الذهبى
 ج ٤ ص ١٣٩٩ - ١٤٠٠

- العبر / الذهبي
ج ٥ ص ١٢٠-١٢١
- تمة المختصر / ابن الوردي (٥٧٤٩)
- ج ٢ ص ٢٦٦ «حوادث سنة ٦٢٨هـ / في الكلام على تاريخه»
- ارشاد القاصد / السنجاري (٥٧٤٩)
ص ١٨ «التاريخ»
- الوافي / الصفدي (٥٧٦٤)
ج ١ ص ٥٠
- مرآة الجنان / الياضي (٥٧٦٨)
- ج ٤ ص ٧٠
- طبقات الشافعية / السبكي (٥٧٧١)
ج ٨ ص ٣٦٦-٣٦٧
- طبقات الشافعية / الاسنوي (٥٧٧٢)
ج ١ ص ١٣٢-١٣٣
- البداية والنهاية / ابن كثير (٥٧٧٤)
ج ١٣ ص ١٣٩

القرن الثامن الهجري

- المسجد المسبوك / الملك الاشرف الغساني (٥٨٠٣)
ص ٤٥٥-٤٥٦
- النجوم الزاهرة / ابن تغري بردى (٥٨٧٤)
ج ٦ ص ٢٨١

القرن العاشر الهجري

- الاعلان بالتوبيخ / السخاوي (٥٩٠٢)
ص ٤٥٢ و ٢٥٤ و ٥٧٣ و ٦٠٢ و ٦٧٢ - ٦٧٣

- تاريخ الخلفاء/ السيوطي (٩١١هـ)
- ص ٤٦٤ «ذيل ترجمة المستنصر»
- مفتاح السعادة/ طاشكبرى زادة (٩٦٨هـ)
- ج ١ ص ٢٢٢ «استطرادا».
- ص ٢٥٣ - ٢٤٥
- الخميس/ الديرار بكري (٩٨٢هـ)
- ج ٢ ص ٣٧١

القرن الحادي عشر الهجري

- كشف الظنون/ حاجي خليفة، كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
- ج ١ ص ٨٢، مادة «اسد الغابة»
- ص ١٧٩، مادة «انساب» كتاب «اللباب» .
- ص ٥٧١، مادة «الجامع الكبير في علم البيان» (؟).
- ج ٢ ص ٣٨٠، مادة «كامل التراويخ» .
- ص ١٤١٠، مادة «كتاب الجهاد».
- اسماء الكتب/ رياضي زادة (١٠٧٨هـ)
- ص ٢٥٥، مادة «الكامل».
- شنرات الذهب/ ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
- ج ٥ ص ١٣٧

القرن الثالث عشر الهجري

- منهل الاولياء/ محمد امين العمري (١٢٠٣هـ)
- ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢
- تاج العروس/ السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)
- ج ٣ ص ٥٦ مادة «اثر» .

القرن الرابع عشر الهجري

- التعليقات السنينة على الفوائد البهية في تراجم الحنفية/ الكنوى (١٣٠٤هـ)
هامش ص ١٤
- نامه دانشوران/ مجمع التأليف (١٣١٣هـ)
ج ٣ ص ٢٢٧ - ٢٣٨
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ ادوردفنديك (+ ١٣١٣هـ)
ص ٧٢-٣ و ٩٠ و ٣٨٣
- هدية العارفين/ اسماعيل باشا البغدادي (١٣١٩هـ)
ج ١ ص ٧٠٦
- قاموس الاعلام/ ش. سامي (١٣٢٢هـ)
ج ١ ص ٥٩٩
- تاريخ آداب اللغة العربية/ جرجي زيدان (١٩١٤م)
ج ٣ ص ٨٧ - ٨٨
- الرسالة المستطرفة/ الكناني (١٣٤٥هـ)
ص ١٢٥
- فهرس الخزانة التيمورية/ احمد تيمور (١٣٤٨هـ)
ج ٣ ص ٨
- معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سرقيس (١٩٣٢م)
ص ٣٦ - ٣٨
- الكنى واللقاب/ الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)
ج ١ ص ٢٠٨
- تنمة المنتهى/ الشيخ عباس القمي
ص ٥١٧ - ٥١٨ «حوادث سنة ١٢٠٦هـ».
- هدية الاحباب/ الشيخ علي القمي
ص ٤٧ - ٤٨

- سفينة البحار/ الشيخ عباس القمي
ج ١ ص ١١
- ريحانة الادب / محمد علي المدرس (١٣٧٣هـ)
ج ٥ ص ٢٤٢
- لغتنامه / علي اكبر دهخدا (١٣٧٤هـ)
مج ١ حرف الالف ص ٢٩٠ ، مادة «ابن» .
- تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان (١٩٥٦م)
ج ٦ ص ١٣٦-١٣٨
- تاريخ الموصل / القس سليمان صائغ «١٩٦١م»
ج ٢ ص ٩٨-٩٩
- تاريخ العراق بين احتلالين / عباس العزاوي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص ٦-٧ «الكامل» .
- التعريف بالمؤرخين / عباس العزاوي
ج ١ ص ٢٤-٥٢
- فرهنك فارس / دكتر محمد معين (١٣٩١هـ)
ج ٥ ص ٧٩-٨٠
- فرهنكنامه بارس / سعيد نفيسي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص ٤٥٠
- الاعلام / خير الدين الزركلي (١٩٧٦)
ج ٥ ص ١٥٣
- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة
ج ٧ ص ٢٢٨-٢٢٩
- دليل المراجع العربية / عبد الكريم الامين وزاهدة ابراهيم
ج ١ ص ٩٢

- مؤلفين كتب جابي / خانابا مشار
ج ٤ ص ٣٨٣ - ٣٨٤
- دليل معرض اعلام الموصل / لجنة معرض اعلام الموصل
ص ٢٣
- دليل المراجع العربية والمعرية / عبد الجبار عبد الرحمن
ص ٤٠٧ - ٤٠٨ و ٤٦١ و ٤٦٤
- الموصل في العهد الاتابكي / سعيد الديوهجي
ص ٩٧ و ١٧٧ «مقبرة ابن الاثير»
- دليل الموصل العام / عبد الجبار محمد جرجيس ص ١٠٦
- راهنماي دانشوران / السيد علي اكبر البرقعي
ج ١ ص ١٤٩
- اربيل في العهد الاتابكي / محسن محمد حسين
ص ٢٥٩ - ٢٦٠
- علم التاريخ عند المسلمين
ص ٦٥ و ٧٨ و ٨٠ و ١٤٠ و ١٥٣ و ٢١٢
- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي / الدكتور عصام عبد الرؤوف
ص ٢٥٢ - ٢٥٥
- راهنماي ديات فارس / دكتور زهرا خادلوي
ص ٩
- المكتبة / الدكتور سامي مكّي العاني وعبد الوهاب محمد علي العدواني
ص ٣٠٥ - ٣٠٦
- ذخائر التراث العربي الاسلامي
ج ١ ص ٣٩ - ٤٠

دوائر المعارف الموسوعات

- دائرة المعارف الاسلامية
ج ١ ص ٨٢ - ٨٣
- دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين / محمد فريد وجدي
ج ١ ص ٥٣ - ٥٤
- كنز العلوم واللغة / محمد فريد وجدي
ص ٢٦، مادة «اثر»
- الموسوعة العربية الميسرة
ج ١ ص ٩
- الموسوعة الذهبية
ج ١ ص ٢٧ - ٢٨
- دائرة المعارف / بطرس البستاني
ج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١
- دائرة المعارف / فؤاد البستاني
ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥
- دائرة المعارف / آريانا
ج ١ ص ٧٦٤ - ٧٦٥
- دائرة المعارف فارس / غلام حسين مصاحب
ج ١ ص ١٤
- القاموس الاسلامي / احمد عطية الله
ج ١ ص ٢٤

ضياء الدين، ابو الفتح، نصر الله

ابن الاثير «٦٣٧هـ»

ترجمة ضياء الدين ابن الاثير

هو ضياء الدين، ابو الفتح، نصرالله، بن محمد بن محمد بن عبد
الكريم بن عبد الواحد، الشيباني، الجزري، المعروف بابن الاثير، الكاتب.
ولد سنة ٥٥٨هـ. وتوفي في سنة ٦٣٧هـ
ترك مؤلفات كثيرة منها:

١. كتاب الاخبار النبوية/ يشتمل على ثلاثة الاف خبر
٢. ادعية مخصوصة /ضمنه مائة دعاء
٣. الاستدراك
٤. البرهان في علم البيان
٥. ترسل/ ديوان الرسائل
٦. الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور
٧. رسالة في اوصاف مصر
٨. رسالة في الضاد والطاء
٩. مؤنس الوحدة
١٠. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر
١١. مجموع / مختارات شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمنتبي
١٢. المرصع في الادبيات (?)
١٣. المعاني المخترعة في صناعة الانشا
١٤. المفتاح المنشأ في حديقة الانشا
١٥. الوشي المرقوم في حل المنظوم

مراجع ترجمة
فضياء الدين ابن الاثير
(مرتبة على الوفيات)
القرن السابع الهجري

- معجم البلدان / ياقوت الحموي (٥٦٢٦)
ج ٣ ص ١٠٣ ، مادة «جزيرة ابن عمر»
- انباه الرواة / القفطي (٥٦٤٦)
ج ٣ ص ٢٦٠ «استطراداً»
- التكملة لوفيات النقلة / المنذري (٥٦٥٦)
ج ٦ ص ٣٤١-٣٤٢
- ذيل الروضتين / ابن ابي شامة (٥٦٦٥)
ص ١٦٩
- تكملة اكمال الاكمال / ابن الصابوني (٥٦٨٠)
ص ٤-٦
- وفيات الاعيان / ابن خلكان (٥٦٨١)
ج ٥ ص ٢٥-٣٢

القرن الثامن الهجري

- الحوادث الجامعة/ ابن الفوطي (٥٧٢٣)
ص ١٣٦
- تاريخ كزيدة/ حمدالله المستوفى (+ ٥٧٤٠)
ص ٧٠٦
- دول الاسلام/ الذهبي (٥٧٤٨)
ج ٢ ص ١٠٩

- العبر / الذهبي
- ج ٥ ص ١٥٦
- ارشاد القاصد/ السنجاري (٥٧٤٩)
- ص ٣٣ «الجامع الكبير»
- مرآة الجنان / اليافعي (٥٧٦٨)
- ج ٤ ص ٩٧ - ٩٨
- طبقات الشافعية / الاسنوي (٥٧٧٢)
- ج ١ ص ١٣٣
- البداية والنهاية / ابن كثير (٥٧٧٤)
- ج ١٣ ص ١٣٩ «استطرادا»

القرن التاسع الهجري

- المسجد المسبوك/ الملك الاشرف الغساني (٥٨٠٣)
- ص ٤٩٦
- النجوم الزاهرة/ ابن تغري بردي (٥٨٧٤)

القرن العاشر الهجري

- الاعلان بالتوبيخ/ السخاوي (٥٩٠٢)
- ص ٦٧٣
- تاريخ الخلفاء/ السيوطي (٥٩١١)
- ص ٤٦٤ «ذيل ترجمة المستنصر»
- بغية الوعاة/السيوطي
- ص ٤٠٤
- مفتاح السعادة/ طاشكيري زادة (٥٩٦٨)
- ج ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢

– الخميس / الديار بكري (+ ٩٨٢هـ)
ج ٢ ص ٣٧١

القرن الحادي عشر الهجري

- كشف الظنون / حاجي خليفة كاتب جلبي (١٠٦٧هـ)
ج ٢ ص ١٥٨٦ ، مادة «المثل السائر»
ص ٢٠١٢ ، مادة «الوشى المرقوم»
– شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
ج ٥ ص ١٨٧ – ١٨٩

القرن الثالث عشر الهجري

- منهل الاولياء / محمد امين العمري (١٢٠٣هـ)
ج ١ ص ٢٠٢
– تاج العروس / السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)
ج ٣ ص ٧ ، مادة «اثر»

القرن الرابع عشر الهجري

- التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية / اللكنوي (١٣٠٤هـ)
هامش ص ٣٥ «استطرادا»
– نامه دانشوران / مجمع دار التأليف (١٣١٣هـ)
ج ٣ ص ٢٣٩ – ٢٥٦
– روضات الجنات / السيد محمد باقر الخوانساري (١٣١٣هـ)
ج ٧ ص ٢٣٦ «استطرادا»
– اكتفاء القنوع بما هو مطبوع / ادورفنديك (١٣١٣هـ)
ص ٣٤٤ – ٣٤٥
ص ٧٣ «استطرادا»

- هدية العارفين / اسماعيل باشا البغدادي (١٩٣١هـ)
ج ٢ ص ٤٩٢-٤٩٣
- ايضاح المكنون / اسماعيل باشا البغدادي
ج ٢ ص ٥٠٧ ، مادة «المعاني المخترعة»
- قاموس الاعلام / ش . سامي
ج ١ ص ٥٩٩-٦٠٠
- تاريخ اداب اللغة العربية / جرجي زيدان (١٩١٤م)
ج ٣ ص ٥٣-٥٤
- معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس (١٩٣٢م)
ص ٣٥-٣٦
- الكنى والالقباب / الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)
ج ١ ص ٢٠٨
- تمة المنتهى / الشيخ عباس القمي
ص ٥١٨ «حوادث سنة ١٦٠٦هـ» .
- هدية الاحباب / الشيخ عباس القمي
ص ٤٨
- سفينة البحار / الشيخ عباس القمي
ج ١ ص ١١ ، مادة «اثر»
- ريحانة الادب / محمد علي المدرس (١٣٧٣هـ)
ج ٥ ص ٢٤٣-٢٤٤
- لغتنامه / علي أكبر دهخدا (١٣٧٤هـ)
مجم ١ حرف الالف ص ٢٩٠ ، مادة «ابن»
- تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان (١٩٥٦)
ج ٥ ص ٢٧١-٢٧٤
- تاريخ الموصل / القس سليمان صائغ
ج ٢ ص ٩٩-١٠٠

- السلك الناظم / الدكتور مصطفى جواد (١٣٨٩هـ)
ج ٢ ص ٢٨٢-٢٨٧
- تاريخ الادب العربي في العراق / عباس العزاوي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص ٢٥-٣٠
- فوهنك فارس / دكتور محمد معين (١٣٩١هـ)
ج ٥ ص ٨٠
- فوهنكنامه / سعيد نفيسي (١٣٩١هـ)
ج ١ ص ٤٥٠-٤٥١
- الاعلام / خير الدين الزركلي (١٩٧٦م)
ج ٨ ص ٣٥٤
- مصادر الدراسة الادبية / يوسف اسعد داغر (١٩٨١م)
ج ١ ص ٢١٥-٢١٧
- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة
ج ١٣ ص ٩٨-٩٩
- دليل المراجع العربية / عبد الكريم الامين وزاهدة ابراهيم
ج ١ ص ١٩٥
- مؤلفين كتب جابي / خانيا با مشار
ج ٦ ص ٥٩١-٥٩٣
- دليل معرض اعلام الموصل / اللجنة معرض اعلام الموصل
ص ٢٣
- الجديد في الادب العربي وتاريخه / حنا الفاخوري
ص ٢٥٩-٢٦٣
- ادباء العرب في الاعصر العباسية / عبدالله البستاني
ص ٣٥٨-٣٦٤
- تاريخ الادب العربي / حنا الفاخوري
ص ٧٥١-٧٥٣

- ادب العرب / مارون عبود
ص ٣٥٢-٣٥٣
- الموصل في العهد الاتابكي / سعيد الديوه جي
ص ٩٧
- دليل الموصل العام / عبد الجبار محمد جرجيس
ص ١٠٦
- راهنماي دانشوران / السيد علي اكبر البرقي
ج ١ ص ١٤٩-١٥٠
- دولة الاتابكة في الموصل / الدكتور رشيد الجميلي
ص ٣٢٠-٣٢١
- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي الدكتور عصام عبد الرؤوف
ص ٢٥١-٢٥٢
- ذخائر التراث العربي الاسلامي
ج ١ ص ٤١

دوائر المعارف والموسوعات

- دائرة المعارف الاسلامية
ج ١ ص ٨٣-٨٤
- دائرة معارف القرن الرابع عشر / العشرين / محمد فريد وجدي
ج ١ ص ٥٥-٥٧
- كنز العلوم واللغة / محمد فريد وجدي
ص ٢٦، مادة « اثر »
- الموسوعة العربية الميسرة
ج ١ ص ٩

- دائرة المعارف / بطرس البستاني
ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢
- دائرة المعارف / فؤاد البستاني
ج ٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٧
- دائرة المعارف / آريانا
ج ١ ص ٧٦٥
- دائرة المعارف فارس / غلا محسين مصاحب
ج ١ ص ١٤
- القاموس الاسلامي / احمد عطية الله
ج ١ ص ٢٤

فهرسى المراجع
«مرتبه على الوفيات
القرن السابع الهجري

- ارشاد الاديب = معجم الادباء (٥٦٢٦)
- معجم الادباء (٥٦٢٦)
- معجم البلدان (٥٦٢٦)
- الكامل في التاريخ (٥٦٣٠)
- انباه الرواة (٥٦٤٦)
- مرآة الزمان (٥٦٥٤)
- التكملة لوفيات النقلة (٥٦٥٦)
- كتاب الروضتين (٥٦٦٥)
- ذيل الروضتين (٥٦٦٥)
- عيون الانباء (٥٦٦٨)

- الجامع المختصر (٥٦٧٤)
 تكملة آكمال الأكمال (٥٦٨٠)
 وفيات الاعيان (٥٦٨١)

القرن الثامن الهجري

- تلخيص مجمع الاداب (٥٧٢٣)
 الحوادث الجامعة ؟ (٥٧٢٣)
 المختصر في اخبار البشر (٥٧٣٢)
 تاريخ كزيدة (٥٧٤٠)
 دول الاسلام (٥٧٤٨)
 تذكرة الحفاظ (٥٧٤٨)
 المختصر المحتاج اليه (٥٧٤٨)
 العبر (٥٧٤٨)
 تمة المختصر (٥٧٤٩)
 ارشاد القاصد إلى اسنى المقاصد (٥٧٤٩)
 الوافي بالوفيات (٥٧٦٤)
 مرآة الجنان (٥٧٦٨)
 طبقات الشافعية الكبرى (٥٧٧١)
 طبقات الشافعية «الاسنوي» (٥٧٧٢)
 البداية والنهاية (٥٧٧٤)

القرن التاسع الهجري

- العسجد المسبوك (٥٨٠٣)
 كتاب الوفيات (٥٨٠٩)

(٥٨١٥)	روضه المناظر
(٥٨٢١)	صبح الاعشى
(٥٨٤٥ +)	مجممل فصيحى
(٥٨٧٤)	النجوم الزاهرة

القرن التاسع الهجرى

(٥٩٠٢)	الاعلان بالتوىخ
(٥٩١١)	تارىخ الخلفاء
(٥٩١١)	بغىة الوعاة
(٥٩٤٢)	دستور الوزراء
(٥٩٦٨)	مفتاح السعادة
(٥٩٨٢ +)	الخميس

القرن الحادى عشر الهجرى

(١٠٣١هـ)	الكشكول
(١٠٦٧هـ)	كشف الظنون
(١٠٧٨هـ)	اسماء الكتب
(١٠٨٩هـ)	شذرات الذهب

القرن الثانى عشر الهجرى

(١١٨٠هـ)	نزهة الجليس
(١١٨٦هـ)	انيس الخاطر

القرن الثالث عشر الهجري

(١٢٠٣هـ)

منهل الاولياء

(١٢٠٥هـ)

تاج العروس

القرن الرابع عشر الهجري

(١٣٠٤هـ)

التعليقات السنية

(١٣٠٧هـ)

البلغة في اصول اللغة

(١٣١٣هـ)

نامة دانشوران ناصري

(١٣١٣هـ)

روضات الجنات

(١٣١٣هـ)

اكتفاء القنوع

(١٣١٩هـ)

هدية العارفين

(١٣١٩هـ)

ايضاح المكنون

(١٣٢٢هـ)

قاموس الاعلام

(١٩١٤م)

تاريخ اداب اللغة العربية

(١٣٤٥هـ)

الرسالة المستطرفة

(١٣٤٨هـ)

فهرس الخزانة التيمورية

(١٩٣٢م)

معجم المطبوعات العربية والمعربة

(١٣٥٩هـ)

الكنى والالقب

(١٣٥٩هـ)

تتمة المنتهى

(١٣٥٩هـ)

هدية الاحباب

(١٣٥٩هـ)

سفينة البحار

(١٣٧٣هـ)

ريحانة الادب

(١٣٧٤هـ)

لغتنامه

(١٩٥٦م)

تاريخ الادب العربي / بروكلمان

(١٩٦١م)

تاريخ الموصل

- فهرس الفهارس (١٩٦٢م)
- السلك الناظم (١٣٨٩هـ)
- تاريخ العراق بين اجتالين (١٣٩١هـ)
- التعريف بالمؤرخين (١٣٩١هـ)
- تاريخ الادب العربي في العراق (١٣٩١هـ)
- فرهنك فارس (١٣٩١هـ)
- فرهنكنامه فارس (١٣٩١هـ)
- الاعلام (١٩٧٦)
- مصادر الدراسة الادبية (١٩٨١م)
- معجم المؤلفين
- دليل المراجع العربية
- مؤلفين كتب جابي
- دليل معرض اعلام الموصل
- دليل المراجع العربية والمعربة
- الجديد في الادب العربي
- ادباء العرب في الاعصر العباسية
- تاريخ الادب العربي «حنا الفاخوري»
- ادب العرب
- الموصل في العهد الاتابكي
- دليل الموصل العام
- راهنماي دانشوران
- دولة الاتابكة في الموصل
- اربيل في العهد الاتابكي
- علم التاريخ عند المسلمين
- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي

راهنماي ادبيات فارس
المكتبة
ذخائر التراث العربي الاسلامي

دوائر المعارف والموسوعات

دائرة المعارف الاسلامية
دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين
كنز العلوم واللغة
الموسوعة العربية الميسرة
الموسوعة الذهبية
دائرة المعارف «المعلم بطرس البستاني»
دائرة المعارف «فؤاد البستاني»
دائرة المعارف «آريانا»
دائرة المعارف فارس
القاموس الاسلامي

فهرس المراجع
«مرتبة على الحروف»
(أ)

ادب العرب / مارون عبود (بيروت ١٩٦٠)
ادباء العرب في الاعمصر العباسية / بطرس البستاني (بيروت ١٩٤٧)
اربييل في العهد الاتابكي / محسن محمد حسين (بغداد ١٩٧٦)
ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب / ياقوت الرومي (مصر ١٩٢٦ - ١٩٣١)
ارشاد القاصد إلى اسنى المقاصد / السنجاري (بيروت ١٣٢٢هـ)

اسماء الكتب المتمم لكشف الظنون/ رياضي زادة (مصر ١٩٨٧٧)
الاعلام /خير الدين الزركلي (ط٣بيروت)
الاعلان بالتوبيخ «علم التاريخ عند المسلمين» /السخاوي (بغداد ١٩٦٣)
اكتفاء القنوع بما هو مطبوع / اورد فنديك (مصر ١٣١٣هـ/١٨٩٦)
انباه الرواة على انباه النحاة/ القفطي (مصر ١٣٦٩هـ/١٩٥٠ - ١٩٧٣)
انيس المخاطر وجليس المسافر/ الشيخ يوسف البحراني (الهند ١٢٩١هـ)
ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون/ اسماعيل باشا البغدادي
(استانبول ١٩٤٥ - ١٩٤٧)

(ب)

البداية والنهاية / ابن كثير (بيروت ١٩٦٦)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي (مصر
١٣٢٦هـ) .
بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي / الدكتور عصام عبد الرؤوف
(مصر ١٩٧٥) .
البلغة في اصول اللغة / السيد محمد صديق حسن خان (القسطنطينية
١٢٩٦هـ) .

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس / السيد محمد مرتضى الزبيدي (مصر ١٣٠٧هـ)
تاريخ اداب اللغة العربية / جرجي زيدان «تحقيق د. شوقي (صيف
(مصر)
تاريخ الادب العربي / حنا الفاخوري (ط٦ بيروت)

تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان «ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار» (مصر ١٩٦٨ - ١٩٧٧) .

تاريخ الادب العربي في العراق / عباس العزاوي (بغداد ١٣٨١هـ / ١٩٦١ - ١٣٨٢هـ / ١٦٦٢) .

تاريخ الخلفاء / جلال الدين السيوطي (مصر ١٣٧١هـ / ١٩٥٢) .
تاريخ العراق بين احتلالين / عباس العزاوي (بغداد ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥ - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦) .

تاريخ كزيدة / حمد الله المستوفي «تحقيق دكتور عبد الحسين نواني»
طهران ١٣٣٩ ش) .

تاريخ الموصل / القس سليمان صائغ (بيروت ومصر ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣ - ١٩٢٨) .
تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) / ابن
الوردي (النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩) .

تتمة المنتهى في وقائع ايام الخلفاء / الشيخ عباس القمي (ايران ١٣٦٥هـ)
تذكرة الحفاظ / الذهبي (حيدر آباد الدكن ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧) .

التعريف بالمؤرخين / عباس العزاوي (بغداد ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧) .
التعليقات السنية على الفوائد البهية (على هامش الفوائد البهية في طبقات
الحنفية) محمد عبد الحي كنوي الهندي (مصر ١٣٢٤هـ) .
تكملة آكمال الاكمال / ابن الصابوني «تحقيق الدكتور مصطفى جواد»
(بغداد ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧) .

التكملة لوفيات النقلة / المنذري «تحقيق الدكتور بشار عواد معروف»
(النجف الاشرف ومصر ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ - ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦) .
تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب / ابن الفوطي «تحقيق الدكتور
مصطفى جواد» (دمشق ١٩٦٢ - ١٩٦٧) .

(ج)

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير/ ابن الساعي «تحقيق الدكتور مصطفى جواد» ب (بغداد ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤)

الجديد في الادب العربي وتاريخه/ حنا الفاخوري (ط٣ بيروت ١٩٥٨)

(ح)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (؟) / ابن الفوطي «تحقيق الدكتور مصطفى جواد» (بغداد ١٣٥١هـ)

(خ)

الخميس في احوال انفس نفيس/ الديار بكري (مصر ١٢٨٣هـ)

(د)

دائرة معارف آربانا (كابل ١٣٢٨ - ١٣٤٨ ش / ١٩٧٠)

دائرة المعارف/ فؤاد افرام البستاني (بيروت ١٩٥٦ - ١٩٧١)

دائرة المعارف/ المعلم بطارس البستاني (بيروت ومصر ١٨٧٦ - ١٠٠)

دائرة المعارف الاسلامية/ نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي واحمد الشنتناوي و ابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس (مصر ١٢٣٥هـ / ١٩٣٣ - ...)

دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين/ محمد فريد وجدي (مصر ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥)

دائرة المعارف فارس/ غلا محسن مصاحب (طهران ١٣٤٥هـ)

دستور الوزراء / خوندمير «تحقيق سعيد نفيسي» (طهران ١٣١٧ش)

دليل المراجع العربية/ عبد الكريم الامين وزاهدة ابراهيم (بغداد ١٩٧٠)

دليل المراجع العربية والمعربة/ عبد الجبار عبد الرحمن (البصرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠)

دليل معرض اعلام الموصل / لجنة معرض اعلام الموصل (الموصل)
(١٩٧٧)

دليل الموصل العام / عبد الجبار محمد جرجيس (الموصل ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥)
دول الاسلام الذهبي (حيدر آباد الدكن ١٣٣٧هـ)
دولة الاتابكة في الموصل / الدكتور رشيد الجميلي (بيروت ١٩٧٥)

(ذ)

ذخائر التراث العربي الاسلامي / عبد الجبار عبد الرحمن (البصرة)
(١٩٨١ / ١٤٠١هـ)
(ذيل الروضتين / ابن ابي شامة) بيروت ١٩٧٤ «ط مصر ١٩٤٧» .

(ر)

راهنماى ادبيات فارس / دكتور زهراى خانلرى «كيا» (طهران ١٣٤١ش)
راهنماى دانشوران / السيد علي اكبر البرقي (رقم ١٣٢٨ش) الرسالة
المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة / السيد محمد بن جعفر الثقافي
(دمشق ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤) .

روض المناظر في اخبار الاوائل والواخر / ابن الشحنة «على هامش الكامل
(مصر ١٣٠٣هـ) .

روضات الجنات في احوال العلماء والسادات / السيد محمد باقر الخوانسارى
(طهران ١٣٩٠ - ١٣٣٢هـ) .

كتاب الروضتين في اخبار الدولتين / ابن ابي شامة (القاهرة ١٢٨٨هـ)
ريحانة الادب في تراجم المعروفين باخيه واللقب / محمد علي التبريزي
المدرس (طهران وتبريز ١٣٦٦ - ١٣٧٣هـ)

(س)

سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار / الشيخ عباس القمي (النجف ١٣٥٢هـ)
(١٣٥٥هـ) .

السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم / الدكتور مصطفى جواد «موسوعة
العتبات المقدسة / قسم الكاظمين / ج ٢» (بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠

(ش)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلي (مصر ١٣٥٠ -
٣٥١) .

(ص)

صبح الاعشى في صناعة الانشا / القلقشندى (مصر ١٣٣١ هـ / ١٩١٣
١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠) .

(ط)

طبقات الشافعية الكبرى / السبكي (مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ - ١٩٧١
طبقات الشافعية / الاسنوى «تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري» (بغداد
١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ - ١٣٩١ هـ) .

(ع)

العبر في خبر من غير/الذهبي (الكويت ١٩٦٠-١٩٦٦)
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك/الملك الاشرف
الغساني «تحقيق شاكر عبد المنعم» (بيروت ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ .
علم التاريخ عند المسلمين / فرانز روزنثال «ترجمة الدكتور صالح احمد
العلي» (بغداد ١٩٦٣).
عيون الانباء في طبقات الاطباء/ابن ابي اصيبعة (بيروت ١٩٦٥)

(ف)

فرهنگ فارس / دكتور محمد معين (تهران ١٣٤٥ ش/١٩٦٦) .
فرهنگنامه فارس/سعيد نفيسي (تهران ١٣١٩ ش) .
فهرس الخزانة التيمورية/احمد تيمور باشا (مصر ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ -

١٣٦٩هـ/١٩٥٠) فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات
والمسلسلات / السيد عبد الحي الكندي الفاسي (المغرب ١٣٤٦ - ١٣٤٧هـ).

(ق)

القاموس الاسلامي / احمد عطية الله (مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣ - ١٣٩٦هـ/
١٩٧٦).

قاموس الاعلام/ش. سامي (استانبول ١٣٠٦ - ١٣١٦هـ).

(ك)

الكامل في التاريخ/عز الدين ابن الاثير (بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ - ١٣٨٦هـ/
١٩٨٦).

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/حاجي خليفة كاتب جلبي (
استانبول ١٣٦٠ - ١٣٣٢هـ .

الكشكول/بهاء الدين العاملي (النجف الاشرف ١٣٩٣هـ/١٩٧٣)

كنز العلوم واللغة/محمد فريد وجدي (مصر ١٣٢٣هـ/١٩٠٥)

الكنى والالقباب / الشيخ عباس القمي (النجف الاشرف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩ -
١٩٧٠).

(ل)

لغات تاريخية وجغرافية / احمد رفعت (استانبول ١٣٠٠هـ)

لغتنامه / دهخدا (طهران ١٣٢٥ ش - ...)

(م)

مؤلفين كتب جابي / خانبابا مشار (تهران ١٣٤٠ - ١٣٤٤ش)

مجمل فصيحي / فصيح احمد خوافي (مشهد ١٣٣٩ - ١٣٤٠ش)

المختصر في أخبار البشر « تاريخ ابي الفداء»/ ابو الفداء (قسطنطينية ١٢٨٦هـ)

المختصر المحتاح اليه من تاريخ ابن الدبيشي/ الذهبي «تحقيق الدكتورمصطفى

جواد (بغداد ١٣٧١هـ/١٩٥١ - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان / الياضي
 (حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ)
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان / سبط ابن الجوري (حيدر آباد الدكن
 ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ - ١٩٥٢)
- مصادر الدراسة الأدبية وفقا لمناهج التعليم الرسمية / يوسف اسعد داغر
 (ج ١ صيدا ١٩٥٠)
- معجم الأدباء / ياقوت الحموي (مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ - ١٣٥٧ هـ /
 ١٩٣٨)
- معجم البلدان / ياقوت الحموي (مصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦)
- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (دمشق ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ - ١٣٨١ هـ /
 ١٩٦١)
- معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس (مصر ١٣٤٦ هـ /
 ١٩٢٨)
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاشكبرى زادة (مصر ++ ١٩٦٨)
 المكتبة / الدكتور سامي مكّي العاني وعبدالوهاب محمد علي العدواني (الموصلي ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩)
- المنجد في الادب والعلوم / الأدب فردينال توتل اليسوعي (ط ١٩ بيروت
 ١٩٦٦)
- منهل الأولياء « ومشرب الاصفياء من سادات الموصلي الحدباء / محمد
 الخطيب العمري (الموصلي ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨)
- الموسوعة الذهبية / رئيس التحرير الدكتور ابراهيم عبده (مطابع سجل
 العرب)
- الموسوعة العربية الميسرة / باشراف محمد شفيق غربال (بيروت ١٩٨٠)
 الموصلي في العهد الأتابكي / سعيد الديوه جي (بغداد ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨)

(ن)

نامة دانشوران ناصرى / مجمع دار التآليف (رقم + ١٣٧٨ هـ)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / ابن تغرى بردى (مصر / اوفست
١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ - ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠)
نزهة المجلس ومئة الاديب الانيس / السيد عباس المكي (النجف الاشرف
١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧)

(هـ)

هدية الاحباب في ذكرى المعروفين بالكنى والالقب والانساب / الشيخ
عباس القمي (النجف الاشرف ١٣٤٩ هـ)
هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين / اسماعيل باشا البغدادي
استانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥)

(و)

الوافي بالوفيات / صلاح الدين الصفدى / دار نشر فرانز شتاينر (فيسبادن)
١٩٦٢ - ...) كتاب الوفيات / ابن قنفذ (ط ٢ بيروت ١٩٧٨)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان / ابن خلكان (مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨)

دراسة في شواهد واستشهاد
ابن الأثير في المثل السائر

الأستاذ عبد الجبار علوان النائلة
كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

شواهد ابن الأثير في المثل السائر ، دراسة تحليلية

هذا موضوع بكر وطريف، فلم يسبق لأحد — على ما أعتقد دراسة شواهد كتاب بلاغي، ولكي أعطيكم فكرة واضحة عن أهمية الكتاب، ومنزلة مصنفه العلمية، اذكر انه كان نتيجة تأثر بعض علماء البلاغة بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام ان سارت البلاغة في اتجاهين مختلفين. ونشأت مدرستان هما المدرسة الأدبية التي لم يتأثر رجالها بتلك المؤثرات، والمدرسة الكلامية، او كما يسميها السيوطي «طريقة العرب والبلغاء وطريقة العجم اهل الفلسفة» (١) ومن شواهد الاثر الفلسفي في المدرسة الكلامية الاقلال من الشواهد والامثلة الادبية والاهتمام بالتحديد المنطقي، والخصر، والتقسيم، فكان رجالها يكتبون بشاهد واحد او مثال قصير غالبا، وشواهدهم لاجمال فيها، لان صحة الشاهد او المثال عندهم اصل كل شيء، مثلهم في ذلك مثل النحويين واللغويين. ومن خصائص المدرسة الادبية ان كتبها وتعايرها سهلة مفهومة لا تحتاج الى عناء كبير في فهمها كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الكلامية (٢) وكان لها شأن كبير في القرن السادس الهجري وما بعده، حيث سادت فيه العقلية المنطقية، وجنحت فيه اذواق المؤلفين والكتاب نحو الجمود والتقيد. (٣) وتميز رجالها بالاكتثار المسرف من الشواهد الادبية، نثرا وشعرا مع الاقلال من التعاريف، والقواعد، والاقسام (٤) ، وكانوا غالبا ما يذكرون القاعدة بسطر أو سطرين ويأتون بشواهد تتجاوز الصفحات، ولم تكن شواهدهم مقصورة على آية أو حديث أو مثل أو بيت شعر وانما تعدتها الى السورة الكاملة — احيانا — والقطعة الشعرية والرسالة الادبية (٥).

(١) ينظر الدكتور احمد مطلوب، القزويني وشروح التلخيص ص ٣٥

(٢) ينظر الدكتور أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي ص ١٠٤ ، والقزويني وشروح

التلخيص ص ٣٦

(٣) ينظر عمر رضا كحالة، اللغة العربية وعلومها ص ١٦٥

(٤) أمين الخولي، مناهج في النحو والبلاغة والتفسير والادب ص ١٢٦ ، ١٦٠

(٥) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ١٠٩ والقزويني وشروح التلخيص ص ٣٧

فالكتاب الذي درست شواهدَهُ وهو لضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ من أهم كتب المدرسة الأدبية، بل هو زبدتها التي تضمنت حركتها وآراءها وأصولها، وهو كتاب قيم، قال فيه ابن خلكان: «جمع فيه مؤلفه فأوعب، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره (١) وهو مملوء بالالتفات الرائعة التي تدل على ذوق بارع، لذا يعد من مصادر الدراسات البيانية التي تعتمد على استقراء كلام العرب للنظر في فصاحته وبلاغته، ومن خيرة الكتب النوقية لما اشتمل عليه من نصوص أدبية ممتازة ولقد حفل بكثرة الشواهد والأمثلة المختارة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومأثور كلام العرب وأمثالهم وحكمهم وشعرهم، وقد اعان مصنفه على ذلك حافظته القوية وإطلاعه الكبير واستقراؤه لمصادر الشواهد، وتمكنه من مائة البيان وسلامة ذوقه من تعقيد الفلسفة. «وقد بناه على مقدمة ومقالين فالمقدمة تشتمل على أصول البيان، والمقالتان تشتملان على فروع هذا العلم، فالأولى في الصناعة اللفظية، والثانية في الصناعة المعنوية. وموضوع «علم البيان» هو الفصاحة والبلاغة (٢) وإذا ما علمنا أن النوق السليم هو العمدة في معرفة جودة الكلام وسلاسته وجزالة الفاظه وفصاحتها، وتميز ما فيه من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه أدركنا أهمية كتاب (المثل السائر).

وجدير بنا ونحن بصدد دراسة شواهد ابن الأثير أن نقدم نبذة عن الشاهد في علوم اللغة العربية، فله في اللغة معانٍ مختلفة، منها: اللسان، أو من علم امرأً فيذكر ما علم، أو من يؤدي ما عنده من الشهادة. تقول (شاهد) على كذا. والمشاهدة: المعاينة (شاهده) (شهوداً)، أي: حضره فهو (شاهد) والشهادة: هي الخبر القاطع (٣).

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣٩١/٥

(٢) د. بدوي طبانة، البيان العربي ص ٢٠٢

(٣) ينظر ابن منظور، لسان العرب (شاهد) ٢٣٩/٣ وما بعدها وأبو بكر الرازي، مختار الصحاح ص ٣٤٩، ط (١)، بيروت ١٩٦٧م.

والشاهد في العلوم العربية : هو ما يذكر كآية قرآنية او حديث نبوي أو قول صح سنده الى عربي فصيح اللسان سليم السلفية لاثبات صحة قاعدة ، أو استعمال كلمة أو تركيب أو رد مخالف أو تفنيد رأيه. وكانت قيمة العالم تتجلى في معرفته بالشواهد، ومقدرته على استخراجها من مصادرها واستحضارها إياها عند الحاجة، وكان الاهتمام بالشواهد لدى كافة الطبقات (١). قواعد أو اصول، أو ما يقولونه من آراء، لاسيما اذا كانت غير معروفة أو غير مألوفة، بدليل مطالبة (نافع بن الأزرق) عبد الله بن عباس بشواهد على تفسيره بعض غريب القرآن. قال عكرمة: «رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه: (والليل وما وسق) (٢). فقال ابن عباس: وما جمع. فقال نافع: أتعرف ذلك العرب؟ قال ابن عباس: أما سمعت قول الراجز:

إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات لو يجدن سائقاً
ويروى عن ابي عبيدة من غير وجه أنه (اي ابن الأزرق) سأله عن معنى (الم ذلك الكتاب) (٣) ، فقال ابن عباس : تأويله هذا القرآن جاء : قال أبو عبيدة: ولا أحفظ عليه شاهداً عن ابن عباس ، وانا أحسبه أنه لم يقبله الا بشاهد . فقد كان كلما يسأله عن تفسير آية يسأله عن الشاهد ، ووضح دليل هو قول ابي بكر بن الأنباري (٣٢٨ هـ) : «فأما معنى الشك فانه لا يحتاج الى شاهد لشهرته عند الناس». ويبدو ان ابن عباس قد اعتمد منهجاً لم يسبق اليه ، وهو شرح الفاظ القرآن والاستشهاد عليها بما جاء في شعر العرب (٤)، ثم سار العلماء بعده في هذه السبيل في

(١) ينظر الشواهد والاستشهاد في النحو ص ٢٦.

(٢) سورة الانشقاق آية ١٧.

(٣) سورة البقرة من الآية ١.

(٤) الشواهد والاستشهاد في النحو ص ٣٣.

دراساتهم اللغوية والنحوية ثم البلاغية عند نشوء تلك العلوم ثم تطورها ، مع اختلافهم في تناول الشواهد من مصادرها الرئيسية ، وهي : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب للوقوف بعربيتهم نثراً وشعراً ، وستين موقف ابن الأثير من كل مصدر من هذه المصادر والاستشهاد بشواهد، واختلافه مع علماء اللغة والنحو في الاعتماد على كل مصدر. **استشاده بالقرآن الكريم :**

القرآن الكريم نص نثري موثوق بصحته كل الوثوق (لاياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (١) قمة الفصاحة العربية ، والمثل الاعلى لبلاغتها، وكان من اهم عوامل نشأة علم البلاغة وتطوره حيث طبع ابحاثها بطابع ادبي، ويتجلى هذا في كثرة الشواهد التي اقتبسها البلاغيون منه (٢)، فأيات القرآن الكريم لها منزلة خاصة في الاستشهاد باعتبارها اسمى صور الفصاحة والبلاغة، والنمط المعجز الذي يحتذى به ، فكانت دراسة اسلوب القرآن تعتمد على البلاغة ، «وكانت البلاغة تعتمد الى الشاهد القرآني لتستعين به في توضيح الاصطلاحات ، وتثبيتها في الذهن الى جانب الشواهد الشعرية والادبية الاخرى» (٣) .

وأما ابن الاثير فقد جعل القرآن في مكانه اللائق به ، وأنزله من نفسه منزلاً حسناً، فقد حفظه منذ الصغر وما فتىء يبديء اعجابه واهتمامه به في ثنايا كتبه ، وقد دفعه ذلك الى ان يعقد بابا في (الجامع الكبير) يفضل فيه النثر على الشعر «لان القرآن ورد نثراً، ولولا فضله وعلو درجته، لما نزل كتاب الله على اسلوبه ونهجه» (٤) انصرف الى دراسة القرآن واستقراءه ، فاستخرج منه فنونا بلاغية كثيرة. قال: «لمحت في أثناء القرآن الكريم اشياء

(١) سورة فصلت من الآية ٤٢

(٢) ينظر اللغة العربية وعلومها ص ١٦٢ والبلاغة عند السكاكي ص ١٠٦-١٠٧ ودراسات

(٣) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تعليقات المحققين ص ١٦١ بلاغية ص ١٨-١٩ .

(٤) ضياءالدين بن الاثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ٧٣

ومابعدها.

طريفة، ووجدت في مطاويه نكتا دقيقة لطيفة.. وكان ذلك باعثا لي على تصفح آيات القرآن العزيز، والكشف عن سره المكنون، فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضربا من علم البيان، لم يأت بها احد من العلماء الاعيان، وكان ماظفرت به اصل هذا الفن وعمدته، وخلاصة هذا العلم وزبدته» (١)، من ذلك مثلا : باب سماه (الاستدراج) (٢).

وهو يستشهد بالقرآن الكريم كثيرا، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات (المثل السائر) من آية او آيات يأتي بها مستشهدا على مايقرره من احكام او مدللا على صحة آرائه او مرجحا رأيا، او رادا آراء الاخرين من ذلك مثلا استشهاده على (الاعتراض) (٣) بخمس آيات ثم قال «وقد ورد الاعتراض في القرآن كثيرا، وذلك في كل موضوع يتعلق بنوع من خصوصيته البالغة في المعنى المقصود... ومن هذا الباب قوله تعالى: (ووصينا الانسان بوالديه - حملته امه وهنا على وهن - وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك... (٤) الاترى ان هذا الاعتراض قد طبق مفصل البلاغة؟ وفائدته انه لما وصى بالوالدين ذكر ماتكابه الام (من المشاق في حمل الولد وفصاله، ايجابا للتوصية بها وتذكيرا بحقها وانما خصها بالذكر دون الاب، لانها تتكلف من امر الولد ما لا يتكلفه، ومن ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له: من ابر؟ قال امك ثم اباك» (٥) وتكلم على الايجاز بالتقدير مستشهدا بعدة آيات واحاديث من ذلك مثلا قوله: «والايات الواردة من هذا الضرب كثيرة، كتوبه تعالى: (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) (٦)، فقوله (فله ما سلف) من جوامع الكلم، ومعناه ان خطاياها

(١) الجامع الكبير ص ٣ وينظر المثل السائر ٤/١

(٢) ينظر المثل السائر ٢/٢٦٠ - ٢٦١

(٣) وبعضهم يسميه الحشو، وقد حده ابن الاثير: بقوله: كل كلام ادخل فيه اللفظ مفرد

او مركب لو سقط لبقني الاول على حاله (المثل السائر ٤/١).

(٤) سورة لقمان من الايه ١٤

(٥) المثل السائر ٣/٣٢ - ٤٣

(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٥

الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها ، الا ان قوله «فله ماسلف» ابلغ أي ان السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى : «من كفر فعليه كفره» (١) وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (٢) . فهذه الاية من جوامع الايات الواردة في القرآن الكريم . ثم ذكر آيات اخرى من هذا الضرب (٣) . وقال عن (الايجاز بالقصر) : « وهو الذي لا يمكن التعبير عن الفاظه بالفاظ اخرى مثلها ، وفي عدتها ، وهو اعلى طبقات الايجاز مكانا ، واعوزها إمكانا ، واذا وجد في كلام بعض البلغاء فانما يوجد شاذا نادرا . والقرآن الكريم ملآن منه ، ومن هذا الضرب قوله تعالى : (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (٤) فجمع في الاية جميع مكارم الاخلاق ، لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة ، وعن الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات ، وغير ذلك ، وفي الاعراض عن الجاهلين : الصبر ، والحلم ، وغيرهما (٥) . من ذلك ايضا قوله تعالى : (ولكم في القصص حياة) (٦) فان فوله تعالى : القصص حياة (لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة ... ولا يلتفت الى ماورد عن العرب من قولهم : (القتل انفى للقتل) فان من لا يعلم يظن ان هذا على وزن الاية ، وليس كذلك ، بل بينهما فرق من ثلاثة اوجه ، ثم اخذ

(١) سورة فاطر من الآية ٣٨

(٢) سورة النحل من الآية ٩٠

(٣) المثل السائر ٣٣٥/٢ وما بعدها

(٤) سورة الاعراف الآية ٩٩

(٥) المثل السائر ٣٤٨/٢ - ٣٣٩

(٦) سورة البقرة من الآية ١٧٩

يبين الفرق (١) . وعندما يستشهد بالآيات يبين قيمة ما يستشهد به من ، ذلك مثلا استشهاده على التشبيه المضمّر الاداة بقوله تعالى: (وجعلنا الليل لباسا) (٢) فبين انه شبه الليل باللباس لانه يستر الناس بعضهم عن بعض من أراد هربا من عدو ، أو ثباتا لعدو ، أو إخفاء ما لا يجب الاطلاع عليه من امره . ثم قال : «وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها الا القرآن الكريم» فان تشبيه الليل باللباس مما اختفى به دون غيره من الكلام المنشور والمتظوم (٣) ثم استشهد بآيات اخر تشبه الآية المذكورة كقوله تعالى : (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) (٤) و (نساءكم حرث لكم) (٥) . . . (٦) وعند كان علمنا يسأل عن مشكلة بيانية يجد في القرآن ما يعينه على حل الاشكال من ذاك قوله : وكنت سئلت عن معنى بيت أبي تمام :

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام

فقيل : كيف ينطبق عجز البيت على صدره ؟ واذا تجنب الآثام وخافها فكيف تكون حسناته آثاما ؟ ففكرت فيه ، وانعمت نظري ، فسمح لي في القرآن الكريم آية مثله ، وهي قوله تعالى : (والذين يؤتون مآثورا وقلوبهم وجلة) (٧) ، وفي صدر البيت إصمار مفسر في عجزه ، وتقديره انه يتجنب الآثام ، فيكون قد أتى بحسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناته آثام ، وهو على طباق الآية سواء (٨) . ورد على من زعم ان القرآن لا يعنى بالتخلص مستشهدا بسورة يوسف كلها وما تشتمل عليه من تخلصات بديعة ، ويعد تحليله لها من اجمل شواهد « يقول في ختام كلامه : .

(١) المثل السائر ٣٥٢/٢ ، الأول: إن (الفصاح حياة) لفظتان وقول العرب ثلاثة الفاظ الثاني : ان في قولهم تكريرا ليس في الآية. الثالث: ان ليس كل قتل نافيا للقتل، الا اذا كان على حكم القصاص.

(٢) سورة النبا من الآية ١٠

(٣) المثل السائر ١٣٣/٢

(٤) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٢٣.

(٦) ينظر المثل السائر ١٣٤/٢.

(٧) سورة (المؤمنون) من الآية ٦٠

(٨) المثل السائر ٢٨٨/٢

« وباللّٰه العجب كيف يزعم الغانمي (١) ان القرآن خال من التلخص ؟ ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها ، وهي مضمنة شرح حاله مع اخوته من أول امره إلى اخره ، وفيها عدة تخلصات في الخروج من معنى إلى معنى وكذلك إلى آخرها » (٢) . ومما يدل على بعد معرفته بالقرآن واستقراءه لآياته انه لم يأت بشاهد قرآني على الترصيع وقال : وهذا لا يوجد في كتاب الله تعالى ، لما هو عليه من زيادة التكلف ، فاما قول من ذهب إلى ان في كتاب الله منه شيئاً ومثله بقوله تعالى : « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » (٣) فليس الأمر كما واقع فان لفظة (لفي) قد وردت في الفقرتين معا ، وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه ، لكنه قريب منه « (٤) وقوله عن الالغاز : » وقد تأملت القرآن الكريم فلم اجد فيه شيئاً منها ، ولا ينبغي ان يتضمن منها شيئاً ، لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز » (٥) ، وقوله ايضاً مستشهداً بآية على التجنيس الحقيقي وقد عرفه بأنه الذي « تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها ، كقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) (٦) ثم قال : « وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها » (٧) . غير أنه وقع في الوهم ذات مرة ، وذلك عند كلامه على اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها . قال : «ومن هذا النوع لفظة ودع» وهي فعل ماض ثلاثي لا تقل بها على اللسان ، ومع ذلك فلا تستعمل على صيغتها الماضية الا جاءت غير مستحسنة ، ولكنها تستعمل مستقبلة ، وعلى صيغة الأمر ، فتجيء حسنة .

(١) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانسي ، كان من شعراء نظام الملك (المثل السائر

٣/هامش ص ١٢٨)

(٢) المثل السائر ٣/١٣٢

(٣) سورة الانفطار : الآيتان ١٢ ، ١٤

(٤) المثل السائر ١/٣٦١

(٥) المثل السائر ٣/١١١ .

(٦) سورة الروم من الآية ٥٥ .

(٧) المثل السائر ١/٣٤٣ .

أما الأمر فكقوله تعالى : «فدعهم يخوضوا ويلعبوا» ولم تأت في القرآن إلا على هذه الصيغة !! (١) وفي القرآن المكريم في سورة الزخرف « فذرهم يخوضوا ويلعبوا» (٢) . وقد رواه ابن الأثير «فدعهم» ليكون شاهداً على ما ذهب إليه؛ وهذا وهم منه لاتفق الفعلان في المعنى (٣) . وقد يستفيد من القراءات في الاستشهاد. قال في موضوع حذف الفعل وجوابه : ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما، كقوله تعالى : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) (٤) وهو (اي الفعل) لأمركم وحده ، وانما المراد أجمعوا امركم، وادعوا شركاءكم، لأن معنى «أجمعوا» من اجمع الأمر ، اذا نواه، وعزم عليه. وقد قرأ أبي - رض - (فأجمعوا امركم وادعوا شركاءكم) وهذا دليل على ماشرت إليه ، وكذلك هو مثبت في مصحف عبدالله بن مسعود (رض) (٥) .

والقرآن الكريم عند ابن الاثير - بعد كل ما ذكرنا - مقياس جمال الكلام والبلاغة العربية وقطب الرحى الذي تنحدر منه ضرورتهما : قال بعد استشهاده بآيات على التخلص : «هذا كلام يسكر العقول، ويسحر الالباب : وفيه كفاية لطالب البلاغة فإنه متى انعم نظره، وتدبر اثناءه ومطارى حكمته علم ان في ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن» (٦) . وهو لذلك يقيس به كلام العرب. فما جاء مشابها له بقره ويأخذ به، وهو لا يتوانى في تعديل احكامه البيانية واقبسته التي قررها قبلا وجعلها متفقة مع القرآن الكريم اذا ورد فيه ما يخالف اقبسته، قال في (المؤاخاة بين المباني) : انكر على ابي نواس قوله :

(١) المثل السائر ١/٣٨٢ .

(٢) سورة الزخرف من الآية ٨٣ .

(٣) المثل السائر هامش ١ ص ٣٨٢ للمحققين .

(٤) سورة يونس من الآية ٧١ .

(٥) المثل السائر ٢/٣٠١ .

(٦) المثل السائر ٣/١٢٩ .

الا يا ابن الذين فتوا فماتوا أما والله ما ماتوا لتبقى
ومالك فاعلمن فيها مقام اذا استكملت آجالا ورزقا
وموضع الإنكار هاهنا قال : آجالا ورزقا ، وكان ينبغي ان يقول :
أرزاقا ، أو أن يقول أجلا ورزقا ، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الاجل فقال
آجالا ، والانسان ليس له الا أجل واحد ، ولو قال : أجلا وارزاقا ، لما
عيب ، لان الأجل واحد والارزاق كثيرة . واذا انصفنا في هذا الموضع
وجدنا النائر مطالباً به دون الناظم ، لمكان امكانه من التصرف ولقد كنت
أرى هذ الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال وأنه لا يحسن المحيد عنه
حتى مرّ بي في القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى في سورة النحل (أولم يروا
الى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين وعن الشمال) (١) ولو كان
الاحسن لزوم البناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال
او افرد الشمال كما أفرد اليمين ، وكذلك ورد قوله تعالى : أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون (٢) فجمع
القلوب والأبصار وأفرد السمع ...

وفي القرآن مواضع كثيرة هكذا، ولو كان معتبراً في الاستعمال لورد
في كلام الله تعالى الذي هو افصح من كل كلام ، ولأخذ في مقام الفصاحة
والبلاغة إنّما يكسون منه والدخول عليه « (٣) . رأيتم كيف تراجع بسهولة
عما كان قد رآه وغير رأيه تبعاً لما ورد في كتاب الله ؟ وهذا لعمرى هو
الرأي الصواب . ومما حالف فيه قياسه وعدلّ عنه مستنداً الى القرآن الكريم
قوله : «... والصفتان الواردتان على شيء واحد فانه اذ لزم من وجود إحدهما
وجود الاخرى اكتفي بها في الذكر ، ولم يحتاج الى ذكر الاخرى ، لأنها
تجي ضمناً وتبعاً ، او أن يبدأ بها في الذكر أولاً .

(١) سورة النحل من الآية ٤٨

(٢) سورة النحل من الآية ١٠٨

(٣) المثل السائر ١٥٧/٣ - ١٥٨

ثم تجيء الاخرى بعدها، واستشهد على ذلك أبيات من الشعر وقال . ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) (١) . فان وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة . وعلى القياس المشار اليه ، فينبغي ان يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لأنه اذا لم يغادر صغيرة فمن الاولى الا يغادر كبيرة ... غير أن القرآن أحق أن يتبع وأجد رباً أن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه ناقص لما تقدم ذكره .

وكذلك ورد قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) (٢) . لأن التأليف أدنى درجة وقد تقدم قولي انه اذا جاءت صفتان يلزم من وجود إحداهما وجود الاخرى أن يكفي بذكرها دون الاخرى لأن الاخرى تجيء ظمناً وتبعاً ، وأن يبدأ بها في الذكر ، ثم تجيء الاخرى بعدها .

وعلى هذا فيقال اولاً : فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف ، لكن اذا لم يقل لهما «أف» امتنع أن ينهرهما . وقد كان هذا هو المذهب عندي ، حتى وجدت كتاب الله تعالى قد ورد بخلافه ، وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (٣) . وهكذا ينبغي ان يستند إلى القرآن الكريم في جميع علوم العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة ، فلا تخضع آياته قياساً يصطنعه العلماء مستندين إلى استقرار ناقص للغة ، كما فعل النحويون البصريون ، فكانوا مع اعترافهم بفصاحة القرآن ووثاقته - معترزين بأقيستهم واصولهم فقدّموها على كل نص ، فأخضعوا آياته البيّنات لاحكامهم وأقيستهم ، فكانوا يتحايلون على الآية المخالفة بالتأويل والتقدير لكي تتفق مع ماقرروه من أحكام والاعدوا

(١) سورة الكهف من الآية ٤٩

(٢) سورت الاسراء من الآية ٢٢

(٣) المثل السائر ٢/٢١٢ - ٢١٤ . وينظر قوله في المثل السائر ٣/١٦٢ : والدليل على ذلك ماقدمناه من آيات القرآن الكريم وكفى به دليلاً .

تلك الآية شاذة (١). لهذا فعاملنا أحقّ بالاحترام والتقدير إذ جعل القرآن كتابه الأول ومعتمده في دراساته .

استشهاده بالحديث النبوي الشريف

وقف البلاغيون موقفا محمودا من الحديث النبوي الشريف، وإذا كانوا لم يحددوا زمنا معيناً للاستشهاد بأقوال أهله، كما فعل اللغويون والنحويون، فإنهم وجدوا في أقوال رسول الله (ص) ضالتهم المنشودة في الاستشهاد بها، فقد نظروا إلى حديثه عليه الصلاة والسلام بعين الأكارم والإجلال باعتباره أفصح كلام وأبلغه بعد كلام الله، فأقبلوا ينهلون مورد العذب، على تقيض مافعله قسم من النحويين حيث منعوا الاستشهاد بالحديث متذرعين بحجة واهية، هي روايته بالمعنى ورواياته أعاجم لا يحسنون العربية، فوقع اللحن في الحديث من حيث لا يشعرون، ويعلمهم هذا حرماً اللغة من جزء غير يسير من فصيح الكلام العربي الثري الموثق، ولم يستفيدوا من الثروة اللغوية والأساليب المختلفة التي تمثل لهجات العرب (٢). يأتي الحديث في طليعة شواهد ابن الأثير بعد القرآن الكريم، وهو شيء طبيعي يتسق وموقف البلاغيين، منه وكانت للرجل صلة وثيقة به حيث «حدث بكتب أخيه مجد الدين بالموصل وأكثرها في الحديث (٣)، وعني بالحديث عناية بالغة، فقد جرد من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر، وبقي يواظب على مطالعته كما ذكر مدة تزيد على عشر سنين حتى حفظه (٤). وهو ينص في كتابه على أن معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية معدن الفصاحة والبلاغة (٥)،

(١) ينظر الشواهد للاستشهاد في النحو: (استشهاد البصريين بالقرآن الكريم) ص ٢٠٣ وما بعدها مجلة آداب الرافدين العدد ١٣ لسنة ١٩٨١ ص ٥٠١-٥٤٤ إصدار كلية الآداب بجامعة الموصل.

(٢) ينظر بحثنا: الحديث النبوي الشريف من مصادر الدرر اللحوي .

(٣) ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص ٥٩

(٤) المثل السائر ١٩١/١ وقال ما يشبه هذا في (الوشى المرقوم) ص ٥

(٥) المثل السائر ١٢٤/١

وحسبي ان اذكر انه اقتبس بعض عنوانات فصول كتابه مما ورد في الحديث ، كفصل «في الحكمة التي هي ضالة المؤمن (١) وفصل «في جوامع الكلم» (٢) وهما مأخوذان من الفاظ الحديث، كما شرح المقصود بجوامع الكلم مستشهدا بكثير من الاحاديث النبوية التي عدّها في هذا الباب ، فقال: انه (صلى الله عليه وسلم) أوتي الكلم الجوامع للمعاني ، وهو ينقسم قسمين :

قسمين : (الاول) الفاظ تتضمن من المعنى مالا تتضمنها اخواتها مما يجوز ان يستعمل مكانها... من ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين : (الآن حمي الوطيس) ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا: (استعرت الحرب) لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه : (حمي الوطيس) والفرق بينهما أن الوطيس هو التنور ، وهو موطن الوقود ومجتمع النار، وذلك يخيل إلى السامع ان هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها ، وهذا لا يوجد في قولنا (استعرت الحرب) وما جرى مجراه». (الثاني) : الايجاز الذي يدل به بالالفاظ القليلة على المعاني الكثيرة ، اي ان الفاظه صلوات الله عليه جامعة للمعاني المقصودة على ايجازها واختصارها ، وجل كلامه جار هذا المجري ، وسيأتي في باب الايجاز منه ما فيه كفاية ومقنع (٣). وهو يستشهد بالحديث بمعناه الواسع الذي يشمل اقوال الصحابة الواردة من طرق الحديث كاستشهاده بحديث الزبير في موضوع الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل عن المستقبل بالماضي (٤) . وزيادة في ثقة القارئ ودفعاً للشك رأيت في ومواقع كثيرة من كتابه يستشهد بأحاديث يروي قصتها ويذكر سبب الحدث

(١) المثل السائر يظن ١٠٠/١ وما بعدها . في مشكاة المشايخ للبريزي ٧٥/١ عن ربي هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها» رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي : «هذا حديث غريب».

(٢) المثل السائر ينظر ٨٦/١ وما بعدها. ويلظر (فتح الباري بشرح البخاري ١٧ / ٤) حيث يجد نص الحديث : (بعثت بجوامع الكلم).

(٣) المثل السائر ٩٦/١

(٤) المثل السائر ينظر ١٨٦/٢

الرسول (عليه الصلاة والسلام) بها ، مما يقوى استشهاده بها لان لرواية السبب علاقة بالاستشهاد (١) ، من ذلك مثلاً ما استشهد به في توضيح معاني القرآن بحديث النبي (صلوات الله وسلامه عليه) : «آية الكرسي سيدة آى القرآن» حيث قال : ويروي انه سأل أبي بن كعب (رض) فقال : اى آية معك في كتاب الله اعظم ؟ فقال : (الله لا اله الا هو الحي القيوم) فضرب في صدره ، وقال : ليهنك العلم أبا المنذر « (٢). ومثل ذلك كثير (٣) ، وربما ذكر السبب رغبة في اظهار مدى معرفته وسعة اطلاعة ، لانه لايفيد غرضاً ولايحقق هدفاً في الاستشهاد ، ومما يدعنا نكبر عالمنا ونجله استشهاده بالحديث بلفظتين مختلفتين والمعنى واحد ، وقد اشار الى ذلك ونبه عليه ، غير انه ذكر ان الاول احسن ، لانه أبلغ معنى ، قال : في باب (الايجاز بالتقدير) : (ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) (المضعف امير الركب) . وقد ورد آخر هذا الحديث بلفظ آخر فقال (صلى الله عليه وسلم) (سيروا بسير أضعفكم) إلا أن الاول احسن ، لانه ابلغ معنى ، فان الامير واجب الحكم ، فهو يتبع . واذا كان المضعف امير الركب كانوا مؤتمرين له في سيرهم ونزولهم ، وهذا المعنى لا يوجد في قوله (سيروا بسيرا ضعفكم)» (٤). وليت النحويين فعلوا فعله ، فلم يقل الرجل إن احد الحديثين لم يكن من لفظ النبي (عليه الصلاة والسلام) وانه مروى بالمعنى .

استشهاد ابن الاثير باقوال العرب المنتورة :

اما قول العرب المنتور فقد استشهد بكثير من اقوال الاعراب وامثالهم ومحاوراتهم ، ومن يطلع على شواهد النثرية يجده قد استفاد كثيراً من أقوال الاعراب الفصحاء ، وهو يذكر اقوالهم غير منسوبة كقوله قال بعض

(١) المثل السائر ، ينظر ٢/١٨٥ ، ٢٦٨ ، ١٩٨ ، ٣٥٠ مثلاً .

(٢) المثل السائر ٢/٢٦٨

(٣) المثل السائر ، ينظر ٢/٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٣/٦٤ ، ٦٥ ، ٨٤

(٤) المثل السائر ، ٢/٣٤٠ - ٣٣١

الاعراب (١) ، او قال اعرابي (٢) ، وقد نص على « ان العرب هم الاصل في اللغة » (٣) ، وهو يصرح ببلاغتهم مستشهداً بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: وقال بعض الاعراب في دعائه : (اللهم هب لي حقلك ، وارض عني خلقك فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (هذا هو البلاغة) (٤) . ولم تفتته محاوراتهم واقوالهم المتداولة فيما بينهم ، من ذلك مثلاً قوله : « إن أعرابياً ذم رجلاً فقال : « كان اذا سأل أخف ، واذا سئل سؤف ، يحسد على الفضل ، ويزهد في الافضال » (٥) . وقوله : «واما قول العرب (ارسلت) - وهم يريدون ارسلت السماء - فان هذا يقولونه نظارا الى الحال ، وقد شاع فيما بينهم ان هذه كلمة تقال عند مجيء المطر» (٦) او يقول : « وبلغني عن العرب انهم يقولون عند رؤية الهلال « لامرحبا باللجين مقرب اجل ومحل » وهذا من باب الاستعارة في طي ذكر المستعار له (٧) . واحياناً يأتي باقوال فصحاء العرب مع التنويه باسماء القائلين كاستشهاده باقوال : (الزباء) (٨) والحجاج (٩) وعبد الملك بن مروان (١٠) .

واظهرت الدراسة انه تعدى ما في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ودواوين الشعراء من شواهد الى ما يجده في بطون الكتب الادبية

(١) المثل السائر ، ينظر ٢٣١/١ مثلاً

(٢) المثل السائر ، ينظر ١٦٨/٣ ، ١٦٩ ، ١٩١

(٣) المثل السائر ٤٠٣/١

(٤) المثل السائر ٣٤٩/٢

(٥) المثل السائر ٣٥٦/١

(٦) المثل السائر ٢٨٧/٢

(٧) المثل السائر ٩٨/٢

(٨) المثل السائر ، ينظر ٩٤/٢

(٩) المثل السائر ، ينظر ٨٨/٢

(١٠) المثل السائر ، ينظر ١٠٠/٢

والتواريخ من اقوال لفصحاء العرب ومحاوراتهم . لكتاب السيرة النبوية لابن هشام والروضة للمبرد والاغاني للاصمعي والعتد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي (١) .

اما الامثال فقد عني بها عناية بالغة، فعندما يستشهد بمثل يبين أصل وضعه ، ويذكر ان الامثال ليست جميعها صالحة لاستعمال الشواهد . (٢) ومن استشهاده قوله في التشبيه: «وقد ورد في الامثال : (الليل جنة الهارب) وهذا تشبيه حسن (٣) ولم يفته وهو يستشهد بها ان يبين ما كان منها مولد ، ففي الترصيع قال: «وفي الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب ، وهو: «من اطاع غضبه اضاع ادبه» . قد (أطاع) بأزاء (اضاع) و(غضبه) بأزاء (أدبه) (٤) .

ولم تفته اقوال الناس ومحاوراتهم التي تدور بينهم مما يسميه بنفسه مباشرة او يطالع عليه في بطون الكتب، من ذلك مثلا استشهاده في (المشبه بالتجنيس) بقول احمد بن حنبل لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب: « الصديق لا يحاسب والعدو لا يحتسب له » (٥) وهو يشرح لنا كيف كان يعني بالسماح عناية فائقة مستفيداً مما يسمعه يدور بين الناس في توضيح الصورة الفنية التي يرسمها، ويؤيد الظاهرة البلاغية: «وقد سمعت حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فهو أحق بها اذا وجدها) جعلت كدى في تتبع اقوال الناس في مفاوضاتهم ومحاوراتهم فانه قد تصدر الحكم والامثال والاقوال البليغة ممن لا يعلم مقدار مايقوله ، فاستفدت بذلك فوائد

(١) المثل السائر ، يلظر ٣٦٧/١ ، ٣٣٧/٢ ، ٢٥/٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٥٤

(٢) المثل السائر ٦٣/١

(٣) المثل السائر ١٣٥/١ ، وينظر ١٣٠/١ ، ١٩٢ ، ٦٦/٣

(٤) المثل السائر ٣٦٣/١

(٥) المثل السائر ٣٥١/١

كثيرة لا احصرها عدداً، وانا اذكر منها طرفاً، يستدل به على اشباهه ونظائره فمن ذلك اني سرت في بعض الطرق، وفي صحبتي رجل بدوي من الأنباط لا يعتد بقوله، فكان يقول: «غداً تدخل البلد. وتشتغل عني». وكان الامر كما قال ثم لقيني فقال: (من تروى فترت عظامه) وهذا القول من الأقوال البليغة. وهي من الحكمة التي هي الضالة عند مؤمني الفصاحة والبلاغة. (١) ويظهر أنه سمع كثيراً من اقوال الناس وحفظ منها ما حفظ مكثفياً بذكر ما يفيد منها في دراسته قال وهو بصدد نصيح المتصدي للشعر او الخطابة بعد ان ذكر كثيراً من اقوال الناس التي سمعها ولو اخذت في ذكر ماسمعه من هذا لاطلت، وانما دلت بيسير ما ذكرته على المراد» (٢).

موقفه من الشعر والشعراء واستشهاده بالشعر:

الشعر ديوان العرب، وحافظ مآثرهم، ومقيد أحسابهم، فلم يكن لهم شيء يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم الا الشعر، ولما جاء الاسلام بقيت له المترلة نفسها حيث كان المسلمون يتناشدونه حتى في المساجد، ويتمثلون به عند عقدهم أمراً من امورهم، ثم بدأوا تفسيرهم القرآن الكريم بالشعر، قال ابن فارس: «الشعر حجة فيما اشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه وحديث رسوله (صلى الله عليه وسلم) (٣). ولما بدأت الدراسات في مختلف علوم اللغة بعد ذلك، اعتمد عليه الدارسون يستخرجون منه شواهد يستنون اليها في ترسيخ اصول دراساتهم واقامة قواعدها، اضافة الى المصادر الاخرى، لوفورته وسهولة حفظه، قال الجاحظ: «ان حفظ الشعر أهدي على النفس، واذا حفظ كان أعلق وأثبت وكان شاهداً، وان احتيج الى ضرب المثل كان مثلاً» (٤)، غير ان التحوين جعلوه مصدرهم الاول في دراساتهم، فقد «لقي الشعر اهتماما كبيراً منهم واعتبروه الدعامة الاولى

(١) المثل السائر ١٠٠/١ - ١٠١ وينظر ص ١٠٤

(٢) المثل السائر ١٠٣/١

(٣) الصحابي ص ٢٣٠

(٤) الحيوان ٤٩٠/٦، طبعة دار صادر - دار بيروت (بدون تاريخ).

لهم ، حتى لقد تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد واصبحت مقصورة على الشعر فقط ، ولذلك نجد كتب الشواهد لا تحوي غير الشعر ولا تهتم بما عداه» (١) .

اختلف البلاغيون عن اللغويين والنحويين في الاستشهاد بالشعراء لاختلاف طبيعة كل علم . فالبلاغيون يستشهدون بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعاني ، فالبلغي كان يكفيه من الشاهد ان يكون حاويا على ما يعزز تحديده الظاهرة الاسلوبية او البلاغية دون السؤال عن قائله والزمن الذي قيل فيه ، في حين يستشهد اللغويون والنحويون والصرفيون بكلام العرب الفصحاء لان المعبر فيها ضبط الفاظهم ، (٢) لهذا حددوا زمن من يستشهد به من الشعراء ، فهم على الاغلب يستشهدون بالشعراء الى حدود منتصف القرن الثاني ، فيعدون ابراهيم بن هرمة (١٥٠هـ) آخر الحجج ومعنى ذلك انهم لم يجوزوا الاستشهاد بشعراء مجيدين كبشار (١٦٧هـ) وابي نواس (١٩٨هـ) ومسلم بن الوليد (٢٠٨هـ) وابي تمام (٢٣١هـ) والبحترى (٢٨٤هـ) والمتنبي (٣٥٤هـ) مع ان منهم من نشأ نشأة عربية لا يطعن في سلامتها ، وفيهم شعراء مطبوعون امتلكوا ناصية العربية ، لكن النحويين عدوهم مولدين لانهم نشأوا في وقت فسدت فيه السليقة العربية ، وخالفهم في ذلك قسم من اللغويين والنحويين ، فقد اكثر ابن جني من الاستشهاد بالمحدثين (في المعاني) ، ولا سيما بالمتنبي (٣) كما استشهد الزمخشري (٥٣٨هـ) بابي تمام جاعلا ما يقوله بمنزلة مايرويه (٤) ، وتبعه رضي الدين الاستراباذي

(١) د. أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ص ٣١ ط ٣ ، القاهرة سنة ١٣٩٦هـ

- ١٩٧٦ م .

(٢) ينظر ابن حجة الحموي ، خزنة الادب ص ٥ ، نشر المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٣هـ
(٣) ينظر ابن جني ، المحتسب . تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه ١/١٤١ ، ٢٣١ ، ٢٩٥ ، ١٩/٢ ، ١٣٠ ، ٢٠١ ، القاهرة سنة ١٣٨٩هـ والخصائص . تحقيق: محمد علي النجار ١/٢٤٤ ، ٢٣٩ . ط (٤) دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١هـ=١٩٥٢هـ .
(٤) ينظر الكشاف ١/٤٣ ، ط القاهرة ١٣٥٤هـ

(٦٨٦هـ) الذي استشهد بابي تمام وغيره من المحدثين (١) ، واستشهد ابن السيد البطلوسي (٥٥١هـ) (٢) بالمتنبي وشهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩هـ) (٣) بالمحدثين .

على الرغم من شاعرية المحدثين وقلة اختلافهم عن المجيدين في عصور نخلت ، فان كثيرا من العلماء نقدوهم وعابوهم ، على ان آخرين قد خرجوا ماعد خطأ بوجوده من التأويل ، ومن الأنصاف ان نقول ان موقف بعض الناقدين لا يخلو من تعصب للتقديم لقدمه وتفضيله على الجديد ، ومصادق ذلك ما قاله ابن قتيبة (٢٧٦هـ) : « رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر ، لتقدم قائله ويضعه متخير ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه ، ورأى قائله » (٤) ، وهاهوذا ابو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) يقول : « لو اردك الاخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قدمت عليه جاهليا ولا اسلامياً » (٥) .

أما ابن الاثير فقد وقف موقفاً فريداً بين العلماء في هذا الصدد ، فهو لم يعتمد على المحدثين في الاستشهاد كغيره من البلاغيين فحسب ، بل فضلهم في كثير من الاحيان على الشعراء الاقدمين « واما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فابدعوا واطهروا منه كل غريبة » (٦) ويرى ان التقدم الزمني ليس له كبير اهمية في تقديم شاعر على شاعر ، ومن اقواله : « ان إطلاق قول القائل بأن المتقدم افضل من المتأخر قول غير متجه » (٧) ويرفض فكرة تفضيل النص القديم والاقتصار عليه ولا يتفق مع القائلين بها فيقول : « ان سلمت

(١) ينظر رضي الاسترادي ، شرح كافية ابن الحاجب ١/٦٦ ، ٧٧ ، ١٩٠ ٢/٦٨٧ (١) ، المطبعة العامرة ، استانبول ١٢٧٥هـ .

(٢) ينظر الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٨/١ ،

(٣) ينظر شرح درة الخواص ص ١٩٢

(٤) الشعر والشعراء ص ٧

(٥) الاصمعي ، فحوالة الشعراء ص ٢٤ . ط القاهرة ١٩٥٣م

(٦) ينظر المثل السائر ٣/١٢٣

(٧) الاستدراك ص ٦

ان الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحضروا وسكنوا البلاد ، ولم يروا البادية ولا خلقوا بها ، وقد اجادوا في تأليف النظم والشعر ، وجاعوا بمعان كثيرة ماجأت في شعر العرب ، ولا نطقوا بها؟ (١) فهو نائر على التقليد القديم يعلن رأيه في هذه المشكلة في صراحة وجرأة في ثورته النقدية محاولا اظهار تفوقه في النقد والبلاغة (٢) ، فيفضل اولا ثلاثة من الشعراء الاسلاميين ، ويجعلهم اشعر من الجاهليين فيقول: «والذي اداني اليه نظر الاجتهاد دون التقليد ان جريرا والفرزدق والاختل اشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية ، وبينهم وبين اولئك فرق بعيد» (٣) ومن وقف على الاشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ماشرت اليه.. فانهم اجادوا في كل ما اتوا به من المعاني المختلفة» (٤) ثم يتقدم بجرأة اكثر مجاهرا بتفضيل ثلاثة شعراء محدثين على جميع الشعراء وهم ابو تمام والبحثري والمنتبي فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء. اما ابو تمام والمنتبي فربا المعاني ، واما البحتري فسررب الالفاظ في ديباجتها وسبكها ، وهؤلاء الثلاثة عنده ارباب الشعر ، فهم لاته وعزاه ومناته الذين «ظهرت على ايديهم حسنة ومستحسناته ، وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء (٥) ويذهب الى ان ختام الشعر على الثلاثة المتأخرين (٦). ويتوقع اسئلة تثار لتفضيله اياهم فيقول مبررا حكمه: «اني لم اعدل اليهم اتفاقاً ، وانما عدلت اليهم نظرا واجتهادا ، وذلك اني وقفت على اشعار الشعراء قديمها وحديثها ، حتى لم اترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على

(١) المثل السائر ٤/٢ . وقال ما يشبه هذا في كتابه (الاستدراك) ص ٢٤ - ٥

(٢) الاستدراك ، مقدمة التحقيق ص ١٩

(٣) الاستدراك ص ٢٥

(٤) المثل السائر ٣/٢٧٣

(٥) المثل السائر ٣/٢٢٦ - ٢٢٧

(٦) المثل السائر ، ينظر ٣/٢١٩

المحك الا وعرضته على نظري، فلم اجد اجمع من ديوان ابي تمام وابي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجا منهما للظيف الاغراض والمقاصد ولم اجد احسن تهذيب للالفاظ من ابي عباد، ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكاً، فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ. ولما حفظتهما الغيت ماسواها مع ما بقي على خاطري من غيرها (١) ولذلك كان يرد على السابقين الذين فضلوا محدثاً آخر كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما الذين فضلوا بشارا وجعلوه اشعر المحدثين (٢) كما اكثر من الاستشهاد بهم، حتى لقد اعتمد في دراسته السرقات الشعرية عليهم (٣) ويقول: «ولم اجد في ضروب الاطناب احسن من هذا الموضع ولا اللطف وقد استعمله ابو تمام في شعره كثيرا، بخلاف غيره من الشعراء كقوله :
 زكي سجاياه تضيف ضيوفه»

ويرجى مرجيه ويسأل سائله

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه وصفه بصفات متعددة ، فجعل ضيوفه تضيف ، وراجيه يرجى ، وسأله يسأل ، وليس هذا تكريرا (٤). وفي معرض حديثه عن جوامع الكلم قال : وقد ورد شيء من ذلك في اقوال الشعراء المفلقين : فمما جاء من ذلك قول ابي تمام :

كم صارمٍ غضبٍ أناف على قفا

منهم لاعباء الوغى حمال

سبق المشيب اليه حتى ابتزّه

وطن النهى من مغرق وقذال

(١) المثل السائر ٣/٢٢٩

(٢) يلظر المثل السائر ٣/٢٧٢ - ٢٧٣

(٣) المثل السائر، ينظر ٣/٢٢٥ - ٢٩٢، بقول: وقد اكتفيت في هذا بشعر ابي تمام والبحثري والمتنبي .

(٤) المثل السائر ٢/٣٦٥

فقله : وطن النهى من الكلمات الجامعة ، وهي عبارة عن الرأس ، ولا
يجاء بمثلها في معناها مما يسد مسدها (١) . وقال في حل الأبيات الشعرية :
وأما ما يضيق فيه المجال ، فيعسر على الناثر تبديل الفاظه فكقول أبي تمام :
تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل الا وهي من سندس خضر
وقول أبي الطيب :

وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جنث القتلى عليها تمائم
وأمثال هذا لاتاتي الا قليلا ، وسببه أن المعنى ينحصر في مقصد من المقاصد
حتى لا يكاد يأتي فذا كهذين البيتين « . (٢) وهو يتابع الأستشهاد بشعرهم
كما في التشبيه (٣) والأستعارة (٤) والمشبه بالتجنيس (٥) مثلا .

وذهب الدكتور محمد زغلول سلام إلى أن اهتمام ابن الأثير بالطائنين
والمتنبي لم يكن اختيارا خاصا من وحي ذوقه بل كان صورة لذوق العصر
عامة (٦) وسواء اكان ذلك صحيحا ام لا فلسنا بصدد ذلك فحسننا ان نذكر
شواهد واستشهاده ، غير أننا لاننس أنه أديب ناقد بحكم ذوقه وحسه
الغني في النقد والاختيار بدليل قوله : « وكنت اذا مررت بنظري في ديوان
من الدواوين ، ويلوح فيه مثل هذه الألفاظ (جوامع الكلم) أجد لها نشوة
كنشوة الخمر ، وطرباً كطرب الالحان » (٧) ، كما لم يقتصر في استشهاده
على الشعراء الثلاثة الذين فضلهم - وان اكثر الامتسهاد بهم - ، كما
لم يمنعه ذلك من تبيان ردىء شعرهم ، واستحسان شعر غيرهم ، وقد نص
على ان امرأ القيس قد اخترع شيئاً لم يكن قبله ، فمن ذلك انه اول من

(١) المثل السائر ٩٨/١

(٢) المثل السائر ١٣٣/١ - ١٣٤

(٣) المثل السائر ، ينظر ٢٤٣/٢ - ١٤٤

(٤) المثل السائر ، ينظر ١٠١/٢ - ١٠٤

(٥) المثل السائر ٣٥٢/١ - ٣٥٥

(٦) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦١ .

(٧) المثل السائر ٩٨/١

عبر عن الفرس بقوله : قيد الأوابد . ولم يسمع ذلك لاحد من قبله (١) .
 وقال بعد ان انهى استشهاده بأبيات للمتنبي وأبي تمام وأبي نواس على
 التخلص : «ولا تظن ان هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة
 واللطافة ، وفات من تقدمهم لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع ، بل
 قد تقدم اولئك إلى هذا الاسلوب وان اقلوا منه واكثر منه المحدثون ،
 وأي حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا اليه؟ وكيف لا وهم
 اهله ومنهم علم وعنهم اخذ؟ (٢) ، وطبيعي أن من كان هذا رأيه يرد
 رداً منطقياً صائباً قول ابن افلح البغدادي في مقدمته البلاغية : « ليس للعرب
 من المعاني المبتدعة شيء ، وانما اختص بها المحدثون » وبزيفه (٣) ، ولولا
 خوف الاطالة لذكرته لكم . فقد كان الرجل منصفاً غير متعصب ، فلم
 يمنعه تفضيله الشعراء الثلاثة — كما رأينا — من استحسان شعر غيرهم
 فيقول ، — مثلاً — عن ابي العتاهية : « اذا تأملت شعره وجدته كالماء الجاري
 رقة الفاظ ، ولطافة سبك ، ليس بركيك ، ولا واه . وكذلك ابو نواس ،
 وبهنا قدم على شعراء عصره » (٤) . وكل شعر ابي العتاهية سهل الالفاظ ،
 وسأؤيد منه هاهنا شيئاً يستدل به على سلامة طبعه ، وترويق خاطره . فمن
 ذلك قصيدته التي يمدح فيها المهدي ويشب بجاريتته (عتب) :

الا مالسيدتي مالها تدل فأحمل إدلالها
 الا إن جارية للاما م قد سكن الحسن سربالها
 لقد أتعب الله قلبي بها واتعب في اللوم عذالها
 فلما وصل إلى المديح قال من جملته :

اتته الخالفة منقادة

اليه تجرر اذبالها

(١) المثل السائر ١/١٠٩

(٢) المثل السائر ٣/١٣٧

(٣) المثل السائر ، ينظر ٥٩/٢ - ٦٣

(٤) المثل السائر ١/٢٥٠

فلم تك تصلح الا له
ولم يكن يصلح الا لها
ويحكى ان بشارا كان شاهدا عند انشاد ابي العتاهية، فلما سمع المديح. قال :
انظروا إلى امير المؤمنين، هل طار عن اعواده، يريد هل زال عن سريره
طربا بهذا المديح. ولعمري ان الامر كما قال بشار . وخير القول ما اسكر
السامع» (١) ثم ارجو ان تسمعوا ماذا قال عن ابي تمام : «ومن اقبح ما سمعته
من ذلك قول ابي تمام :

وتقاسم الناس السخاء مجزءا
وذهبت انت برأسه وسنامه

وتركت للناس الإهاب وما بقي
من فرثه وعروقه وعظامه
والقبح الفاحش في البيت الثاني. وكل هذا التعسف في التشبيه البعيد دندنة
حول معنى ليس بباطل، فان غرضه ان يقول: ذهب بالأعلى، وتركت للناس
الأدنى، او: ذهبت بالجيد، وتركت للناس الرديء (٢)، وقال عن بيت
له يصف جملا

تَأْمَكِيهِ نَهْدِهِ مُدَاخِلِيهِ
مَأْمُومِهِ مَحْزَلِيهِ أَجْدِيهِ
من المعاظلة التي قلع الاسنان دون ايرادها (٣) . ومما عاب به المتنبّي قوله في
التشبيه :

وجرى على الورق النجيع القاني
فكأنه النارج في الأغصان

(١) المثل السائر ٢٥٠/١ - ٢٥١

(٢) المثل السائر ١٥٤/٢. الاهاب: الجلد. والفرت: السرجين في الكرش

(٣) المثل السائر ٤٠٨/١. تأمكه: حديثه. نهده: ثديه. محزله: مرتفع سبره اجده: فقرات

فجعله من التشبيهات الباردة (١). وفي معرض حديثه عن المعاظلة اللفظية ذكر بيتا للمتنبي، وانتقده بشدة وجعله من اقبح عيوب الالفاظ، وذلك قوله :

كيف ترى التي ترى كل جفن

راءها غير جفنها غير رائتي

ثم قال معقبا: «وهذا وامثاله انما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الايام» (٢).

ارأيتم كيف كان الرجل منصفا غير متعصب؟ ولم يكن مقلدا احدا وانما كان ذواقة لحسن الكلام وجميله يحكم ذوقه السليم واحساسه الفني فيه، ولذلك لم يعب شعراءه الاثيرين لديه في بعض شعرهم فحسب بل خطأهم وجعلهم من الجاهلين في اللغة، فهو الذي قال: «وقد غلط ابو تمام في قوله :

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت

قبواعد الملك ممتدا لها الطول

الا ترى انه قال (اطأدت) والصواب (اتطدت) لان التاء تبدل من الواو في موضعين: احدهما مقيس كهذا الموضع، لأنك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت (اتعد). ومثله ماورد في البيت وصوابه (اتطد) « (٣) وكذلك خطأ المتنبي في وصف ناقته حيث قال:

وتكرمت ركباتها عن مبرك

تقععان فيه وليس مسكا اذفرا

فجمع في حال التثنية، لان الناقة ليس لها الا ركبتان، فقال (ركبات) وهذا من اظهر ظواهر النحو، وقد خفي على المتنبي (٤).

(١) المثل السائر ١٥٧/٢ والنجم : الدم. القاني : الاحمر الشديد الحمرة

(٢) المثل السائر ٤٠٢/١

(٣) المثل السائر ٥٣/١

(٤) المثل السائر ٥٥/١

منهجه في الاستشهاد بالشعر :

اما منهجه في الاستشهاد بالشعر فمتأثر بالمدرسة الادبية التي كان من ابرز رجالها، ولهذا نراه قد اتى بمئات الابيات في كتابه محكما ذوقه السليم في اختيارها مستندا اليها فيما يقرره من احكام، من ذلك مثلا استشهاده في (الايجاز بالتقدير) بعشرة ابيات لجريز من قصيدته التي اولها :

سرت الهموم فبتن غير نيام

واخو الهموم يروم كل مرام

قال بعدها: وحلاوة هذا الكلام احسن من ايجازه. ومن هذا الضرب قول ابي نواس وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضوع، ثم استشهد بستة ابيات (١) ورأيته في عدة مواضع يستشهد بدل البيت ببضعة ابيات من شعر الشاعر كما فعل حينما استشهد في موضوع (الصناعة المعنوية) بثمانية ابيات لابي تمام فبسعة ابيات للبحثري، ثم اردفها باربعة ابيات للمتنبى في وصفه (الحمى) (٢). حتى لقد أتى بقصيدته التي مطلعها:

أينفع في الخيمة العذل

وتشمل من دهر مايشمل

واستشهد بخمسة عشر بيتاً منها على حسن المعنى واعقبها بقوله : هذه الابيات قد اشتملت على معان بديعة ، وكفى المتنبى فضلا ان يأتي بمثلها (٣) . ووضح دليل على اكثر ابن الاثير من الشواهد محكما ذوقه في اختيارها استشهاده في (الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية) بستة ابيات للبحثري في معابة الفتح بن خاقان واولها :

هل يجلسن اليّ عطفك موقف

ثبتُ لديك اقولُ فيه وتسمع

(١) المثل السائر ٣٤٣/٢ - ٣٤٥

(٢) المثل السائر، ينظر ٧/٢ - ٩

(٣) المثل السائر ، ينظر ١٠/٢ - ١٢

وموضع الشاهد في البيت الاول . وقوله : «وهذه ابيات حسنة» مليحة «في بابها ، يمحي بها حر الصدود ، ويستمال بها صر الخدود ، وانما ذكرتها بجملتها لمكان حسنها ، والبيت الاول هو المراد (١) . ومثل هذا كثير (٢) . وربما استشهد بقصيدة كاملة كاستشهاده بقصيدتين الاولى لابني تمام والثانية للمتنبى في (السراقات الشعرية) (٣) . وكان له مما حفظه من الشعر - كما اشرنا - معين لا ينضب - ومما يدل على كثرة حفظه ان السراقات الشعرية - وقد درسها وألف فيها كتاباً - لا يمكن الوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة (٤) ، وقد علل اعتماده على الشعر بقوله : «إن الاشعار اكثر والمعاني فيها اغزر وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كان جل كلامهم شعراً ، ولانجد الكلام المنثور في كلامهم الا يسيراً ، ولو كثر فانه لم ينقل عنهم ، بل المنقول عنهم هو الشعر ... والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر» (٥) وهو يخالف الرأي السائد لدى الناس ، وان كانت النتيجة واحدة هي قلة النثر الذي وصل الينا ، فابن رشيق يقول :

«قد اجتمع الناس على ان المنثور في كلامهم اكثر ، واقل جيداً محفوظاً ، وان الشعر اقل ، واكثر جيداً محفوظاً» (٦) ومع ذلك فان استشهاده الجم بالقرآن الكريم واعتماده عليه وعلى الحديث النبوي بدون قيد او شرط - كما قدمنا - قد عوض عن قلة كلام العرب المنثور المحفوظ . وكان إلى جانب ذلك مختاراً ومنتخباً مما حفظه من الشعر الذي يفيد في دراساته (٧) ، واختياره له أو نقده اياه بعد تروية وتفكير : «ولقد مارست

(١) المثل السائر ٢/٢٤٩

(٢) المثل السائر ، ينظر مثلاً ١/٣٥٥ ، ٢/٣٦٥ .

(٣) المثل السائر ، ينظر ١/٣٥٥ ، ٢/٣٦٥

(٤) المثل السائر ، ينظر ١/٩٨ ، ٣/٢٢٩

(٥) المثل السائر ، ينظر ٣/٢٢١ - ٢٩٢

(٦) المثل السائر ١/١٣٧

(٧) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ١/٢٠ ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م

من الشعر كلّ اول وأخير ، ولم اقل ماقول فيه الا عن تنقيب وتنقيير»(١)
ولا يصدر حكماً الا بعد استقراء للشعر ، قال بصدد تقسيمه المعاطلة
اللفظية : « إني تأملته بالاستقراء من الاشعار قديمها ومحدثها » (٢)
وقال في (عكس الظاهر) : «ولقد مكثت زماناً اطوف على اقوال
الشعراء ، قصدا للظفر بامثلة من الشعر جارية هذا المجرى ، فلم اجد الا
بيتاً لامرئ القيس وهو :

على لاحبٍ لايهتدي لمناره

اذا ساقه العود الديقافي جرجرا

فقوله : لايهتدي لمناره . اي ان له مناراً الا انه لايهتدي به ، وليس المراد
ذلك بل المراد انه لامنار له يهتدي به» (٣) . ومما يعجبني في منهج ابن الاثير
انه كان لا يقيس على الشعر مع كثرته اولا ، والثاني أنه فرّق بين لغة الشعر
ولغة النثر في إصدار الاحكام ، وهذا رأي سديد ومنهج صائب في الدراسة
لأن الشعر لغته التي تختلف عن لغة النثر ، فهو غير حر ، بل مقيد بسلاسل
اقامة وزنه وتطبيق شروط قافيته : «قال في حذف الموصوف والصفة واقامة
كل منهما مقام الآخر :

«ولا يكون اطراده في كل موضع ، واكثره يجيء في الشعر ، وانما كانت
كثرته في الشعر دون الكلام المنثور لامتناع القياس في اطراده» (٤) ، اما
الالفاظ الغريبة فليست بالحسن عنده سواء ، بل يفرق بين لغة الشعر ولغة
النثر ، فالغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ، ولا يسوغ في الخطب
والمكاتبات ، وهذا شيء استخرجه بنوقه ، واتهم بالجهل او العناد لعدم

(١) المثل السائر ٢٢٧/٣

(٢) المثل السائر ٣٩٨/١

(٣) المثل السائر ٢٥٨/١

(٤) المثل السائر ٣١٢/٢ - ٣١٣

الدوق السليم كل من ينكر هذا الرأي (١) بغض النظر عن الالفاظ التي اتى بها مثلاً .

وقد يحلو له ذكر سبب نظم الشاعر القصيدة التي يستشهد بيت
او ابيات منها (٢) او ذكر الغرض الذي قيل فيه الشاهد (٣) ، او بذكر
مطالع القصيدة (٤) وربما كان لاطلاعه الواسع على الشعر ورغبته في اظهار
تلك المعرفة ، او إفادة القارئ وتنمية معارفه ، ماجعله يفعل هذا ، لكنه
كان - احياناً - يجتزئ موطن الشاهد مكتفياً بنصف بيت (٥) ، والظاهر
انه لم يجد في تتمته او في القصيدة التي اخذ منها ما يعجبه فيها لكي يثبتته
في كتابه ، فلو كانت انصاف الابيات التي اوردها لشعراء مجهولين لقلنا
انه لم يذكرها لجهله بها ، وانما رأيته يستشهد بأنصاف أبيات لشعراء
معروفين كذى الرمة (٦) والأخطل (٧) والقطامي (٨) وامري القيس (٩)
وابي تمام (١٠) والبحري (١١) والمتنبي (١٢) .

اما نسبه الشعر الى قائله فقد كان لا يختلف في هذا عن ائمة اللغة
والنحو والبلاغة في شيء ، فقد رأيته في اغلب الاحيان ينسب الشعر الى
قائله ، و احياناً يعفيه من النسبة مكتفياً بذكر كلمة أو قال : (١٣) أو

(١) البيان العربي ٢٠٩ - ٢١

(٢) المثل السائر ، ينظر مثلاً ٦٦/٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٦٥ ، ١٥٢

(٤) المثل السائر، ينظر ٤٠٢/١ ، ٤٠٧ ، ٢٥٩ ، ١٠٤/٢ ، ١٠٦ ، ٥٠

(٥) المثل السائر ، ينظر مثلاً ٢٧٠/١ ، ٢٧٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ مثلاً
١٠٠ ، ٨٩ ، ٨٨/٣ و ٥٨/٢

(٦) المثل السائر ٩٨/٣

(٧) المثل السائر ٩٨/٣

(٨)(٩)(١٠) المثل السائر ٨٨/٣ ، ١٠٢

(١١) المثل السائر ١٠٠/٣

(١٢) المثل السائر ١٠٢/٣

(١٣) المثل السائر : ينظر : ٩٧/٣ ، ١٠٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨

(وقال الشاعر) (١) أو (ومن ذلك قول بعضهم من شعراء الحماسة) (٢) أو (وقال بعض شعراء الحماسة) (٣) أو (وقول بعضهم) (٤) مثلاً . وقد لاحظت ان قسماً من الشعر غير المنسوب لشعراء معروفين كما ان القسم الاخر لشعراء مجهولين . ووجود الشواهد المجهولة في كتب علوم اللغة ظاهرة عامة ، وقد جاء نتيجة الاعتماد على الطريقة الشفوية في تداول وتناقل النصوص الادبية مدة زادت على قرنين من الزمان قبل تدوينها ، حيث ظل الرواة والناس يتداولونها معتمدين على الذاكرة ، التي قد يعثرها النسيان ، وربما كان السبب ان هذه الايات كانت مفردة او في قطع شعرية قالها اعراب لم يشتهروا بقول الشعر ، فاهمل الرواة ذكر اسمائهم ولهذا نسيت بمرور الازمان ، وربما كان قسم منها مصنوعاً وضعه الرواة او العلماء . على ان خطورة هذه الظاهرة في البلاغة لاتقاس بخطورة وجودها في كتب النحو ومن هنا كان تنديدنا بالنحويين—في دراسات اخرى — (٥) لأنهم اعتمدوا على الشعر — وهذه احدى عيوبه — فجعلوه مصدرهم الاول ، فلم يفيدوا الفائدة المرجوة من القرآن الكريم ، وهو ماهو فصاحة وبلاغة ونثراً موثقاً .

شواهد من رسائله :

استشهد ابن الاثير بقسم من رسائله وانشاءاته التي حررها في مناسبات شتى في المثل السائر ، ولاسيما في حل آيات القرآن الكريم والايخبار النبوية والايات الشعرية ، وتضمن الامثال ، ورسائله تحتاج الى دراسة نقدية متخصصة لأظهار قيمتها الادبية — وهي خارج نطاق هذا البحث — ولا بأس

(٢) المثل السائر: ينظر: ٨٩/٢ ، ١٠/٣ ، ١٧٨ ، ٢٤٦

(٣) المثل السائر، ينظر: ٢١٣/١ ، ٣٧٢ ، ٣٩٠ ، ٢٧٠/٢

(٤) المثل السائر ، ينظر: ٣٧٢/١ ، ٣٨١ ، ٦٠/٢ ، ٦٢ ، ٣١٦ ، ٣

(٥) المثل السائر ، ينظر: ٢٤٦/١ ، ٣٣٨ ، ٣٦٢ ، ٢٦٦/٢ ، ٦٨ ، ١٣١ ،

٢٥٨ ، ٨٢/٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢٠١ ، ٢١٥

(٦) الشواهد والاستشهاد في النحو، يلظر ص ٤٠ ، ١٣٥ ، ٢٢٣ ، ٢٧٢ ، ٣ . ٣٤

من القاء بعض الضوء عليها . فقد كان ابن الاثير ادبياً كبيراً وكاتباً من كتاب الدواوين وهو الذي يقول : «ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي اسرارها ، واطفرتني بكنوز جواهرها» (١) وقال ابن خلكان : « وله معنى مليح في الترسل ، وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله : فاذا انشأ رسالة انشأ مثلها ، وكان بينهما مكاتبات ومجاولات» (٢) ، وكل اديب هو نتيجة لثقافته وموهبته وبيئته وعصره ، وقد عاش ابن الاثير في عصر مضطرب وساهم في السياسة وتنقل من بلد الى آخر ومن امير الى امير ومن منصب الى منصب وقد هيأت له هذه الحياة مادة الوصف ومادة الكتابة (٣) ووسعت افق اطلاعه وكتابات الاديب تمثل روح عصره ومن «يعرف اساليب الكتابة في العصر الذي عاش فيه عالمنا يعرف انها كانت تمتاز امتيازاً ظاهراً بلزوم السجع واستعمال الجناس وبعض انواع البديع واستخدام معاني الشعر والفاظه في كتابة الرسائل بحل الابيات السائرة والحكم المأثورة ، حتى كادت الرسائل تكون شعراً مثوراً (٤) ، لهذا نراه يظهر» قيمة السجع في الكلام ويدافع عنه ، ولا يرى وجهاً لذمه الا العجز عن الاتيان به (٥) ، والا ما كان متكلفاً كسجع الكهان ، قال : والا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم ، فانه قد اتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعاً مسجوعة ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر وغيرها (٦) . وما ذلك الا لأنه فن كان يحسنه ويبدع فيه . وحسبنا ان نذكر ان ما استشهد به من رسائله في المثل السائر شهد له فيها خصومه وناقده . قال ابن ابي الحديد في (الفلك الدائر على المثل السائر) الذي صنفه

(١) المثل السائر ١٢٦/١ - ١٢٧

(٢) وفيات الاعيان ٢٨٧/٢ وما بعدها

(٣) الجامع الكبير، مقدمة المحققين ص ٣١ - ٣٢

(٤) د. بنوى طبانة، البيان العربي ص ٢٠١

(٥) جرسن الالفاظ ص ٢٢٩

(٦) المثل السائر : ينظر ٢٧١/١ - ٢٧٨

للغرض من قدر المثل السائر وصاحبه : « اطلعت على الكتاب فوجدت فيه المحمود والمقبول والمردود والمرذول ، اما المحمود منه فانشاؤه وصناعته فانه لا بأس بذلك الا في الاقل النادر» (١) . وتلك شهادة ذات مغزى حتى ان صلاح الدين الصفدي لم يكتف اعجابه بشر ابن الاثير ، وجعله افضل من نثر ابن ابي الحديد ، و«اقعد منه عند اولي البصائر» (٢) مع انه جاء لنصرة ابن أبي الحديد في ثورته على المثل السائر .

منهجه العام في الاستشهاد :

ويسرني في ختام بحثي هذا ان اذكر منهجه العام في الاستشهاد فقد تبين لنا من خلال البحث اهمية كل مصدر ، فالقرآن الكريم هو المصدر الاول في دراساته البيانية ، ويأتي الحديث النبوي الشريف بعده ، فكلام العرب المنثور والمنظوم اما منهجه العام في تناول الشواهد من هذه المصادر والاستشهاد بها ، فهو لم يعتمد منهجا واضحا في ايرادها حسب اهمية مصادرها لديه ، ولكنه على العموم يفضل الاستشهاد بالقرآن الكريم ، لأنه مصدره الاول - كما ذكرنا - فان وجد فيه ضالته المنشودة فذلك خير وأقوم ، فان لم يجد ، عدل عنه الى الحديث الشريف ، أو الى اقوال العرب فان لم يجد ، لجأ الى الشعر ، كما فعل في مواضع كثيرة من المثل السائر ، ففي التكرار مثلا استشهد بالآيات تلو الآيات (٣) .

وعند تكلمه على الموازنة استشهد بكثير من الآيات وقال : « وأمثال هذا في القرآن كثير ، بل معظم آياته جارية على هذا النهج ، حتى انه لا تخلو منه سورة من السور » (٤) : وفي باب (الاستدراج) استشهد بخمس آيات

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ٣٣/٣

(٢) نشرة النائر على المثل السائر ص ١٦ تحد : مناهل فخرالدين مطبوع بالالة الكاتبة سنة

١٩٦٨

(٣) المثل السائر، ينظر ١٠/٣ - ١١

(٤) المثل السائر ١/٣٧٩ - ٣٨٠ وعرفها : اي تكون الفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وان يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الالفاظ وزنا.

(١) ، وفي (الالتفات) استشهد بسورة الفاتحة كلها (٢) ، وفي موضوع التلخيص استشهد بسورة يوسف كما ذكرنا ورأيته في مواضع يذكر الآيات وموضع الشاهد في آخر آية ذكرها ، ولكن للآيات علاقة بالشاهد (٣). كما في استشهاده بست آيات من سورة مريم على حذف الجمل التي ليست بمفيدة حيث قال : « هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره ، وهو البشرى بالغلام ، وتقديرها : ولما جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (٤) ورأيته في مواضع أخرى بورد آيات القرآن مستشهدا بها فالاحاديث ، ثم اقوال العرب التي وردت في الكتب ، ثم يعرج مرة ثانية على الحديث كما فعل عند كلامه على (الايجاز بالتقدير) (٥) .

والظاهر انه حينما يشرح موضوعا او يصدر حكما او يقر رأياً يأتي بما يؤيد حكمه فيتناول الشاهد الذي يراه قوياً في ذلك الموضوع لكي يستند اليه في حكمه ذلك او تعزيز تحديده للظاهرة البلاغية او الاسلوبية ، سواء اكان قرآناً أم حديثاً أم شعراً ومن هنا نراه في مقابلة الشيء بما ليس بضده استشهد ببيت من الشعر لقريط بن انيف ثم اعقبه بأيتين من القرآن الكريم (٦) . وفي موضوع حذف الفعل وجوابه استشهد اولاً بمثل فأية ثم أردفهما بحديث . ثم قال : ومما ورد منه شعرا قول المتنبي :

إذا التوديع اعرض قال قلبي

عليك الصمت لاصاحبت فاكا (٧)

(١) المثل السائر ٢/٢٦٢

(٢) المثل السائر ، ينظر ٢/١٧٣

(٣) المثل السائر ، ينظر مثلا ٢/٢٦٥ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٧

(٤) المثل السائر ٢/٢٩٣

(٥) المثل السائر ينظر : ٢/٣٣٣ - ٣٣٠

(٦) المثل السائر ٣/٢٩٨

(٧) المثل السائر ٣/٦٢

واوضح دليل على رأينا هو قوله في الكناية: « واذا فرغت من ذكر الاصول التي قدمت ذكرها - وقد عززها بالشواهد - فاني اتبعها بضرب من الامثلة نثرا ونظما حتى يزداد مذكرته وضوحا (١) .

وبعد فهذا هو (ابن الاثير) لقد عرفناه من خلال دراستنا لشواهد واستشهاده في (المثل السائر) علما فذا قد اتخذ من كتاب الله الكريم مصدره الاول في دراساته النقدية والبلاغية اضافة الى اقوال العرب ، فسلك الطريق السوي للبحث ، الذي يجب ان يسلكه الباحثون ، فيجعلوا من القران الكريم قطب الرحي الذي تنحدر منه ضروب الدراسات في العلوم العربية كافة. وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .

عبدالجبار علوان النائلة

١. القرآن الكريم، المصدر الاول في الدراسات العربية
٢. الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان، المسماة بالماخذ الكندية من المعاني الطائية: ضياء الدين بن الاثير. تقديم وتحقيق: حفي محمد شرف، القاهرة سنة ١٩٥٨
٣. الاقتضاب في شرح ادب الكتاب: عبدالله بن السيد البطلوسي. ط١، بيروت ١٩٠١
٤. البلاغة عند السكاكي: الدكتور احمد مطلوب. ط١ بغداد ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م
٥. البيان العربي: د. بدوى طبانة ط٥، بيروت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م
٦. ثلاث رسائل في اعجاز القرآن:
 - (١) بيان اعجاز القرآن: ابو سليمان الخطابي
 - (٢) النكت في اعجاز القرآن: ابو الحسن الرماني
 - (٣) الرسالة الشافية: عبد القاهر الجرجاني
 تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ط٣، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٦م
٧. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور: ضياء الدين بن الاثير. تحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد. مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٥ = ١٩٥٦م
٨. جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدى عند العرب: د. ماهر هلال مهدي ط١ بغداد ١٩٨٠م.
٩. الحديث الشريف من مصادر الدرس النحوى: بحث من اعداد: عبد الجبار علوان النائلة. مجلة كلية الاداب / جامعة الموصل العدد الثالث عشر سنة ١٩٨١م
١٠. دراسات بلاغية ونقدية: الدكتور احمد مطلوب. ط١ بغداد ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م

١١. شرح درة الغواص في اوهام الخواص للحريري: شهاب الدين الخفاجي
ط١ مطبعة الجوائب، استانبول سنة ١٢٩٩هـ
١٢. الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري . تصحيح وتعليق: مصطفى السقا،
ط٢ ١٢ القاهرة ١٣٥٠هـ.
١٣. الشواهد والاستشهاد في النحو: عبد الجبار علوان النائلة، ط١ بغداد
١٣٩٦هـ=١٩٧٦م
١٤. الصحابي في فقه اللغة: احمد بن فارس . ط١ مطبعة المؤيد القاهرة
١٣٢٨هـ=١٩١٠م
١٥. ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد: محمد زغلول سلام ، مطبعة
الرسالة بالفجالة، مصر.
١٦. الفلك الدائر على المثل السائر : ابن ابي الحديد . تحقيق د. احمد الحوفي
ود. بدوي طبانة (مع المثل السائر في طبعة واحدة) بمطبعة دار نهضة
مصر ط١ ، القاهرة ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م
١٧. القزويني وشروح التلخيص : الدكتور احمد مطلوب ط١ ، بغداد
١٣٨٧هـ=١٩٦٧م
١٨. اللغة العربية وعلومها : عمر رضا كحالة . المطبعة التعاونية ، دمشق
١٣٩١هـ=١٩٧١م
١٩. لسان العرب : ابن منظور . دار صادر - دار بيروت ١٣٧٥هـ=
١٩٥٦م
٢٠. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير . تقديم
وتحقيق : د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، ط١ مطبعة نهضة مصر
٢١. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب : امين الخولي ط١ ،
٢٢. وفيات الاعيان وانباء الزمان : ابن خلكان . تحقيق : احسان عباس .
دار صادر - دار بيروت
- وهناك مصادر اخرى اکتفينا بذكرها في هوامش هذا البحث .

القيمة الادبية في كتاب الكامل في التاريخ
لعز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم
محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيواني المعروف بابن الاثير

الدكتور عبد الكريم توفيق العبود
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

القيمة الأدبية في كتاب الكامل في التاريخ

الأدب والتاريخ :

قدر لي أن اتصل بكتب التاريخ مرات عديدة ، ابحث فيها عمّا يهمني من نصوص تتصل بموضوعات أدبية هي مدار اختصاصي ، فإذا اتانا امام مواد أدبية كبيرة تعكس قوة الترابط بين الادب والتاريخ في مصادرنا العربية التاريخية، فتجعل الادب قريبا من التاريخ ، والتاريخ قريبا من الادب ، بل يكاد احدهما يكون الاخر - احيانا - ، ويوشك أن يطابقه إن لم يكن اياه ، وذلك حين يتقاربان ويلتقيان ، ويصبان في مجرى واحد ، هو مجرى تسجيل الوقائع والاحداث ، وتدوين تاريخ الفكر ، والفن ، وجوانب الحضارة الاخرى .

وبما ان الادب تعبير عن الحياة النفسية والعاطفية للامة ، وافصاح عن مشاعرها ، واحساساتها ، ومواقفها ازاء الاحداث الكبيرة التي يكون لها تأثير في حركة سيرها .

فالتاريخ لا يقصر على تسجيل الخبر والحدث ، وانما له معان كثيرة ، ومجالات متعددة ، فهو في اعتماده على الحقائق ، والوثائق ، وكل ما خلفته الامة من آثار ، وما تركته من اعمال فنية ، وأدبية ، يجعل ذلك كله للادب اهمية كبيرة ، في حقل التاريخ بمفهومه الحديث الواسع ، وذلك لما للادب من طاقة كبيرة ، وقدرة هائلة على تصوير مظاهر الحياة المختلفة ، وعكس الاجواء النفسية ، والعاطفية للامة وتسجيل مواقفها وآرائها ، وكثيرا ما يظل تأثير ذلك في الازمان اللاحقة باعتبار عصور التاريخ حلقات متتابعة ترسم سير التاريخ القومي الطويل للامة .

هذا ولما كان (من المسلم به ان اعلم ما يشف عن روح الامة هو ادبها) (١) ، استطعنا ان نشق بقوة العلاقة بين الادب والتاريخ ، والقراءة القرئية بينهما .

(١) من مقدمة الادب المقارن للدكتور محمد غليمي هلال ص ب

ولقد تطور التاريخ كثيرا ، ولم يبق «مقصورا على ناحية واحدة من نواحي الانسان ، بل تفرّع إلى تاريخه السياسي ، وتاريخه الاجتماعي وتاريخه الادبي، وتاريخ مشاهير رجاله، وتاريخ معاهده العلمية والفنية» (١) لينشأ عن التقاء هذه الروافد كلها مجرى كبير يمثل حضارة الامة، وذلك بما بذل فيها ابناؤها من جهود متواصلة في كل حلقات الزمن المتناسكة.

مفهوم التاريخ عند ابن الاثير :

ولقد بدا لي ان عز الدين بن الاثير الذي انجبته الموصل المدينة العربية الاصيلة ، قد ادرك بحسه المرهف ، ووعيه الواعي صدى هذا النهج الحديث للتاريخ ، فعكسه بصورته الجلية في كتابه المشهور : « الكامل في التاريخ » لذا فهو لم يكن مسجل خبر وحدث فحسب ، وانما كان مؤرخ حضارة عظيمة لامة عظيمة ، وهي الحضارة العربية الاسلامية ، بكل جوانبها السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والعلمية ، والنفسية ، والشعورية .

ولقد كان — ايضا — الثمرة الناضجة التي تغذت بجهود من سبقه من مؤرخي هذه الجوانب المختلفة ، ولنستمع اليه ، وهو يؤكد ذلك في خطبة كتابه «الكامل في التاريخ» ، حيث يقول :

«اما بعد : فاني لم ازل محبا لمطالعة كتب التواريخ ، ومعرفة مافيهها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيهها ، مائلا الى المعارف ، والآداب والتجارب المودعة في مطاويها ...» (٢) .

ويقول في موضع آخر :

«وذكرت في كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء ، والاعيان والفضلاء» (٣) ولعل خير ما يؤكد ما ذكرناه قول ابن الاثير نفسه عن كتابه المشهور : «.... وقد سميته اسما يناسب معناه، وهو : الكامل في التاريخ» (٤)

(١) من مقدمة الاستاذ منير القاضي على كتاب تاريخ علماء المستنصرية ص ١٠

(٢) الكامل في التاريخ ٢/١

(٣) الكامل ٤/١

طبيعة المواد الادبية في الكتاب ، وصفها ، وشخصية ابن الاثير فيها :
لقد كان حظ الادب في اعطاء الكتاب صفة «التكامل» حظا كبيرا
بسبب القيمة الادبية الكبيرة فيه كما سيتوضح فيما سنستقبله من الحديث ،
ولقد ساهمت عناصر بعضها مع بعض في تغذية الكتاب بالنصوص
الادبية ، وما يدور حولها ، ويتعلق بها ، منها :

مصادر المؤلف : فمن المعروف ان ابن الاثير تأثر بالطبري الذي
انهى كتابه التاريخي المشهور بنهاية سنة ٣٠٢هـ ، تأثرا كبيرا ، وعول على
كتابه كثيرا ، وقد صرح هو نفسه بذلك في المقدمة (١) ، على ان ذلك لم
يمنعه من النقل من تواريخ اخرى ، وكتب مشهورة متسمة بصدق اصحابها
وصحة مادونوه (٢) ، كابن الكلبي والمبرد والبلاذري ، والمسعودي (٣) .
والمعروف عن هذه الكتب ان اصحابها يعنون بذكر النصوص الادبية
احساسا منهم بخدمة هذه النصوص للامور التاريخية واطاعة جوانبها ، الامر
الذي جعل كثيرا من مصادرنا مشتركة بين التاريخ والادب .
ولقد تابعهم ابن الاثير في هذا ، فاورد في كتابه كثيرا من النصوص
الادبية التي ضمها كتاب الطبري بخاصة

ولدى رجوعنا إلى مقابلة ماموجود من نصوص ادبية في كتابي الطبري
وابن الاثير وجدنا الاخير قد نقل معظم نصوص الطبري الادبية ، الا انه
لا يلتزم بالنقل الحرفي عنه ، فكان يختلف معه في اوجه عدة ، منها : ترك
ابن الاثير نصوصا ادبية كان الطبري قد ذكرها ، كتركه ابياتا لكعب
بن الاشرف يتغزل فيها بام الفضل بنت الحارث (٤) .

(١) الكامل ٣/١

(٢) الكامل ٣/١

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٢٠٨/١

(٤) تاريخ الطبري ٣٨٨/٢

وكان الطبري قد اورد شعراً كثيراً في مدح البرامكة ، وفي رثائهم (١) ، فاعرض ابن الاثير عن هذا الشعر ولم يذكر منه الا النزر اليسير .

وذكر الطبري ستة وعشرين بيتاً في اربع مقطوعات قالها شعراء في كتابة الرشيد العهد لأولاده (٢) . فتركها ابن الاثير ولم يذكر منها شيئاً . وكذلك لم يذكر نصوص كتب العهود لاولاد الرشيد وكان الطبري قد ذكرها (٣) .

وكان ابن الاثير - احياناً - يختصر نصوص الطبري الادبية ، فمن ذلك ، اورد الطبري اثنين وثلاثين بيتاً شعرياً للحجاج بن يوسف التميمي ولابي العتاهية يذكران فيها للرشيد نقض ملك الروم «نقفور» العهد . ويشبان الخليفة ، ويعدانه بالنصر (٤) .

لم يذكر ابن الاثير منها غير ثلاثة ابيات للتميمي مع اشارة إلى ان هناك ابياتاً غيرها (٥) .

وذكر الطبري قصيدة لمروان بن ابي حفصة في مدح الرشيد عدة ابياتها اثنان وعشرون (٦) لم يذكر ابن الاثير غير مطلعها (٧) . وذكر الطبري شعراً كثيراً في فتنة الامين والمأمون ، وحصار بغداد ، والاقتيال وما حدثه (٨) .

لم يذكر منه ابن الاثير الا النزر اليسير جداً (٩) .

(١) انظر الطبري حوادث سنة ١٧٦ إلى حوادث سنة ٥١٨٧

(٢) تاريخ الطبري ٢٧٦/٨ - ٢٧٧

(٣) تاريخ الطبري ٢٧٨/٨ - ٢٨٦

(٤) تاريخ فطري ٣٠٨/٨ - ٣١٠

(٥) الكامل ١٨٦/٦

(٦) تاريخ الطبري ٣٤٨/٨

(٧) الكامل ٢١٧/٦

(٨) الطبري حوادث سنة ١٨٧ ، وسنة ١٩٨

(٩) الكامل حوادث سنة ١٨٧ وسنة ١٩٨

وقد يعود ترك ابن الاثير لبعض النصوص الادبية واختصارها الى اعتقاده بخلوها من القيم الاخلاقية كايات كعب بن الاشرف ، او بقلة حظها من الجمال والفن ، او بعدم فائدتها التاريخية .

اما عندما يظن ان النصوص الادبية التي ذكرها الطبري فيها الفوائد التي اشرنا اليها فانه لا يتردد عن نقلها كاملة وان كانت طويلة ، كما فعل عندما نقل معظم نصوص الطبري ، ومنها قصيدة كاملة عدة ابياتها ستة وخمسون بيتا (١) .

وكما فعل عندما نقل عن الطبري نصا نثريا في غاية الطول ، وهو كتاب وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر حين تولى الاخير ديار ربيعة (٢) .

ومن اوجه الخلاف بين ابن الاثير والطبري ، ان وجدنا ابن الاثير يذكر نصوصا ادبية جميلة زيادة على ما كان اخذ من كتاب الطبري ، ارضاء لحسه القومي واعتزازا منه برجال العرب وقادتهم ، وتنويها باسمهم واعلاء لشأنهم .. ففي الوقت الذي ذكر فيه الطبري كثيرا من الشعر في مدح البرامكة وراثتهم واغفاله لمدائح الشعراء للقائد العربي يزيد بن يزيد الشيباني ومراثيهم له . وجدنا ابن الاثير يطوى ذكر ذلك الشعر الذي ذكره الطبري في مدح البرامكة وراثتهم ، ويعمد الى ذكر شعر رائع قيل في مدح وتعظيم القائد يزيد بن يزيد الشيباني وكان الطبري قد اغفله . فذكر ابن الاثير خبر مدح الشاعر مسلم بن الوليد ليزيد بن يزيد وثناؤه على بطولته وانتصاراته ، وذكر ابياتا من هذا المديح هي :

يفتر عند افترار الحرب مبتما

اذا تغير وجه الفارس البطول

(١) تاريخ الطبري، والكامل حوادث سنة ٥١ هـ

(٢) تاريخ فطري ٥٨٢/٨ - ٥٩١ ، والكامل ٣٦٤/٦ - ٣٧٧

موف على مهج في يوم ذى رهج
كأنه اجل يسعى الى امـل
ينال بالرفق مايعيا الرجال به
كالموت مستعجلا يأتي على مهل
وقال ابن الاثير بعدها : «وهي حسنة جدا» (١) .

وعند نقل خبر وفاته قال « واكثر الشعراء مراثيه »؟ (٢). وقال ايضا :
«ومن احسن قيل فيه ماقاله ابو محمد التميمي رثاء له فاثبتته لجودته :
أحقا انه اودى يـزـيـد

تبين أيها الساعي المشيد
ذكر ١٩ بيتا من اروع مراثي به القادة الابطال (٣). وما كان الطبري
قد ذكر من هذا الشعر شيئا.

واشار ابن الاثير الى قصيدة لقيط الايادي التي يحذر فيها قومه العرب
من غزو كسرى - وهو سابور ذو الاكتف - وهي من القصائد المنهضات
الموثبات وذكر منها

سلام في الصحيفة من لقيط
إلى من بالجزيرة من إياد

ثم
أبلغ إيادا وطول في سراتهم
اني ارى الرأي ان لم اعص قد نصعا
وذكر ما فعله كسرى بهم وقال «وهذا فعله بالعرب» (٤) .

(١) الكامل ١٣١/٦ - ١٤٣

(٢) الكامل ١٦٩/٦

(٣) الكامل ١٦٩/٦ - ١٧٠

(٤) الكامل ١٩٣/١ - ١٩٤

وبحثت عن هذه الايات والتعليق في تاريخ الطبري فلم اجدها .
ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى الحس القومي العربي الذي اتصف به
ابن الاثير فابعده عن المشابهة بالطبري وعن متابعتة في كل شيء .

وفي اخبار سنة ٩هـ بدأها ابن الاثير بـ«ذكر اسلام كعب بن زهير»
وفصل القول في ذلك، وذكر ابياتا من قصيدة البردة اللامية المشهورة،
وابياتا اخرى تتصل بالاحداث نفسها (١). ورجعت إلى تاريخ الطبري
فلم اجد فيه الخبر والشعر .

واختلفا كذلك في الاحساس الفني بقيمة النصوص الجمالية ، وادرك
علاقتها بالجوانب التاريخية للامة. فابن الاثير كان مؤرخا ادبيا ذواقا
للنصوص، وكثيرا ما كان يفعل بجمالها. الامر الذي جعله يتفرد - في
بعض الاحيان - بايراد روائع منها. فتفوق على المؤرخين ومنهم الطبري
بهذه الصفة.

وهناك صفة اخرى في ابن الاثير لمحتها من خلال مراقبتي لطبيعة
النصوص الادبية التي ساقها في «الكامل» ، ومن خلال الوقوف على طبيعة
النصوص التي ذكرها الطبري واغفل ابن الاثير ذكرها ، وهذه الصفة
هي قلة احتفاله بالنصوص الادبية ذات الطابع الرسمي الممّوه ، وزهده
فيها ، واعراضه عنها - احيانا - . وفي الوقت نفسه لمحت عنده ميلا واضحا
إلى ايراد النصوص التي تصوّر الوجه الآخر ، وتعكس الاراء والمواقف
المعارضة ، وهو بهذه الصفة يشابه مؤرخاً عربياً انجبته الموصل من قبل،
وهو يزيد بن محمد بن اياس الازدي صاحب تاريخ الموصل (٣) .

وهكذا امدّ ادبنا العربي بنصوص ادبية معارضة ، وناقدة ، وهاجية
ساخرة ، تمثّل كلها رغبة ابن الاثير في ان يتجاوز اولي الامر مواقف

(١) الكامل ٢/٢٧٤-٢٧٦

(٢) طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٨٦٧ بتحقيق الدكتور علي حبيبة

الجور ومواضع النقص والزلل . فالتواريخ عنده ليست قصصاً واخباراً ،
واحاديث واسماراً (٢) . وانما فوائدها كثيرة منها :
«ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على مافيها من سيرة
اهل الجور ، والعدوان ، ورأوا مدونة في الكتب يتناقلها الناس ، فيرويهما
خلفي عن سلف ، ونظروا إلى ما عقت من سوء الذكر ، وقبيح الاحدوثة ،
وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الاموال ، وفساد الاحوال ،
استقبحوها ، واعرضوا عنها واطرحوها» (٣) .
وهكذا يظهر ابن الاثير انه ابتغى من ذكره لهذه النصوص المعارضة ،
والناقدة التأثير الايجاني في رسم السيرة السياسية العادلة ، والسيرة الاجتماعية
الصحيحة .

وكان يدرك بوعي المؤرخ ، وحسّ الاديب اهمية الشعر فيما سماه
بـ «سوء الذكر وقبيح الاحدوثة» لتعلق النفس به ، وسهولة حفظه ، وروايته
وذيوعه .

فكان ربح الادب من ذلك كثيراً ، اذ ضمن كتابه «الكامل» كثيراً
من النصوص الشعرية قد لانجدها الا في كتابه . فمن ذلك ايراده في حوادث
سنة ٥٤٩٢ هـ قصيدة قومية رائعة للشاعر الابيوردي قالها بعدما هجم الفرنج
على القدس ، وقتلوا ما يزيد على سبعين الفاً من اهلها ، وورد المستنفرون
إلى بغداد ، وذكروا ما حلّ بهم ، ومادهم المسلمين من قتل وسي ونهب ،
وبكوا وابكوا الناس ، فقال الابيوردي قصيدته في هذا الجو النفسي معبراً
عن مشاعر الحزن والغضب ، وداعياً إلى ادراك الخطر ، وحاضماً ابناء الامة
على النهوض ، والتوثب ، ومطلع القصيدة :

مـزجنا دماء بالدموع السّواجـم
فلم يبق منا عـرضة للمـسـراحم

(٢) الكامل ٦/١ من مقدمة المؤلف

(٣) الكامل ٧/١ من مقدمة المؤلف

وشر سلاح المرء دمع يفيضه
إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
..... ثم يورد القصيدة كاملة (١)
.....

يتضح من هذا ان التاريخ لم يكن عند ابن الاثير تسجيل حدث وخبر
تسجيلا جامدا عاريا عما يحيط به من الشعور ، فاتجه الى الشعر ليوضع
من خلاله ابعاد الحدث وآثاره النفسية في الامة ، وردّها على التحدّي.
ولاشك في ان الشعر اقدر من غيره على تحقيق هذا كله . فبان ان ايراده
لمثل هذه النصوص لم يكن ترفا فنيا ، وانما هي الحاجة التي دعا اليها مفهوم
التاريخ القومي للامة بكل ابعاده الحضارية والنفسية والشعورية .
ومن الجدير بالذكر انني لم اعثر على هذه القصيدة في ديوان الشاعر
ولم اجدها كاملة في المصادر الاخرى .

ومما يحمد لابن الاثير في كتابه «الكامل» انه لايتعامل مع النصوص
الادبية تعاملًا سريعًا عابراً ، وانما كان يشعر بمسؤولية من يؤرخ للادب
ايضا ، وقد ظهر ذلك في حرصه الشديد على دقة التحري ، وحسن التثبيت
وتوثيق النصوص .

فمن ذلك مثلا نقله عن الطبري ابياتا من شعر حسان بن ثابت نونيته
في رثاء الخليفة الراشد الثالث (٢) . قال ابن الاثير بعد نقلها :
«قال ابو عمر بن عبد البر ، وقد ذكر بعض هذه الايات ، فقال
وقد زاد فيها اهل الشام ، ولم ار لذكره وجهها ، يعني ما فيها من ذكر
علي وهو :
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني
ما كان بين علي وابن عفانا» (٣).

(١) الكامل ٢٨٤/١٠ - ٢٨٦

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/٢٥٥ . والكامل ٣/١٨٨ - ١٨٩

(٣) الكامل ٣/١٨٨

وذكر ابن الاثير شعرا لابن هانيء الاندلسي على قافية الحاء فيه غلّو
شديد ثم قال «ومن ذلك ما ينسب اليه، ولم اجدها في ديوانه» (١).

ولعل خير مثال على دقة تحريه وحسن تثبته، وتوثيقه الخبر بالشعر
ماورده عن نسب صاحب الدولة العلوية بافريقية، اذ يرى ابن الاثير انه
علّوى صحيح، ويقول: «ويشهد بصحة هذا القول مقاله الشريف الرضي:
مامقامي على الهوان وعندي

مقول صارم وانف حمي

البس الذل في بلاد الاعادي

وبمصر الخليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا

ي اذا ضامني البعيد القصي

لف عرقي بعرقه سيد النبا

س جميعا: محمد وعلي

ان ذلي بذلك الجو عزر

وأوامي بذلك النقع ري

وانما لم يودعها ديوانه خوفا، ولا حجة بما كتبه في المحضر المتضمن القدح
في انسابهم فان الخوف يحمل على اكثر من هذا...» (٢)

ثم ذكر ابن الاثير الخليفة القادر عندما بلغته هذه الايات عاتب
ابا الشريف الرضي فاحضره ابوه، وقرره، فانكر الشعر، الا انه رفض ان
يكتب بخطه اعتذارا إلى الخليفة القادر، فهدهه ابوه بالمفارقة والمقاطعة.
«قال الامر إلى ان حلف الشريف الرضي انه ماقال هذا الشعر، واندرجت
القصة على هذا» (٣).

(١) الكامل ٦٢١/٨

(٢) الكامل ٢٤/٨ - ٢٥

(٣) الكامل ٢٦/٨

ولم تقتصر افضال ابن الاثير على الأدب وتاريخه على هذا، وانما امدنا بمعلومات كثيرة عن دواوين، ومجموعات شعرية وذلك في مواضع كثيرة من كتابه، الامر الذي يكشف عن اطلاع واسع على دواوين شعراء كثيرين، ومجاميع ادبية، نثرية وشعرية، ومراجعة كثيرة لمصادر الادب، ومخالطة اهله إلى حد ان جعل بيته «منتدى للادباء»، والشعراء والعلماء...» (١).

وتظهر معرفته الدقيقة بالنصوص الادبية، وتذوقه لها، فيما اصدر من احكام نقدية صائبة على نتاج كثير من الادباء، وعلى ماورد من نصوص ادبية مختلفة، وكثيرا ماكانت هذه الاحكام تأتي في صورة التعليق على نص شعر الشاعر او نشر الناثر، فمن ذلك مثلاً قوله عن قصيدة لقيط الايادي، «وهي قصيدة مشهورة من اجود ما قيل في صفة الحرب» (٢). ثم اورد ابياتا من قصيدة الشاعر مسلم بن الوليد اللامية، وقال بعدها «وهي حسنة جداً» (٣).

وقال عن الشاعر ابن هانيء الاندلسي: «وكان من الشعراء المجيدين الا انه غالى في مدح المعز حتى كفره العلماء» (٤). وقال عن الشاعر ابن عبدوس الواسطي «وهو من الشعراء المجيدين، واجتمعت به بالموصل» (٥). ويظهر حرصه على خدمة الحقيقة الادبية، ورغبته في ان تسود الاحكام النقدية الدقيقة، والبعيدة عن الهوى، وذلك في ذكره للشاعر العباسي «صدر» وقوله عنه:

«وهو من الشعراء المجيدين، وهجاه ابن البياضي، فقال:
لئن نيز الناس قدماً اباك
نسموه من شعره صرّبعرا

(١) ابن الاثير الجزري، د. عبدالقادر طليمات ص ٢٤

(٢) الكامل ٣٩٤/١

(٣) الكامل ١٤٣/٦

(٤) الكامل ٦٢١/٨

(٥) الكامل ٢٠٧/١٢

فانك تنظم ماصـرّة
عقوقا له، وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضي ، فانه كان شاعرا محسنا» . (١)
ولاشك في ان للاحكام النقدية الدقيقة الكثيرة التي اطلقها في مواضع
متفرقة من كتابه ، اثرا كبيرا في ازدياد القيمة الادبية لكتاب « الكامل » .
ومن الصفحات الحميدة التي تمثلت في ابن الاثير ادبيا ، ومؤرخ
ادب وناقدا ، صفة الحياد العلمي ، وعدم اقحام الهوى في ايراد النصوص
او اصدار الاحكام ، فقد اورد نصوصا تمثل كثيرا من الاتجاهات الدينية،
والسياسية التي ظهرت في المجتمع العربي والاسلامي ، وذكر نصوصا
لادباء من اقاليم شتى ، وعصور مختلفة ، وكذلك لم نلاحظ عنده رغبة
في حجب الحقائق او تشويهها ، وما كان قد قيل من نصوص تمثل الاراء
المختلفة فيها .

وكذلك خدم ابن الاثير تاريخ الادب العربي ، بما اورد من
معلومات على شكل تراجم مختصرة لبضع مئات من اعلامه وعلمائه من
شعراء وكتاب، ونحاة، ومؤرخي ادب وفيها فوائد حسنة . مما يؤكد اطلاعه
واعتماده على كثير من مصادر الادب ، ومنها تلك المصادر التي اهتمت
بتراجم الادباء وسيرهم .

فكان عند انتهاء حوادث كل سنة يقف ، ويختتمها بذكر من توفي
فيها» من مشهوري العلماء والاعيان ، والفضلاء» . (٢)
وهذه صفة يكاد يتفرد بها من بين من سبقه من المؤرخين هو وابن الجوزي
في «المنتظم» .

وكثيرا ما كان يورد مع الترجمة القصيرة ابياتا شعرية مستجادة،

(١) الكامل ١٠/٨٨-٨٩

(٢) الكامل ١/٤

وفي بعض الاحيان يمدنا بمعلومات عن ادباء ونصوص ضمن السياق التاريخي للكتاب.

نماذج مختلفة من تراجم الادباء :

(١) نموذج رقم (١) سنة ١٨٨٨هـ «وفيها توفي العباس بن الاحنف الشاعر وقيل سنة ثلاث وتسعين. ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومائة» (١).
(٢) نموذج رقم (٢). وفي هذا النموذج يصحح معلومات من نقل عنه كما فعل عندما ذكر في حوادث سنة ٤٨٢ «وفاة عاصم بن الحسن البغدادي الكرخي وكان ظريفاً كيساً له شعر حسن ، واورد له شعرا ثم قال في الاخير: « والصحيح انه توفي سنة ثلاث وثمانين واربعمائة » (٢) وهذا يؤكد انه كان يوثق المعلومات بمصادر متعددة.

فيذكر الاصل، ثم ينص على الصحيح من الروايات . ولا يخفى ما في هذا العمل من دلالة على الروح العلمية التي كان يتصف بها.
(٣) نموذج رقم (٣). واقتطع من الترجمة ما يتعلق بالادب فقط. حوادث سنة ٥٣٢٩هـ: «في هذه السنة مات الرازي بالله... وكان ادبياً شاعراً . فمن شعره:

يصفّر وجهي اذا تأملته

طرفي ويحمرّ وجهه خجلاً

حتى كأن الذي بوجنته

من دم جسمي قد نقلنا

وله ايضاً يرثي اباہ المقتدر:

ولو ان حيا صار قبراً لميت

لصيرت احشائي لاعظمه قبراً

(٢) الكامل ١٩٠/٦

(٣) الكامل ١٨١/١٠

ولو ان عمري كان طوع مشيئتي
وساعدني التقدير قاسمته العجزا

بنفسي قبرا ضاجعت في تربه البلى
لقد ضم منك الغيث والليث والبдра

ومن شعره ايضا:

كل صفو السى كندر

كل امن السى حندر

ومصير الشباب لل

موت فيه او الكندر

در در المشيب من

واعظ ينذر البشر

ايها الامل السنى

تاه في لجة الغرر

اين من كان قبلنا

درس العين والاثر

سيرد المعاد من

عمره كله خطر

وكان الراضي ... يحب محادثة الادباء والفضلاء وختم الخلفاء

في امور عدة. فمنها. انه آخر خليفة له شعر يدون، وآخر خليفة خطب

كثيرا على منبر» (١)

(٤) نموذج رقم (٤) لم يرد في التراجم وانما في سياق الاحداث التاريخية

وهو عن عمارة اليمنى الشاعر، وكان قد اراد الوثوب مع جماعة بصلاح

الدين الايوبي، فكشف امرهم، واراد القاضي الفاضل الشفاعة له، الا ان

عمارة لم يحسن الظن به لعداوة بينهما، فأل الامر الى ان صلب. وجاء

في خبره مانصه:

(١) الكامل ٣٦٦/٨ - ٣٦٨

«... وكان عمارة شاعراً مفلحاً . فمن شعره :
لو ان قلبي يوم كاظمة معي
ملكته وكظمت فيض الادمع
قلب كفاك من الصباية انسه
لبى نداء الطاعنين وما دعي
مالقلب اول غادر فألومه
هي شيمة الايام مذ خلقت معي
ومن الظنون الفاسدات توهمي
بعد اليقين بقاءه في اضلعي
وله أيضاً :

لي في هوى الرشا العذرى اعذار
لم يبق لي مذ اقرّ الدمع انكار
لي في القدود ، وفي لثم الخدود ، وفي
ضمّ النهود لبانات واوطار
هذا اختياري ، فوافق ان رضيت به
او ، لا ، فدعني ، وماهوى واختار

وله ديوان شعر مشهور في غاية الحسن والرقّة والملاحة « (١) »
(٥) نموذج رقم (٥) . حوادث سنة ٥٧٤هـ

«وفي هذه السنة في شعبان توفي الحيص بيص الشاعر ، واسمه سعد
بن محمد بن سعد أبو الفوارس ، وكان قد سمع الحديث ، ومدح الخلفاء
والسلاطين والاكابر ، وشعره مشهور . فمن قوله :

كلما اوسعت حلمي جاهلا
اوسع الفحش له فحش المقال

(١) الكامل ٤٠١/١١

لاتلمني في شقائي بالعللى
رغد العيش لسربات الحجال

سيف عزّـ زانسه رونقه

فهو بالطبع غني عن صقال» (١)

(٦) نموذج رقم (٦). حوادث سنة ٣٦٩هـ

« وفيها توفي ابو الحسين احمد بن زكرياء بن فارس اللغوي ، صاحب كتاب «المجمل» . وغيره . وله شعر . فمن ذلك قوله قبل وفاته بيومين :

يارب ان ذنوبي قد احطت بها
علماً ، وبي ، وباعلاني وإسراري

انا الموحد ، لكنني المقر بها

فهب ذنوبي لتوحيد زاقراري» (٢)

ولا يخفى ما في هذه المعلومات من اهمية في حقل الدراسات الأدبية الشعرية والنثرية ، والنقدية ، ودراسة الاعلام . ومما يزيد من هذه الاهمية طبيعة المادة الأدبية وصفاتها في الكتاب فهي تمثل في رأينا مصادر عدة ، وذلك لسعة حجمها ، وتعدد أنواعها ، وقد اجرينا لذلك احصاء لمعرفة حجم المواد الادبية ، وأنواعها ، وصفاتها ليكون الكلام اقرب إلى العلم الدقيق منه إلى الحدس والتخمين .

احصاء المواد الأدبية في كتاب الكامل ، ونتائجه :

(١) جدول رقم ١
عدد الأبيات الشعرية عدد المخطب عدد الرسائل والوصايا والعهود

٤٧٨

١٠٠

٣٥٥٤

(١) الكامل ٣٥٨/١٢

(٢) جدول رقم ٢. النصوص الأدبية موزعة على العصور :

العصر	عدد أبيات الشعرية	عدد الخطب	عدد الرسائل والوصايا والعهود
١. عصر ما قبل الاسلام «الهجرة» ٧٩٩	٥	٥	٥
٢. عصر صدر الاسلام ١ - ٥٤١ ٣٦٦	٤٢	٤٢	٢٠
٣. العصر الأموي ٤١ - ١٣٢ ١١٤٣	٤٦	٤٦	٢٨٤
٤. العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٥٣٣٤	٤	٤	١٦
٥. العصر البويهي ٣٣٤ - ٥٤٤٧ ٢٠٩	٢	٢	٣
٦. العصر الأخير ٤٤٧ - ٥٦٢٨ ٥١٦	١	١	١٥٠
النتائج :	٣٥٥٤	١٠٠	٤٧٨

ان هذه الأرقام التي تمثل عدد النصوص الأدبية ، وانواعها ، وتوزيعها تظهر أهمية الكتاب بوصفه مصدراً مهماً من مصادر دراسة الأدب بأنواعه وعصوره .

١. نتائج احصاء الشعر :

ان كمية الشعر في الكتاب تمثل حجم ديوان شعري متوسط الحجم كما هو معروف عند المختصين - الا ان اهميته تفوق أهمية دواوين عدة ، وذلك لان هذا الشعر فيه التنوع الفجّي ، وتعدد الاغراض والاطوار ، واختلاف العصور .

وفي توزيع الشعر على العصور كما في الجدول رقم ٢. مابعكس قوة العلاقة بين الشعر والتاريخ او ضعفها .

ومن الملاحظ كثرة اعتماد المؤرخين على الشعر في تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام الامر الذي يثبت صحة ما قيل في مصادرنا القديمة من ان الشعر الجاهلي كان سجلاً اميناً لحياة العرب ، وديواناً لاحتسابهم ، وانسابهم ، ومآثرهم ، واياهم .

وكثرة الشعر في العصر الاسلامي قياساً إلى قصره يمثل قوة ارتباط الشعراء بالاحداث العظيمة التي مرت بها الامة العربية بظهور الرسول الكريم والاسلام .

وكثرة الشعر في العصر الاموي تشير إلى شدة اهتمام الشعراء العرب بالسياسة والاحداث التاريخية المهمة .

وقلة الشعر في العصور العباسية قياساً إلى مسافاتها الزمنية تشير إلى قلة اهتمام الشعراء بالسياسة ، ويومي إلى أثر العناصر الاجنبية السلبية في الحياة الشعرية والادبية .

٢. نتائج احصاء الخطب :

يؤكد جدول توزيع النصوص على العصور ان الخطب ذات المحتوى السياسي كانت تكثُر عند اشتداد حاجة السياسة إليها ، كما لاحظنا في العصر الاسلامي الاول ، وفي العصر الاموي .

وفي الوقت نفسه تؤكد كثرتها في هذين العصرين قوة النفوذ العربي في السياسة والحكم والادارة . وتشير إلى قوة الملكات والسلطات اللغوية ، لما لذلك من اثر في الخطابة .

ومن وجه آخر تشير قلة الخطب في العصور العباسية إلى تغلغل العناصر الاعجمية في جهاز الادارة والحكم ، وتؤكد ضعف الملكات والسلطات اللغوية ، وضعف القدرة على الخطابة والارتجال ، وتومي إلى استعاضة الحكام بالنصوص المكتوبة عن النصوص المسموعة .

٣ - نتائج احصاء الرسائل والوصايا والعهود :

لم استطع ان اتوصل الى شيء قاطع من جدول توزيع نصوص الرسائل على العصور ولكنني ساجتهد فأقول : ربما يشير التوزيع الى مراحل انحلال وحدة الدولة العباسية وتوزعها على كيانات مستقلة وشبه مستقلة فصعب على المؤرخين الحصول على النصوص .

ويمكن ان يفهم من ذلك ايضا قلة اهتمام المؤرخين بنصوص الرسائل ، لكثرة المواد التاريخية الاخرى ، وتعرض علينا كثرتها في العصر العباسي المتأخر ، وربما كانت هذه الظاهرة حالة خاصة ، بسبب معاصرة ابن الاثير لكثير من الاحداث التاريخية المهمة وقربه منها ، واشتغاله هو وبعض اهله ولا سيما اخوه ضياء الدين في شؤون الدولة الايوبية الكتابية ، مما أتاح له فرص الاطلاع على كثير من نصوص الرسائل والوصايا .

اسلوب ابن الاثير وخصائصه الفنية :

لعل من المفيد ان نظرق هذا الجانب استكمالا لجوانب الموضوع فنقول : ان ابن الاثير كثيرا مايرتقي باسلوبه في الكتابة التاريخية الى مستوى فني رفيع ، مما يدخل اقساماً عدة ، وفقرات كثيرة من كتابه في النثر الفني ومن يقرأ الكتاب يلحظ قدرة ابن الاثير على تأدية المعاني باسلوب ادبي عال ولغة طيعة ، وديباجة مشرقة ، مع الحرص على جماليات النثر ، وروح الفن التي كانت تغذيها تلك الشحنات الشعرية المنبثقة في شرايين الالفاظ والتراكيب ، وهذه فقرة من كلامه على خروج التتر الى ديار الاسلام ، يصف فيها خطر الغزو ، ووحشيته ، ويصور مشاعره ، واحساساته ، وعواطفه وانفعالاته خبير تصوير

«لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ، استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فانا اقدم اليه رجلا ، واؤخر اخرى . فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين؟! . ومن الذي يهون عليه ذكر

ذلك؟ ! . فباليت امي لم تلدني ، وباليتني مت قبل حدوثها، وكنت نسيا
منسيا، الا اني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها، وانا متوقف ،
ثم رأيت ان ترك ذلك لايجدي نفعا، فنقول :

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التي عقت
الايام والليالي عن مثلها ، عمت الخلائق، وخصت المسلمين ، فلو قال
قائل ، ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى ادم، والى الان لم يبتلوا بمثلها ،
لكان صادقا، فان التواريخ لم تتضمن مايقاربها ، ولا مايدانيها « (١) .
وهكذا ظهرت قيمة الكتاب الادبية، واهميتها في هذا الحقل، سواء
ماتعلق بتاريخ الادب واعلامه، او ماتصل بالادب الصرف ومجالاته.
ومادام ذلك كذلك فاني ارى من العلم ان تفهرس عناصره الادبية
بقهارس مستقلة تسهل على الباحثين والمعنيين بالادب واهله الرجوع الى
هذه الموسوعة.

وارى بعد هذا ان تعدل تلك العناصر التي ترى في الكتاب مصدرا
تاريخيا يهم اهل التاريخ فحسب.

فلقد وضح ان هذا الكتاب ليس لاهل التاريخ فقط، وانما هو كما
اراد مؤلفه لهم ولاهل الادب ولكل متطلب لذة فنية في مصادر التاريخ
وما قيامنا نحن المختصين بالادب بهذا البحث الا رمز على قرابة الادب
من التاريخ، والا دليل على مشاركتنا اهل التاريخ في هذا الكتاب، وقد بدا
ان نصيبنا في هذه المشاركة ليس هينا، وحظنا ليس قليلا.

وفي الختام اراني والبحث مدينين لتاريخ الموصل ال الربيعين ، والاثيرين
فيها ، والقائمين على الاحتفال بها، فالى الجميع اوجه بحثي، وشكري.

مصادر البحث ومراجعته :

- ابن الاثير الجزرى - د . عبد القادر احمد طليمات - دار الكتاب العربي مصر ١٩٦٩ م
- الادب المقارن - د . محمد غنيمي هلال - ط ٥ - بيروت - دار العودة
- الادب والسياسة - عبد الكريم توفيق العبود - رسالة دكتوراه من جامعة بغداد - طباعة رونيو
- تاريخ الرسل والملوك - محمد بن جرير الطبري . عشرة اجزاء . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر
- تاريخ علماء المستنصرية - لناجي معروف - مقدمة الكتاب - لمنير القاضي - بغداد مطبعة العاني ١٩٥٩
- تاريخ الموصل - ابو زكرياء يزيد بن محمد بن اياس الازدى ، تحقيق د. علي حبيبة - القاهرة ١٩٦٧ م
- دائرة المعارف الاسلامية - مادة ابن الاثير - عبد الحميد العبادى ديوان الايبوردى - المطبعة العثمانية - لبيان ١٣١٧ هـ
- الكامل في التاريخ - عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير ١٢ جزءا . بيروت - دار صادر سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم - ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزى - ط ١ - حيدر اباد الدكن ١٣٥٨ هـ

19. $\frac{1}{2} \ln 2$

20. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

21. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

22. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

23. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

24. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

25. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

26. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

27. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

28. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

29. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

30. $\frac{1}{2} \ln 2$ (Note: $\frac{1}{2} \ln 2 = \ln \sqrt{2}$)

المثل السائر في طبعة دار نهضة مصر

الدكتور علي جواد الطاهر
استاذ (متقاعد) جامعة بغداد

Handwritten text, possibly a signature or name, located in the middle of the page.

Handwritten text, possibly a signature or name, located in the lower right quadrant of the page.

المقدمة

ان التقصير الكبير الذي يكتنف طبعة دار نهضة مصر لكتاب المثل السائر يدعو المرء الى بحثه منهجيا، فقد صدرت هذه الطبعة بتحقيق استاذين بالدرجة العلمية للاستاذية بدار العلوم من جامعة القاهرة. ولا بد لمن يرجع اليها وهي الطبعة المتيسرة حاليا ان يكون على علم سابق بحالها يجعلها في حذر دائم من امرها.

وقد سبق هذه الطبعة التي « حققها » الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد وهي في جملتها خير منها على ما عرف عن « الشيخ الازهري » من اكثر واسراع ودوافع تجارى.

واستدعت الاسباب الموجبة للبحث ان تتألف الخطة من ست فقرات هي (١) الصورة العامة التي جاءت عليها الطبعة، (٢) مابين طبعة الاستاذين وطبعة «الشيخ»، (٣) القسم الاول (= الجزء الاول) من ط. دار نهضة مصر، (٤) القسم الثاني...، (٥) القسم الثالث... (٦) القسم الرابع... والخاتمة. وكان طبعيا الا يقتصر ذكر «الشيخ» على الفقرة الثانية من الخطة.

وقد حاول الباحث هنا التخفيف قدر الامكان من ثقل الحواشي وتكرارها في المصدر الواحد، بأن ضمن كثيرا من الإحالات في مكانها من سياق المتن، ويتضح ذلك، خصوصا لدى الإحالة على المثل السائر نفسه اذ يأتي الجزء والصفحة - / - الى جوار موضع الشاهد.

وها هي ذي الفقرات الست - راجياً ان يتسع نفعها لما هو أكثر من مراجع الطبعة موضع البحث.

(١)

الصورة العامة للكتاب في هذه الطبعة

«المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر» لضيء الدين نصر الله بن الاثير (٥٥٨-٥٦٣٧هـ) كتاب مهم ، ومهم جدا في باب من البلاغة والنقد والكتابة .. ومنهج البحث . عرف الناس قدره في عصره وعلى مر العصور ، وما زالت العناية به تزداد يوما بعد يوم ، وشأنه يرتفع (١) . وصلت الينا منه عدة مخطوطات موزعة في انحاء العالم من الشرق والغرب (القاهرة ، استانبول ، فينا ، باريس ، اسكوريال ، بومبي) (٢) . وكان من حقه ان يطبع الطبعة اللائقة به ... وقد طبع مرارا ، مذ كانت الطبعة الاولى بالقاهرة (بولاق ١٢٨٢ / ١١٦٥) ... حتى كانت الطبعة الاخيرة التي نحن بصدها (ولعلها السادسة) تالية الطبعة « شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٣٥٨ / ١٩٣٩ » بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد « ... اجل طبع ست مرات (اوزيد) (٣) ولكنه لم يحقق التحقيق العلمي اللازم ... وهذا مؤسف وجدير بالبيان . واقل ما يقتضي النشر العلمي (النقدى) جمع النسخ المخطوطة ودراستها واعتماد اصحها وخيرها اساسا للمقابلة ومن ثم تثبيت الاختلافات في الحواشي ليكون القارئ (والدارس) على علم بما يأخذ وما يدع وليطمئن الى ان هذا الذي بين يديه هو كتاب «المثل السائر» كما تركه صاحبه ... ((ابن الاثير) وفي صورة اقرب الى تلك الصورة .

علما ان لكتاب ابن الاثير هذا صفة خاصة جدير بمن يتصدى لتحقيقه (ومن ثم دراسته) ان يلاحظها ويمنحها حقها ، ذلك ان الكتاب لم يبق في صورة واحدة من غير اضافة وتعديل وتعليق ، لان صاحبه كان يدرسه ، والتدريس يقتضي التعديل والتعليق في اقل ما يقتضي (٤) ، وهنا يمكن أن

تكون للكتاب سلسلة تاريخية يتبين بها المحقق ما كان في الصورة الاولى وما لم يكن ، ، ما حذف أو عدل أو زيد ... ونحن نعلم أن ابن الأثير استقر في الموصل - للمرة الاخيرة - منذ عام ٦١٨هـ ، وأن لدينا جزءاً من مخطوطة أجازها المؤلف نفسه عام ٦٢٢هـ. وإذا كانت الصورة التي وصلت منه الى بغداد سنة ٦٣٣هـ فاستشارت ابن ابي الحديد فألف « الفلك الدائر على المثل السائر » (٥) ثائراً عليه ، من الصور التي يمكن أن تكون ناضجة فليس من المعقول ان تكون الأخيرة وأن يترك المؤلف كتابه من غير إعادة نظر وقد عاش بعد ذلك نحواً من أربع سنوات قريبا جدا من كتابه يقرؤه ويدرسه . ومن حوله التلاميذ وفي متناوله مكتبة ثرية وله ذهن وقاد .

لا بد من ان تكون طبعة بولاق قد تمت على مخطوطة واحدة أو ما إلى ذلك مما تسر في مصر، شأنها في ذلك شأن سائر مطبوعات بولاق ، ولا بد من ان تكون الطبعات التالية معتمدة على بولاق ... بما في ذلك طبعة محمد محيي الدين الذي ذكرانه اعتمد على ثلاث نسخ (مخطوطة) - تنظر مقدمته - ولكننا لم نر في حواشيه ما يكفي للدلالة على المقابلة الدقيقة التي يتطلبها علم التحقيق . وان كان قد اغنى الحواشي بالشرح والتعليقات والتخريجات (٦) .

لقد بقي الكتاب «المضطهد» ينتظر اليد التي تفك اساره والأيدي التي تظهر براءته وحقيقته . وطال انتظاره ولبا بلغ عشرين عاما او نحوها خيل إليه «الفرج» وكان سرايا ... فقد شرعت «مكتبة نهضة مصر ومطبعتها» تصدره اجزاء (العفو اقساماً) من غير اية مزية علمية ، وكانت الحاجة الى «المثل السائر» شديدة فاقبل الناس على «شراء» هذه الطبعة على انها نسخة مخطوطة - ولتكن رديئة - تسد الحاجة الآتية . وقد كتب على اغلفة الاجزاء - الاقسام «قدمه وحقيقته وعلق عليه دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوى طبانة» فزاد ذلك من دواعي الحساب ، لان المقدمين المحققين المعلقين استاذان جامعيان لهما خبرة طويلة بالتدريس والتأليف يذكر الأول بعلمه بتاريخ الادب ويذكر الثاني بتخصصه بالبلاغة العربية ...

– كيف صدر «المثل السائر» في هذه الطبعة التي قيل انها محققة؟
– صدر في اربعة اقسام لم تلتزم اية قاعدة علمية في التقسيم .
فما هي صادرة بمجلدة واحدة كما كانت طبعة بولاق او البهية او حجازى
وماهي صادرة بمجلدين كما صدرت طبعة محمد محيي الدين – وكان ابن
خلكان قد وصف الكتاب بانه في مجلدين .

القسم الاول د.ت (بدون(غير) تاريخ) في ٤٢٣ صفحة مع المقدمات
والفهرس . وفيه من الكتاب الخطبة والمقدمة والمقالة الاولى بتسميها ولا
بأس فهو يكون – في هذا وحدة علمية طبع الاول بمطبعة نهضة مصر .

القسم الثاني (١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م) وقع الفراغ من تحقيق هذا القسم
وتعليق حواشيه يوم الجمعة الموافق ٨ من شهر صفر سنة ١٣٨١هـ/٢٠ من
شهر يوليو (١٩٦١م) وجاء في ٤١١ صفحة متضمنا (١٦) نوعا من المقالة
الثانية (في الصناعة المعنوية) من اصل (٣٠) نوعا ترى لم تكن (١٥) نوعا
لتبقى (١٥) نوعا أخرى القسم الثالث؟ طبع الثاني بمطبعة نهضة مصر .

القسم الثالث (١٣٨١/١٩٦٢ مطبعة الرسالة) وقد جاء في (٣٠٩)
صفحة متضمنة ١٣ نوعا. يتم بها (٢٩) نوعا من الثلاثين وقسطا كبيرا
من النوع الثلاثين.

ترى لم تضاف الى هذا القسم الصفحات الباقية لتمامه وهي قليلة جدا
(١٠ صفحات فقط!؟) ويكون بذلك مجموع صفحات القسم الثالث
(٣١٩) صفحة وينتهي الكتاب بعد ان تلحق به الفهارس اللازمة ويكون
بين يدي القارئ (والباحث) كتاب كامل اسمه «المثل السائر» لابن الاثير
في ثلاثة اقسام او اجزاء؟.

السؤال وجيه جدا. ولعله غير وجيه احيانا؟ !

القسم الرابع (د.ت ، مطبعة الرسالة) ليس من المعقول ان يصار قسم
كامل بعشر صفحات ، ولا بد من ان يكون سبب غير علمي فعل مفعوله
في تأخير هذه الصفحات العشر عن اخواتها!.

السبب ان في مقرر المحققين أو دار نهضة مصر أن يطبع مع «المثل السائر» لابن الاثير كتاب اخر لغيره بل «لعدوله» هو كتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» من تأليف عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد المدائني المعتزلي» (٥٨٦ - ٦٥٦).

كان (أي ابن أبي الحديد) يشتغل في ديوان الخليفة المستنصر ببغداد عندما ورد اليه المثل السائر سنة ٦٣٣ من الموصل فآثاره واستثاره للنقد والهجوم وقال: «وقد سميت هذا الكتاب الفلك الدائر على المثل السائر» لانه شاع من كلامهم ، وكثر استعمالهم ان يقولوا لما باد ودثر «قد دار عليه الفلك» كأنهم يريدون انه قد طحنه ومحا صورته.

ليس من اعتراض على ان يطبع المحققان أو دار نهضة مصر «الفلك الدائر» فللكتاب قيمته والحاجة اليه ماسة على اي حال . ولكن الاعتراض العلمي بالطبع وليس التجاري ان تبتز عشر صفحات من ختام المثل السائر بالقسم الثالث لتصدر بغير حق كتابا آخر الفه صاحبه حسدا من ابن الاثير وثورة على كتابه. وقد كتب في «طرة» القسم الرابع هذا، وعلى غلافه : المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير قدمه وحققه وعلق عليه دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوي طبانة «وتحت ذلك بحرف اصغر» ويليه الفلك الدائر على المثل السائر» لابن لابي الحديد وهكذا فان التوزيع غير العادل للقسم الرابع الذي عنوانه «المثل السائر» عشر صفحات من المثل السائر يلحقها كتاب كامل بعنوان جديد ولؤلف آخر يقع هو ومقدمته في اكثر من (٣٠٠) صفحة !! كان اللازم ان يطبع مستقلا ، ولا مسوغ لطبعه هنا ، ولا يكفي ان يكون ردا على «المثل السائر» ليطلق باسم «المثل السائر» او بسمعة «المثل السائر» وسوقه... هذا الى انه ليس الوحيد في الرد على «المثل السائر (٧) مقابل آخرين منتصرين (لم تصل الينا كتاباتهم) .

ثم ان الاستاذين المحققين لم يزيديا على ان اعادا طبع «الفلك الدائر» المطبوع ، ولو كان تحقيقها له واعادة طبعه على اساس من العثور على نسخ مخطوطة هان الامر حتى لدى الخروج على قواعد الطبع والنشر.

ونعود الى المثل السائر.

وقد بدأه «المحققان» بتصدير استعرق (٢٨) صفحة في الحديث عن الكتاب (المثل السائر) هي في اصلها المادة التي قدمها احدهما (الدكتور بدوى طبانه) في «تراث الانسانية» (٨) من قبل ولا بأس فهي ملكه وله حق التصرف بها وإن كان المناسب ان يشار الى ذلك .

ثم ألحقا التصدير بترجمة ابن الاثير «مختصرة من «وفيات الأعيان» لابن خاكان ٢٠٨/٢» وقد جاء فيها أن المثل السائر «في مجلدين» وكان هذا الذي نص عليه ابن خاكان كافيا لتنييهما إلى التجزئة العلمية. وجاء فيها كذلك من تصانيف ضياء الدين «كتاب» الواشي المرقوم في حل المنظوم» وفي الواشي خطأً صحيحه «الوشي» لان اسم الكتاب الكامل «الوشي المرقوم في حل المنظوم» وكان المفروض بذكره هنا ان ينبههما اليه فيستعينا به لدى التحقيق - وهو مطبوع (٩) - لانه يتصل اتصالاً مباشراً بموضوع مهم من موضوعات المثل السائر، عزيز جداً على صاحبه وقد ورد في الفصل العاشر من المقدمة من القسم الاول - بتجزئة المحققين (١/١٢٥ - ٢٠٩) وقد ادخل المحققان تسلسل صفحات التصدير ومختصر الترجمة في صلب تسلسل ارقام صفحات الكتاب الاصلي، وهكذا كانت الصفحة الاولى من «المثل السائر» برقم (٣٥) وهذا غير صحيح، وكان اللازم ان يرقم المحققان الصفحات السابقة على الكتاب ولا تكون جزءا منه بارقام خاصة او بحروف ابجدية (أ، ب، ج، د، هـ...) وهو الاحسن.

وكان حريا بالمحققين ان يبحثا عن مؤلفات ابن الاثير الاخرى، لدى التعريف به ، ولدى التحقيق وهذا مهم - فلم يكن صحيحا الاكتفاء بما اورده ابن خاكان من تصانيف ابن الاثير. ومن هذه التصانيف المهمة كتاب «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» وهو مطبوع سنة ١٩٥٦ ولديهما علم كامل به (١٠) ولكن مافائدة هذا العلم إذا لم

يعمل به أى إذا لم ينتفع به لدى التحقيق ومجالات الانتفاع كبيرة (١١) لأن الجامع الكبير يمكن أن يعد نسخة أولى مصغرة... قبل «المثل السائر» وكثيرا ما تكرر اللفظ والرأى والمصدر فيهما كليهما.

ومن التصانيف «الاستدراك» وتأتى أهميته من انه يقوم على «السراقات» وابن الاثير يعنى بالموضوع كثيراً وخصص النوع الثلاثين من المقالة الثانية (٢١٨/٣ - ٢٩٢، ٤ - ٣/٤) هذا الى ان «الاستدراك» يقوم على ابي تمام والمتنبي، ولهذين الشعارين مكانة عالية لدى ابن الاثير وفي كتابه... وانه خرج من المطبعة قبيل ان يدخلها كتابهما، ولا بد من أن يكون لهما علم به مخطوطا لصلة التحقيق المباشرة بدار العلوم حيث يعملان (١١).

لابأس في أن يهمل المحققان الانتفاع بمصنفات ابن الاثير على صلتها بالمثل السائر... ولكن البأس كل البأس في ان يقدم «المثل السائر» الى الناس على انه «محقق» في طبعة محققة: «قدم له وحققه وعلق عليه...» من غير أن يكون محققاً فعلاً... واول مقتضيات التحقيق الصحيح الانطلاق من نسخ مخطوطة مدروسة اتخذت احداها أساسا، ويصير هذا «المقتضى» على الغاية القصوى من الإلزام اذا توفرت هذه المخطوطات وهي في موضوع المثل السائر متوفر على احسن ما يكون ومنها ماهو في القاهرة ، بدار الكتب المصرية على «قاب قوسين أو أدنى» من المحققين فقد اخبرنا كما اخبرهما محمد محي الدين عبد الحميد في مقدمة طبعته فقال: «في دار الكتب المصرية جزء من نسخة خطية كتبها ابو المكارم بن منصور الباشناى الموصلى وفرغ من كتابته... سنة ٦٢٢... وفي أول هذا الجزء اجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من عام كتابته» وهو وصف يمنح الجزء المذكور قدرا خاصا.

ويقول الشيخ محمد محي الدين : «وفي الدار نسخة كاملة بقلم معتاد» ويقول «وعند صديقي الاستاذ الفاضل الشيخ احمد محمد شاكر القاضي

الشرعي نسخة خطية ... منقولة عن نسخة فرغ من كتابتها ... سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧).

كانت هذه النسخ في علمهما ومتناول أيديهما ... وبالامكان ايجاد نسخ أخرى غير مايمكن تصويره من العالم في استانبول وفيينا وباريس...الخ. وليس العلم بالنسخ والحصول على صورها فضلا او تفضلا ، وإنما هو واجب لامفر منه والمحققان استاذان مجربان عارفان بالاصول واقل الاصول: توفير النسخ المخطوطة ... والإخراج عملهما عن ان يكون تحقيقاً اترهما مجربين بالتدريس غير مجربين بالتحقيق؟ ! .

ومع هذا التقصير الكبير الذي لايفتقر ... ذكر المحققان في صدر تصديرهما أن من اولى الغابات «في اخراج هذا الاثر واعادة نشره: تقديم نسخة صحيحة من هذا الكتاب يستطيع الباحثون والدارسون الاعتماد عليها ، بعد ان عز على كثير من الطالبين اقتناء نسخة منه، بسبب تقادم العهد بينهم وبين عهود نشره وتفاد السفر الجليل من المكتبات العربية ، مع الاحساس بالحاجة اليها، ليقوم بدوره بجانب مابعث من آثار التراث العربي في الناحية التي يتصدى لها هذا الكتاب».

ان الانسان ليرتضى لو تهيأت للمثل السائر يد من المستشرقين خلال هذا التاريخ الطويل - اذا - لرأينا الفرق بين عملهم وعملنا ، واذا ذكر المحققان «مابعث..» فلندكرهما بتحقيق ريتر لاسرار البلاغة . وكراتشوفسكي في تحقيق «بديع» ابن المعتز ... زيادة على مايفترض في المحقق العربي من امتياز على المحقق «الأجنبي»

وهنا ، هنا في موضوع ضرورة «المخطوطة» في تحقيق «المثل السائر» «نكتة» هيأها المحققان على «أرقى» ما يكون ... ذلك انك تبدأ معهما «المثل السائر» وتسير وتسير فلا ترى اى دليل على الرجوع الى مخطوطة ... وكان مما يذكر لهما بالخير انهما لم يدعيا في تصديرهما الرجوع الى مخطوطة

للكتاب ... ولهذا فانك لاترى في الحواشي الكثيرة التي تذييل الصفحات
الكثيرة اية إحالة على نسخة مخطوطة وأية مقابلة ... وأية تصحيحات قائمة
على نسخة مخطوطة .

تسير وتسير

لم ينطلق «الاستاذان» في عملهما من مخطوطات أو مخطوطة واحدة
في الأقل ... فماذا فعلا ؟

لم يخبرا في تصديرهما عن منطلقهما ولم يتحدثا عن الطبقات السابقة
عليهما ولقد صار أكيدا لدينا أنهما انطلقا من نسخة مطبوعة وكان أضعف
الايمان يقتضي أن يذكرنا لنا النسخة المطبوعة التي اعتمدا عليها . ولكنهما لم
يفعلا ، وترك الامر معى . ونحن نعلم ان اولى طبقات الكتاب هي طبعة
بولاق ، وان طبعة بولاق كانت في اساس الطبقات التالية لها ... فهل انطلقا
من طبعة بولاق ؟ ان احسن طبعة هي طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد
ولم يأت حسنهما من توفرها على شرائط التحقيق العلمي لان الشيخ محمد
محيي الدين وان تحدث في مقدمته عن المخطوطات ، فانه لم يدل على
استعماله التام لها واستثماره الكامل اياها واعتماده العلمي عليها ... ولم
يخرج في مجمل عمله كثيرا عن مطبوعة سابقة .. ولتكن بولاق - ثم
أدام النظر فيها واستعمل علمه فاغنى حواشيتها وتخريج الابيات وشرح
بعض المفردات ... وتعليقات نحوية هو عالم بها ، ورجعات عابرة -
فيما يبدو - إلى المخطوطات التي بين يديه فجاءت - بذلك - خير الموجود.

فهل انطلق الاستاذان من طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد؟ انهما
لم يذكرنا ذلك بل انهما لم يذكرها بخير او شر وكأنها غير موجودة؟ وهي
الموجودة المعروفة التي يرجع اليها الدارسون والباحثون... ثم انها طبعة
مصرية قاهرية ومحققها مصري «قاهري»... بذل جهداً جديراً ان يذكر
ويتنفع به على اية حال..

لاشك في علم الاستاذين بطبعة الشيخ محمد محيي الدين وكم كان جميلا لو ذكراها وبيننا مالها أو ماعليها - في الاقل؟ فضلا عما يمكن ان يفيدا منها او ما افاداه فعلا (١٢).

لم يحقق «الاستاذان» المثل السائر الذي قدماه على أنه «تحقيق» فماذا عملا إذا؟ قراءة للنص مطبوعا وتعليقات جديدة او «اضافية» في الحواشي مستفيدين من علم احدهما بالبلاغة وعلم ثانيهما بتاريخ الادب... وكان الشيخ محمد محيي الدين قد سبقهما ورجع الى عشرات المصادر.. وافاد من غزارة علمه عموما وبالبلغاة خصوصا.

ونتابع صفحات الكتاب في أقسامه الثلاثة ورابعها ، ونظرا الى الحواشي والتعليقات ونسير ونعجب ان نرى في الحواشي الاولى: في الاصل، وفي الاصل (٣٧ ، ٤٠ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٤).

ونسائل عن المقصود بالاصل؟ ماذا يكون؟ ولا من مجيب او نرى عند الشيخ محمد محيي الدين تصحيحات مناظرة وكان المحققين متأثران به. ثم تنقطع كلمة «في الاصل» وطبيعي أن تنقطع. وينتهي القسم الأول (الجزء الاول) من تقسيمهما للكتاب (ص ٤٢٣) ونبدأ معهما القسم الثاني (الجزء الثاني) ونسير ولا نرى «في الاصل» او لانكاد نراها (١٣/٢ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٦) ولنتذكر أن هذا الذي «في الاصل» مما يمكن أن يكون في الطبعات السابقة (بولاق وغيرها) ...

ونصل الصفحة ١٦١ من القسم (الجزء) الثاني هذا، ونفاجأ بحاشية عجيبة أن تأتي في هذا المكان ... ضائعة مهانة

تقول الحاشية: «هذا نهاية الجزء الاول من النسخة الخطية المحفوظة في دار الكتب المصرية بخط ابي المكارم بن منصور الباشناى الموصلى . فرغ من كتابة هذا الجزء في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة من الهجرة ، وفي اول هذا الجزء اجازة

بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من السنة نفسها، أجاز بها الشيخ
إيا المظفر عضد الدين بن محمد بن جعفر بن زهير الدمشقي» .
وهذه هي النكته التي اشرت اليها، وعناصرها كما يأتي :
١- هذه السطور هي وصف هذا الجزء وردت نصاً لدى الشيخ محمد
محيي الدين (ص ٥ من مقدمته) .

٢- اذا كان المحققان قد اعتمدا على هذا الجزء أصلاً، وهو جدير بالاعتماد
فلم لم يخبرا بذلك في مقدمتهما وهي طويلة ... وان التصريح المبكر بالنسخة
المعتمدة واجب في التحقيق وانه يزيد قيمة وقدراً .

ثم لم يصفوا الجزء بالذي يجب من متطلبات التحقيق في خطه وعدد
اوراقه ورسم حروفه... وتأييد الوصف بصورة لورقة أو أكثر من أوراقه .
لماذا؟! !

لنقل إنهما اعتمدا على هذا الجزء . ولكن أين متطلبات الاعتماد؟
٣- انه جزء واحد فقط ويوجد الى جواره في دار الكتب المصرية نفسها
اذا لم نتحدث عن اماكن اخرى للمخطوطات مخطوطة كاملة للكتاب،
أما كان المناسب ان يعلم المحققان علمها-وقد نص عليها الشيخ محمد محيي
الدين في مقدمته؟ وان ينتفعا بها لدى المقابلة والتصحيح؟

٤- بانتهاء هذا الجزء على فرض الاعتماد عليه في التحقيق يكون قد بقي
إزاء المحققين جزء كامل من المثل السائر، تبلغ صفحاته حسب الصفحات
الباقية من طبعتهما نحواً من (٦٤٠) صفحة فكيف سيدبران الامر وكيف
يديرانه؟

لقد قالوا في هامش ١٦١/٢ «هذا نهاية الجزء الاول...» ليكن ...
على ان يقولوا لنا معتمدهما في الجزء الثاني؟ ولكنهما لم يقولوا... وأقل مايعني
هذا السماح للقاريء - والدارس - بان يتصور - واثقاً - اعتمادهما
في الباقي على مطبوع، وليكن بعد ذلك مطبوع بولاق او غيره او مطبوع
الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ...

٥ - وتمكون خلاصة الخلاصة ان المحققين ليسا محققين بالمعنى العلمي قصداً أو سهواً؟

٦ - نمضي وكأننا إنتهينا من قضية ، ولكن مسألة الجزء المخطوط تبقى في النفس فقد يكون الجزء مما رجع اليه المحققان، وقد يكون هو المقصود بالأصل، قد، وربما...ونسير فاذا الحال تتكرر ونرى المحققين يكرران «في الأصل» ولم يكن لديهما اى اصل، فقد اعلنا عن انتهاء الجزء الأول، وهادما ذان يذهبان، بعيدا وبعيدا جدا عنه، ولم يبق اذا شك في أن الاصل الذي يتحدثان عنه هو احدى طبعات المثل السائر، ولم يكن مخطوطة من المخطوطات (ينظر ٢/٢١٣، ٣١٦، ٣٣٢، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٩٦، ٥٤/٣، ١٥٢، ١٥٣، ٢٥٠، ٢٧٩).

(٢)

ما بين طبعتي الاستاذين والشيخ

لقد مهد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد الطريق لاحياء ازاءهما ولاشك في أنه كان - على مؤاخذاتنا إياه - أكثر فهماً علما وتجربة وتنبها.. وكان من الخير لهما ان يذكرنا فضله ويعترفا بجهده وينصا على رأيه...ولكنهما لم يفعلا .. وليس ذلك من شيمة العلماء... فضلا عن المحققين..

ونحاول أن نقف عند لقطات من التحقيقات ..

١ - في بسملة المؤلف لديهما :

أولا أدعي فيما ألفتة من ذلك فضيلة الاحسان، ولا السلامة من سبق اللسان، فان الفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته، ويسىء بالإحسان ظناً، لا آمن هو بابنه وشعره مفتون «(٣٧/١).

وقالا في الحاشية تعليقا على «سبق» : في الاصل «سلق» باللام، وهو تحريف. ولم يقولوا لنا المقصود «بالاصل» هذا. ثم من اجاز لهما النص على التحريف ومن ثم انزال الاصل الى الحاشية واصعاد تصورهما الى المتن؟ هذا لايجوز في مثل هذه الحال في الاقل وكان الاولى اذا كان ولا بد ان يبقيا «سلق» في المتن ويدليا بتصورهما في الحاشية.

أما الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وهو الأعلّم فهماً باللغة فقد أبقى «سلق» كما هي حيث هي، وانا صحتها بان شرح لنا معناها «سلق اللسان» حدثه (٥/١) ومعلوم انه كان ازاء الشيخ «اصول» مخطوطة... هذا الى اننا نعرف من خلال المثل السائر لابن الاثير «حدثه» ولا يبعد ان يكون الرجل عارفا بنفسه، معترفا وهو في موضع الاعتذار والآية (١٩) من سورة الأحزاب تقول: فأذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد.

٢ - من بسملة المؤلف

ثم ان في نص المحققين الاستاذين اعجوبة لاتحسن بهما وبمن هو اقل منهما. فقد عرضنا بيتا مشهورا لابي تمام على أنه سطر من الشعر «مكسور الوزن» هكذا: «ويسيء بالاحسان ظنا، لاكن هو بابنه وشعره مفتون» والبيت هو :

ويسيء بالاحسان ظنا، لاكن

هو بابنه وبشعره مفتون

وقد تنبه الشيخ محمد محيي الدين الى ذلك، وهو أيسر مما يمكن، وزاد في حاشيته انه «بيت من الشعر لابي تمام... من قصيدة له يمدح الواثق بالله، وأولها

وابي المنازل انها لشجون

وعلى العجومة انها لتبين

وقد وقع هذا البيت في جميع النسخ المطبوعة كأنه كلام منثور لا يتميز مما قبله ولا مما بعده.

اما كان الاولى بالاستاذين ان يسيئا الظن بالمطبوعات وهي اهل لسوء الظن؟ اما كان الاجدر ان ينتفعا بملاحظة الشيخ؟ هذا الى ان الامر من الشهرة والوضوح بما لا يحتاج الى معين! (١٣)

٣- في النوع الثالث من الفصل الثاني من المقدمة

«وعجبت من الرحيم بن علي البيسانى...» (٦٧/٢)

وتصحيح الخطأ لا يحتاج الى شيء لانه عبد الرحيم (القاضي الفاضل) اسمه مشهور يتردد في الكتاب وقد جاء لدى الشيخ صحبها (٢٧/١)

٤- في الفصل الرابع من المقدمة :

«مما ورد من ذلك شعراً قول جزء بن الفقعي، من شعراء الحماسة...» وفي الحاشية: « في الأصل» جرى بن كلب» والتصويب عن ديوان الحماسة ٨٨/١، وقال التبريزي : قال ابن الأعرابي : هو جرير لاجزاء ولم أقف لهما على ترجمة « (٩١/١) والملاحظات هنا :

أ- «ديوان الحماسة ٨٨/١» - ونحن نعلم من قائمة مراجع التحقيق في آخر القسم (الجزء) الرابع من تحقيق الاستاذين ، أنهما رجعا في الحماسة الى شرح المرزوقي . ونرجع الى «٨٨/١» من الشرح فلا نجد المطلوب ... ونبحث فنجده في القطعة «٦٢» على ٢٤١/١.

ب- ان قول التبريزي ... مثبت في تحقيق شرح المرزوقي (٢٤٢/١٥) وليس مما رجح به الاستاذان الى شرح التبريزي نفسه . والنص في حاشية شرح المرزوقي أكمل من نصهما : « التبريزي : » قال ابو محمد الأعرابي : هو جرير بن كليب ، لاجزاء ...

ج- يوحى قولهما : « ولم أقف لهما على ترجمة» بان الجملة من كلام أبي محمد الاعرابي ، وليس الامر كذلك ، لأنها من كلامهما ، والمفروض في هذه الحال ان يقولوا : ولم نقف لهما على ترجمة» .

د - لم يخبرنا بالمقصود من قولهما «في الأصل» أي أصل ؟ !
وكان الشيخ قبلهما قد أثبت في المتن «جزء بن كليب الفقعسي» وقال :
«في الأصول جرى بن كلب الفقعسي» (٤٥/١) (١٤).

٥ - في الفصل الخامس من المقدمة (٩٨/١)
«... قول ابي تمام

كم صارم عضف أناف على قفاً
منهم لأعباء الوغى حمال
سبق المشيبَ اليه حتى ابتزّه
وطنُ النهى من مفرقٍ وقْدالٍ»
هكذا وردت «قفاً» ، ووردت النون من «وطن» مرفوعة .

وكان الشيخ قد أورد على البيتين ملاحظات من علمه ومن مراجعته
ديوان الشاعر جديرة بالإثبات . قال :
كم صارم عضب أناف على فتىً
منهم لأعباء الوغى حمال
سبق المشيب اليه حتى ابتزّه
وطنَ النهى من مفرقٍ وقْدالٍ

... وقع البيت محرفاً في أصول الكتاب ، فجاء فيها «على قفاً» ... والتصحيح
عن الديوان (ص ٢٦٣) ... ضبط في الديوان «وطن النهى» بالرفع وهو
خطأً وصوابه «وطن النهى» على ان مفعول ثانٍ لا يتر . والمفرق : وسط
الرأس ، والقْدال : مؤخره»

٦ - الفصل السادس من المقدمة

« قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن
فهو احق بها اذا وجدها» والمراد بذلك ان الحكمة «قد يستفيدها اهلها من
غير اهلها ..» (١٠٠/١) .

والحديث مشهور على انه : «الحكمة ضالة المؤمن ...» لاتسبغه كلمة «كلمة» وكان المفروض بالمحققين الاستاذين ان ينبها إلى ذلك ولكنهما لم يفعلا .

وقد فعل قبلهما الشيخ : قال في الحاشية :
«في الاصول» الكلمة الحكمة ضالة المؤمن «وهو زيادة عما ورد في الحديث» (٥٣/١)

٧- المقالة الاولى ، القسم الاول ، في اللفظة المفردة :
«نظم كل كلمة مع اختها في المشاكلة لهما» (٢١١/١)
ويبدو في العبارة شيء - ولو قليل - من الاضطراب لدى النظر ملياً في الكلمة «في» قبل المشاكلة ، وكأنها زائدة او مقحمة .
وكان يمكن الانتفاع بالشيخ في تحقيقه قال :
في «ب أ ج» مع اختها في المشاكلة لها «وهو تحريف بزيادة «في» والمشاكلة - بكسر الكاف - اسم فاعل من قولك : شاكلت فلاناً إذا شابهته . وقد اجتمعت النسختان على حذف « في » من العبارة (١٤٢/١) .
ولنلاحظ أن «ب ، ج» تعني المطبوعات ، ويقصد بالنسختين المخطوطتين .

٨- المقالة الاولى ... اللفظة المفردة :
«ولهذا اسقط الواضع حروفاً كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها ، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والحاء والعين ..» (٢٢٣/١)

للشيخ تعليق جدير بالإثبات ، وهو العارف بأسرار من تأليف الكلام العربي ، قال : «في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها ..» في الاصول «في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها» (١٥٢/١) .

٩ - المقالة الاولى ... اللفظة المفردة

ترد محاوره بين قبيصة بن نعيم وامرى القيس عندما قدم قبيصة على امرى القيس في اشياخ بني اسد، يسألونه العفو عن دم أبيه «(١/٢٤٣-). وقد طال الحوار .. واعتراه في النص اضطراب . ولكن الاستاذين اثبتاه كما هو ولم ينهها اليه - وان قالوا (٢٤٥٥) : «صححنا بعض الفاظ النص بمقابلته على رواية القلقشندي (انظر صبح الأعشى ٢/٢٠٨)» وكان المشرف على طبعة بولاق قد احس النقص فيه ، وجاء الشيخ فرجع إلى مصدر وثيق هو الاغاني - صححه عليه وقال :

«..ولكنك قلت فأوجبت (فقال قبيصة :مانتوقع فوق المعتابة والاعتاب) فقال امرؤ القيس : هو ذلك» .

وذكر في الحاشية «سقطت هذه العبارة من اصول هذا الكتاب فلم بين الكلام ، حتى اضطر مصصح نسخة بولاق إلى ان يكتب في هامش النسخة «قوله ولكنك قلت الخ ، كذا في النسخ ..» (١/١٧٢) .

وكان المفروض بالاستاذين أن يكملا النص لديهما بما أكمله قبلهما الشيخ أو أن يرجعا إلى الاغاني الذي رجع اليه (ط. دار الكتب ٩/١٠٤).

١ - المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

وردت عبارة مضطربة ... في قوله:

«وقرأت في كتاب (الروضة) لابي العباس المبرد وهو كاتب جمعه واختار فيه اشعار شعراء، بدأ فيه بابي نواس، ثم بمن كان في زمانه، وانسحب على ذيله، فقال فيما اورده من شعره :وله معنى يسبق اليه باجماع، وهو قوله :

تدار علينا الراح في عسجدية

حبتها بانواع التصاوير فارس...

وقد اكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه معنى مبتدع.

ويحكى عن الجاحظ انه قال: مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديما
وحدثنا الا هذا المعنى، فان ابا نواس انفرد بابداعه.

ولا اعلم انا ما اقول لهما ولا بي سوى اقول: قد تجاوز بهم حد الاكثار،
ومن الامثال السائرة: بدون هذا يباع الحمار» (١٢/٢ - ١٣).

أ - وكلمة «لهما» الواردة هنا هي من تصحيحات الاستاذين وقد
نصا على ذلك فقالا في الحاشية «في الاصل» لهما» في عبارة غير مفهومة.
ولعل الصواب ما ذكرناه والاشارة هنا إلى المبرد والجاحظ اللذين عدا هذا
المعنى مبتدعا واكبراه به من شأن ابي نواس، فيما نرى».

لأبأس فيما فعله المحققان لأن «لها» موضع نظر... ولكننا نلاحظ ان
هناك إلى جوار المبرد والجاحظ «العلماء» فيمكن ان نقول - جريا على
ملاحظتهما - «لهم».

وتبقى بعد ذلك مسألة «ولا بي سوى ان اقول» وكان المناسب ان يتنبها
للتقص فيها وان ينباها وقد قال - قبلهما - الشيخ محمد محيي الدين:
«ولعل اصل العبارة ... ولا بي نواس» (٣١٦/١).

١١ - المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

«لاجرم أنه اذا أسفر في أمر تالطف في فتح أبوابه ... ولو بعثت
غيره لخفت أن لا يكون في سفارته صادقا ..» (٤٦/٢) الذي اثبته الشيخ
في المتن: «لاجرم أنه اذا سفر في امر تالطف في فتح ابوابه ...» (٣٤٠/١).

وقال في الهامش: «في أ، ب، ج» اذا أسفر في أمر «ونعرف ان ب، ج»
تعني المطبوعات، و«أ» مخطوطة الشيخ احمد محمد شاكرو. ومعنى هذا
انه اعتمد المخطوطتين الاخرين وفيهما المكتوبة سنة ٦٢٢ في حياة المؤلف
وله عليها اجازة.

اما الاستاذان فقد اعتمدا على مطبوعة. ولا بد من ان يرجع اليها بناء

«أسفر» لما لم يسم فاعله

١٢ - هناك مسائل لغوية هي اولى بالشيخ محمد محيي الدين منها بالاستاذين نذكرها هاهنا من غير تعليق

أ - النوع ١٣ في تحقيق الاستاذين: «والله لاقوم» التوكيد بالنون هنا واجب، لان الفعل مضارع مثبت وقع جوابا للقسم، ولا اختيار حينئذ للمتكلم، وان كان التأكيد يحقق الغاية التي بينها ابن الاثير، ولكن النون شرط في الصحة ايضا» (٢٤٧/٢).

وقبلهما لدى الشيخ: «النون واجبة في كل مضارع مثبت يقع جوابا لقسم، اذا اتصل به اللام...» (٥٨/٢).

ب - النوع ١٤ في تحقيق الاستاذين «... فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى القاء يده، والا فليس بكاتب».

(في الحاشية: «سياق المعنى يقتضي حذف كلمة «والا» (٢٦٠/٢ - ٢٦١) وقبلهما لدى الشيخ: «كذا.. وترى الصواب حذف كلمة «والا» (٦٨/٢)

ج - النوع ١٥، القسم الثاني في تحقيق الاستاذين: «وقد نص عثمان ابن جني ... على عدم الجواز في حذف الفاعل...»

وفي الحاشية (هذا ليس من باب حذف الفاعل إلا عند الكوفيين) ٢٩٦/٢ وقبلهما قال الشيخ: أخطأ المؤلف ... في فهم كلام ابي الفتح وكلام غيره من نحاة البصريين، ولم يفرق بين الاضمار والحذف، ونحا منحاه اهل الكوفة الذين جعلوا هذه الامثلة ونحوها من باب حذف الفاعل (٩٢/٢)...

د - النوع ١٥ القسم الثاني، الضرب ١٤

«ويجوز هنا في «ليس» خاصة تقول: «ليس احد الا وهو قائم لأن الكلام «يتوهم تمامه بليس وبحرف ونكرة...» (٣٣١/٢).

وقبلهما قال الشيخ بعد أن ذكر النص: «بليس وحرف ونكرة»: في جميع الاصول بليس. وبحرف نكرة «ونرى انه لا بد من زيادة الواو حتى تصير العبارة «يتوهم تمامه بليس وبحرف ونكرة»... (١١٢/٢)

هـ - النوع ١٦ لدى الاستاذين «الايكفيك آية الصيف» (٣٥٥/٢) وهو صحيح ولكن لم يخبرا كيف وصلا إلى ذلك، وكيف ورد في الاصل .
وكان الشيخ قبلهما قد ثبت في المتن «الايكفيك آية الصيف» ولكنه ذكر في الهامش ماينبغي ان يذكر : «في أ، ب، ج» انه الصنف «بصاد ونون وفاء، وهو تحريف وانظر (١٢٧/٢) ولتذكر ان «ب، ج» لديه تعني المطبوعات وهي اصل او اصول الاستاذين .

و - وجاء في النوع نفسه (١٦) لديهما :
«وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو (الاطناب) وجدته ضربا من ضروب التأكيد (٣٥٥/٢)
وقالا في الهامش : «في الأصل» وجدت «من غير الضمير، والسياق يقتضيه.

وقبلهما قال الشيخ : «وجدت ضربا ...» كذا في جميع الأصول، ولعله : وجدته ضربا ... (١٢٧/٢) (١٧) .
١٣ - النوع ١٦ (الاعتراض) : «قول المضرب السعدي ...» (٤٥/٣) وفي الحاشية : «في الأصل نسبة الشعر للمضرب السعدي، والصواب نسبتها لإسم ابنه سوار (شرح التبريزي للحماسة ١٢٥/١) .

وهنا يرى - مرة اخرى - ماقد يشير إلى افادتهما من تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد للمثل السائر من غير اشارة اليه. ولنسجل مرة اخرى - أن الاستاذين لم يرجعا - كما تذكر مراجعتهما في اخر الكتاب إلى شرح التبريزي وانما رجعا إلى شرح المرزوقي، وكان الاولى - هنا - ان يحيلنا إلى شرح المرزوقي ٩٣٠/١، ولكنهما احالا على شرح التبريزي ١٢٥/١ وكان الشيخ قبلهما (١٨٧/٢) قد أحال عليه - وهو من صميم مصادره.

جاء في المثل السائر: «قول المضرب السعدي»

فأثبتته الشيخ حنرا وكتب في الحاشية : « كذا وقع في أ ، ب ، ج ، نسبة هذين البيتين للمضرب السعدي ، وهما من شعر الحماسة (انظر شرح التبريزي ١ - ١٢٥) وهما لسوار بن المضرب السعدي فلعل أصل العبارة « قول ابن المضرب السعدي » فسقطت كلمة ابن (١٨) .

١٤ - النوع ٢٢ « اما اذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل او هزيمة جيش » (٩٧/٣)

وقالا في الحاشية : « كانت بالاصل مقفل»

وليس من حقهما ان يضمما - في هذه الحال - معقل في المتن و «مقفل» في الحاشية لان ذلك تصرف باموال الغير . وكان يكتفي التنبيه في الحاشية .

وقد تكون «مقفل» هي الصحيحة لمناسبة «الفتح» لها ولعلمنا بولع الكاتب بالصناعة .. «والقفل» اكثر صناعة من «المعقل» .

وقد ترك الشيخ «المقفل» كما هي - وإزاءه أكثر من نسخة واصل (٢٣٧/٢)

وخلاصة القول لدى المقابلة بين طبعة الاستاذين وتحقيق الشيخ السابق عليهما... انهما اذا لم يكونا قد اطلعا على تحقيق الشيخ فقد كان الواجب العلمي يقضي ان يطلعا ويفيدا وينصا على الفائدة فلقد كانت للرجل مزايا قلما توفرت لغيره واذا كانا قد اطلعا - وهو ما تشير اليه حالات متعددة وتشي به وتدعو اليه - فقد كان الواجب العلمي يقضي ان يذكرنا ذلك وينصا على ما افاداه منه ..

١٥ - ونعود بعد هذا الى مصادرهما الأخرى في التحقيق فقد كانا - كما كان الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد قبلهما - يرجعان في النصوص والشواهد التي يذكرها ابن الأثير الى مصادرها من كتب ودواوين والحق أن الشيخ محمد محيي الدين قد جلّى في هذه الناحية ، وجاء المحققان على آثاره ، وليكن .

وذكرنا من «مراجعهما» في التحقيق : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ابن الاثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي « (بنغاز هامش ص ١٨ من التصدير ٥٥١/٤) وقد ذكرنا ص ١٨ عام ١٣٧٥ للطبع ، ونزيد - هنا - التاريخ الميلادي ١٩٥٦ وليس هذا هو المهم ، لأن المهم أن «الجامع الكبير» من مؤلفات ابن الاثير وهو ضرب آخر - مبكر - من المثل السائر . وهذا يعني ضرورة الافادة منه لدى التحقيق والمقابلة - كما فعل محققا الجامع الكبير اذ افادا من المثل السائر - ولكن محققي المثل السائر لم يفيدا من الجامع الكبير .

ويذكران الدواوين التي رجعا اليها ... ولكننا لم نر دواوين ابن حمديس الصقلي، وابن الخياط، ابن المعتز، الارجاني، الايبوردي، ديك الجن، سحيم، الشماخ، علي بن الجهم، الوأواء دمشقي ... وهم من شعراء المثل السائر ... ودواوينهم مطبوعة

ثم جاء علي ٥٥٣/٤ «٣٤ - ديوان الصولي» هكذا فقط فمن الصولي؟ وماطبيعة ديوانه؟ لقد طبع مادة من مجموعة «الطرائف الأدبية» (٩) وقبله ٥٥٢/٤ «ديوان ابن نباته: نشر الاستاذ محمد القلقيلي».

١٦ - وتميز تحقيقهما (من تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد) بالتعريف بالأعلام الواردة. وهذه ميزة وليست ميزة. إنها ميزة ذات نفع وفائدة عندما يعرف المحقق للقارئ أسماء ترد وهي ليست في متناول علمه، فيود لو عرف شيئا عنها ... وفي «المثل السائر» عدد من هذه الاسماء يأتي في طليعتها «الغانمي» «من علماء البيان» فماذا قالوا عنه؟:

«هو ابو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، كان من فضلاء عصره وشعره مشهور، وهو من شعراء نظام الملك» (١١٠/٢) - وتنظر (١٢٨، ٤٩/٣).

وليس هذا تعريفا للغانمي يدرك منه القاريء بغيته .فما عصره ليكون من فضلائه؟ واين شعره ليكون مشهورا؟ وقد يسأل عن نظام الملك نفسه؟ لا بد من ان الغانمي كان مشهورا ... في عصره (وهو العصر السلجوقي في النصف الثاني من القرن الخامس ...) ولكن شعره لم يصل الينا . وكان بامكان محققي المثل السائر ان يفيدا مما ذكره الدكتور مصطفى جواد حاشية عليه في «الجامع الكبير» .

«قال السمعاني في الأنساب :» الغانمي ... هذه النسبة إلى غانم وهو اسم لجد المنتسب اليه وهو الاديب محمد بن ... غانم الغانمي ، من افاضل عصره ، وديوان شعره سائر في الآفاق وهو من مداحي نظام الملك ...» ونقبل - في هذه الحال - القول : «و ديوان شعره سائر في الآفاق» على انه رواية قديمة (للسمعاني) وليست معاصرة للدكتور مصطفى جواد .

وزاد الدكتور مصطفى جواد في التعريف : «وذكره عز الدين بن الاثير في اللباب» مختصر الانساب «بما يقرب من ذلك» «ص ١٦٦» واورد ذكره الباخريزي في الدمية . قال : الغانمي الهروي شاب فاضل ، اختلف اليّ بنيسابور ... وله شعر حسن ووراهه للزيادة مواعد .. (٢٠)

والباخريزي يعين على تعيين عصره وشيء من عمره لانه مؤلف «دمية القصر وعصرة أهل العصر» وقد قتل عام ٤٦٧

ومن الأسماء التي يجب التعريف بها جيدا لدى من يلتزم التعريف من المحققين : «ابن افلح» قال ابن الاثير (٥٩/٢) : « ووقفت على كتاب يقال له «مقدمة ابن افلح البغدادي» وقد قصرها على تفصيل اقسام علم الفصاحة والبلاغة ، وللعراقيين بها عناية ، وهم واصفون لها ، ومكبون عليها ولما تأملتها وجدتها قشورا لالب تحتها ..» وننظر ٦٢/٢ ، ٦٣ .. ٤١/١ ...

فمن «ابن أفلح» هذا؟ واين كتابه؟ لا بد من ان نقول للقاريء ان كتابه لم يصل الينا . ثم لا بد من أن نقول له : إننا لا نعرف عن «ابن افلح» هذا شيئا ان كنا لا نعرف ، لنفتح الباب إزاءه للبحث عنه .. (٢١)

كان من الممكن - في علم التحقيق - أن يمر عمل الاستاذين المحققين من غير هذه المطالبة بتعريف اعلام يحتاج القارىء - عادة - إلى التعريف بهم .. لوأنهما سارا على قاعدة الاكتفاء بالمقابلة بين المخطوطات، لكنهما لم يسيرا على هذه القاعدة ، ولم تكن لديهما مخطوطات، رد على إثنين التزما والزما نفسيهما - بالتعريف .

وإذا كان هذا الالتزام قد أساء إليهما إذ قصرنا بمن يجب التعريف به فإنه أساء إليهما كذلك - من حيث لا يحسبان - إذ عرفا بالمشهورين جدا من الذين لا يحتاج قارىء إلى التعريف بهم فضلا عن أن يكون هذا القارىء قارىء «المثل السائر» ثم إنهما أطلا في التعريف بهؤلاء المشهورين وخصصا للعلم منهم من السطور أكثر مما خصصاه للاعلام الأقل شهرة... وهكذا طال الكتاب على غير طائل. لقد عرفا بمعرفين ، وربما اعادا التعريف الواحد أكثر من مرة.

ونذكر - على سبيل المثال - من هؤلاء المعروفين الذين عرفوا بهم:

ابو تمام (٥٣/١) ، ابو نواس (٥٢/١) ، المتنبي (٥٤/١) ، البحتري (٥٤/١) ، ابن الرومي (٢٤/٢ ، ١٢٥/٢) ، عبد الحميد الكاتب (٤٠/٢) ، ابن العميد (٤٠/٢) الجاحظ (١٣/٢) ، سيف الدولة (١٠/٢) ، المبرد (١٢/٢) الاصمعي (١٤/٢) ، النابغة الذبياني (١٥/٢) ، الأعشى (٥٩/٢) ، الخليل بن أحمد (٤٨/١) ، سيويه (٣١٤/٢) ، سعد بن ابى وقاص (٣٢/٢) ، ابن جنى (٨٤/٢ ، ١٠٨/٢) ، تأبط شرأ (١٨٧٦/٢) ، الحريري (٤١/١) ، . الخ . ابن المقفع (٢٣٧/٣) ، الزبير بن العوام (٢٦/٣) ، امية بن ابى الصلت (٢٤١/٣) ... اللات والعزى ومناة (٢٢٦/٣) ... الخ .

ويذكر ابن الأثير اسماء كثيرة ، بينهم شعراء من زمن متأخر ، من عصر ابن الاثير نفسه أو مايقرب منه لا يكاد يتبينهم القراء جيدا ، وفيهم من لم يسمع به ، فهم حقيقون بالتعريف على منهج من يعرف بالاعلام لدى التحقيق ، وبعد الإخلال بهم - في هذه الحال - نقصاً وتقصيراً ..

وقد وقع المحققان في هذا التقصير ، فهما اذ عرفا بالمتنبي والنابعة .. اهملا
مثلا : الواواء دمشقي (٧٥/٢) ومرا به كريمين .
فقد اورد ابن الاثير البيت :

فأمطرت لسؤلؤاً من نرجس وسقت

وردأ وعضت على العناب بالبرد

وقال المحققان في الحاشية : البيت للواواء الدمشقي . ولم يقلوا من الواواء
هذا . وفي التعريف يقال : أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني بدأ منادياً
في دار الطيخ بدمشق ينادي على الفواكه . . توفي سنة ٣٩٠ حقق ديوانه
مرتين ، ط ٢ بدمشق الدكتور سامي الدهان ، من مصادر : يتيمة الدهر
للثعالبي (٢٢) .

وأهملا ابن القيسراني (٢٥٦/٣) . قال ابن الأثير : «... أخذه الشاعر
المعروف بالقيسراني فقال»

وفي التعريف يقال : شرف الدين ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير
بن داغر ولد في عكا سنة ٤٧٨ ونشأ في قيسارية ثم هاجر إلى دمشق . توفي
بها سنة ٥٤٨» (٢٣) .

ولو رجع المحققان يستعلمان شأنه لعلمنا انه يعرف بابن القيسراني
وليس القيسراني ، ولسجلا مثل هذه الملاحظة في الهامش ، ولكأنهما لم
يتفعل ، شأنهما في ذلك شأن الطبقات السابقة (ومنها ط . محمد محيي الدين
٣٨٧/٢) .

ووردت على لسان ابن الاثير ضيعة جديرة بالتنبه والتنبيه ، فقد جاء
(٣٤٧/١) «... وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتأخرين ، وهو الشاعر
المعروف بالمعري في قصيدة قصد بها التجنيس في كثير من أبياتها ، فمن
ذلك ماورده في مطلعها :

لو زارنا طيف ذات الخيال أحيانا

ونحن في حفرة الأجداث أحيانا

ثم قال في أبياتها :

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة
فقلت لاهومت أجان أجانا

وكذا قال في آخرها :

لم يبق برك انساناً يلاذ به
فلا برحت لعين الدهر انساناً

وليست الأبيات للمعري . (٢٤) .

وبعد

وللتعريف بالأعلام قواعد - غير مذكرونا
من هذه القواعد أن يعرف بالعلم المتكرر الورود في الكتاب لدى
وروده أول مرة .

ولا يتكرر التعريف بالعلم الواحد أكثر من مرة واحدة .
ويعرف القارئ ذلك بالرجوع إلى فهرس الأعلام من الكتاب الذي
بين يديه .

ولكن الأستاذين المحققين لم يلتزما بهذه القاعدة السليمة فتراهما
- حيناً - يترجمان للعلم بعد أن يكون قد مر ذكره ، وحيناً يترجمان
للعلم الواحد بأكثر من ترجمة .

ولدينا مثل - على ذلك - في «ابن الرومي» فقد ورد في القسم (الجزء)
الأول على صفحات متعددة بدون أن يعرفا به حتى إذا جاء القسم (الجزء)
الثاني عرفا به مرتين (٢/٢٤) ، و(٢/١٢٥) . وزادا على ذلك أنهما أهملتا
هاتين الصفحتين لدى عملهما «فهرس الشعراء» (٤/٣٢٣) . وقد عرفا بعلي بن
جملة (= العكوك) ثلاث مرات ١/٣٥٥ ، ٣/١٤٨ ، ٣/٢٣٩... وتكرر
ورود القاضي الفاضل في القسم (الجزء) الأول ، ولكنهما لم يترجما له إلا
في القسم الثاني (٢/٣٧٤)... وينظر دعبل...

ومنهج آخر أن توضع علامة (ولتكن نجماً) على العلم المترجم له
وتسلسل التراجم في آخر الكتاب على حروف الهجاء . فإذا أراد القارئ
أن يعرف شيئاً عن علم اعترضه ، رجع إلى هذا الكشاف ؛ ولم يُضطر
المحقق - في هذه الحال - إلى تكرار الترجمة أو الوقوع في الفوضى .

القسم (٣) الثاني (= الجزء الثاني)
المقالة الاولى في الصناعة الفظية

١- ص ٩ من مقدمة التحقيق :

« قوله في ابن زياد البغدادي » وجدت لابن زياد البغدادي كتاباً كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف ... سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولاً تشتمل على امور انكرت عليه من دار الخلافة، فمن تلك الامور التي انكرت عليه انه تلقب بالملك الناصر ، وذلك اللقب هو لأمر المؤمنين خاصة ، فإنه الامام الناصر لدين الله»

كذا ورد في المقدمة : ابن زياد ، وورد النص المنقول (٦٧/١) - النوع الثالث من الفصل الثاني من مقدمة المؤلف) .
ويتكرر (٦٩/١) في الموضوع نفسه

وورد الاسم كذلك في تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (٢٩، ٢٧/١) وورد من قبل في مطبوع المطبعة البهية (ص ١١-١٢)

وكان المفروض بالمحققين ان يبحثوا عن تعريف لهذا العلم ، كما يشترط المنهج الذي سارا عليه في التعريف بالاعلام الواردة ، فاذا لم يجدا شيئاً - في المصادر المتيسرة - نصاً على ذلك في الحاشية ليتسنى للقارى العلم بموقفهما ومن ثم البحث عن العلم .

وجاء بعدهما محقق كتاب نصرة الثائر للصفدي فاورده على « ابن زيادة البغدادي » بصدد نص المثل السائر نفسه (٦٧/١ - ٦٩) ولم يحاول التعريف به

ولكنني وجدت الدكتور محمد قاسم مصطفى قد كتب بالقلم الاحمر على حاشية نسخه من مطبوع « نصرة الثائر » : « زيادة - ٥٩٤ يحيى بن سعيد » فأعطى بذلك مفتاحاً للحل .

وهذا ابن خلكان - مثلاً - يقول (حرف الياء من وفياته) :

« ابو طالب يحيى بن ابي الفرج سعيد بن ابي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي بن زبادة الشيباني الكاتب المنشي الواسطي الاصل البغدادي المولد والدار والوفاة الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين ... انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشاء ... وكان مليح العبارة في الانشاء جيد الفكر حلو الترصيع لطيف الاشارة وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني اكثر من طلب السجع .. قال ابن الديبشي ... سألت ابا طالب بن زبادة عن مولده فقال ... سنة اثنتين وعشرين وخمسائة وتوفي ... سنة اربع وتسعين وخمسائة وصلى عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربي بمشهد الامام موسى بن جعفر ... وزبادة بفتح الزاى وهو القطعة من الزباد الذي تنطيب به النساء » (٢٥) .

وينظر عنه (يحيى بن سعيد ... ابن زبادة) الزركلي (٢٦) .

٢- ص ٢٠ من مقدمة المحققين « تكلم ابن الاثير في خطبة كتابه عن أهمية علم البيان »

والم يرد في الفصح من الاستعمال العربي - كما افادنا استاذنا الدكتور مصطفى جواد - تكلم عن ، وانما الذي ورد تكلم على ، وتكلم في وسار ابن الاثير نفسه خلال كتابه على الصواب من الاستعمال . وكان يمكن أن ينهما ذلك الى الخطأ .

٣- مقدمة المحققين هذه، التي وردت باسم «تصدير» (ص٤، ٢٩)، هي في أصلها - كما رأينا مقالة كتبها الدكتور بدوي طبانة في «تراث الانسانية» بعنوان «المثل السائر» ولهذا فانها اقتصر على «المثل السائر» دون التعريف بالمؤلف (ابن الاثير) ومؤلفاته الاخرى ...

٤- أعقب المحققان «التصدير» ب«ترجمة ابن الاثير» (ص٣٠-٣٢) مختصرة من وفيات الاعيان لابن خلكان ٢/٢٠٨ - يقصدان طبعة اليمينية.

والحقيقة ان ترجمة ابن خلكان اوفى ترجمة قديمة لابن الاثير وكان المناسب ان يحال إلى دراسة حديثة كدراسة الدكتور محمد زغول سلام او كتاب موسوعي يذكر المصادر والمراجع مثل الاعلام للزركلي.

٥- جاء في «ترجمة ابن الاثير» هذه من كلام ابن خلكان «ولضياء الدين من التصانيف ... كتابه الذي سماه «المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر» وهو في مجلدين ... وله كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم» وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة. وله كتاب «المعاني المخترعة في صناعة الانشاء» وهو ايضا نهاية في بابه وله مجموع اختار فيه شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والمنتبي وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد. وله ايضا ديوان ترسل في عدة مجلدات، والمختار منه في مجلد واحد ..»

وكان المناسب جدا ان يحفظهما هذا الخبر للكلام على مؤلفات ابن الاثير المطبوع منها والمخطوط والمفقود وليس الكلام في هذا ترفا لان مؤلفات ابن الاثير الاخرى متممة للمثل السائر مرتبطة به تنفع كثيرا لدى المقاومة والتحقيق.

وكان يمكن لقول ابن خلكان عن المثل السائر «وهو في مجلدين» أن يذكرهما بطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد أو ان يحفظهما لوصف المخطوطة التي بين أيديهما - لو كانت - وان يبين السبب في تقسيمهما الكتاب تقسيماً جديداً (اعتباطياً)، هذا إلى دمجهما معه في القسم (الجزء) الرابع من تقسيمهما كتاب ابن ابي الحديد (الفلك الدائر) على غير قاعدة علمية.

والوشي المرقوم مطبوع

وكان اللازم ان يعلمنا ذلك ويفيدا منه ، لانه مما يرد ذكره في المثل السائر (١/١٦١، ٢/٣٦) ويرد ذكر المثل السائر فيه . هذا إلى أنه يتناول احد الفصول الثمانية التي تناولتها مقدمة ابن الاثير للمثل السائر بالتفصيل

وهو الفصل العاشر (١/١٢٥ - ٢٠٩) الذي يتناول : حل الايات الشعرية
حل آيات القرآن العزيز ، حل الاخبار النبوية وهي المواد التي يقوم عليها
الوشي المرقوم .

ومما طبع لابن الاثير وله علاقة مباشرة بالمثل السائر : الاستدراك
وموضوعه « سرقات » المتنبى من ابي تمام وتكون السرقات نوعا مهما من
المثل السائر هو خاتمة الكتاب (النوع الثلاثون) (من الصناعة المعنوية) .
ولابد من أن يكون لهما تمام العلم بمطبوعه أو مخطوطه .

ولكتاباه «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور» أهمية
خاصة لمن يحقق « المثل السائر » و« الجامع » مطبوع ، والمحققان يعرفان
ذلك ، وكان محققا « الجامع » قد انتفعا بالرجوع الى المثل السائر .

٦ - وفي ترجمة ابن الاثير عن ابن خاكان من مقدمة المحققين (ص ٣٢)
: « وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن ... ورأيت
له مجموعا جمعه الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب واحسن فيه ... »
أ - « جمعه الملك الأشرف » . يجب ان تكون جمعه للملك الأشرف

ب - « ... واحسن فيه » « يجب ان تكون واحسن فيه (٢٧)

ولم يرد تصحيح الخطأين في جدول « الاستدراكات » (١/٤١٦)

٧ - المعقول المقبول . ان لم يكن اللازم الواجب في التحقيق أن توضع
لمقدمة التحقيق أرقام تسلسل خاصة بها ، لانها ليست من لاكتاب ولثلا
تختلط احالة الباحثين على الكتاب بما هو ليس منه من مقدمة المحققين
والمألوف في هذه الحالة ان تسلسل صفحات مقدمة التحقيق بالحروف
الابجدية أ، ب، ج، د ... وكان الشيخ محمد محيي الدين قد فعل هذا

٨ - من مزايا التحقيق الحديث قيام المحقق - قدر الإمكان والمعقول -
بوضع النقاط والفوارز وعلامات الجمل المعترضة وما الى ذلك خدمة لاكتاب
وللقارئ ولكن المحققين لم يلتزوا بذلك فقد جاء - مثلا - في « بسملة المؤلف

ص ٣٦ « وكتاب » سر الفصاحة « وان نبه فيه على نكت منيرة فانه أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها .. » (٣٦/١)

والسليم في هذا ان يكون
«... وكتاب» سر الفصاحة « وان نبه فيه على نكت منيرة فانه أكثر
- مما قل به قدر كتابه - من ذكر الاصوات ... »
أ - لا بد من بيان الاعتراض

ب - واضح أن ابن الأثير يسند كلامه عن المؤلف - مؤلف سر
الفصاحة (ابن سنان الخفاجي) وعليه بينى الفعل « نبه » للمعلوم ... بدليل
فانه أكثر ... »

٩ - من شرائط التحقيق ان يتعرف المحقق لغة الكتاب الذي يحققه،
فان ذلك يعينه على حل عدد من المشكلات وعلى تقديم النص للقارى كما
يجب .

ولكننا نجد المحققين يثبتان (٣٨/١) كلاماً لابن الاثير هكذا :
«وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك استاذاً، واذا سألت عما ينتفع
به قيل لك هذا، فان الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً ، واهدى بصراً
وسمعاً ..»

وأول ما يلاحظ على لغة ابن الاثير في هذه الصفحة : السجع ، ووجب
حيث ان تأتي «استاذاً» من غير تنوين لتتناسب بالسجع مع كلمة «هذا»
هكذا :

«وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك استاذاً ، واذا سألت عما
ينتفع به قيل لك هذا ...»

وقد تنبه الشيخ محمد محيي الدين إلى هذا (٥/١)

١٠ - يجب - لدى شرح المفردات في التحقيق - الاكتفاء بما هو متصل مباشرة بالكلمة المشروحة ، ولا موجب لذكر غيرها

وقد قال ابن الاثير (٣٨/١) : «ومأمثلي فيما مهدته لك من هذا الطريق الا كمن طبع سيفاً ..»
وقال المحققان في الهامش «يقال : طبع السيف والدرهم والجرة عملها» .

ولاعلاقة للدرهم والجرة هنا بما كان ابن الاثير (ويكون القارئ) فيه . ثم ان المفردة (طبع) ليست مما يحتاج قارئ «المثل السائر» إلى شرحها - ولم يجد الشيخ محمد محيي الدين حاجة إلى شرحها .

١١ - واستشهد ابن الاثير بالبيت الذي ورد (٣٨/١) « وإنما يبلغ الانسان غايته ماكل ماشية بالرجل شمالا » كذا : الرجل ، بالجيم. وجاء في الحاشية أنه للمتنبى «وفي الشرح» .. وليس كل من يمشي على رجله شمالاً ، يقدر على السرعة» وكانا قد شرحا الشمال بالناقاة القوية السريعة (وهي كذلك) ولكن الخطأ يمكن أن يكون في كتابة «النص» وشرحه في كلمة «الرجل» بالجيم لأن الصحيح هو «الرجل» وحينئذ يستقيم البيت والمعنى .

وكان الشيخ محمد محيي الدين (٦/١) قد روى البيت بالرجل وشرحه كذلك وزاد «وبالرجل» هو بفتح الراء المهملة بعدها حاء مهملة أيضاً، وهذا موافق لما في نسخ الديوان ، الا التي شرح عليها العكبري ، فان فيها «بالرجل بكسر الراء ، وبالجيم - وعبارة العكبري تدل على انه قرأها كذلك» .

لتلاحظ - جيداً - ان الشيخ محمد محيي الدين ينطلق - وبين يديه مخطوطات للمثل السائر «وأنه اثبت رواية البيت «بالرجل» بالخاء وانها بالخاء كذلك في مطبوع «البهية» (ص ٣) .

١٢ - القاعدة في «الشكل» لدى التحقيق ضبط مايحتمل وقوع الخطأفيه وترك مايلفظطبيعيا على وجه الصحة، ففي الفعل الماضي «غلط» لايشكل الغبن والطاء، والمفضل شكل اللام - ان لم يجب. وقد فعل المحققان العكس (٤٠/١) فوردت غلط مشكولة الغين والطاء وورد اللام من غير شكل، وكان يجب كسره فتكون الكلمة هكذا «غلِط» ولأبأس بعد ذلك من شكل الغين والطاء اذا كان المحقق يلتزم الشكل التام - وكأنهما استدركا ذلك (٥١/١).

١٣ - قال ابن الاثير (٤٢/١): «اذا خطب الكاتب المفلق عن دولة من الدول الواسعة يكون لسلطانها سيف مشهور ... فانه بدون عنه من المكاتب.» ومع ان كلمة «المفلق» معروفة الدلالة وان ابن الاثير ذكرها هنا صفة للكاتب فان المحققين شرحاها في الهامش هكذا «يقال: افلق الشاعر اذا اتى بالعجيب» وكان المناسب - لدى شرحها - ان يربطها بالكاتب . وربما كان الاستعمال - هنا - خاصا بابن الاثير واذا كان لابد من ملاحظة فلتكن ايضا على استعمال ابن الاثير لكلمة «خطب» متصلة بالكاتب والكتابة.

١٤ - قال ابن الاثير (٤٤/١) وهو يعدد «انواع» الفصل الثاني «من» المقدمة «:» النوع الخامس: معرفة الاحكام السلطانية في الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك «فعلق المحققان في الهامش:

«والحسبة بالكسر الاجر، واسم من الاحتساب، وهو حسن الحسبة حسن التدبير»

والتعليق غريب جدا، يضلل القارئ، فلا قيمة للمعاني التي ذكرها المحققان في «الحسبة» التي اراد اليها ابن الاثير، وهي مصطلح معروف في تاريخ الحضارة العربية، وفي فروع الادارة منها خصوصا، وماكان للاقل منهما أن يقع فيما وقعا فيه اذا لم نقل بانتقاء الحاجة إلى شرحها وهي في خلاصتها وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولها «موظف» خاص يدعى المحتسب.

وكان ممكناً لهما - وهما في القسم الاول من تحقيق الكتاب أن ينتفعا بأقرب «المراجع» في الحضارة العربية - الاسلامية: تاريخ التمدن الاسلامي «وفيه:» الحسبة، وهي منصب ديني من قبيل القضاء، وصاحب الحسبة (المحتسب) يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ... وله النظر في الغش والتدليس في المعاش وغيرها وفي المكايل والموازين» (٢٨). ويحيل مؤلف تاريخ التمدن إلى مقدمة ابن خلدون.

ويرد في المثل السائر «علم» يعرفان به وهو محتسب، هو ابو عبدالله الحسين ابن أحمد بن الحجاج (٣٣٩/١) ولم نذهب إلى هذا وفي المثل السائر نفسه رسالة لابن الاثير نفسه تفصل مدلول «الحسبة» على خير مايرام (٢/ ٣٨٥ - ٣٩٩) وسقف عندها بالرقم (٢٢) من الفقرة الرابعة من هذا البحث. ١٥ - ورد (٤٨/١) «الخليل بن احمد الأزدي»، فقلا في الهامش «هو... توفي سنة ستين ومائة» وصحيح ان في وفاة الخليل اختلافا ولكن المحققين اختاروا رواية ضعيفة جدا بدلا من رواية قوية مثل عام ١٧٥ (ينظر ابن خلكان - حرف الخاء)

١٦ - اثبت المحققان في النص (٥١/١): «معاش» واثبت محمد محيي الدين «معاش» (١٢/١) - مع الاتفاق على ان الصحيح «معاش» ولكن ابن الاثير يريد اثبات نص المازني - الذي يراه خطأ - اي «معاش» ١٧ - «عليك ايها المترشح لهذه الصناعة...» (٧٢/١) هذا هو الاستعمال الصحيح لان ابن الاثير يخاطب الساعي الى ان يكون كاتباً فهو يرشح نفسه وهو مترشح لها ...

وقد وردت في ط. محمد محيي الدين (٣/١): ايها المتوشح وهو

غير صحيح ..

وسيقع المحققان فيما يأتي في الخطأ اي انهما يشبان «ايها المتوشح»

(٧٢، ١٨٤، ٣ / ١٢١).

١٨- «تجمع عليك هم قلبك ، وتمنع ان يخطر به سوى امر الصلاة، فعبّر .. عن منع الخواطر التي تخطر له ...» (٧٤/١ - الفصل الثالث) أ - لا موجب لشكل الراء من يخطر وتخطر لان ذلك من بسائط النحو. ب - الذي يجب شكله هو الطاء وقد تركها في «يخطر» من غير شكل وحقها الضمة ، وشكلها في «تخطر» بالكسر وهو خطأ لان حقها الضمة كما رأينا .

١٩- «وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر» (١١٥/١ - الفصل الثامن) الصحيح : اللفظات الثلاثة .

وقد وردت في ط - محمد محيي الدين (٦٦/١) الثلاثة - وكذلك في ط . البهية ص ٢٧ - ولا يمكن أن يرد الخطأ الى المؤلف لأننا نراه في أماكن أخرى يذكر العدد مع المعدود المؤلف فيقول : أربع لفظات ، عشر لفظات (٣٣٤/١) وجاء (٣٣٤/١) : «ان الفصل الأول ثمان لفظات» والمناسب ان تجيء : «...ثماني لفظات» وقد اتفق الاستاذ ان مع الشيخ (٢٣٩/١)

٢١- «وبلغني ان قوما ببغداد من رعا ع العامة» (١٢٤/١) - ووردت رعا ع بكسر الراء والصحيح فتحها .

٢١- «ولقد مارست الكتابة ممارساً كشفت لي عن أسرارها» (١٢٦/١ - الفصل العاشر) .. وواضح أنه يريد «ممارسة» وقد يعزى ذلك - بدلالة طبع الحرف - الى المطبعة ولدى محمد محيي الدين : ممارسة (٧٧/١) وقبله في البهية (ص ٣١) .

٢٢- «لما عاينت من نيله من العناء» (١٢٦/١) وواضح انها «عانيت» بدليل «العناء» وكنت احسبه من الخطأ المطبعي ولكن وروده كذلك في «البهية» (ص ٣١) يميل بنا الى ان المحققين تابعا مطبوعة غير دقيقة . ولو تابعا محمد محيي الدين (٧٧/١) لتدبرا الامر .

٢٣- «الفصل العاشر - في الطريق الى تعلم الكتابة» (١٢٥ - ٢٠٩) فصل واحد متصل المواد يقوم على ثلاث نقاط رئيسة هي حل الابيات الشعرية ، حل آيات القرآن العزيز ، حل الاخبار النبوية . ولا يقتضي سياق العرض التصرف بالتوزيع إذا أمكن التصرف بالتوضيح . ولكن الذي حدث أن المحققين بعد أن أثبتنا في أواخر ص ١٢٥ «الفصل العاشر...» - كما يجب من التوضيح بتنوع الحرف وتبريزه وبلغا ص ١٢٨ حيث قال المؤلف» وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع ، فأول ماأبدأ به على عقب ذلك ان اقول» : تركا بياضا في اسفل الصفحة وانتقلا الى أعلى صفحة جديدة كتبا بخط متميز : حل الابيات الشعرية عنوانا - وهذا غير صحيح ويوهم باستقلال الموضوع عن فصله . هذا إلى أنهما حين انتبهامان هذه النقطة من الفصل (وسط ص ١٧٠) سارا في الكلام من غير أن يميزا النقطة الجديدة فكتبا في أول السطر : «واما حل آيات القرآن العزيز» وسارا ووصلا ص ١٩٠ وسارا وكأن لم ترد النقطة الثالثة الجديدة المهمة فلم يميزاها بشيء وقالوا في أول السطر «واما الاخبار النبوية ...» - وهذا غير لائق (في الإخراج - في الأقل)

وكان مناسبا ان يذكرهما ورود اسم كتاب «الوشى المرقوم في حل المنظوم» على قلم المؤلف (١٦١/١) بصلة الفصل العاشر - هذا - به (٢٩) ٢٤- قول ابي نواس (١٥١/١) :

«فقلت لشيخ منهم متكلم

له دين قسيس وفي نطقه كفر

اعندك بكر مرة الطعم موقف

صنيعه دهقان تراخي له العمر...»

هكذا وردت «مرة» بالراء وهي في الشعر الخمرى ترد بالزاي اى مزة

وقد وردت في شعر الاخطل :

وقهوة مزة راووقها خضل .»

جاء في انقاموس : «المازة بفتح الميم - الخمر اللذيذة الطعم كالمزاء - بضم الميم .. الخمر فيها حموضة» وفي مختار الصحاح: «شراب مز - بضم الميم - ورمان مزبين الحلو والحامض» .
٢٥- المقالة اولى في الصناعة اللفظية - القسم الاول في اللفظة المفردة /١ ٢١٠-٢٦٩ (٣٠) .

ص ١١/١ « وهذا الموضوع يضل في سلوك طريقة العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر» - والصحيح : طريقه ، وهو من الخطأ المطبعي .
٢٦- ينسب المحققان الاشعار الى قائلها ، والمؤلف نفسه كثيرا ما ذكر القائلين فيتوليان العودة الى الديوان والمصدر ، وكان الشيخ محمد محيي الدين قد سبقهما الى ذلك وعلى وجه احسن .

وكثيرا ما وقع ذلك - عندهما - في الايات المشهورة النسبة والمصدر ... وتترك ايات اخرى من غير نسبة او مصدر ، ومن هذه الايات ، البيت المشهور : (١ / ٢٢١) :
لايعرف الشوق الا من يكابده

ولا الصبابة الا من يهانيتها

وهو للأبلة البغدادي : «ابو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله» المتوفى سنة ٥٩٩ على رواية وسنة ٥٨٠ على رواية اخرى» (٣١) .
٢٧- «حتى ان» (١/٢٥٩) بفتح الهمزة . الصحيح كسرهما . وتكرر ٣٨٠/١

٢٨- «القسم الثاني - في الالفاظ المركبة» (١/٢٧١ - ٢٧١) : « اعلم ان صناعة تأليف الكلام تنقسم الى ثمانية انواع هي : السجع ، ويختص بالكلام المنثور . والتصريح : ويختص بالكلام المنظوم ، وهو داخل في باب السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور .

والتجنيس ، وهو يعم القسمين جميعاً
والترصيع ، وهو يعم القسمين ايضاً جميعاً
ولزوم مالا يلزم : وهو يعم القسمين ايضاً
والموازنة ؟ وتختص بالكلام المنثور
واختلاف صيغ الالفاظ ، وهو يعم القسمين جميعاً .
وتكرير الحروف ، وهو يعم القسمين جميعاً .

وملاحظة اولى عن نظام الفوارز . فصحيح أن النظام يسمح بقدر من
الاجتهاد ولكنه لايسمح بالفوضى لدى القاعدة الواحدة . فالمحققان هنا
يوليان افقياً الانواع الثمانية وهذا جيد للتوضيح ، ولكنهما يعقبان النوع
الواحد بفواصل مختلفة فهناك فائزة يعد السجع والتصريع والتجنيس ،
وفائزة منقوطة بعد التصريع ، ونقطتان شارحتان بعد لزوم مالايلزم
والموازنة ثم عودة الى الفائزة !! .

اما الملاحظة البعيدة الأثر والمدى فعن الخداع الذي يسببه توالي
المصطلحات الثمانية ، وهي ثمانية - فعلاً - لدى التوالى ، وكان المؤلف
نفسه قد أعلن أن الأنواع ثمانية هي :

فهل هذه المتواليات الثماني هي الانواع الثمانية المطلوبة ؟

الجواب: لا

وبيان ذلك يقتضي متابعة واعية لانواع الالفاظ المركبة منذ البداية (ص ٢٧٠
-) حتى النهاية (ص ٤١٤).

النوع الاول : السجع

وحده... وننتهي من السجع بانتهاء ص ٣٣٧ ونفتح صفحة جديدة ٣٣٧
متوالية مع الصفحات السابقات ، وهن غير اعلان عن «نوع» «جديد» :
«واعلم ان التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور ،
وفائدته في الشعر...» ويمضي يتحدث عن التصريع بهذا المعنى حتى ينتهي
منه بالسطر الثاني من ص ٣٤٢. واقل مايعنى ذلك ان التصريع كالسجع
وهما شي «واحد» يأتي الاول في النثر ويختص الثاني بالشعر. ويعني ان

المؤلف يتحدث عنهما ضمن نوع واحد من الانواع الثمانية للالفاظ المركبة
وهكذا يبطل الشكل الذي اورد عليه المحققان توالي الانواع الثمانية اذ قالوا:

السجع ...

والتصريع ...

والتجنيس ...

ودليل آخر انك تجد بعد السطرين الأولين من ص ٣٤٢ اللذين يختمان
الكلام على التصريع:

النوع الثاني

في التجنيس

ولو قبلنا - فرضاً - التصريع نوعاً ثانياً مستقلاً عن النوع الاول لكان
الذي يليه: النوع الثالث، في التجنيس، وهو مما لم يقع وعليه نعود الى
متواليات الانواع على (٢٧٠/١ - ٢٧١) فنجعلها هكذا:

السجع: ويختص بالكلام المنشور، والتصريع ويختص بالكلام المنظوم،
وهو داخل في باب السجع، لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام
المنثور.

والتجنيس: وهو يعم القسمين جميعاً

والتصريع:

ولزوم ما لا يلزم:

الموازنة:

واختلاف صيغ الالفاظ:

وتكرير الحروف ...

وتجد هنا مشكلة «عويصة» لان الثمانية تصير «سبعة» ونحار حينئذ
- ولانحار - في البحث عن النوع الثامن... ونمضي في البحث.

١ - السجع (ومنه التصريع) ٢ - التجنيس ٣ - التصريع ٤ - لزوم
٥ - الموازنة ٦ - اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها حتى اذا انتهينا

منه ص ٣٩٥ رأينا - بصريح العبارة - على رأس ص ٣٩٦ وبخط واضح:
النوع السابع: في المعاملة اللفظية تنتهي منه ص ٤٠٩ لنقرأ بخط واضح:
النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ في السبك ونكون قد وجدنا ضالتنا
واصلحنا خطأنا ونعود الى (٢٧٠/١ - ٢٧١).

لنصحح الخطأ ونوالي الانواع الثمانية بعد حذف التصريح «عن ان
يكون نوعاً مستقلاً لدخوله في النوع الاول (السجع وزيادة) «المعاملة اللفظية»
التي هي نوع مستقل، يكون النوع السابع لدى الدقة والتحقيق:
«اعلم ان صناعة تأليف الكلام تنقسم الى ثمانية انواع هي:
السجع... والتصريح... داخل في باب السجع ...

والتجنيس...

والترصيع...

والموازنة....

واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها

والمعاملة اللفظية..

والمناظرة بين الالفاظ في السبك

ونكون بذلك قد اصلحنا خطأين هما إخراج التصريح وإرجاعه الى السجع
ثم ادخال المعاملة نوعاً مستقلاً كان قد ضاع في التسلسل وأصلحنا - كذلك -
خطأً ثالثاً وكأنه أصلح نفسه، واننا ندركه عندما نعود الى «الأنواع»
الواردة على ص ٢٧٠ - ٢٧١ ونرى في آخرها:

تكرير الحروف حتى اذا سرنا في تتبع الحديث المفصل عن الانواع
رأينا المؤلف يقول (ص ٤٠٩) « النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ في السبك»
فيكون «تكرير الحروف» قد ورد خطأً أو أن المؤلف في أبعاد الأحوال - قد
اضرب عنه.

وقد يكون مناسباً ان نرجع الى كتاب آخر لابن الاثير هو «الجامع
الكبير» - يبدو أنه ألّفه قبل المثل السائر - فنجده يتحدث «في الصناعة

اللفظية ص ٢٥١ - ٢٧٤)» ويذكر لها سبعة انواع : الاول في السجع والازدواج وغيره التصريح ، الثاني التجنيس ، الثالث الترصيع ، الرابع لزوم ما لا يلزم ، الخامس الموازنة ، السادس : في اختلاف صيغ الالفاظ ، السابع في تكرير الحروف ...

ولنلاحظ أخيراً أن هذا الذي وقع للمحققين هنا ، وقع للشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد (ينظر ١٩٢/١ -) ، وللطبعة البهية (ص ٧٤) . وفي هذا ما يمكن أن يدل على نقص في المخطوطات المعتمد عليها . ولا بد من حذر شديد لدى تحقيق الكتاب ولدى النقل عنه (٣٢).

٣٠- ووقع في «فهرس الكتاب - القسم الاول» الذي عمله المحققان تغيير قليل ما كان ليقع فقد ورد (ص ٤٢١): «حل آيات القرآن الكريم - ١٧٠» ولو رجعنا الى ص ١٧٠ لوجدنا ابن الاثير يقول : «حل آيات القرآن العزيز والواجب ان نحفظ باستعمال المؤلف : «العزيز» .

(٤)

القسم الثاني (الجزء الثاني)
المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

- ١ - كتب على صفحة الغلاف الداخلي «الطبعة الاولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م - جميع الحقوق محفوظة للمحققين»
- أ - وهذه امور كان يجب ان تكتب على القسم الاول (الجزء الاول)
- ب - معلوم أن هذه الطبعة، طبعة مطبعة نهضة مصر ليست الطبعة الاولى للمثل السائر ولكنها الطبعة الاولى في مطبعة نهضة مصر بتحقيق دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوى طبانة...
- ج - كون الحقوق محفوظة للمحققين، يحملهما من المسؤولية اكثر مما لو كانت الحقوق محفوظة لدار النشر...
- ٢ - «ومحال أن تحصر جزيئات المعاني، ومايتفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها» (٣/٢)
- كذا وردت «عليها» وهي كذلك في ط. محمد محيي الدين والبهية وقد يكون مناسباً ان يشار الى ان «عليها» يمكن ان تكون «عنها».
- ٣ - «... كان له طبعاً وخليقة والله فطره عليه...» (٣/٢) كذا وردت (خليقة) وهي كذلك في ط. محمد محيي الدين والبهية) وقد يكون مناسباً أن يشار إلى أن «خليقة» يمكن ان تكون «خلقة»
- ٤ - «...وهي كمال يقال: «فقاقع ليس لها طائل»، كأنها شعر الابيوردى» (٦/٢) ووضعاً على «الابيوردي» رقم (١) للاحالة على الهامش، وكتب في الهامش «هو أبو المظفر محمد بن ابي العباس أحمد الابيوردي يتصل نسبة بأبي سفيان من بني امية...قسم اشعاره الى أقسام، سماها العراقيات والوجديات والنجديات وغيرها، والعراقيات اكثرها في مدح المقتدر، والمستظهر ووزرائهما. توفي سنة ٥٥٧ هـ، و«أبيورد» المنسوب اليها بليدة بخراسان»

أ- واقل ما يعني شرحهما عن الأبيوردى وأنه شاعر، ان يتبها الى شكل كتابة نص ابن الأثير. لان الكلام الوارد بعد «كما يقال» بيت من الشعر قيل في هجاء الأبيوردى بشعره يكتب هكذا:
فقاع ليس لها طائل

كأنها شعر الأبيوردى

ب- وليلاحظ ان البيت جاء نثرا كتبت فيه «فقاع» على «تقاع» في ط البهية (١٣٠)، وأنه جاء نثرا في ط. محمد محيي الدين بعد كتابة «فقاع» صحيحة (٣١٢/٢)

ج- صحيح المقتدر: المقتدى لان المقتدر وهو جعفر بن المعتضد بن المتوكل توفى (قتل) سنة ٣٢٠ أى قبل وفاة الشاعر بنحو من قرنين: على حين توفى المقتدى (وهو ابو القاسم عبدالله بن محمد بن القائم) في محرم ٤٨٧ بعد خلافة دامت اكثر من (١٩) سنة.

د- توفى الأبيوردى سنة ٥٠٧ ومن الخطأ (الحديث) ما ذكره المحققان - ينظر ابن خاكان ط. إحسان عباس: محمد بن أحمد...، والشعر العربي لكتاب البحث ١١٧/١.

ه- ان المعاني... على ضربين: احدهما يتدعه مؤلف الكلام من غير ان يقتدى بمن سبقه... ولنشر في هذا الموضع الى نبذة لتكون مثالا للمتوشح لهذا الصناعة...» (٧/٢)

صحيح «المتوشح»: المترشح. والدلالة واضحة، وابن الأثير يؤلف لمن يرشح نفسه لان يكون كاتباً (او شاعراً)
وسبق ان وردت صحيحة على «المترشح» وانها وردت على المترشح في كتابه «الجامع الكبير» (ص ٢٦ - مثلاً).

ولكن المحققين لم يتوقفا ليربطا بين الشكلين ويصلا الى المعنى المطلوب ومن ثم الشكل اللازم.

وسيتكرر الخطأ (١٨٤/٢)

ويلاحظ أن «المرشح» جاءت خطأ على «المتوشح» من ط. محمد محيي الدين (٣١٢/١ - وكل مكان آخر من الكتاب) وط. البهية (١٢١) - وكل مكان آخر)

٦ - «سيف الدولة بن حمدان» (١٠/٢)

ووضع المحققان رقما للاحالة وعرفا في الهامش معرفا ، ولاسيما لقارئ «المثل السائر»... وزادا أن ثبتنا في التعريف الذي يفترض فيه الايجاز التام والاكتفاء بالمقرر اللازم للمعرف به.. بأن قالوا: «كان سيف الدولة... شاعراً»

فلم هذه «الشاعر» في تعريف سيف الدولة؟ الايات محدودة كان يقولها مشاركة «وتفكها» ذكرها له الثعالبي في يتيمة الدهر (٣١/١ - ٣٤) في تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد

٧ - من قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة (١١/٢)

تضيق بشخصك أرجاؤها

ويركض في الواحد الجحفل.....

وشعر المتنبي مشروح لايلزم محقق كتاب «المثل السائر» باثبات الشعر في الحواشي تجنباً للاطالة والانتقال....

وليكن...ولكن كلمة «الأرجاء» من تضيق بشخصك أرجاؤها مما لايصح الجهد والمكان والزمان بشرحه . ولكنهما قالوا : «الارجاء النواحي» مما زادا القارئ علماء ، لأن الأرجاء هي النواحي . وأرادا أن يزيداه علماء فقالوا : الأرجاء جمع رجا ، والثنية رجوان «فما الموجب إلى ذلك ، هل القارئ في درس لغوي؟ إن المحقق يقف عند ماله صلة مباشرة بالنص ليس

غير .

ومضيا في الشرح ... ولكنهما لم يقولوا على م يعود الضمير من «ارجاؤها ٣٣
٨ - « ابن حمديس الصَّقلي (١٤/٢) بفتح الصاد
في حركة الصاد اختلاف جاء في القاموس المحيط (صقله): «وصقلية
بكسرات مشددة اللام جزيرة بالمغرب .

وقال ياقوت: «صقلية بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء، وأكثر
أهل صقلية يفتحون الصاد واللام (٣٤)». وقال ابن خالكان (حرف العين-
عبد الجبار بن محمد..): «بفتح الصاد والقاف»
٩ - الأعشى «(٥٩/٢)، وفي الهامش: «أعشى قيس هو ميمون...توفي
سنة ٦٢٩م»

فمن أين لنا بهذا الجزم في تاريخ الوفاة ميلادياً؟

١٠ - «هاهنا» (٦٠/٢) تردد من كلام ابن الاثير ، يرسمها المحققان هكذا
(هاهنا)، (١٩٣/٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨١ ، ٣٩١)

ويرسمها محمد محيي الدين «ههنا»، وهي كذلك في ط. البهية .
ولا بد من ان تكون في المخطوطة كذلك «ههنا» وان المحققين تصرفا
وتصرفهما ليس خطأ ، ولكن به حاجة إلى تنبيه من المقدمة .
١١ - قول الشريف الرضي (١٠٩/٢) :

اذا انت افنيت العرائن والذرا

رمتك الليالي من يد الخامل الغمر

... فالعرائن والذرا هما عظمة الناس ... - واحال المحققان الى ديوان
الشريف ٤٠٧/١

والذرا - هنا بالالف كما جاء في مختار الصحاح «وذرا الشيء بالضم
اعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها)

وقد وردت في ط. البهية «الذرى» - غير مشكولة بالطبع . ووردت
في ط. محمد محيي الدين «الذرى» - بضم الذال ، والألف المقصورة مع

الإحالة - كما لدى المحققين - الى الديوان ٤٠٧/١

ولابد من أن يكون شكل البهية ومحمد محيي الدين مما جاء في المخطوطة او ما هو اقرب اليه وانه أولى ان يعتمد عليه مالم ينص المحققان على التغيير الذي اجره هذا الى انها في القاموس المحيط كذلك «الذرى» ونرجع الى الديوان فنجد البيت من (٤٠٨/١) - (بيروت . ط . الادبية ١٣٠٧)

اذا انت افيت العرائن والذرى

فهي تكتب - إذأ - الذرى كذلك.

١٢ - «ولد ابو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد ، وعاش فيها متأثراً بمزاجه البوناني ... توفي سنة ٢٨٣ هـ» (١٢٥/٢٥) قد تكون بالقارى الحديث حاجة الى التنبيه بأن «الرومي» تعني اليوناني (٣٥)

١٣ - قال الزبير بن العوام في غزوة بدر - : لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس ، وعليه لامة كاملة لا يرى منه الاعيناه ، وهو يقول : «أنا أبو ذات الكئوس ، وفي يدي عنزة فاطعن بها في عينه ، فوقع واطأ برجلي على خده ، حتى خرجت العنزة متعقفة»

«... الاترى انه قال اولاً : «لقيت عبيدة» بلفظ الماضي ، ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه» ولو عطف كلامه على اوله لقال : «فطعنت بها في عينه ؟»

وشرحها في الحاشية : «الامة» ، وقد تُخفف الدرع ، او السلاح ، او اداة الحرب (العنزة) - بفتحتين - مثل نصف الرمح أو اكبر ، وفيها سنان كسنان الرمح . متعقفة : ملوية « (١٨٦/٢)

ضبطاً «أطعن» بفتح العين على حين أنها تضم وتفتح . وقد يكون الضم أولى . جاء في لسان العرب «... قال الليث : والعين من يطعن مضمومة وبعضهم يقول يطعن - بضم العين - بالرمح ، ويطعن - بفتح العين -

بالقول ففرق بينهما ، ثم قال الليث : وكلاهما يطعن - بضم العين -
وقال الكسائي : لم اسمع احداً من العرب يقول يطعن بفتح العين - بالرمح
ولا في الحسب وانما سمعت يطعن - بضم العين - وقال الفراء :
سمعت انا يطعن - بفتح العين - بالرمح ...»

وفي مختار الصحاح : «طعنه بالرمح وطعن في السن وكلاهما من باب
نصر وطعن فيه أي قدح من باب نصر ... والفراء يجيز فتح العين من يطعن
في الكل ...»

١٤ - ورد أكثر من خطأ مطبعي ، يمكن أن أشير منه إلى ذيل (٨/٢) :
ذيل و «ان قيل في هذا : الموضوع» : ان قيل في هذا الموضوع (١٩١/٢)
١٥ - «واما الصفتان الواردتان على شيء واحد فكقول الأشر النخعي :
بقيت و فرى وانحرفت على العلاء

ولقيت أضيفي بوجه عبوس

.... «(٢١٢/٢)»

الصحيح وانحرفت عن ...»

وقد ورد الخطأ (وانحرفت على...) في ط. البهية
وورد الصواب لدى محمد محيي الدين (٣٤/٢) وقال هو من شعراء الحماسة
وانظر شرح التبريزي ١ - ١٤٣ ... ووقع من ب ، ج «حلفت وفدى...
وهو تصحيف شنيع والذي في ديوان الحماسة: بقيت و فرى وانحرفت
عن العلى...»

وللاحظ ان محمد محيي الدين أثبت في مطلع المقطوعة من الأصل:
«حلفت وفدى...» يريد ان يقول ان هذا الرسم ورد في المخطوطات.

يؤيده أن ط. البهية ثبتت : «حلفت و فرى...» أما المحققان فقد ثبتا
«بقيت و فرى» وأشارا في الحاشية إلى الرسم من الاصل «حلفت و فرى»
وكان المناسب أن يقولوا أن التصحيح على شيخ الحماسة .

١٦ - «الباب الخامس عشر من الإيجاز» (٢٦٥/٢)

من الخطأ كتابة كلمة «الباب» هنا لأن ابن الأثير لم يستعمل «الباب» في تفريعات المثل السائر ، ولأنه - هنا - يفرع الصناعة المعنوية إلى ثلاثين نوعاً ، رأينا أربعة عشر منها مسبوقة بكلمة «النوع» وسرى خمسة عشر منها مسبوقة - كذلك - بكلمة «النوع» وعلى هذا يكون صحيح ما جاء على (٢٦٥/٢) : النوع الخامس عشر في الإيجاز .

وقد ورد نوعاً كذلك لدى محمد محيي الدين (٧١/٢) وفي ط .

البهية (١٩١)

بل ورد لدى المحققين أنفسهما في فهرس «محتويات القسم الثاني

هذا (٤٠٩/٢)

١٧ - قول الشاعر :

فقد جئنا خراسانا « (٣١٨/٢)

وفي الحاشية: «جزء من بيت، وهو بتمامه:

قالوا: خراسان اقصى مايراد بنا

ثم القبول فقد جئنا خراسانا»

حسنا فعل المحققان اذ أوردا البيت تاما. ومن منهجهما أن ينسبا الشعر الى صاحبه وأن يعرفا بالشاعر. وهنا نقول - ما لم يقولوا - ان البيت من مقطوعة

للعباس بن الأحنف (٣٦)

ومما يلاحظ ان حاشية محد محيي الدين (١٠٥/٢) هي :

«يشير الى قول الشاعر:

قالوا خراسان اقصى مايزاد بنا

ثم القبول فقد جئنا خراسانا»

اي انه كان اسبق منهما في اتمام البيت وروايته بشطريه وان لم يذكر اسم

الشاعر

١٨ - تقليد أنشأته لمنصب الحسبة... أما بعد... ف... من أهم ما تقرر ببناءه ، ونقدم عناءه ، ونصلح به الزمن وأبناءه ، أن نمضي أحكام الشريعة المطهرة على ما قررته من تعريف ما عرفته ، وتنكير ما نكرته ، ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند . وقد اخلصنا النية في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ، ويصطفي لها ولا يصطفيها ، وهو أنت ايها الشيخ الاجل «فلان» (...)

ونحن نأمرك ان تتصفح احوال الناس في امر دينهم الذي هو عصمة لهم ، وامر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم ، فابدأ اولاً بالعقائد .. وعاقب المخالف من فلاسفة وغيرهم من اصحاب المقالات المخالفة لسبيل الفرقة الناجية...

«واذا فرغنا من الوصية بالاصول التي هي للدين ملاك فلتتبعها بالفروع التي هي له مسافة : واول ذلك الصلاة...

وهاهنا عظمة عضية ، وفاحشة يفقه لها من ليست نفسه بفقهيها ، وهي الربا ، فانه قد كثر اكله ، وتظاهر به فاعله ، وقال فساق الفقهاء بتأويله وتوصلوا الى شبهة تحليله (...). فعدل ميل هؤلاء تعديلات (...). واعلم انك قد وليت من الكيل والميزان امرين هاكت منهما الامم السالفة. فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار (...). واما التسعير ... وقد استمر في الناس عوائد ... من ذلك لبس الذهب والحريير ... ويلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آتية يمنع منها حق الصدقات ، وهو حق يقاتل مانعه ، ويعصى في استعمالها امر الله ... وكذلك يجرى الحكم من الصور المرقومة في البيوت والثياب ، وعلى الستور المعلقة على الابواب ، واخراجها في ضروب أشكال الحيوان ، للملاعبة الصبيان ، وذلك مماثلة لخلق الله في التقدير ، ولهذا يؤمر صانعه بنفخ الروح فيما صوره من التصوير .

ومما يغلظ نكيره اطالة الذبول للاجترار ، والمباهاة لما فيها من عنجهية التيه والاستكبار

ومما هو اشد نكيراً امر الحمامات ، فان الناس قد اضرروا بها على الاجهار وترك الاستتار ... والنساء في هذا المقام اشد تهالكا من الرجال....
ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالحان ... ويلتحق بذلك اقتناء الفتيات المغنيات ... وكذلك يجرى الحكم في المواشط اللائي يجعلن الحسن موفورا ، والتبجح مستورا ... ومن غش المنكرات خضاب الشيب ... ومما خولفت فيه السنة عقد مجالس التعازي لحضور الناس واطهار شعار الاسود والازرق من اللباس ...

ويتصل بهذه المنكرات المذكورة اشياء اخرى تجرى مجراها ... فاحكم فيها بحكمك ... حتى يتقوم الاود

واعلم ان الامر بالمعروف عبادة يتعدى نفع صاحبها الى غيره ... وهذا اخر ما عهدناه اليك من العهد الذي طوقت اليوم بكتابه ، وسناقش غدا على حسابه «

اطلنا النقل من هذا الكتاب لطوله في الاصل (٢/٣٨٥/٣٩٩) ولأهميته في بابه وليشرح كلمة «الحسبة» التي لم يشرحها المحققان هنا وشرحها خطأ من القسم الأول (الجزء الأول) (٤٤/١) - ينظر ١٤ من الفقرة رقم ٣ من هذا البحث في أعلاه

القسم الثالث (الجزء الثالث) أوله النوع السابع عشر في التكرار

١. «قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرير الحروف ، وما (اشبهه) ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو «تكرير المعاني والالفاظ ...» ... «واما التكرير ... ان المفيد من التكرير ... اذا كان التكرير ... التكرير ... التكرير... التكرير (٣/٣ - ٤٠)

أ - نلاحظ في العنوان «التكرار» ونلاحظ في سياق الكلام «التكرير»، والمفروض التوحيد ... فاما ان يكون العنوان التكرير والسياق التكرير ، .
واما ان يكون العنوان «التكرار» « والسياق «التكرار». والمناسب ان يكون السياق هو الحكم.

نرجع إلى ط. محمد محيي الدين (١٥٧/٢ -) فنجد العكس مما لدى المحققين «النوع السابع عشر من التكرير قد تقدم الكلام من صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما (اشبهه) ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني ..»

ولاتحل ط. الشيخ محيي الدين الاشكال، وان كانت اميل إلى «التكرير» منها إلى «التكرار» بدليل العنوان، وبدليل ما يأتي من السياق بعد السطرين الاولين، لانه سيعود إلى «التكرار» و«التكرير» ونجد التكرير والتكرار في ط. البهية (٢٢٨):

«النوع السابع عشر في التكرير، قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ... تكرار ... التكرير ... التكرير ...»
ومما في ط. محمد محيي الدين يطابق مافي ط. البهية والزيادة في عدد وزود كلمة «تكرير» ترجحها.

وكنا نأمل ان نجد في احدى الطبقات ماينبه إلى ورود هذا الاختلاف من استعمال كلمة واحدة لدى مؤلف واحد.

وصحيح ان المعجم يورد الاستعمالين (تكرير وتكرار) بمعنى، ولكننا نريد النص كما تركه صاحبه، ونسائل المحققين عن الاختلافات كما وردت في المخطوطات. وننتهي - هنا، مؤقتاً - بقبول ط. البهية لأنها اكثر «فطرية» ثم ط. محمد محيي الدين لأنها تطابقها ولأن لديه مخطوطات. وننتهي كذلك - ولو مؤقتاً - إلى ان العنوان الأصلي هو: النوع السابع عشر من التكرير يليه التكرار والتكرار ... والتكرير والتكرير والتكرار مرارا...

واستعمال المؤلف لكلمة « التكرير » ليس بعيداً عنا فقد رأيناه في النوع السادس عشر في الإطناب « (٢/٣٥٤ -) حيث ورد فيه : « وأما التكرير فإنه دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، كقولك لمن تستدعيه : أسرع ، وسيرد بيان ذلك مفصلاً في بابه بعد باب الاطناب لاني ذكرت الايجاز ثم الاطناب ثم التكرير ، وهي ابواب يتبع بعضها بعضاً (٢/٣٥٨) ومثله في ط. الشيخ محيي الدين (٢/١٢٩) والبهية (٢١٤).

وفي هذا دليل اخر على ان عنوان النوع السابع عشر هو التكرير ويمكن ان يدل على ان « التكرير » هو مراد المؤلف .

ب - ونعود الى السطرين المنقولين س (٣/٣) فنرى كلمة (اشبه) بين معقوفتين دلالة على ان الكلمة مما زاده المحققان ليستقيم النص ولكننا اذا رجعنا الى ط. محمد محيي الدين وجدناه قد سبقهما الى هذا (٢/١٥٧). فهل هذا من توارد الخواطر ؟

- ترى اكانت ضرورة تحتم هذه الزيادة ؟ ا

- لا

ونرجع الى نص . ط البهية - وهي على فطرتها ، فنقرأ : « النوع السابع عشر من التكرير . قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والالفاظ (٢٢٨)

واضح أن لامجال لكلمة (أشبهه) لأن كلام المؤلف متسق، فما كان ذلك « النوع » من التكرار ، تكرار الحروف « مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والألفاظ » .

لامجال لزيادة كلمة اشبه ، وإذا زدنا وقعنا في حاجة جديدة هي البحث عما تدل عليه ، ولايؤدي البحث الى نتيجة ، وكان من الممكن ان توضع فارزة (او فاززة منقوطة) ، بعد كلمة «الحروف»

جـ - يقول المؤلف (٣/٣) : « ... قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ... الخ »

وكان الجدير بالمحققين ان يحيلوا على الكلام المتقدم ليتم للقراء الربط وليؤكدوا منهجا سارا عليه في الاحالة (ننظر ٣/٣ مثلا) هذا الى مايمكن ان نجد مما يتعلق بقضية : التكرير والتكرار ...

ومن يدري فلعلهما بحثا ما استطاعا البحث دون جدوى ، ان كلمة « في صدر كتابي هذا » مضللة لان المؤلف من « الصدر » ان يأتي في اول الكتاب ، في مقدمته مثلا او في المقالة الاولى في الاقل ... ولكن شيئا من هذا لم يقع وانك لا ترى صدر الكتاب المقصود الا عندما تقترب من نهاية المقالة الاولى اي من النوع السابع من القسم الثاني (في الالفاظ المركبة) منها فهو يتحدث في النوع السابع اي في المعاطلة اللفظية ويقول (٢٩٦/١) : « والمعاطلة معاظلتان : لفظية ومعنوية . اما المعنوية فسيأتي ذكرها في باب (التقديم والتأخير) من المقالة الثانية ، فليؤخذ هناك . واما المعاطلة اللفظية « فتقسم الى خمسة اقسام ... » القسم الثاني من المعاطلة اللفظية يختص بتكرير الحروف ، وليس ذلك مما يتعلق بتكرير الالفاظ ولا بتكرار المعاني - مما يأتي ذكره في باب التكرير في المقالة الثانية وانما هو تكرير حرف واحد او حرفين من كل لفظة من الفاظ الكلام ... تكرير ... » (٤١٠/١ - ٤٠٤)

واضح من هذا أن المؤلف يتبنى استعمال «تكرير» لا «تكرار» وان الاستعمال المقرر سلفا للنوع السابع عشر هو «التكرير»
والتكرير ... والتكرير ... التي وردت هنا ، وردت في ط . محمد محيي الدين ٢٩٦/١ ، الميمتزة ١١٥

يرد في مؤلفاته الأخرى فنرجع الى الجامع الكبير فلا نجد غير «التكرير» من النوع التاسع عشر من الباب الاول من الفن الاول من القطب الثاني (٢٠٤-٢١١) ونجده عنوانا للنوع السابع من الباب الأول ... (٢٧٣-)

٢.. «ووقفت من كتاب العقد على حكاية تعريضية حسنة الموقع ، هي ان امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر في بيتي» فقال : ما أحسن ماوردت عن حاجتها ، املأوا بيتها خبزا وسمنا ولحما» (٧٣/٣- ٧٤)

قال المحققان في الحاشية شرحا للعقد : «العقد الفريد لابن عبد ربه» وهو شرح في محله وفي غير محله : في غير محله لان العقد مشهور معروف وكان يكفي لزيادة الدلالة ، وكما يقتضي علم التحقيق عادة ، أن يوضع في المتن بين اهله هكذا : «العقد» ليعلم من لم يعلم أنه عقد معين ، عقد معروف .. ، وهو في محله لضرورة من ضرورات التحقيق تقتضي التأكد من النسبة ومقابلة النص ، وهذا ما لم يفعله المحققان ولم يدلا القارئ على مكان الخبر من الكتاب في جزئه وصفحته (٢٧) .

٣- « ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب هو قول ابي العلاء بن سليمان ..» (٧٨/٣)

قال المحققان في الحاشية : « يريد الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ... »

ويدخل قولهما في تحصيل الحاصل لأن ابا العلاء أشهر من أن يعرف ثم إنه لا معنى لدى التعريف التحقيقي لكلمة « الفيلسوف»

٤ - وماأشياء نشرهها بـمال

فان نفقت فأكسد ماتكون (٨٢/٣)

وردت نفقت بكسر الفاء والصحيح فتحها ، وكذا فعل محمد محيي الدين (٢٢١/٢). وجاء في مختار الصحاح : نفقت الدابة (بفتح الفاء) ماتت ونفق البيع (بفتح الفاء أيضا) ... راج « ومثله في القاموس المحيط وزاد» وكفرح ونصر نفذ وفني، أوقل « والكسر في هذه الحالة لا يحقق السبب الذي جرى من أجله بالبيت وهو المغالطة» .

٥ - « وهي أشهر كما يقال من « قفانبك » فلا حاجة الى ايرادها في كتابي هذا » (٩١/٣)

وقال المحققان في الحاشية شرحا « للمشروح » : « مشهورة كقصيدة امري القيس التي مطلعها « قفانبك من ذكرى حبيب ومترل » وهذا هامش لاموجب له البتة - لم يفعله حتى الشيخ محمد محيي الدين (٢٣٠/٢).
٦ - « وأدق من هذا كله وألطف مايجكي من رجل من المناقذة أصحاب شيرز وهو أولهم الذي استنفذه من أيدي الروم بالمكر والخديعة ... » (٩٢/٣)

أ - صحيح شيرز : شيرز وقد وردت خطأ لدى محمد محيي الدين (٢٣٢/٢) كذلك « وشيرز - بفتح الشين ... وسكون الياء ... وبعدها زاي مفتوحة ثم راء قلعة بالقرب من حماه »
ب - استنفذه بالفاء صحيحها استنفذه بالقاف

ج - قد تكون / المناقذة» أجدر بالشرح من كثير مما شرح المحققان من أعلام . والمناقذة هم أبناء « منقذ الكناني الكلبي » « أصحاب قلعة شيرز (بقرب حماه) ، « وعلي بن مقلد بن نصر بن منقذ» هو صاحب قلعة شيرز (٢٨) .

٧ - « المتوشح » (١٢١/٣) : المترشح . وقد تكرر التنبية الى الخطأ فيها

٨ - « ومما استظرف من هذا النوع من الشعر ...
السي أن يبدأ ضوء الصباح كأنه
سنا وجهه قرواش وضوء جبينه
... هذا الممدوح ، وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب ، وكان صاحب
الموصل ... » (١٣٥/٣)

أ - جاء التعريف بقرواش على شيء من الغموض والإيجاز
وقرواش أولى بالتعريف من كثيرين مشهورين جدا غيره
ب - ضبط المحققان حرف الجيم من جبينه وهو مما لا يخطيء
فيه قارئ . ولم يضبطا القاف من قرواش وضبطها ضرورة تحقيقية .
ضبط الشيخ محمد محيي الدين القاف هذه بالكسر : قرواش (٢/٢٧١)
وهو الصحيح قال ابن خلكان « وقرواش بكسر القاف وسكون
الراء وفتح الواو وبعد الألف شين معجمة (٢٩) .

٩ - « قيس بن ذريح » (١٣٨/٣)
ضبطاه بالذال المضمومة والذي أعرفه أنه بفتح الذال ، وهكذا قرأته
في « أغاني » دار الكتب المصرية . وفي « القاموس » ذُريح كزبير الحميري
محدث وكأمير جماعة» ويفهم من هذا ان الشاعر (قيس بن ذريح) في
الجماعة .

١٠ - « الشاعر المعروف بالخباز البلدي » (١٤٠/٣) وفي الحاشية « من بلدة
يقال لها بلد من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل = اسمه ابو بكر محمد بن
احمد بن حمدان (بشيمة الدهر ٢/٢٠٨) .
كان المناسب ان يضعها «بلد» بين أهلة . والجزيرة خطأ مطبعي
صحيحه الجزيرة

١١ - « قول السلامي :
ليك طوى عرض الجزيرة جاعل
قصارى المطايا أن يلوح له القصر »

(١٨٨/٣)

أ - عرف المحققان بالسلامي فقالا : «من أشهر شعراء العراق .
ولد بكرخ بغداد ٣٣٦ هـ ينتسب إلى بني مخزوم (بتيمة الدهر ٣٩٥/٢)»
وواضح أن التعريف قاصر ، ولا معنى - لدى التعريف - بقولنا
«من أشهر شعراء العراق» وان كان الثعالبي قد قالها في يتيمة ، وزاد «قولا
بالاطلاق ، وشهادة الاستحقاق» فذلك منسجم وعقلية او عصره . هذا
إلى انه ليس اشهر من الشريف الرضي أو مهيار ...
ثم إن الثعالبي مضى في التعريف به فلماذا لم يتابعه المحققان حتى
يصلوا تاريخ وفاته في سنة ٣٩٤ .

ولنلاحظ أن الثعالبي ذكر لنا اسمه الكامل : «ابوالمحسن محمد بن
عبدالله السلامي» وكان لاثقا بالمحققين - وهما يعرفان بالشاعر - أن
يثبتا ذلك لاهميته في الدلالة على مصادره الاخرى وكمال التعريف به . ومن
مصادره كتاب ابن خلكان - حرف الميم محمد ...
١٢ - يرد خطأ مطبعي غير قليل . لم نحفل بالنص عليه . ومن ذلك «صرير»
(١٩٦/٣) وصحيحاً «صرير» ، تغزل (٢٧٥/٣) : تغزل ، وعاد (٢٧٥/٣) :
وعاو

١٣ - ابو نواس ... « ...
فما زلت ارقيه والشم خسه
إلى ان تغنى راضيا وبه سكر
الافاسلمى يادار مي على البلى

ولا زال منهالاً بجرعائك القطر» (٢٠٤/٣)

أ - وردت الشم بكسر التاء والصواب فتحها لانه من باب - فهم -
وورد الخطأ نفسه لدى الشيخ محمد محيي الدين (٣٤٦/٢)

ب - موضوع المؤلف هو «النوع السابع والعشرون : في التضمين»
وابو نواس - هنا - يضمن البيت الاخير . وتقتضي قواعد التحقيق الحديثة

ان توضع نقطتان (:) بعد كلمة سكر تنبيهاً إلى ان الذي يليها مضمن ،
وتقتضي كذلك وضع البيت المضمن بين اهله توضيحاً له و ابرازاً ودفعاً
للالتباس

ج- لم ينبه المحققان القارىء إلى صاحب البيت المضمن ، وهو
ذو الرمة وقد تنبه اليه قبلهما الشيخ محمد محيي الدين فقال : «هذا البيت
مطلع قصيدة لذي الرمة غيلان بن عقبة» .

د - والبيت المضمن مما يعرفه النحويون جيداً ، وهو لديهم -
كما هو هكذا :

الا يااسلمي ...

وكان المفروض بالمحققين ان يتذكرا ذلك وينبها القارىء إلى الوجه فيه .
ولكنهما لم يفعلا . وقد تابعا في ذلك المطبوعات الرديئة مثل طبعة المطبعة
البهية (ص ٢٩٥) وكان المناسب ان يفيدا من ط . محمد محيي الدين فقد
ورد الشاهد لديه (٣٤٦/٢) هكذا

«الاياسلمي ...» وقال في الحاشية : «وفي أ ، ب ، ج» اليااسلمي .»
وأن يفيدا من ديوان ذي الرمة وهو محقق تحقيقاً جيداً ، ومطبوع .
الخلاصة ان البيتين فيما يحسن - ويجب ان يردا في المتن هكذا :

...فما زلت ارقيه والشم خده

إلى ان تغنى راضيا وبه سكر:

«الا يااسلمي يادار مي على البلى

ولا زال منهلا بجرعائك القطر»

١٤ - «النوع الثامن والعشرون : الإرصاد ... ومن الافتخار بذلك يقول
ابن نباتة السعدي :

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب
صدورها عرفت منها قوافيها
ينسى لها الراكب العجلان حاجته
ويصبح الحاسد الغضبان يطربها
(٢٠٦/٣) وضعا رقما على «يطربها» وقال في الخاشية «بيمة الدهر ٣٧٩/٢
وكان بالأصل يطوبها»

وهكذا نعود مسألة «الأصل» مجددا. فما هو الأصل ؟
إن الشيخ محمد محيي الدين - وقد أقنعنا، على أي حال، برجوعه إلى
الأصول (المخطوطة) رواها «يطربها» على الصحيح ولم يشر إلى خلاف لديه
(٣٤٨/٢). وزجعنا إلى مطبوعة رديئة هي «البيهة» فوجدنا الخطأ لديها:
«يطوبها» فهل لمحقق أن يعد مطبوعة رديئة كهذه (أصلاً؟) ثم إنها قد
تكون في هذه المطبوعة الرديئة خطأ مطبعياً

١٥ - يحيل ابن الاثير احيانا على كلام سابق أو لاحق، ويعمل المحققان
على أن يعيّن ذلك الكلام من طبعتهما للقارىء والباحث. والعمل جيد تحقيقي.
ولكنهما لا يلتزمان به عند ما لا تكون الإحالة على عنوان بارز، فتتطلب بحثا
وجهدا. ومن هذا الذي فاتهما تحديد الإحالة عليه قول المؤلف وهو على
أبواب ختام النوع الثامن والعشرين: الارصاد: «وقد تقدم القول في صدر
كتابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وبكل
صناعة، ويخوض في كل فن من الفنون...»

— فأين تقدم القول ؟ وما صدر الكتاب ؟

— تقدم في الفصل الثاني من المقدمة - وصدر الكتاب هنا مقدمته (مقدمة
ابن الاثير في المثل السائر)، وصفحاته الاولى (٤٠/١) قال: «أعلم ان صناعة
تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة. وقد قيل: ينبغي
للکاتب أن يتعلق بكل علم... الخ

١٦ - «واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثرُوا،
وكنيت ألفت فيها كتاباً، وقسمته ثلاثة أقسام: نسخاً وساخاً ومسخاً، وهاهنا
قسمان آخران اخلت بذكرهما من الكتاب الذي ألفته...» (٢٢٢/٣)
لم يحدثنا المحققان عن الحال التي وجدا عليها هذه الأسطر ولاسيما
كلمة «فيها» أهي أصيلة فيها ام هي مما أدخله تعديلاً عليه كأن تكون - في
الأصل - : فيه، وجعلها فيها ...

وصحيح إن «فيها» تدخل على النص انسجماً ووضوحاً ، ولكنها
تنص صراحة على أن لابن الاثير كتاباً خاصاً ألفه بالسرقات . وهو ما لم
يصل الينا خبر عنه وان كنا نعرف أنه تكلم على السرقات من قبل ولكن
ضمن كتاب عام هو «الجامع الكبير» ولو ابقينا «فيه» بدل «فيها» لكان النص
على شيء من الاضطراب وقد يعود الضمير حينئذ - وبشيء من التكلف -
إلى البيان - او علم البيان - وعندئذ يمكن ان تنسجم الاشارة إلى كتاب
سابق له وهو «الجامع الكبير» فقد جاء هناك « النوع التاسع والعشرون من
الباب الأول من الفن الثاني من القطب الثاني : في الأخذ والسرقة» ورأيناه
يجعله قسمين يسمى القسم الاول النسخ ، ويقسم القسم الثاني إلى ضربين
هما السلخ والمسح (ص ص ٢٤٢ - ٢٥٠) .

او ان تكون الاشارة إلى كتاب آخر عام من علم البيان لما نصل
إلى العلم به (٣٩) .

أريد أن أقول إن المحققين تصرفاً بنص المؤلف (ابن الاثير) في المثل
السائر وجعلوا «فيه» (فيها) وليس ذلك من حقهما ، وكان اللازم ان يخبرا
بطبيعة تصرفهما والدواعي اليه والاصول المتبعة . ذلك أننا رأينا «فيها»
في مطبوعة البهية (ص ٣٠١) ، وفي مطبوعة الشيخ محمد محيي الدين (٣٦٧/٢)
وقد اقتعنا الشيخ ، بوجه وآخر ، بأن لديه مخطوطات وأنه أفاد من هذه
المخطوطات لدى التحقيق (كما أفاد من المطبوعات) .

١٧- «وكنت سافرت إلى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة»، ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون بيت من شعر ابن الخياط من قصيدة له أولها :

خذنا من صبا نجد أمانا لقلبه « (٢٢٣/٣) . وذكرنا في الحاشية تكملة البيت (فقد كاد رياها يقاير بلبه) وقال : وهو مطلع قصيدة لطيفة منها :
وياكما ذاك النسيم فانه

متى هب كان الوجد ايسر خطبه ...»

وذكرنا ثمانية ابيات وقالنا : «والأبيات لأحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي الكاتب المتوفى سنة ٤٩٧ (الكامل لابن الأثير ١٢/١٩٣) .»

ومن الملاحظات على هذا ان التعريف بالشاعر مقتضب جداً مع انه أولى بالتفصيل من شعراء معروفين كالمتنبي ... وابي نواس . وان ابن خلكان أولى ان يكون المصدر من ابن الأثير ، وان التاريخ الصحيح الذي لا اختلاف فيه لموت ابن الخياط هو عام ٥١٧ .

هذا إلى ان ديوانه مطبوع مرتين (٤٠)

يذكر المحققان - لدى تعريفهما بابن الخياط مصدرهما : الكامل لابن الأثير ١٢/١٩٣ . ونرجع إلى قائمة «مراجع التحقيق في آخر القسم (الجزء) الرابع من تحقيقهما ص ٥٥٥ : «الكامل في التاريخ . ابن الأثير . إدارة المطبعة المنيرية بمصر ١٢٥٣»

ومعنى هذا أنهما أخذنا معلومتهما عن ابن الخياط «عن ابن الأثير في الكامل ط. المنيرية ، وأن الكامل في هذه الطبعة يبلغ أكثر من (١٢) جزءاً ، وقد يبلغ (١٤) جزءاً او قد يزيد ، لأن ماأخذه منه عن ابن الخياط يقع في الجزء الثاني عشر (عام ٤٩٧) .

وليس هذا صحيحاً، لأن الكامل في هذه الطبعة (المنيرية) لم يبلغ هذا العدد من الأجزاء. وفي علمي أنه دون ذلك بغير قليل...
ولكني لأملك الوقوف على هذه الطبعة كاملة...
وفي «فهرس» المكتبة المركزية بجامعة بغداد أنه في عشرة أجزاء، العاشر منها للفهارس

واني على يقين من أن كامل ابن الأثير لم يعرف بابن الخياط.
اننا نجد في «عدة حوادث» عام ٤٩٧: «ابو بكر أحمد بن زكريا...»
ونجد «القاضي أبو الحسن أحمد بن محمد...». والأحمدان هذان غير أحمد ابن الخياط.

اما في «عدة حوادث» عام ٥١٧ وهو العام الحقيقي لوفاة ابن الخياط فلا نجد أية اشارة إلى ابن الخياط. وقد يكون هذا غريباً. ولكنه الذي حدث. ومعلوم ان طبعة بيروت للكامل (بعد طبعة ليدن) دار صادر دار بيروت قد جاءت في (١٢) جزءاً، خصص الأخير (١٢) منها للفهارس... ننظر فيه فلا نجد «أحمد... بن الخياط»!

— من أين جاء المحققان — إذآ — بتعريفهما لابن الخياط منسوباً إلى ابن الأثير؟

— لدى مراجعة سنة ٥١٧ من الجزء الثامن، ص ٣١٤ من كامل ابن الاثير بطبعة الاستقامة (القاهرة). ينتهي كلام ابن الأثير على «عدة حوادث» بدون أية إشارة إلى ابن الخياط.

ويبدو أن المشرف على الطبعة أحسن بهذا النقص وأراد أن يعوضه فكتب في ذيل الصفحة: «وفيها توفي أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي» وذكر مصدره في ذلك «وفيات الأعيان لابن خلكان» — وهو أهم مصدر حتى ذلك الحين — وذكر البيت خذا من صبا نجد ... والحقه بثمانية أبيات من البائية»

ثم جاء المحققان الفاضلان فنقلا ما كتب في ذيل الصفحة من الكامل في احدى طبعاته ولم يميزا في اسناد الخبر بين ابن الأثير نفسه والمشرف على الطبع. فكان ما كان من خطأ، ومن خروج على المنهج العلمي

١٨ - «ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وانقذت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع» (٢٢٥/٣)

صحيح انقذت : انقذت (بالدال) أي افنيت ... وهي بالدال لدى الشيخ محمد محيي الدين (٣٦٨/٢) ، وفي طبعة رديئة كالبهية (٣٠٢) ١٩ - «المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف، فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل» (٢٢٥/٣)

«كل مكان خيمت فهو بابل» شطر من بيت من قصيدة للبيوردي يقتضي «علم التحقيق وضعه بين أهلة ، وتميزه من النثر ، ويشار في الحاشية إلى صاحبه ومكانه من الديوان (٤١)

٢٠ - وهو يتحدث عن المتنبي «... اذا خاض في امضى من نصالها ، وأشجع من ابطالها وقامت اقواله مقام افعالها ، حتى وصف معركة كان لسانه تظن الفريقين قد تقابلا ...» (٢٢٨/٣)

في الاسطر والجمال تقديم وتأخير صحيحها :

«... اذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من ابطالها ، وقامت اقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ...» ينظر ط. محمد محيي الدين (٣٦٩/٢) . وكان المفروض ان ينبها إلى ذلك في جدول آخر القسم (الجزء) ولكنهما لم يفعلا ... إلا في آخر صفحة من القسم الرابع (٥٥٨/٤) وكأنهما أفادا من الشيخ محمد محيي الدين :

٢١ - «قول ابن الرومي :

وكلت مجدك في اقتضائك حاجتي

وكفى به متقاضيا ووكيلا

وفي الحاشية «ليست بديوانه المطبوع» (٢٤١/٣) والتعليق غير دقيق لأن ديوان ابن الرومي غير مطبوع، والصحيح أن يقال: ليس في المطبوع من شعره (أوديوانه). ويبدو من مراجع التحقيق لديهما (٥٥٢/٤) أنهما حسبما ماشرحه الشيخ محمد شريف سليم من شعر ابن الرومي ديوانه الكامل. وليس الأمر بذلك.

٢٢ - عبد السلام بن رغبان (بضم الغين) (٢٩١/٣) الصحيح: فتح الرء. قال ابن خلكان - «ورغبان بفتح الرء وسكون الغين...»

٢٣ - «في فهرس القسم الثالث» تصرف غير مقبول فقد جاء (٣٠٤/٣) «النسخ... نوعان» والصحيح ضربان، و«السلخ» أقسامه» والصحيح: ضرابه

٢٤ - جاء على (٢٣٤/٣): «السلخ ينقسم الى اثني عشر ضربا» ومضى المؤلف يتحدث عن الضروب: الاول... الثاني... الضرب الحادي عشر (٢٦٤/٣ - ٢٩٠) وينتهي مند ولكنه لايتحدث عن الضرب الثاني عشر ولم يذكره وانتقل بعد الحادي عشر مباشرة الى «المسخ»

ولم يتنبه المحققان الى هذا النقص ولم ينبها - وهو جزء لايتجزأ من عملها ثم عملا فرس القسم الثالث وذكرنا «السلخ» (٣٠٤/٣) وضرابه (التي سمياها خطأ أقسامه) فعددا (بين ص ص ٣٠٤ - ٣٠٩) احد عشر ضربا ولم يسائلا عن الثاني عشر.

وقد يدل هذا على نقص في المخطوطة التي وصلت الينا... ووقع الشيخ محمد محيي الدين في هذا من قبل (٣٧٣/٢ - ٤١٠) ولم يتنبه أو ينبه. ولاعتب بعد ذلك على «البهية» (ص ص ٣٠٤ - ٣٢٠)

(٦)

القسم الرابع = (الجزء الرابع)

— أ —

١ - وهو القسم العجيب الغريب الذي كتب عليه في أعلاه بالخط الكبير « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الاثير ... » وكتب في أسفله بخط صغير: «ويليه الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد» وليس فيه لابن الاثير الا عشر صفحات :

٢ - « وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعا لا يكاد يخرج عنها شيء (٤/٤) وهنا نلاحظ

أ - انه لم يتحدث الا عن ثلاثة أقسام انقسمت اليها السرقات ، هي النسخ والسلمخ والمسوخ . وكان قد اخبرنا من قبل (٢٢٢/٣) أن لديه قسمين آخرين . فأين هما ؟ جدير بمحقق أن يتنبه وينبه الى ذلك . ولكن المحققين لم يفعلوا ومن قبلهما الشيخ محمد محيي الدين لم يتنبه او ينبه (٤١٢/٢) . ولاعتب بعد ذلك على المطبعة البهية (ص ٣٢١) .

ب - نرجع الى تفريع المؤلف للأقسام الثلاثة فنجده قد جعل النسخ نوعين والسلمخ اثني عشر ضربا، وافهم ان المسوخ «نوعين» ولو جمعنا هذه الفروع وجدناها ستة عشر فرعاً (ضرباً) على أن نتذكر أنه لم يرد في الكتاب من الاثني عشر الا احد عشر، وهذا يعني انه لم يصل اليها من الفروع الستة عشر التي انقسمت اليها الاقسام الثلاثة الا خمسة عشر.

ج - قال المؤلف «وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعاً...» والذي نعرفه جيداً ان السرقات نوع، هو النوع الثلاثون من الانواع التي انقسمت اليها «الصناعة المعنوية» - تفصيلاً . واذ مضى «النوع» مصطلحات لتلك الثلاثين ، كان المنتظر جداً ان يحتفظ الكتاب بتفريع اقسام السرقات الثلاثة الى ضروب ومن ثم نرى فيه : «وهذه السرقات وهي ستة عشر

ضرباً» ولا بد لمحقق ان يدرس بناء كتابه الذي يحققه فيتنبه الى ذلك وينبه ،
ولا بد للباحث كذلك من أن يتنبه (٤٢)

٣- عرض المؤلف لرأى للصابي في الفرق بين الكتابة والشعر «(٦/٤) فلم يقبله وقال : «ولقد عجبت من ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف يصدر عنه هذا القول الناكب عن الصواب ، الذي هو من باب ، ونصى النظر من باب «(٨/٤) ووضعنا فتحة على الحرف الاخير من كلمة (نصى) للدلالة على انه «ياء» .) وكانت المطبعة البهية قد وضعت شدة عليه لهذه الدلالة - ص ٣٢٢ ، اما الشيخ محمد محيي الدين (٤١٥/٢) فقد فتح النون وترك الحرف الاخير من غير اية دلالة على الياء.

ولاتخلو الكلمة ، كلمة «نص» من صعوبة ، وقد لاحظ ذلك المحققان فشرحها في الهامش هكذا : «نصى النظر : لعلها من نصى الرجل الثوب اذا كشفه » وهو شرح غير كاف ، ويبدو انهما اخذاه من القاموس المحيط «فصل النون : باب الواو والياء الناصية» «ونصاه قبض بناصيته كأنصى ... والثوب كشفه ...»

ويمكن ان نجد مايقربنا من المعنى اكثر بالرجوع الى «فصل النون باب الصاد ، نص «من القاموس المحيط ، وفيه « نص... ناقته استخراج اقصى ما عندها من السير... وفلانا استقصى مسألته عن الشئ ونصص غريمه وناصه استقصى عليه وناقشه »

وعلى هذا يمكن ان نكون «نصى النظر» استقصائي المسألة. يؤيد في ذلك انه شرع بعد قوله ذاك يبين رأيه من مخالفة رأى الصابي

٤- ينتهي «المثل السائر» ص ٢ او كان المناسب ان يلي انتهاءه الفهارس اللازمة ، ولكن المحققين لم يفعلوا ذلك لأن لديهما «مشروعا» آخر هو طبع «الملك الدائر» مع المثل السائر على غير قاعدة علمية.

(ب)

الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد . قدم له . وحققه ،
وعلق عليه دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوى طبانة .

١ - تصدير : رأينا ان نضم الى كتاب المثل السائر اهم كتاب في الرد
عليه ، هو (الفلك الدائر على المثل السائر) لابن ابي حديد لتكتمل القائمة
بهما معاً

ليس في هذا الكلام مايقنع ويسوغ الجمع بين الكتابين فضلا عن
الصورة غير العلمية التي ورد عليها الجمع . كان من الممكن جدا ان يختم
القسم الثالث (الجزء الثالث) من تقسيمها بعشر الصفحات الواردة هنا من
المثل السائر وتلحق بالفهارس اللازمة ثم يطبع «الفلك الدائر مستقلاً» . فلسنا
في معرض اهمية الفلك الدائر وضرورة اعادة نشره ولكننا - ومنذ بداية
تعليقاتنا - بصدد الروح العلمي في النشر وقواعد التحقيق وهو مماخفق
فيه اخراج كتاب ابن ابي الحديد على هذه الشاكلة .

ولابأس من ان نسجل - هنا - ان الشيخ محمد محيي الدين كان قد هم
قبلهما ينشر «الفلك الدائر» مع المثل السائر ، على وجه آخر هو طريقة
الحواشي بان يذكر منه في حاشية المثل السائر مايتعلق بمادة في المتن قال في
مقدمته (ص ١٢) : «اني لما قرأت الكتاب - وكنت افكر في نشره بأسفل
صفحات هذا الكتاب عند مواطن النقد - لم أجد فيه مايبعث على تحقيقه
وبذل الجهد فيه»

وقد يكون الشيخ مبالغاً في تقليل جدواه «الفلك الدائر» بالتحقيق ،
ولكنه لو نشره - كما أراد «بأسفل صفحات» المثل السائر لكان عنده
مقبولاً ...

٢ - عرف المحققان بـابن ابي الحديد تعريفاً مبسوراً وقد اعتمدا «في التعريف
به على فوات الوفيات لابن شاكر ١/٦ وعلى ما نقل في نهاية شرح ابن ابي

الحديد لنهج البلاغة من (معجز الاداب من معجم الالقاب) لاحمد بن محمد بن ابي المعالي الشيباني الفوطي . وعلى محاضرات الخضرى في تاريخ الدولة العباسية» .

ومصادره في هذا شحيحة ، ثم لم يعتمدا «على ما نقل ... من ... معجم الالقاب» ومعجم الالقاب نفسه مطبوع (دمشق، وزارة الثقافة ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد) واسمه الصحيح هكذا: «تلخيص مجمع الآداب ... الشيباني الفوطي .

وذكر المحققان مؤلفات ابن ابي الحديد وكان المناسب ان ينصاهلى ما طبع منها ، وفي مقدمة ذلك «شرح نهج البلاغة» ، ومما طبع له - كذلك القصائد السبع العلويات « ومناسب أكثر من ذلك ان يفيدا ما أورده ابن ابي الحديد في شرح النهج من «نقد» على المثل السائر وهو غير قليل (٤٣): وقال: «ومن شعره قوله في مناجاة الله وبيان مذهبه في الاعتزال:

وحقك لو ادخلتني النار قلت لا

لذين بها قد كنت معن يحبه..

فرد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى بقوله :

علمنا بهذا القول انك آخذ

بقول اعتزال جل في الدين خطبه..

ويمكن ان يفهم قارئ من قولهما «فرد عليه..» ان «الشاعرين» من عصر واحد ، وان رد الصفدى وصل الى ابن ابي الحديد ... الخ وليس شئ من هذا بصحيح ، وانما هو رد متأخر على متقدم ، فقد توفي ابن ابي الحديد سنة ٥٦٥هـ ، وتوفي الصفدى سنة ٧٦٤هـ

٣ - لأبأس - اذا - فيما عزم عليه الاستاذان عن تحقيق «الفلك الدائر» ولكن للتحقيق خطوات واصول ... من اولى الخطوات البحث عن مخطوطات الكتاب المزمع تحقيقه . فهل بحثنا؟ لا. واول مايرد على البال في ذلك كتاب بروكمان . فهل ورد ؟ لا...

كيف يكون عملهما - اذا - تحقيقا ، ولم يفكرا في الرجوع الى مخطوطة - ولو واحدة . ومخطوطات «الفلك الدائر» ليست قليلة، ذكر منها بروكلمان حوالي عشر لمخطوطات وحدد أماكنها وأرقامها في مكتباتها في العالم ما بين الاسكوريال وبومبي (٤٤) ... واذا تركنا المخطوطات في العالم ... قنعنا به برجع الى مافي مصر من مخطوطات . وفي مصر مخطوطات حددها بروكلمان ...

كيف يحق استاذان جامعيان كتابا لا يرجعان فيه حتى الى مخطوطة في تناول ايديهما ؟ ولم يسائلا عن مخطوطة؟
ولكن هذا هو الذي حصل

٤ - ماذا فعل الاستاذان - اذا - ؟ لقد أعادا طبع مطبوع . قال (٢٣/٤) «والنسخة التي اعتمدنا عليها مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩ هـ على نفقة الميرزا محمد الشيرازي في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط . وطبعها رديئة جدا ، تنوء بالتحريف والاغلاط ، وليس بها ترتيب ما ، وكل ما بها من شعر مدمج بالثر ادماجا ...» (٤٥)

فلم هذه المشقة مع وجود المخطوطة بل المخطوطات : أيلام من قال : التحقيق علم ؟

٥ - « سمي السيل مذهباً ، لانه يُذهب فيه أي يُمضى فيه ، وسمي قول الشاعر وغيره مذهباً ، كأنه صار طريقاً فسلكه الفقهاء وغيرهم » (٢٣٤/٤) لا بد من أن يكون في « الشاعر » خطأ مطبعي ، صحيحه الشاعر

١ - ينتهي الكتاب ص ٣١٠ يلحقه « فهرس الموضوعات » لبقية المثل السائر « وللفلك الدائر » ثم تأتي الفهارس العامة - اولا - فهارس المثل السائر (٣٢٣ - ٥١٢) ثم فهارس الفلك الدائر (٥١٥ - ٥٥٠) ثم مراجع التحقيق (٥٥١ - ٥٥٦)

وفي الفهرسة على هذا الحال اضطراب جديد ، وكان المناسب أن يعمل المحققان فهارس المثل السائر لدى الانتهاء منه ، ثم يأتي الفلك الدائري ففهارسه .

٢ - لقد اصدرا - كما رأيا - المثل أقساماً (أربعة) ، القسم الأول ، الثاني ... الخ ولكنهما عندما جاءا إلى الفهارس نسيا ذلك أو أضربا عنه وصار مايسميان الأقسام اجزاء (الجزء الأول ، الثاني ... الخ او صارا يقولان: ابراهيم بن العباس ج ٣ ص ١٧٥ ... ابن دريد ج ٢ ، ص ٣٢٨ ... ابن الرومي ج ١ ص ٩٩ ...

وهذا غير صحيح . والمفروض أن يحيلنا على الأقسام ..

٣ - هذا إلى أنه لاضرورة البتة لذكر (ج. ص) لدى مواد الفهرس من شعراء وأعلام وأماكن ... الخ ... لان في ذلك زيادة لاموجب لها ، والقاعدة المنهجية فيه أن يقال : ابراهيم بن العباس ١٧٥/٣ (أو ٣ : ١٧٥) ، ابن دريد ٣٢٨/٢ ، ابن الرومي ٩٩/١ ...

٤ - للاسم الواحد اكثر من صورة فالأرجاني هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين ، والمعري هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان ، والايوردي هو أبو المظفر محمد بن ابي العباس ، وابن نباتة هو ابو نصر عبدالعزيز بن محمد بن نباتة ، والخريمي ، هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، وابن الخياط هو أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التغلبي ، والبحترى هو أبو عبادة الوليد .

والقاعدة من عمل الفهرس - في مثل هذه الحال - ان توضع أرقام الصفحات التي ورد عليها الاسم ازاء أشهر ما يرد عليه لدى الحديث عنه او لدى دراسته ، وتكون هكذا :

الارجاني ، المعري ، الايوردي ، ابن نباتة ، الخريمي ، ابن الخياط ، البحترى :
ولابأس - بل من النافع جدا - بعد ذلك - أن تذكر الصيغ الأخرى في مكانها من التسلسل الهجائي مع الاحالة على الصيغة السائدة فنقول :

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين = الأرجاني . أبو عبادة الوليد = البحتري ؛
عبدالعزیز محمد = ابن نباتة :

ولكن المحققين لم يلتزموا بشيء من ذلك، ولم يلتزموا بالصيغة التي جاء
عليها العلم على قلم المؤلف ... فكان ذلك عاملاً جديداً من الأضطراب ،
ومن قلة فائدة الفهرس ودليل قلة التجربة في الموضوع ... بل انهما لم يذكر
« المعرى » من حرف الميم ...

ثم انهما مرة ينسبان العلم نسباً كاملاً كما رأينا . ومرة يقفان عند الصورة
التي ورد عليها مثل ابن دريد ، الاحوص ... الاخطل ... والمفروض ان
يوحدا موقفيهما بل انهما حسباً الارجاني (القاضي) غير الأرجاني (الشاعر)
وابن الحجاج البغدادي غير ابني عبدالله الحسين بن أحمد بن الحجاج - وقد
ورد اسمه خطأ : الحسن ، وصحيحه الحسين .

هذا إلى انهما ليسا دقيقين في عمل الفهرس - مما يضيع العمل فائدته
ويؤدي بالباحثين إلى الضلال .

قالا (٣٢٦/٤) : أبو العلاء محمد بن غانم الغانمي ج٣ ص ٤٩ ، ١٢٨ .
وكان المفروض ان يضعوا الأرقام ازاء « الغانمي » ففعلاً العكس ، ولا بأس ،
ولكن البأس انهما لم يثبتا في الفهرس صفحة يرد عليها الاسم ، وهي ج١
ص ٣٤٧ ، وفي ابن الأنباري لم يذكر ج٢ ص ٥٩ ، وفي ابن افلح لم يذكر
ج٢ ص ٥٩ . وتجد على العكس من هذا - احالات العلم على صفحات
لاوجود له فيها ، ومن ذلك الخنساء ج١ ص ٣٦ ، وابو علي الخاتمي ج١
ص ٣٤٢ .

وورد الشريف الرضي هكذا في « فهرس الشعراء » : أبو الحسن محمد
بن الحسين الرضي ج١ ص ١٥٦ ، ج٢ ص ١٠٩ ثم جاء : الشريف الرضي
على « اجزاء » وصفحات اخرى . وكان المفروض التوحيد ، او الاحالة
في صورة على صورة ... وزاد الامر تعقيداً انهما ذكراه في فهرس الاعلام

«: الشريف الرضي ج ١ ص ٧١. فلماذا هذا التفريق وقد ذكر في هذه الصفحة من الجزء شاعرا ثم لم يصله هنا في فهرس «الاعلام» بما ورد عنه (نفسه) في فهرس الشعراء .

ويزداد الأمر اضطرابا عندما يذكر في فهرس الأعلام» مرة اخرى هكذا : محمد بن الحسين بن موسى العلوي ج ١ ص ٢٨٧ ذكره وكأن لا علاقة له بالشريف الرضي في فهرس الاعلام ، والشريف الرضي « في فهرس الشعراء» ... وهو هو هو في مختلف الأحوال لم تكن حاجة منهجية إلى الفصل بين فهرس الشعراء وفهرس الأعلام ... لأن ذلك يضيع الفائدة على المراجع ، اننا مثلا نبحت « الشريف الرضي» في فهرس الشعراء فنأخذ مايلزمنا ولا يمر ببالنا أن نبحت عنه في فهرس آخر هو فهرس الأعلام فتفتوت علينا بذلك فرصة .

وابن أفلح شاعر نبحت عنه في فهرس الشعراء فلا نجد له أثراً لان ابن الأثير لم يذكره شاعراً وانما ذكره مؤلفا في البلاغة ومن هنا وضعه المحققان في فهرس الأعلام وهو مما لايرد على البال لدى البحث عن «ابن افلح» ...

والغانمي شاعرا اولاً ولكنه وزع بين فهرس الشعراء وفهرس الاعلام مع نقص ملحوظ واضطراب ملحوظ فقد ذكره في فهرس الشعراء وقال ج ٣ ص ٤٩ ، ١٢٨ ونرجع إلى الصفحات فنجده عليها علما مؤلفا وليس شاعرا وذكره في فهرس الأعلام فقلا : « أبو العلاء » ج ١ ص ١٨ ج ٢ ص ١١٠ وفاتهما ج ٣ ص ٣٤٧ ثم انهما لم يشيرا إلى كتابه في فهرس الكتب . ووزع الأمدى نفسه في فهرس الأعلام نفسه بين « الأمدى . » وأبو القاسم الحسن ابن بشر الامدى «

ونأتي إلى فهرس الأعلام لرى- على سبيل المثال - ٣٤٧/٤ : « ثعلب = أحمد بن يحيى المعروف بثعلب . ومع ان المناسب أن تذكر الصفحات

ازاء ثعلب لأنه الأشهر ومن ثم الاحالة على أحمد بن يحيى ... فلا بأس ،
ولتتابع المحققين في إحالتهما ثعلب على أحمد بن يحيى ، ونرجع إلى أحمد
أحمد فلانجد أثراً لأحمد بن يحيى ، وعلى هذا يضيع ثعلب في أحشاء
الكتاب الضخم!

أما الحريري أو ابن الحريري فقد جاء في فهرس الاعلام كما ورد في
الكتاب مرة الحريري ٣٦٢/١ ، ٨٤/٣ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ وفاتهما
حريري ٤٢/١ .. حريري ٢١٧/٣ في فهرس الشعراء ولم يربط بين الشاعر
والناثر

وجاء مرة أخرى على «ابن الحريري» مع الإحالة (= أبو محمد
القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري . فلم كانت هنا احالة على
ابي محمد ولم تكن هناك والى على واحد؟ ثم لم الاحالة على «أبي محمد»
والرجل غير معروف بكنيته وهو انما ورد في الكتاب ورد على «الحريري»
أو «لابن الحريري»

هذا وكان لا بد من ملاحظة لدى ورود الحريري أول مرة (٤٢/١)
وأبن الحريري (٤١/١) الى ورود هذا الاختلاف في الكتاب مع بيان سببه !
الملاحظات كثيرة ... خلاصتها ان الفهارس لم تعمل في دقة او على
الوجه العلمي الذي يجعلها تؤدي الفائدة المطلوبة منها - ولو وقع ذلك في
عمل تجاري كان اقل خطراً لان الباحث في الكتاب سيكون منه في حذر
وشك ... وازدراء .

ان «الفهارس» جزء لا يتجزأ من عملية التحقيق العلمي ... على أن
تجرى علمية والافغياها خير من حضورها .

وما جاء من اضطراب في فهرس الاعلام له نظائر في الفهارس الاخرى
ففي فهرس الكتب حرف الدال يقول : ديوان الحريري ج١ ص٤١ ونرجع
فنجد في الحاشية : « وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في
المقامات»

وفي حرف الزاي قال : «زيني دحلان على هامش السيرة الحلبية ج٣ ص ٢٢٦» ونرجع فنجد في الحاشية «... تلك العزى ولن تعبد . ابدأ (اخبار مكة للزرقي ١ / ٧٤ ... والزيني دحلان على هامش السيرة الحلبية ٢ / ٣٤٠) ... » فكأنهما يريدان ان الزيني دحلان ، اسم كتاب بينما الزيني دحلان مؤلف في السيرة طبع كتابه على هامش طبعه للسيرة الحلبية ، واسمه الكامل : احمد زيني دحلان (توفى سنة ١٣٠٤هـ)

ومن التجارب المخففة مع فهارس المثل السائر هذه أني أذكر ورود استشهاد بشعر لابن نباتة السعدي مع حاشية للمحققين نصا على أن ديوانه مطبوع وذكرنا مع الطبع اسم محمد القلقيلي ، واني اعلم جيدا ان ديوان ابن نباتة السعدي لم يكن مطبوعا حتى ايام صدور تحقيقهما وان المطبوع ديوان لابن نباتة آخر متأخر عنه ، مصرى من أبناء القرن الثامن ويميز بالمصرى ... ولكنني لم اتوقف حين القراءة لاسجل ملاحظتي على امل العودة مستعينا بفهرس الاعلام ...

ولما حان الوقت رجعت الى فهرس الاعلام فوجدت في فهرس الشعراء : « ابن نباتة السعدي ج٣ ص ٢٠٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٢ » بدأت ب ج٣ ص ٢٠٦ فرأيت إحالة على يتيمة الدهر وثبتت ب ص ٢٥٦ فرأيتهما يقولان تقدم التعريف به ... وهو ابو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة التميمي ... توفى سنة ٤٠٥ في بغداد .. يريدان ... عبد العزيز بن عمر بن محمد ... ولا بأس . ولكن اين تقدم التعريف به اذا لم يكن في الرقم السابق (٢٠٦/٣) ؟ وقد رأيناه ولم نر التعريف وننظر إذا في الرقم اللاحق ٢٩٢/٣ . ننظر فنراهما يحيلان على الديوان ص ٤٤١ و يتيمة الدهر ٣٨٨/٢ من مدحه لسيف الدولة ونحن نعلم ان ديوانه لم يكن قد طبع حتى تاريخ صدور تحقيقهما ، فتزداد المسألة تعقيدا ... ثم اننا نبحت عن الحاشية التي عرفنا به عليها .. اين ؟ لنبحث - اذا - عن عبد العزيز في حرف العين وبحثنا فلم نجد . فلنبحث اذا في «فهرس الاعلام» وهانحن اولانا نراهما يقولان

ابن نباتة ج ١ ص ٢٣٨ ، ونعود الى ٢٣٨/١ ونقرأ : « وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة ... » ولم يعلقا بشيء ولم يعرفا بالخطيب ابن نباتة - بعد ان الزما نفسيهما بالتعليق والتعريف ولولا ورود كلمة « الخطيب » لما وضعاه في فهرس الاعلام ... والحقيقة ان ابن نباتة الخطيب هذا هو غير ابن نباتة الشاعر ذاك ، وان كانا « متعاصرين » . انه : ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي العسقلاني المولد المصري الدار ولي خطابة حلب لسيف الدولة ... ولد سنة ٣٣٥ وتوفي سنة ٣٧٤ بميفارقين وطبع ديوان خطبه مرارا وليلاحظ انهما قالوا في هامش ٢٥٦/٣ * ابن نباتة يروي بضم النون وفتحها « وكان عليها ان يذكرها مصدرهما في ذلك لان ابن خلكان يقول وهو يترجم لعبد العزيز « ونباتة بضم النون كما تقدم في جد الخطيب ابن نباتة » ليس ابن نباتة الوارد في فهرس الاعلام - اذا - ابن نباتة الذي نبحت عنه ، ولكن وروده هكذا ، ومن غير تعريف في ٢٣٨/١ غير صحيح .

ابن ورد - اذا - تعريف المحققين بابن نباتة السعدي (الشاعر) المتوفى سنة ٤٠٥ ؟ لنبحث في فهرس الكتب « فقد نجده في » « ديوان » من حرف الدال ؟ ان فهرس الكتب يحيل على « ديوان ابن نباتة السعدي ج ٣ ص ٢٩٢ » وكنا رأينا هذه الصفحة وهي تحيل على الصفحة ٤١١ من ديوان ابن نباتة السعدي ونحن نعلم جيداً ان ديوان ابن نباتة السعدي لم يكن مطبوعاً لدى نشر « المثل السائر » ومن هنا نعود بأماننا الى الخيبة اذ لم نجد مطلوبنا اننا نبحت عن صفحة ورد فيها اسم « ابن نباتة السعدي » وقد عرف به المحققان كما يذكر وكما نتذكر فاين هي هذه الصفحة وفي اي جزء ؟ ليس في هذه الفهارس الطويلة العريضة المتنوعة التي استغرقت صفحات كثيرة ما يليي الطلب . فلنعمد على الذاكرة والمراجعة وكأنا «الفهارس» غير كائنة ، و نبدأ بالبداية : القسم الاول ويعجب المرء مجدداً للتعريف بالاعلام المعروفة والكثيرة الكاثرة من الرجوع الى الدواوين المشهورة

(ابو تمام ، البحترى ، المتنبى) ... ولكن على غير جدوى . والقسم الثاني والثالث ... والرابع ... على غير نتيجة وكأن المسألة تحتاج الى قراءة واعية ودقة متناهية فلنتركها الى فرصة اخرى ، ونكتفي - موقتا - بالاعتراف بأن المحققين عرفا بابن نباتة السعدي : عبد العزيز ... من شعراء سيف الدولة ، توفى سنة ٤٠٥ فلسنا على خلاف في ذلك انما الذي في الدهن انهما قالا ان ديوانه مطبوع وقرنا الطبع بمحمد القليقلبي ، وهنا وجب ان نقول ان في الادب العربي ثلاثة يكونون بابن نباتة ، احدهما الخطيب وقد رأيناه ويكثر تمييزه بالفارقي وثانيهما السعدي وقد رأيناه أيضا ، شاعرا معدودا في عصره ، له حتى تاريخ صدور « المثل السائر » مختارات في يتيمة الدهر (ج ٢) وترجمة وافية بالغرض في وفيات الاعيان ... ولم يكن ديوانه قد طبع

وثالثهما لاعلاقة له بالمثل السائر لانه توفي بعد مؤلف المثل السائر باكثر من قرن وهو شاعر يكثر تمييزه بالمصري : هو جمال الدين ابو بكر محمد بن محمد ... بن الحسن

ولد في القاهرة سنة ٦٨٦ ودرس فيها ونظم الشعر ثم هاجر وعاش طويلا في الشام وعاد سنة ٧٦١ الى القاهرة بعد غياب دام خمسين عاما وزياد وتوفى سنة ٧٦٨

وقد طبع ديوانه اكثر من مرة اخرها صدرت في القاهرة ، مطبعة التمدن ١٣٣٢ ١٩٠٥ ملتزم الطبع : ناشر الكتاب الشيخ محمد القليقلبي - وقد اعيد طبع هذه الطبعة مصورة (بالاوفست) وعنوانها : ديوان ابن نباتة المصري

وواضح جداً ان ابن نباتة المصري هذا غير ابن نباتة السعدي ذلك ، ابن نباتة المصري ديوانه مطبوع ، وابن نباتة السعدي لم يكن ديوانه قد طبع لدى صدور « المثل السائر » فكل نص على طبعه غير صحيح ومن ثم كل احالة باطلة (٣٥)

ينظر «ابن نباتة» في اعلام الزركلي ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ومايحيلان عليه من مصادر وكذلك في تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيدان

وفي نظرة على «مراجع التحقيق» في اخر القسم الرابع من المثل السائر تقع العين على مايزيل كثيراً من الابهام ويدل على الخطأ الصريح الذي وقع فيه المحققان لانهما تنصان في الصفحة (٥٥٢) وبالتسلسل (١٨) من مراجعها على «ديوان ابن نباتة نشر الاستاذ محمد القلقيلي». وقد عرفنا جيداً ان القلقيلي نشر ديوان ابن نباتة المصري وهو شاعر لاعلاقة للمثل السائر به ، ولم ينشر ديوان ابن نباتة السعودي ذي العلاقة المباشرة بالمثل السائر فكيف على هذا وجد المحققان بيتاً مشهوراً لابن نباتة السعودي من قصيدة مدح بها سيف الدولة وهو الذي يستشهد به ابن الاثير :

لم يبق جودك لي شيئاً أوْمَلُه

تركتني اصحب الدنيا بلا أمل

على الصفحة ٤١١ من ديوان ابن نباتة المصري الذي نشره محمد القلقيلي ، واذا كانا قد وجدناه حقاً فكيف صدقا النسبة بل كيف يجمعان في النسبة بين ديوان ابن نباتة المصري وبيتمة الدهر وقد توفي مؤلف البيتمة سنة ٤٢٩ ومات المصري سنة ٧٦٨ ، فكيف يذكر الثعالبي بيتاً لشاعر ولد بعد وفاته ؛ ٢٥٧ سنة ، وكيف يكون ذلك في مدح سيف الدولة وقد توفي سنة ٣٥٦ وكيف يستشهد به ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧ ؟

يمكن أن يحل الإشكال الذي أوقعنا فيه المحققات بالرجوع إلى ص ٤١١ ديوان ابن نباتة المصري (المتوفى سنة ٧٦٨) الذي نشره الشيخ محمد القلقيلي (سنة ١٩٠٥). وقد رجعنا، فرأينا مقطوعة من سبعة أبيات فيها الغزل والمدح وقال علائمة :

قالت وفي صدر نار القلب منزلها

يا ليت أنك لم تكرم به نزلي

مليحة إن تكن في حسنها صنما
 فيا عدولي لا بوركت من هُبلي
 فيها وفي مدح أوفى السائدين عَلاً
 تقسم الشعر في مدح وفي عزل
 دم للعلى بابن فضل لله مرتضياً
 فق المعالي وقد أربي على الأول
 يا من عرفت به كسب الألوف ومن
 تمامها أنها جاءت ولم أسل
 لم يبق جودك لي شيئاً أو ماله
 تركتني أصحاب لدنيا بلا أمَل
 كل الكفاءة ذوي الآراء ماثلة
 مثل السيوف ولكن ذو الفقار علي

وقد ورد في المقطوعة البيت موضع الشاهد ... فكيف ورد بيت ابن.
 نبأته المتوفى سنة ٤٠٥ لدى ابن نبأته المتوفى سنة ٧٦٨ المسألة واضحة جداً.
 ان ابن نبأته المتأخر «ضمن» بيت ابن نبأته المتقدم. وكان مناسباً ان يبين المحققان
 ذلك فيزيلا الإشكال ويدلا على العلم به .

ورأيت المحققين مرة يصححان النص تصحيحاً علمياً يتفوق به علي
 «الشيخ» . فقد ورد في المتن «أبو الحسين علي بن عبد العزيز» (الجرجاني)
 فأبقاها الشيخ كما هي (أبو الحسين) علي حين جعلها «أبو الحسن ...» ونبها
 على ذلك في الحاشية .
 وعملهما تحقيقي صحيح ، وانه يعني أنهما ينتبهان إلى الخطأ عندما
 يقع التصحيح في علمهما ولكن الذي حدث أني رجعت إلى «فهرس الأعلام»
 لأجد مكان التصحيح ، فلم أجد في «الفهرس» أثراً «للجرجاني» ، ووجدت
 إزاء «أبو الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني» ص ١٩ ، ج ٣ ص ٢٢٢
 وليس في الرقمين مايسد الحاجة . ففكرت بحرف العين ، فوجدت «علي

بن عبد العزيز الجرجاني ج ٣ ص ٢١٨ ، ص ٢٢٢ ولم يذكر المحققان ما يربط العين بالهمزة او الهمزة بالعين . وليكن ، ولكني لم أجد موجوداً أبحت عنه ! وفي ذهني أن ابن الأثير ذكر مرة «الأرجاني» على أنه من الشعراء المتأخرين ، ولما احتجت إلى ذلك رجعت إلى «فهرس الشعراء» فلم أجده في «الأرجاني» - كما هو المعقول - وإنما وجدت «الأرجاني» المعلوم يحال فيه إلى «أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين» ، وليكن ، فرجعت «أبو بكر أحمد ...» فلم أجد إلا رقماً واحداً هو ٤٠٤/١ فرجعت إليه فإذا هو غير الذي في ذهني وعلمي . وربما ورد الأرجاني - بعد ذلك - في أكثر من موضع .

لقد كانت حاجتي إلى «الأرجاني» «من المتأخرين» شديدة لبيان انها أولى أن تطلق على «المغربي» من أن تطلق على «المعري» . ولابد من «إضاعة» الوقت والسعي وكأن الفهرس غير كائن ... وهانحن اولاء في القسم (الجزء) الثالث من الكتاب وفي الصفحة ١٧٦ ، ونقرأ : «... وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الأرجاني» !

ان الاضطراب الذي في الفهارس متمم للنقص الذي في التحقيق . والمفروض بالانسان اما ان يعمل فهارس او لايعمل . واذا كانت الفهارس التقليدية قد قصرت في أداء واجبها من الدقة والإفادة ، فانه لم يبق مجال لمطالبة الاستاذين المحققين الفاضلين بفهارس تدعو اليها طبيعة كتاب مهم كالمثل السائر ، أقصد فهرساً للمصطلحات ، وفهرساً للغة ...

الخاتمة :

— اذا كانت طبعة دار نهضة مصر على هذه الدرجة من التقصير ، فلما هذا العناء في «نقدها» ؟

لان التقصير غير باد للناظر اليها من الخارج ، وربما منحها المراجع العجلان أو حسن النية من الثناء ملاحقيقة له . وكان المفروض بالاستاذين

المحققين ان يكونوا على معرفة بتراكم الخبرات في ميدان التحقيق مما كان قديماً ومما جاء جديداً وما التقى به جهد الغرب بجهد الشرق . لقد صار التحقيق علماً له اصوله وقواعده ولم يعد رغبات شخصية ومنافع تجارية بل انه كيان خاص لا يكفي فيه ان يكون المرء عالماً واستاذاً لينجح في مهمته ومن هنا يضيق العذر بمن لا يوفيه حقه، ويضيق اكثر بالعربي الذي يبقى دون الغربي ، ويزداد ضيقاً بالتأخر الذي يأتي دون المتقدم ا

ويتبع «التحقيق» «نقد» يمتحنه ويدرس مدى مراعى من قواعد ومدى ماقصر ، واذا كنا مقصرين في هذا الجانب ، فلا بد لنا من تلافي النقص خدمة للحقيقة وسهراً على التراث .

ويقع بحثنا - هذا - في نطاق «نقد التحقيق» ، وكانت «الطبعة» فرصة لبيان الم يكن متوفراً بها وقد اثبت «المختبر» سعة الخطأ من نسب عناصر التجربة .

واذا حسب محقق ، اي عملاً قاصراً له ، صدر وبيع ومضى من غير تنبيه يذكر على عواره فليعلم ان نقد التحقيق لا يعرف زمناً معيناً ، وهو ظافر به حتى لو تراخى الزمن وحسب انه تجاوز مرحلة الخطر . واخيراً ، فان كاتب هذا البحث يرجو ان يستفاد من استقصائه لدن اعادة طبع «المثل السائر» بدار نهضة مصر او غيرها، ولن يبخل صاحب الطبعة الجديدة او التحقيق الجديد بكلمة يذكر بها هذا البحث بالخير ، وستحته الأمانة إلى النص على ماياخذ منه في الاماكن التي نبه اليها . وسيكون «الطبع» الاقي عرضة لنقد يناسبه ذما ان خان ومدحا إن وفي .. ولن يكتب لعلم التحقيق كمال التوطد مالم يتقرر لدينا رسوخ «نقد التحقيق» والتجرد له وتقبله بصادر رحب . ومن هنا لم يكن «النقد» هنا خاصاً بالمثل فقط وإنما كانت الطبعة موضوع البحث فرصة يتسع ماقبل فيها لما هو أشمل، ومناسبة أثارت قضايا يمكن أن تثار في أي تحقيق آخر، وتصلح أن توضع بين أيدي المعنيين بالأمر

والمفروض بالانسان اما ان يحقق او لا يحقق . واذا حقق واجه عمله بعلم ودراية وصبر حتى اذا فاته شئ كان الذي فات قليلاً ، مقبولاً ، في حدود ما يعرض في العادة لبني البشر ، ويبقى — بعد ذلك — مجال النقد ضيقاً ، ولكنه مجال لا بد له من ملئه .

أجاء ، وعملية نقد التحقيق ، بعد هذا ، تلاحظ ، كما هو الأمر الذي استقر عليه النقد ، الجوانب الحسنة ولا تسمح لنفسها ، ولا يسمح لها ، أن تقف عند التقصير وحده .

الهوامش والمصادر :

(١) ان من اهم مشادر ابن الاثير : ابن خلكان - وفيات الاعيان (حرف النون) تنظر خاصة طبعة بيروت، دار الثقافة بتحقيق الدكتور احسان عباس ١٩٦٨ - ١٩٧٢، (الجزء الخامس ص ٣٨٩ - ٣٩٧ - وينظر فهرس الاعلام والكتب من الجزء الثامن) ... ومن اهم المراجع : سلام (دكتور محمد زغلول) - (أ) ضياء الدين ابن الاثير. القاهرة، دار المعارف، نوايع الفكر العربي (٣٦) د.ت. (ب) ضياء الدين ابن الاثير وجهوده في النقد، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الرسالة، د.ت (١٩٥٦)!

(٢) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - ج ٥ نقله إلى العربية الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٥ ص ٢٧١ - ٢٧٤ . و(بالألمانية)، ط ١ (٢٨٣/١) ط ٢ (٣٣٦/١)، الذيل ٤٨٧/١. وفي المكتبة المركزية بجامعة بغداد ميكروفيلم لعدد منها ...

(٣) سنحيل من هذه الطبعات القديمة على طبعة المطبعة البهية: «المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر للشيخ الامام ضياء الدين ابي الفتح نصر الله (ابن) محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلبي الشافعي ... وبهامشه كتاب ادب الكاتب تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .. طبع بالمطبعة البهية بحوش قدم بالغورية، بمصر المحمية، تعلق الراحي من الله كمال الوفا محمد أفندي مصطفى في اوائل صفر سنة ١٣١٢ ... وكانت قبلها ط. بولاق سنة ١٢٨٢ وبهامشها أدب الكاتب لابن قتيبة. طبعة البهية - فيما يمكن أن يقال - متابعة لطبعة بولاق .

وستكون الاحالة على هذه الطبعة (ص ...) ضمن المتن. وستكون الاحالة على ط. دار نهضة مصر، وط. البايبي الحلبي بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بالجزء والصفحة (.../...) ضمن المتن كذلك - تخفيفاً على الهامش وتسهيلاً للمراجعة ودفعاً لتكرار « نفسه» او «المراجع السابق» متوالية ...

ويذكر عمر فروخ في كتابه «تاريخ الادب العربي» بيروت ، دار العلم للملايين الجزء الثالث ١٩٧٢؛ ص ٥٤١ «طبعة بيروت ١٢٩٨» .

(٤) وان كان ابن الاثير قد اعلن مرة ما يدل على انه تعجب تغييراً جذرياً في بناء كتابه او حجمه. قال - بصدد كلامه على السرقات «والحكم بين من اتفاقهما في المعنى : «ولي مقالة مفردة ضملتها الحكم بين المعنيين المختلفين، وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عريضاً، واقمت الدليل على ما نصصت عليه، وما متعني من ايرادها في كتابي هذا الا انها سنحت لي بعد تصنيفه وشيوعه في ايدي الناس وتناقل النسخ به» ط. دار نهضة مصر (٢٨٩/٣) يمكن ان تكون هذه الاسطر - وحدها - دليل على الزيادات الجزئية على مر الزمن ... ولدى التدريس خاصة .

(٥) ابن أبي الحديد هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد .. المدائني ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ ، واشتغل في ديوان الخلافة العباسية ، واشتهر بكتابه «شرح نهج البلاغة» .. توفي في ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦ هـ . الف كتاباً في الرد على «المثل السائر» سماه « الفلك الدائر على المثل السائر طبع أكثر من مرة وجاء في الطبعة الداخلة في القسم الرابع من ط. دار نهضة مصر : «وهذا الكتاب وقع الي من غرة ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فتصفحته اولاً في ضمن الاشغال الديوانية التي اذا بصدها ، وعلقت في هذا الكتاب في اثناء تصفحه على المواضع المستدركة فيه إلى نصف الشهر المذكور ..ال (٣/٣٤) ان «الفلك الدائر» و «شرح نهج البلاغة» مما يمكن ان ينتفع بهما عند التحقيق ولكن الاستاذين المحققين لم ينتفعا.

(٦) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ... محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي جزآن ١٩٣٩/١٣٥٨ .

(٧) من ذلك كتاب الصفدي (صلاح الدين خليل ابن ابيك ت ٦٧٤) - نصرة الثائر على المثل السائر. ومخطوطته في متناول أيديهم بدار الكتب المصرية. حققه محمد علي سلطان ، دمشق مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت (تاريخ المقدمة ١٣٩١/١٩٧١). ويمكن ان ينتفع به لدى التحقيق (والدراسة)

(٨) طبافة (بدوي) - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لضيء الدين بن الاثير تراث الانسانية ، المجلد الثاني (صص ١٠١-١١٤) ...

(٩) الوشي المرقوم في حل المظوم. بيروت، مطبعة ثمرات الفنون ١٢٩٨. ومن الخطأ المطبعي في تاريخ طبعه ما ورد لدى زيدان - تاريخ آداب ٥٤/٤ أنه «طبع ... سنة ١٢٨٩» وجاء لدى بروكلمان المترجم (٢٧٢/٥) «وطبع في القاهرة ١٢٩٨ هـ كما طبع في بيروت ١٢٩٨ هـ ويمكن ان يرجع ذلك إلى الوهم . ولم يذكر سركيس في معجم المطبوعات ص ٣٥ غير طبعة بيروت.

(١٠) صدر ببغداد بتحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥/١٩٥٦ - وتنتظر هوامش بتحقيق الجامع الكبير للصلة بين الكتاتين الحاشية ٢٤ آخر / ص ٦٧

(١) تحذف : « وانما كان يستعمل هذه الصيغة لمن كان أقرب إليه زمناً من أبي العلاء العربي... وكانت هذه اللهجة ... »

(٢) يضاف إليها في آخرها : المغربي هو الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (٣٧٠ - ٤١٨ هـ)

يلظر عنه كتاباه اللذان حققهما الأستاذ الشيخ حمد الجاسر

- (١) أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها . الجزء الأول . الرياض دار اليمامة ، ١٤٠٠ / ١٨٨٠
- (٢) الإيناس في علم الأنساب ... الرياض ، دار اليمامة ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
ومن مصادره : تنمة البتيمة للثعالبي ، ومعجم الأدباء لياقوت ، وتاريخ ابن العديم والذخيرة لابن بسام ووفيات الأعيان لابن خلكان ...
ولنلاحظ ان الأبيات النونية لم ترد في ديواني أبي العلاء المعري .
- (١١) الأستاذك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائفة ... تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف ١٩٥٨ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية - قدم له (تصدير) الأستاذ عمر الدسوقي رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم - والمحققان من اساتذة دار العلوم ... وتنظر (١ / ١٨ ، ٥٥١)
- (١٢) قال الحمدان (محمد بن عبدالله) - بنو الأثير الفرسان الثلاثة - الرياض ذو القعدة / نوفمبر ١٩٧٤ ، المكتبة الصغيرة (١٣) ص ص ١٢٣ - ١٢٥ « ثم جاء الدكتوران ... واثبت المحققان أسماء ٨٩ كتابا وديوانا لمراجع هما في تحقيق الكتاب والغريب انه ليس بين هذه المراجع (المثل السائر ... تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ... وهذا ما يثير أكثر من سؤال عن السير في تجاهل الدكتور لجهود سابقهما ... وما يجدر ذكره ان أكثر التعليقات مطابقة لتعليقات عبد الحميد ، بتغيير بسيط في بعض الكلمات والعبارات ...»
- (١٣) تنظر القصيدة في « ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي » تح . محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ، المجلد الثالث : ١٩٨٠ ص ص ٣٢٢ - ٣٣٢ .
- (١٤) ينظر شرح ديوان الحماسة تأليف التبريزي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٧ / ١٩٣٨ ، ٢٣٦/١ ، فخرى المثبت في المتن : « قال جزء ... » وفي الحاشية : « وقال أبو محمد الأعرابي : هو جدير بن كليب ، لاجزاء » البيتان هما ال ٥٨ ، ٥٩ من قصيدة في مدح المعتصم ١٣٢ / ٣ - ١٤٥ من ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تب . محمد عبده عزام ... ، ١٣٧٠ وقد جاء في هذه الطبعة « فتي » ، وجاءت « وطن مضمومة النون .
ووردت النون مفتوحة في طبعة للديوان صدرت (مصورة) في بيروت ١٩٦٨ ، منشورات مكتبة النهضة ببغداد ص ٢٣٣ ، واستدرك المحققان الحال ، متأخراً في القسم الرابع ص ٥٥٧ وكأنهما أفادا من الشيخ بدون أن ينصا على مصدر الإفادة ...
- (١٦) في مختار الصحاح : « السفير الرسول المصلح بين القوم ... وسفر بين القوم يسفر بكسر الفاء سفارة بالكسر أصلح »
وفي القاموس « وقد سفره يسفره وأسفره وسفر يسفر كأسفر ... بين القوم أصلح يسفر ويسفر سفراً وسفاره وسفارة فهو سفير »

- (١٧) وقد تكون هذه مناسبة للكلام على « أنعم » و « أمعن » ويبدو أنهما تتقاربان في الاستعمال . جاء في القاموس : أنعم في الأمر بالغ . ومعن الفرس تباعد كأمعن ... وأمعن في أبعد ، والضب في حجره غاب في أقصاه .
- في اللسان أنعم أفضل وزاد ... ومنه توهم أنعم النظر في الشيء إذا أطال تفكيره وفي محيط الميحت لبطرس البستاني : تقول دققته دقا ونعما وأنعم النظر في كذا أي حقق النظر وبالغ فيه . معن أمعن النظر في الأمر بالغ في الأمر وأبعد في الاستقصاء .
- (١٨) والشيخ عندما يعيل على شرح التبريزي (١ / ١٢٥) فإنه يعيل على عمل له ، فهو محقق هذا الشرح . وقد مر خبره في أعلاه .
- (١٩) الطرائف الأدبية تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، حط . لجنة ... ، ١٨٣٧ . ديوان إبراهيم بن العباس الصولي ص ص ١١٧ - ١٩٤ .
- (٢٠) الجامع الكبير ، ذكر أعلاه ، ص ٢ - والدمية لدينا مخطوطة ومطبوعة .
- (٢١) ينظر لكاتب البحث كتاب « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٨٥٨ - ١٨٨/١ - ١٨٣ : علي بن أفلح الشاعر الكاتب البغدادي ... توفي في العشرة الرابعة من القرن السادس ، .
- (٢٢) الثعالبي (أبو منصور عبدالملك ت ٤٢٩) - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، مط . حجازي ، مكتبة الحسين التجارية ١٨٣٧ / ١٣٦٦ - ٢٧٢ / ١ - ٢٨٢ .
- (٢٣) ينظر من مراجعة أعلام الزركلي ط ٤ (٧ / ١٢٥) ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ (٢٨٥/٣ - ٢٩٩) ، وأهم مصادره : الجزيرة (قسم الشام) ، معجم الأدباء ، وفيات الأعيان - وعنه نقلنا المعلومات المذكورة .
- (٢٤) تحدث ابن الأثير غير قليل عن أبي العلاء (أحمد بن عبدالله بن سليمان) المعري ، ولكنه لم يصغه بـ « بعض المتأخرين » وإنما كان يستعمل هذه الصيغة لمن كان أقرب إليه زمناً من أبي العلاء المعري . وكانت هذه اللهجة بما يمكن أن تبعثهما على الشك والبحث . وفي كتاب الطراز للعلوي اليمني ، ج ٢ ، القاهرة ، مطبعة المقتطف (مصورة) ١٣٣٢ / ١٩١٤ ص ٣٥٨ « ومن أحسن ما وجدته في ذلك للشاعر المعروف بالمعري ، وقد أكثر منه : لو زارنا ... ولم يختلف تحقيق الشيخ (١ / ٢٥١) عن تحقيق الاستاذين .
- (٢٥) الكلام في ط . بيروت ، تحقيق د. إحسان عباس ٢٤٣/٦ - ٢٤٩ .
- (٢٦) الزركلي - الاعلام ، ط ٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٩ ، ١٤٧/٨ - ١٠٣٨ وكان بإمكان المحققين الاستغناء عن كثير من تعريفاتها بالاحالة العامة إلى اعلام الزركلي .

- (٢٧) يؤيد هذين التصحيحين نص ابن خلكان كما ورد في الطبعة التي حققها الدكتور احسان عباس.
- (٢٨) زيدان (جرجي) -تاريخ التمدن الاسلامي ، الجزء الأول ، ط ٢ بيروت باشراف وتعليق الدكتور حسين مؤنس ص ٢٥١ .
- (٢٩) قال ابن الأثير (١/١٦١) : « وقد بسطت القول في هذا الموضوع (حل الشعر) ، وكشفت عن دفايته في الكتاب الذي وسمته : (الوشي المرقوم في حل المنظوم) وهو كتاب مفرد لهذا الفن خاصة والموضوع عزيز جدا على نفس ابن الأثير ... وكان قد نبه اليه في كتابه « الجامع الكبير » لعلاه - ص ٢٦-٢٧ .
- (٣٠) وهو من المباحث التي يحسن الرجوع بها إلى كتاب ابن الأثير الجامع الكبير « ذكر في اعلاه - ص ص ٢٥١ - ٢٧٣ .
- (٣١) قال ابن خلكان - حرف الميم ، محمد : « ... أحد المتأخرين المجيدين ... له ديوان شعر بأيدي الناس كثير الوجود وذكره العماد الكاتب الاصبهاني في كتابه الذي سماه الخريدة فقال : هو شاب ظريف ... ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة انيقة :
لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباية الا من يعانها ...
وفاته على مقاله ابن الجوزي في تاريخه من جمادي الاخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسائة-ببغداد ودفن في باب ابرز محاذي التاجية ...
ذكرنا خبره عن ابن خلكان لانه ايسر المصادر إلى المحققين والا فان «الخريدة» مطبوع ، ومنظم ابن الجوري كذلك
ومن النافع ان نذكر احدث الدراسات من الشعر في عصره :
١. الشعر العربي في العراق (من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد) لعبد الكريم توفيق العبود ، بغداد ، ١٨٧٦
٢. الشعر العراقي في القرن السادس الهجري لمزهر عبد السوداني ، بغداد ١٩٨٠
وديوان الابله مخطوط موجود ... كان عبد الكريم الدجيلي قد عزم على تحقيقه
- (٣٢) كما حدث ، مثلا ، للدكتور محمد زغلول سلام في كتابه «تاريخ النقد العربي ج ٢» من القرن الخامس إلى العاشر الهجري . القاهرة ، دار المعارف د.ت.» : ص ص ٢٦٩-٢٧١ :
« ويضم التأليف ثمانية أبواب هي : السجع في المنشور ، والتصريح في المنظوم ، والتجنيس والترصيع ، ولزوم مالا يلزم فيهما معاً ، والموازنة في المنشور ، واختلاف صيغ الألفاظ وتكرير الحروف فيهما أيضاً»- وينظر كتابه : «ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد» . القاهرة د.ت .
- (٣٣) والبيت رابع بيت من قصيدة مطلعها :
ايقدح في «الخيممة» العذل وتشمل من دهرها يشمل
وللقصيدة قصة رواها ابن الاثير نفسه لتتضح قيمة البيت الذي استشهد به وقال ١٠/٢

«... ان سيف الدولة بن حمدان كان مخيماً بأرض ديار بكر على مدينة «ميفارقين» فعصفت الريح بخيمته ، فتطير الناس لذلك ، وقالوا فيه اقوالا ، فمدحه ابو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة ، اولها : اينفع في الخيمة العذل...» ورواية القصة تنسجم وما جاء في ديوان الشاعر (ينظر شرح البرقوقي ٥٩/٢) وكان المناسب ان ينسب المحققان إلى أن «ينفع وردت في الديوان يقدح .

ثم ان الضمير في ارجاؤها «يعود على الخيمة»... وقد ضاقت بشخصك لعظمته مع انها واسعة ، «من الاتساع-كما يقول اليازجي في شرحه ص ٣١٤... بحيث يركض في احد جوانبها الجيش الكثير» نطلب مثل هذا البيان من المحققين بعد ان الزما نفسيهما بالشرح ... وشرح المشروح احياناً. (٣٤) معجم البلدان ط. اوربا ٤/٤٤٤. وقد يكون مفيداً ان نذكر انها بالفرنسية مكسورة الاول والثاني..

(٣٥) ينظر عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ٢/٤٠٧

(٣٦) جاء في «ديوان العباس بن الاحنف. القاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٥٦» ص ٢٧٩ : «وقال لما خرج مع «الرشيد» إلى «خراسان» : قالوا «خراسان ... الخ

(٣٧) ينظر العقد الفريد لابن عبد ربه ، بتحقيق احمد امين ومحمد سعيد العريان . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٠/١٣٥٩-أعيد طبعه مصوراً وجاء عليه : بتحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر (د.ت ، د.م) وقد ورد النص منه على ١٧٥/١ : «وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت : أشكو إليك قلة الجرذان. قال : ما أحسن هذه الكناية ! إملأوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .

(٣٨) قال ابن خلكان -حرف العين ، على- :

«ابو الحسن علي بن مقلد بن منقذ الكناني الملقب بسديد الملك صاحب قلعة شيزر وهو اول من ملك شيزر من بني منقذ لانه كان نازلاً مجاوراً للقلعة بقرب الحسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت القاعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها ونازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة (٤٧٤) ولم تزل في يده ويد اولاده إلى ان جاءت الزلزلة سنة (٥٥٣) فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم» وقال : «وكان مقصوداً.. ومدحه جماعة من الشعراء... وكان له شعر جيد موصوفاً بقوة الفطنة... كانت وفاته في سنة (٤٧٥)» (٣/٥٨٨ : ٤١١-)

وتكلم ابن خلكان على اعلام المناقذة

مقلد بن نصر بن منقذ (والد علي..) ولقبه مخلص الدولة حرف الميم (٢٦٩/٥-٢٧٣) مرشد (ولد علي) توفي سنة ٥٤١ (ينظر في ترجمة اسامة) .

اسامة (حفيده ، ولد مرشد - (١٩٥/١-١٩٩) توفي سنة ٥٨٤ ولدى كلامه عليه تكلم عن شيزر: «وشيزر بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي .. قلعة بالقرب من حماه وهي معروفة بهم .
ويتظر عن شيزر ياقوت ، معجم البلدان ط. اوربا : « قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماه يوم تعد من كورة حمص» .
وينظر من النفاذة العماد الكاتب الاصبهاني-الخريدة ، قسم الشام ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ..

(٣٩) تحدث ابن خلكان عن قرواش (٢٦٠/٥-٢٦٢) من كلامه على والده المقلد -حرف ميم (٢٦٠/٥-٢٦٢) قال :

ابو حسان المقلد بن المسيب ... العقيلي الملقب حسام الدولة . صاحب الموصل كان اخوه ابو الذواد محمد بن المسيب اول من تغلب على الموصل وملكها من اهل هذا البيت وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ... فلما مات أبو الذواد سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده ...

ولما مات كان ولده معتمد الدولة ابو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الأمر من بعده وكانت له بلاد الموصل والنوفه والمدائن وسقي القرات ... ودامت اماره قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين اخيه بركة بن المقلد ... فقيض عليه في سنة احدى واربعين واربعمئة وقيده وحسه في الجراححة احدى قلاع الموصل وتولى مكانه ...

قتل قرواش في مستهل رجب سنة أربع واربعين واربعمئة ودفن بتل توبة شرقي الموصل وكان فصيحاً ... شاعرا كريما شجاعا . وقروان بكسر القاف وسكون الراء ...
ينظر للتفصيل في أمر الامارة العقيلية : العماد الكاتب الاصبهاني - الخريدة قسم الشام تحقيق الدكتور شكري فيصل ...

(٣٩) ينظر كتاب الدكتور محمد زغلول سلام : ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص ٦٨ - ٦٨ .

(٤٠) ط ١ ، النجف ، العلوية ١٣٤٣ . ط ٢ دمشق ، الهاشمية ، تحقيق خليل مردم ١٩٥٨ .

(٤١) احفظ : فكل مكان خيمت فهو بابل عجزا لبيت من شعر البيوردي وصدق الحفظ عندما رجعت إلى ديوان البيوردي ط. بيروت ١٣١٧ ص ٢٤٢ :
قواف تعيسد الايسن التجسل سحرها وكل مكان خيمت فيه بابل

(٤٢) كما فعل الدكتور شوقي ضيف اذ قال وهو يتحدث عن «السرفات» لدى الاثير « ابن الأثير.. يتسمها ثلاثة أقسام : نسحاً وسلحاً ومسحاً ، ثم يفرع هذه الأقسام فروعاً تبلغ ستة عشر ... » - النقد ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤ ص ١٠٣ .

- (٤٣) ينظر - مثلاً - بتحقيق محمد أبو الفضل . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي وشركاه في ٢٠ جزءاً ، ١٣٧٨/١٩٥٩ - ١٣٨٣ - ١٩٦٤ ، تليها الفهارس في جزء خاص
- (٣٣) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي (باللمانية) ج ١ ط ١ ص ٢٨٣ ، ط ٢ ، ص ٣٣٦ ، الذيل ج ١ ص ٤٩٧ . والترجمة العربية (أعلاه) ١٧٧/٥ ، ٢٧٣ .
- (٤٥) يقول زيدان ذكر في اعلاه - « الفلك الدائر ... مطبوع في مصر مرارا » (٤٥/٤) وليس لدينا مايقيد ذلك . ولم يرد لدى يوسف اليان سركيس في «معجم المطبوعات ... الا طبعة واحدة قال ص ١٨٤ » طبع الهند ١٣٠٩ . في الجامع الكبير ه ٣٧ . ولدى بروكلمات (بالعربية) ١٧٧/٥ « وطبع في بومباي ١٣٨ - ١٣٠٩ ه . وذكره عمر فروخ ٥٨٣/٣ وكأنه صادر في طبعتين ، قال : « الفلك الدائر على المثل السائر ، لا ذكر لمحل الطبع ، ١٣٠٩ ه () = المثل السائر المسمى بالفلك الدائر ، بمبي ١٣٠٨ - ١٣٠٩ ه .»
- (٤٦) لم يطبع « ديوان ابن نباتة السعدي » الا في سنة ١٨٧٧ بتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائفي . بغداد ، وزارة الاعلام ، دار الحرية للطباعة ، وقد صدر في جزأين .

الحضور التاريخي لمدينة
طرابلس الشام
من خلال الكامل في التاريخ لابن الاثير

الدكتور عمر عبدالسلام تدمري
الجامعة اللبنانية - كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع طرابلس

من الفتح العربي الى العصر الفاطمي

يصرّح ابن الأثير بذكر مدينة طرابلس في كتابه « الكامل في التاريخ » أربعاً وخمسين مرة ، (١) ويأتي ذكرها عدة مرات أخرى - ضمناً دون تصريح باسمها - من خلال أعلام ارتبط تاريخهم بها ، من أمراء وولادة وقادة ، مثل « سحيم بن المهاجر » الذي وليها في عهد عبد الملك بن مروان « و غلام زرافة ليو الطرابلسي » الذي كان أميراً للبحر » ، و « نزال الكتامي » الذي كان والياً عليها من قبل الدولة الفاطمية ، و « جلال الملك » قاضي طرابلس وصاحبها ، و « صنجيل » وغيره من أمراء الإفرنج الذين حكموها .

ويبدأ ذكرها لأول مرة في حوادث سنة ٥١٣ هـ . وهو يتحدث عن فتح المسلمين لها بقيادة « سفيان بن مجيب الأزدي » في خلافة عثمان بن عفان . ومن الواضح أنّ السنة الثالثة عشرة الهجرية لا تتفق وخلافة عثمان التي تأخرت حتى أول سنة ٥٢٤ هـ . ففتح طرابلس قد تأخر الى نحو سنة ٥٢٥ هـ . ولكن يبدو أن ابن الأثير اراد بذكره في حوادث سنة ٥١٣ هـ . أنّ يتناول الحديث عنها في السنة التي تم فيها فتح مدن الساحل الشامي (ساحل لبنان حالياً) وهي : صيدا وجبيل وبيروت وعرقنة .

(١) انظر فهرس الاماكن من نسخة صادر بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٧ عن النسخة التي نشرها

١٣ - ص ٤٩٠ و ٤٩١ ،

(٢) فتوح البلدان - البلاذري - تحقيق د. صلاح الدين المنجد - ق ١٥٠/١ - القاهرة

١٩٥٦ .

ورواية ابن الأثير عن فتح طرابلس لا تختلف عن رواية «البلاذري» في «فتوح البلدان» وهو إن كان يأتي بروايات منقولة عن مصادر أخرى فانه كان يمنح الثقة للروايات التي نقل عنها وأكدها ، وخاصة فيما يتعلق بفتح ساحل الشام الذي اهدل « ابن جرير الطبري» الحديث عنه تماماً في تأريخه بشكل يدعو للتساؤل .

وفي حوادث سنة ٥٦٩ هـ . يتناول ابن الاثير عصيان الجراحمة (١) بالشام في عهد عبد الملك بن مروان ، ودور « سحيم بن المهاجر» في القضاء على حركتهم ، غير أنه لا يشير إلى وظيفة سحيم في ذلك الوقت ، ولكننا نعرف من « ابن عساكر الدمشقي » (٢) و « ابن العديم الحلبي » (٣) انه كان والياً على طرابلس حينذاك .

وهنا نسجل على « الطبري» إهماله لهذه الواقعة أيضاً .
وفي حوادث سنة ٥٢٩١ هـ . ينقل ابن الاثير عن « الطبري» خبر غزوة « غلام زرافة» للمدينة أنطاكية ، وهو كسلفه لا يُفصح عن هوية غلام زرافة . بينما يعرفه كل من « المسعودي » (٤) و « ابن عساكر» (٥) « والذهبي » (٦) بأنه أمير البحر « ليوطرابلس» المعروف بـ « غلام زرافة» صاحب طرابلس . وهو صاحب الغزوة البحرية الكبرى على سالونيك اليونانية التي عاد منها باثنتين وعشرين ألف أسيرٍ وعدد كبير من السفن (٧)

(١) نسبة الى مدينة الجرحومة على جبل اللكام عند معدن الزاج فيما بين بيان ويوقا ، قرب أنطاكية .

(٢) تاريخ دمشق - ابن عساكر - مخطوط التيمورية (رقم ١٠٤١ تاريخ) - ج ١٥/١٢٠

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديم - مصورة معبد المخطوطات بالجامعة العربية

(رقم ٨٢٩ تاريخ) - ج ٧/٢١٩ .

(٤) مروج الذهب - ج ١/١٢٩ ، التنبيه والإشراف ١٥٣ .

(٥) تاريخ دمشق - ج ٢٤/١٢٥ ، تهذيب ابن عساكر ٤/٣٣٤ .

(٦) تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الاعلام - مصورة دار الكتب المصرية (رقم ٣٩٦ تاريخ)

(٧) تاريخ - ج ٢١/١٨٠ .

HISTORY OF THE BYZANTINE - FINLAY - 317 BOOK, II (٧)

وينقطع الحديث عن طرابلس في تاريخ ابن الاثير حتى سنة ٣٥٨هـ. حيث يأتي الحديث عن حملة الامبراطور البيزنطي «نقفُور فوكاس» إلى بلاد الشام في نهاية الدولة الاخشيديّة «وقد جاء في متن النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة أنّ ملك الروم سار في البلاد إلى طرابلس» واحرق بلدها « وجاء في الحاشية انه أحرق ربض طرابلس (١) . ونحن نميل إلى مجاء في الحاشية بالاستناد إلى ما ذكره كلٌّ من « الانطاكي » (٢) و«الروزراوري» (٣) و «الهمداني» (٤).

ثم يرد ذكر طرابلس بعد سنوات قليلة من ضمّ الفاطميين بلاد الشام إلى نفوذهم ، وبالتحديد في سنة ٣٧٨هـ. حيث يقوم واليها القائد «نزّال الغوري الكتامي» بمساعدة القائد «منير الصقلي الخادم» في إخراج «بكجور» من دمشق (٥) الذي يقوم بالاستيلاء على الرحبة ومايجاوز الرقّة ، ثم يرسل الخليفة الفاطمي «العزيز بالله» يطمعُه في حلب ويقول له إنّها دهلين العراق ومتى أخذت كان مابعدا أسهل منها ، ويطلب إنجاده بالعساكر ، فيجيبه العزيز إلى ذلك بإرسال «نزّال» والي طرابلس لمساعدته في سنة ٣٨١هـ. وإعطائه حق قيادة جميع العساكر التي يجهّزها ولاةُ البلاد الشاميّة الأخرى والتصرّف بقصد حلب وقتل صاحبها «سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني» .

ويبرز ابن الاثير دور «نزّال» في ماطلة «بكجور» استجابة لرأي الوزير «عيسى بن نسطورس النصراني» الذي كان يحقد على «بكجور» ، والأمر إليه بأن يزّين له ضرورة قتال «سعد الدولة» فإذا تورّط في قتاله

(١) الكامل في التاريخ - ج ٥٩٦ .

(٢) تاريخ الانطاكي ٨١٥ و٨١٦ - باريس ١٩٢٤ ، ج ١/١٣١ - بيروت ١٩٠٩

(٣) ذيل تجارب الأمم - ج ١٣/٣

(٤) تكملة تاريخ الطبري - ج ١/٢٠١

(٥) الكامل ٥٨/٩

تخاى «نزّال» عنه . وقد نجحت خطة الوزير «ابن نسطورس» حيث نفذها «نزّال» بإحكام ، (١) لانه كان من صنائعه على ما يقول «ابن القلانسي» (٢) و «الروذراوري» (٣) . ومن خلال هذه الاحداث نتبين أهمية دور والي طرابلس ، كما نرى أهمية موقع المدينة ذاتها بالنسبة للدولة الفاطمية حيث كانت هي القاعدة والميناء الرئيسي الذي تصل عن طريقه الإمدادات العسكرية والغذائية من مصر لتوزّع في أنحاء الشام . وهذا ما يوضحه ابن الاثير في النصّ على أن «العزير بالله» أنفدّ الأفوات من مصر في البحر إلى طرابلس ومنها إلى عسكر «منجوتكين» (X) الذي أمر بمحاصرة حلب وانتزاعها من الحمدانيين ، فكان ذلك مقدّمة لقيام الامبراطور «باسيل الثاني» بحملة إلى مدن الشام الشمالية ومنازلته طرابلس نيّفاً وأربعين يوماً دون ان يتمكن من اقتحامها في سنة ٣٨٥هـ . (٤)

وفي السنة التالية ٣٨٦هـ . يخبرنا ابن الاثير ان «أبا تميم سليمان بن جعفر الكتامي» العامل على الشام قام بعزل «جيش بن الصمصامة الكتامي» عن طرابلس واستعمل أخاه «علي بن جعفر» عليها . ونظر في أمر الساحل ١٩٠ عصر امارة بني عمار

مع سنة ٤٦٤هـ . يبدأ ابن الاثير بالتاريخ لبني عمار أمراء طرابلس الذين جعلوها إمارةً مستقلةً عن الدولة الفاطمية ، فيؤرّخ لوفاة «ابي طالب بن عمار» الذي كان قد استولى عليها واستبدّ بأمرها ، وقيام ابن أخيه «جلال الملك» مكانه حيث «ضبط البلد أحسن ضبطٍ ولم يظهر لفقد عمه أثرٌ لكفائته» (٥) .

(١) الكامل ٨٥/٨ و ٨٦ .

(٢) ذيل تاريخ دمشق - ص ٣٤

(٣) ذيل تجارب الأمم - ج ٢٠٩/٣

(X) الكامل ٨٩/٩

(٥) الكامل ٩٠/٩

(٦) الكامل ١١٩/٩

(٧) الكامل ٧١/١٠ .

ثم ينفرد ابن الأثير بالحديث عن نزول السلاجقة على طرابلس في سنة ٤٨٥ هـ . بقيادة « تاج الدولة تتش » ، وكيف تخلّص أميرها وقاضيها « جلال الملك » من خطرهم عن طريق استمالة بعض القادة السلاجقة بالأموال والتحف ، وإبراز منشور موقع من السلطان « ملكشاه » ينصّ على الاعتراف باستقلال « ابن عمار » في حُكْم طرابلس ، ويتعهدّ بأن يقوم النواب السلاجقة في البلاد القريبة من طرابلس بمساعدة « ابن عمار » والدفاع عن إمارته ، والتحذير من محاربتة . (١) وعن ابن الأثير ينقل « ابن واصل » (٢) و « ابن تغري بردى » (٣) هذه الحادثة .

ومن « الكامل في التاريخ » نعرف أن نفوذ « جلال الملك » كان يصل الى جبلة في الشمال من ساحل الشام ، وكان قاضيها « عبد الله بن منصور » تحت طاعته منذ سنة ٤٧٣ هـ . حتى توفي وخلفه ابنه « ابو محمد » المعروف بـ « ابن صليحة » الذي خلع طاعة « ابن عمار » وخطب للعباسيين فاستعان « ابن عمار » بـ « دقاق بن تتش » لبيعه عنها ولكنه فشل في حصاره واستمر « ابن صليحة » مستولياً على جبلة حتى أتاه الصليبيون فخرج منها إلى دمشق بأهله وتسلمها منه بوري بن طغتكين « فأرسل « ابن عمار » الى الملك « دقاق » يعرض عليه أن يتسلم منه « ابن صليحة » عرياناً مقابل ان يأخذ « دقاق » جميع ماله ويزيده من عنده ثلاثمائة الف دينار فلم يفعل . (٤) إلا أن جَبَلَة مالبت ان عادت الى نفوذ « ابن عمار » اذ أن « تاج الملوك بوري » أساء السيرة مع أهلها هو وأصحابه ، فراسلوا « جلال الملك » وشكوا إليه الأمر وطلبوا الدخول في طاعته ، فأرسل إليهم عسكرياً استرجع به المدينة وقبض على « تاج الملوك » وجيء به الى

(١) الكامل ٢٠٣/١٠

(٢) مفرج الكروب في اخبار بني أيوب - ابن واصل - ج ٢١/١ - تحقيق د. جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٠ .

(٣) اللجوم الزاهرة - ابن تغري بردى - ج ١٣٢/٥ / طبعة دار الكتب المصرية

(٤) الكامل ٣١١/١٠

طرابلس أسيراً ، فأكرمه « ابن عمار » وأطلق سراحه وكتب إلى أبيه « طغتكين » يعتذر إليه عما حدث ، وبرر ذلك فانه خاف أن يملك الفرنج جبلة ، فاضطر الى اخراج « تاج الملوك » منها .

وقد ذكر ابن الأثير هذه الاحداث مجتمعة مع تفصيلاتها في حوادث سنة ٥٤٩٤ هـ . ونجد بعضها في « معجم البلدان » و«النجوم الزاهرة » و«مرآة الزمان » و«ذيل تاريخ دمشق » و«المختصر في اخبار البشر » و«تتمة المختصر » .

ثم ينفرد ابن الأثير بالحديث عن واقعة جرت بين المسلمين والفرنجة عند باب طرابلس في سنة ٥٤٩٥ هـ. فيما يجعل كل من «ابن القلانسي» و« سبط ابن الجوزي» (١) هذه المعركة عند أنطربطوس . ورواية ابن الأثير تستحق التأمل في معلومتين وردتا فيها،

الأولى: ان «صنجيل» قائد الفرنجة وصل الى طرابلس في ثلاثمائة من جنوده فقط، وانه هزم بهم الأمير «ياخز» خليفة «جناح الدولة» على حمص، وألفي مقاتل سيرهم «دقاق بن تتش»، وعسكر طرابلس بقيادة «فخر الملك بن عمار» الذي قتل منه سبعة آلاف رجل، ثم منازلته المدينة وحاصرها. **الثانية:** إن أهل الجبل القريب من طرابلس أعانوا «صنجيل» على حصارها ، وكذلك أهل السواد، وأكثرهم نصارى، فصمد أهل المدينة وقتلوا ثلاثمائة من الافرنج ، فهادنهم «صنجيل» على مال وخيل ورحل عنهم إلى أنطربطوس (٢) .

إن المعلومة الاولى تدعونا إلى التساؤل :

— كيف يتسنى لثلاثمائة رجل، غرباء عن البلاد، بعيدين عن أية إمدادات أن يهزموا نحو عشرة آلاف رجل من أهل البلاد، القريبين من

(١) مرآة الزمان - ج ٣٥١٢ / ١٢٤٦

(٢) الكامل ١٠/٢٤٤

مصدر إمداداتهم ، ويقتلون سبعة آلاف من رجال طرابلس؟ وهذا يدعوننا أيضاً للتساؤل عن نسبة القتلى الى عدد سكان المدينة في تلك السنة، خاصة ونحن نعرف أن سكانها كانوا قبل نيف ونصف قرن، ألفاً حسب تقدير «ناصر خسرو» (١)

لعل في المعلومة الثانية مايجيب على تساؤلنا الأول .
تقول المعلومة الثانية أن أهل الجبل وأهل السواد واكثرهم نصارى اتوا الى « صنجيل» وأعانوه على حصار طرابلس . ولا بد أن عددهم كان كبيراً وكافياً للوقوف أمام نحو عشرة آلاف مقاتل ثم تحقيق الانتصار عليهم .

ومن هذه الرواية نقف على اول اشارة من مؤرخ مسلم الى مشاركة النصارى في القتال الى جانب الافرنج الصليبيين ضد المدن الاسلامية الساحلية وهي ادانة لانقبل الشك لتلك الفئة التي وقفت صراحة الى جانب الغزاة القادمين من اوربا .

وفي الواقع ، يمكننا ان نفهم ضمنا ان المساعدة التي قدمها النصارى الى الصليبيين في تلك الموقعة لم تكن بنت ساعتها ، وانما وضعت ترتيباتها بين الطرفين حسب تنسيق مسبق تم اعداده قبل يوم المعركة . ونرى مثل ذلك فيما يأتي من أحداث لاحقة عند مؤرخين آخرين .

ومن رواية أوردها ابن الاثير في حوادث سنة ٥٤٩٦ هـ . نعرف ان المدينة كانت تسيّر أسطولاً من المراكب للاغارة على البلاد التي بيد الافرنج رغم مواصلة حصار الصليبيين لها ، وان المواد الغذائية كانت تأتيها . (٢) ووصلت في السنة التالية مراكب من بلاد الافرنج الى اللاذقية فيها تجتار وأجناد وحجاج وغير ذلك ، فاستعان بهم « صنجيل» وحاصر

(١) سفرنامه - ناصر خسرو علوى - ترجمة د. يعقوب الخشاب - ص ٤٧ بيروت

١٩٧٠

(٢) الكامل ٣٦٥/١٠ و ٣٦٦

طرابلس برآ وبحراً وضايقوها وقتلوا أياماً فلم يروا فيها مطمعاً . (١)
واضطر « ابن عمار » « ان يكتاب » سقمان بن أرتق « صاحب ديار بكر
وبدّل له المعونة بالمال والرجال ليأتي ويساعده في سنة ٤٩٨ هـ . (٢)
وهنا نجد ابن الاثير يهمل الاشارة الى مراسلة (ابن عمار) لـ « جكرمش »
صاحب الموصل ، رغم أنه ينقل كثيراً من معلوماته عن « ابن القلانسي »
الذي يذكر . (٣) كما يخلط بين جُبَيْل وجبَلَة فيجعل فتح جيلة قبل
جيل ، والعكس هو الصحيح حسب تتابع الأحداث وحسب المصادر
المتفقة على تلك الحقيقة ، ثم يتحدث عن بناء « صنجيل » لحصن قريب
من طرابلس وبناء ربض تحته لمتابعة الحصار ، وإغارة « فخر الملك » على الحصن
بغته وإحراق ربضه وانخساف بعض سقوف الحصن بـ « صنجيل » وجماعة
من القمامصة والفرسان ، وموت « صنجيل » بعد أيام ودفنه في القدس .
ويتابع ابن الأثير القول ان ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة
إلى الفرنج المحاصرين لطرابلس فحملوها في البحر ، فتصدى لهم أسطول
« فخر المُلْك » وظفر الطرابلسيون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من
كان بها بعد قتال شديد (٤) .

وقد استأثر الوضع السائد في طرابلس قبل سقوطها بيد الصليبيين باهتمام
مؤرخنا ، فأفرد عنه صفحات كاملة ، وأتى بمعلومات تفصيلية لانجدها
في أي مصدر آخر ، وترك وصفاً مسهباً عما تتمتع به المدينة من شهرة في
التجارة والغنى والثروة ، كما تناول سياسة « فخر الملك » الاقتصادية والاجراءات
الضريبية التي سنها في مواجهة الحصار الاقتصادي والعسكري اللذين
واجهتهما طرابلس طوال خمس سنين .

(١) الكامل ٣٧٢/١٠

(٢) الكامل ٣٨٩/١٠ و ٣٨٥

(٣) الكامل ٤٠٠/١٠ ، ذيل تاريخ دمشق ١٤٦

(٤) الكامل ٣١٢/١٠

ولم يكتف ابن الأثير بعرض سياسة «فخر الملك» فحسب ، بل أظهر تأييده لسياسته وموقفه الشجاع من الفرنج بقوله : «وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد» . وانفرد أيضاً بالحديث عن واقعة الخيانة التي ظهرت من بعض أثرياء طرابلس وكيف اقتصد «فخر الملك» منهم . وهنا نرى البصيرة التاريخية النافذة عند ابن الأثير ، فهو يُجري مقارنة بين حالة المسلمين في ذلك الوقت ، وبين حالتهم أيام السلطان «الب ارسلان» سنة ٤٦٣ هـ . ثم بين حالتهم في زمانه الذي كان يؤرخ فيه هو سنة ٦١٦ هـ (١) وفي الواقع ، إننا لانجافي الحقيقة إذا قلنا أن بإمكان الباحث لتاريخ طرابلس الشام أن يعتمد على «الكامل في التاريخ» للتأريخ معهد «فخر الملك» دون الاستعانة بمصادر أخرى ، إذ غطى ابن الأثير هذه الحقبة من تاريخ المدينة تغطية كاملة ، غنية بالمعلومات وخصبة بالأحداث المفصلة. حتى ليخيل لنا أن سيرة «فخر الملك» استهوت ، ولذا أفرد لها حيزاً محترماً في كامله . وهو المؤرخ الوحيد الذي يعطينا بعض المعلومات عن «فخر الملك» بعد خروج طرابلس من يديه ، حيث استقر الأمر به في الموصل وزيراً للملك «مسعود بن محمد بن ملكشاه» بعدة سنوات ، إلى أن عزّله في سنة ٥١٣ هـ . وفي هذا إشارة إلى العلاقات التي كانت تربط طرابلس بالموصل في عهده . (٢) وتأكيد العلائق الأخوية التي كانت تربطه بملوك السلاجقة وأمراءهم عموماً ، والتي توثقت بشكل قوي أثناء سفره إلى بغداد في سنة ٥٠١ هـ . مستنقراً على الفرنج ، حيث نزل ضيفاً على السلطان «محمد بن ملكشاه» الذي استقبله استقبال الملوك هو والخليفة العباسي «المستظهر بالله» . وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ، ولاجر الآخرة أكبر» « حسب تعبير ابن الأثير» (٣) .

(١) الكامل ٢١٣/١٠

(٢) الكامل ٥٣٩/١٠

(٣) الكامل ٤٥٣/١٠

ولم تكن علائق «فخر الملك» مع ملوك بغداد السلاجقة الا امتداداً للعلاقة المشينة التي وضع أسسها أخوة «جلال الملك» من قبل ، مع السلطان «ملكشاه» الذي اعترف له بحكمه المستقل على طرابلس .

وينفرد ابن الأثير أيضاً عن غيره من المؤرخين المعاصرين بالحديث عن خروج مدينة عرقنة من يد « فخر المُلُك » ثم استيلاء الصليبيين عليها قبيل سقوط طرابلس . ثم يُفردُ أكثرَ من صفحة لواقعة سقوط طرابلس بيد الصليبيين ، ولكنه يضع تاريخين لهذا السقوط . فهو يذكر دخول الفرنج طرابلس في حوادث سنة ٥٠٣ هـ . فيقول : « ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة .. في هذه السنة ، حادي عشر ذي الحجة ، ملك الفرنج « طرابلس » . (١) ويعود في حوادث السنة نفسها للحديث عن ملك الفرنج لمدينة «جُبَيْل» ، والصحيح «جِسَلَة» كما سبق وأوضحنا ، وكان بها «فخر الملك» الذي لجأ إليها بعد سقوط طرابلس ، فقاتلها الفرنج إلى أن ملكوها في ٢٢ من ذى الحجة ٥٠٣ هـ . وخرج منها «فخر الملك» سالماً فقصد شيزر ثم دمشق ، وهناك أقطعه صاحبها «طغتكين» أعمال الزبداني «وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة» . (٢) وهذا يتناقض مع تسلسل الاحداث ، فإذا كان سقوط طرابلس قد تمَّ في الأيام الأخيرة من سنة ٥٠٣ هـ . فإن خروج « فخر المُلُك » من جِسَلَة إلى دمشق يكون في أوائل سنة ٥٠٤ هـ . وليس سنة ٥٠٢ هـ .

ونظراً للتناقض في روايتي ابن الأثير ، فإننا نميل إلى ما أثبتته « ابن القلانسي» من أن سقوط طرابلس كان في سنة ٥٠٢ هـ . (٣) وذلك لأن « ابن القلانسي » أقرب المؤرخين إلى ذلك التاريخ (٤) .

(١) الكامل ٤٧٥/١٠

(٢) الكامل ٤٧٧/١٠

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٦٣

(٤) توفي سنة ٥٥٥ هـ .

الامارة الصليبية : —

يتناول ابن الأثير في عصر الحروب الصليبية محاولات المسلمين لأسترداد طرابلس من الفرنج ، والأعمال الحربية التي شارك فيها أمراؤها الفرنج ضد القوى الاسلامية، وهو لا يأتي بجديد عما أتى به «ابن القلانسي» وحين يتحدث عن «بونزكونت طرابلس» يسميه : القمص صاحب طرابلس ، (١) وهو لا يشير إلى مقتله في غزوة التركمان إلى المدينة في سنة ٥٣١ هـ . حين قادهم الأمير «بزوش» كما يسميه هو، (٢) أو «بزواج» كما يسميه «ابن القلانسي» (٣) و «ابن الفرات» (٤) . إلا أننا نعرف من «القلقشندي» المتوفى سنة ٨٢١ هـ . ان «القمص» قُتل في هذه الغزوة (٥) . ثم يتحدث ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٣ هـ . عن «برتداند بن ألفونسو جوردان» حفيد «ريموند الصنجيلي» صاحب حصن طرابلس، فيسميه : «ابن الفنش» ، ويذكر أنه جاء مع ملك الالمان في حملته الى الشام وأراد انتزاع طرابلس من يد «ريموند الثاني» (٥٣١ - ٥٤٦ هـ / ١١٣٧ - ١١٥٢ م). فوقع في قبضة «نور الدين محمود «و» معين الدين أنر» صاحب بعلبك . وهنا نرى روح المرح والمداعبة عند مؤرخنا وهو يتهم على مصير (ابن الفنش) حين يقول : «وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعمة تطلب قرنين فعادت بغير أذنين» (٦) .

وفي حوادث سنة ٥٤٥ هـ . يذكر ابن الأثير في كامله أبياتا من شعر في مدح «نور الدين زنكي» حين فتح حصن أفامية، وينسبها الى الشاعر «ابن الرومي» (٧) . وهي في الحقيقة للشاعر الطرابلسي «احمد بن منير» :

(١) الكامل - ج ١١/٧٨

(٢) الكامل - ج ١١/٥٠

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٨

(٤) تاريخ ابن الفرات - ج ٨/٧٩

(٥) صبح الأعثق - ج ٦/٣٥١

(٦) الكامل ١١/١٣٢

(٧) الكامل ١١/١٤٩

والتصحيح عن ابن الأثير نفسه في «التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية» (١) و«أبي شامة» «في» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» (٢) . ثم يذكر أبياتا من الشعر من قصيدة قبلت في مدح «نورالدين» حين ملك حصن دلوك، في حوادث سنة ٥٥٤٧ هـ (٣) . دون ان يصرح باسم الشاعر صاحب هذه الأبيات ، بينما يذكر في «التاريخ الباهر» (٤) انها لابن منير الطرابلسي»، ويؤيده في ذلك «أبو شامة» ، (٥) وكذلك يفعل في حوادث سنة ٥٥٥١ هـ (٦) . إلا أنه يذكر اسمه بطريق الظن في حوادث سنة ٥٥٥٩ هـ (٧) . والملفت أن «ابن منير الطرابلسي» توفي سنة ٥٥٤٨ هـ وابن الأثير يذكر شعره بعد أحد عشر عاماً من وفاته ، مما يعني أنه انشد تلك الأبيات في تاريخ سابق للسنوات التي أُوخ لها ابن الأثير .

وفي حوادث سنة ٥٥٦٢ هـ. يتحدث عن غارة ل«نور الدين زنكي» «واخيه» قطب الدين» صاحب الموصل الى : عرقة وحلباً القرييين من طرابلس ، ويبدو انه يسمي حلباً : «جبله» ، كما فعل «ابو شامة» (٨) و «ابن واصل» (٩) «و» «ابو القداء» (١٠) . وقد صحح المستشرق كارلوس تورنبرج» هذا الخطأ، وأثبتها في المتن بلفظ «حلبة» بالتاء المربوطة في آخرها ، وأشار في الحاشية الى أنها في الاصل جبله. (١١) وهي الان

-
- (١) ص ١٠١
(٢) ص ١٦١
(٣) الكامل ١٦٣/١١
(٤) ص ١٠٦
(٥) الروضتين - ج ١/١٨٣ و ١٩٤
(٦) الكامل ٢٠٨/١١
(٧) الكامل ٣٠٥/١١
(٨) الروضتين - ج ١/٣٧٣
(٩) مفرج الكروب - ج ١/١٥٢
(١٠) المختصر في أخبار البشر - ج ٢/٤٥
(١١) الكامل ٣٢٧/١١

تلفظ وتكتب «حلبا» بالالف المدودة .

وعن عهد صلاح الدين الايوبي. «يسهب ابن الأثير في توضيح العلاقة التي كانت قائمة بين السلطان و «ريمند بن ريمند الصنجيلي» وأسبابها ودوافعها وما رافقها من محاولات الفرنج لاحتباط تلك العلاقات ونتائجها ، فيؤرخ لكل ذلك في حوادث سنتي ٥٨٢ و ٥٨٣ . ويؤكد ابن الأثير على ان العلاقات التي قامت بين كونت طرابلس والسلطان صلاح الدين كانت من اعظم الأسباب لفتح بلاد الفرنج واستنفاذ بيت المقدس منهم ، (١) ويكاد الباحث يستشف من سياق رواية ابن الأثير أن «ريمند كونت طرابلس اعتنق الاسلام ، او كاد ، ولذا استخدم الفرنج كل وسائل الضغط والاقناع والتخويف حتى أثنوه عن موقفه وأعادوه الى حظيرتهم . (٢) وأوضح ابن الأثير عن طريق حوار جرى بين «ريموند» والبرنس» أرناط» صاحب حصن الكرك ، أن كونت طرابلس صدق الفرنج الرأي حول السلطان وقوة عسكر المسلمين ، ولكن الفرنج ظلوا يأخذون كلامه على محمل التهويل والمبالغة ، ولذا رفضوا الأخذ برأيه وخرجوا لقتال عساكر صلاح الدين ، فكانت هزيمتهم الساحقة في حطين ، وفرار «ريموند» من الموقعة وهو مُثقل بالجراح الى طرابلس حيث «لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى مات غيظاً وحنقاً مما جرى على الفرنج خاصة ، وعلى دين النصرانية عامة .» (٣) وهنا نجد «أبا الفتح ضياء الدين بن الأثير «شقيق مؤرخنا يقول في إحدى رسائله عن موقعة حطين : «.. ولم ينج بها من طواغيت الكفر إلا طاغية طرابلس فأن السيوف أسادته وبفؤاده قلق من أوجالها ، وفي عينيه دهش من أوجالها ، وقد قرّن الله هذا الفتح ببشرى موته ، وكفى المسلمين مؤونة الاهتمام لفؤوته . ففر من الموقعة ولم ينجح بذلك القرار ، واعتصم

(١) الكامل ٥٢٧/١١

(٢) الكامل ٥٣٢/١١

(٣) الكامل ٥٣٥/١١ و٥٣٨

بذات جداره فقتله الخوف من وراء الجدار ، ولافرق بين قتيل خوف الشفار وبين قتيل الشفار ولقد فرّ من المكروه الى مثله ، ولكنه انتقل من ميتة عزّه الى ميتة ذلّه . (١)

وفي حوادث سنة ٥٨٤هـ. يذكر ابن الاثير انه كان شخصياً مع السلطان صلاح الدين حين نزل تحت حصن الأكراد الواقع داخل كونتية طرابلس ، ولكنه لا يصرّح إن كان قد رافقه في إغارته على الحصون القريبة من هناك ووصوله إلى قرب طرابلس حيث «أبصر البلاد وعرف من اين يأتيها ، وأين يسلك منها .» (٢) ولكن رغم ذلك ، فاننا نصبح أكثر ثقةً وثباتاً بما يرويّه ابن الأثير عن هذه المنطقة في تلك الحقبة، فهو الاقرب إليها زماناً ومكاناً ، فلانشك في صحة المعلومات عن مرابطة ستين قطعة من الشواني الحربية في ميناء طرابلس ، كان صاحب صقلية قد أرسلها نجدة الى فرنج الساحل ، (٣) وفي الحوار الذي دار بين قائد هذا الاسطول والسلطان صلاح الدين في اللاذقية بعد فتحه لها . (٤) فابن الاثير هنا يماثل الكاتب المؤرّخ «العماد الأصفهاني» في كتابه «الفتح القسي» (٥) بمعاصرتة ومعايشته للأحداث ، وكذلك المؤرخ «بهاء الدين بن شدّاد» في «النوادر السلطانية» . (٦) ولكن طرابلس لم تحظ من ابن الأثير بالذكر سوى مرتين بعد ذلك ،

أولاهما : في معرض وصفه لمسار القوات التي قادها ملك الالمان من انطاكية الى عكا عبر طرابلس (٧) في سنة ٥٨٦هـ.

(١) رسائل ابن الاثير - تحرير أنيس المقدسي - ص ١٥٥ و ١٥٦ - بيروت ١٨٥٨

(٢) الكامل ٦/١٢

(٣) الكامل ٧/١٢

(٤) الكامل ١٠/١٢

(٥) الفتح القسي ٢٣٠ و ٢٣١

(٦) النوادر السلطانية ٨٦ ومابعدها

(٧) الكامل ٤٨/١٢

وثانيتها : في حوادث سنة ٥٦٠٤ هـ. حيث يشير إلى ازدياد عدد الفرنج بطرابلس وحصن الأكراد وخروجهم للإغارة على حمص ونواحيها ، ورد الملك «المعادل الأيوبي» على ذلك بالدخول إلى إقليم طرابلس واستيلائه على موقع «القليعات» القريب منها ، واغارته على ربض طرابلس. (٧٥) وينقطع ذكرُ المدينة نهائياً بعد ذلك وحتى ينتهي «الكامل في التاريخ» بـحوادث سنة ٥٦٢٨ هـ .

خلاصة البحث

إن الإطار الجغرافي في «الكامل» يشمل العالم القديم بكامله، فلا يقتصر على إقليم أو إمارة أو مملكة، ولا على الدولة الإسلامية فحسب، بل هو يؤرخ للأمم والشعوب الواقعة ما بين أقصى بلاد الهند شرقاً، وأقصى بلاد الأفرنج في أوروبا غرباً. ولذا يكتسب تاريخ ابن الأثير صفة «التاريخ العام» أو «تاريخ الدول» لابل «التاريخ العالمي»، أي تاريخ الأمم والدول والاديان في آسيا وأفريقية وأوروبا. إذن، فعلى الباحث أن لا يتوقع وجود تاريخ متكامل للمدينة ما من خلال «الكامل في التاريخ» يحيط بكل أحداثها و يتابعها سنة بعد سنة، إذ ليس هذا هدف ابن الأثير، ومن هنا نفهم وجود الثغرات والفجوات الواسعة بين تواريخ الوقائع والاحداث فيما يتعلق بتاريخ طرابلس الشام. فإذا تتبعنا تاريخ هذه المدينة من خلال كامل ابن الأثير نجده يذكرها مرة واحدة في القرن الأول الهجري، ولا يذكرها مطلقاً في القرنين: الثاني والثالث الهجريين. ويذكرها بضع مرّات في القرن الرابع، ولكن حضورها التاريخي يبرز في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، فنرى ابن الأثير يفرد لأحداثها حيزاً لا بأس به منذ عهد قاضيها «جلال الملك بن عمار»، ومن ثمّ موقعها وموقفها في الحروب الصليبية قبل وبعد سقوطها. ويظلّ الحضور التاريخي لطرابلس واضحاً حتى موقعة حطين، أي نحو قرن من الزمان. ثم يعود ذكرها فيخبر بعد ذلك، وينتهي ذكرها لآخر مرة بأحداث سنة ٦٠٤هـ. أي قبل ربع قرن من وفاة ابن الأثير.

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة، ومن خلال تعقبنا لتاريخ طرابلس الشام في ثنايا «الكامل في التاريخ»، نسجل هذه الملاحظات التي تسلط بعض الضوء على منهجية ابن الأثير، وهي وإن كانت تنطلق من نطاق ضيق يدور في إطار مدينة ما، فإنّها تنسحب، ولاشك، وفي كثير منها على التاريخ الكامل، أسلوباً ومنهجاً وطريقة.

وخلاصة هذه الملاحظات تسجّل مالا ين الأثير وما عليه في تاريخه ، وهي باختصار ، على سبيل المثال لا الحصر :

١- تحرّر ابن الأثير ، في كثير من الأحيان ، من قيود التأريخ التقليدي الذي يعتمد على ذكر الحادثة الواحدة حسب السنين ، وهو المعروف بتاريخ الحوليّات ، فذكر أحياناً بعض الأحداث في غير سنوات حدوثها لضرورة ربط الوقائع ببعضها ، كما فعل في فتح طرابلس الذي تمّ حول سنة ٢٥ هـ . في خلافة عثمان ، فذكره في سنة ١٣ هـ . وكذلك أورد خبر مهاجمة « محمود بن نصر المرداسي » صاحب حلب لمدينة طرابلس في حوادث سنة ٤٠٢ هـ . وعملية الهجوم لم تحدث إلا في سنة ٤٦٠ هـ . أي أنه دون الواقعة في تاريخ يسبق تاريخ حدوثها بأكثر من نصف قرن ، وذلك في محاولة منه لربط مجريات الأحداث ببعضها دون مراعاة للفواصل الزمنية ، متخطّياً الطريقة المتّمة التي التزم بها مَنْ قَبْلَهُ من المؤرّخين .

وفي هذا المجال أيضاً ، وبشكلٍ مُثابِل ، قد يذكر الحدّث متأخراً عن تاريخ حدوثه في بعض الأحيان .

٢- نقله كثيراً من الروايات عن « الطبري » و « البلاذري » وغيرهما ، دون تغيير بعباراتها ، أو ربما ببعض التصرّف ، ولكن بحذف الاسانيد والاعتماد على روايةٍ واحدةٍ يعتقد أنها الأرجح والأقوى والأصح .

٣- إنفراده بروايات لم ترد في المصادر الأخرى التي وصلتنا مما يسبق تأريخه ، وهذا يؤكّد أنه ينقل عن مصادر لم نقف عليها حتى الآن . ومن هنا يمكننا اعتماده مصدرراً أساسياً ومهماً في كثير من الوقائع التي لم نجد لها في أيّ مصدرٍ آخر إلى أن يتمّ الكشف عن تلك المصادر التي نقل عنها .

٤- تعاطفه مع سير بعض الأعلام الذين يؤرّخ لهم ، كما هو واضح في تأريخه لسيرة « فخر المُلْك بن عمار » والاشارة بموقفه وسياسته الداخلية والمخارجية في مواجهته للصليبيين ، وإثبات عبارات صريحة بذلك .

٥ - استخدامه لمنهج المقارنة التاريخية بين حدث و موقف سياسي ،
وحدث و موقف سياسي آخر . ومن ذلك مقارنته لحال مسلمي طرابلس
في عهد «فخر الملك بن عمار» ، وحال المسلمين يام السلطان « ألب أرسلان»
ثم حالهم في زمانه هو عندما كان يكتب « الكامل في التاريخ» سنة ٦١٦ هـ .
٦ - وقوع بعض التناقض في التاريخ للأحداث ، حيث يذكر حالة
مافي تاريخين مختلفين ، ومن ذلك التناقض في تحديد تأريخ سقوط طرابلس
بيد الصليبيين ، وكذلك جبسة وجبيل .

٧ - خلطه بين أسماء بعض المدن كما هو الحال في الخلط بين جبسة وجبيل ،
وبين حلبا وجبسة ، رغم أنه زار بعضها وهو بصحبة السلطان صلاح
الدين الأيوبي في سنة ٥٨٤ هـ .

٨ - إظهاره لروح التهكم والدعابة ، وضربه للأمثال في التعليق على
بعض الأخبار بعبارات لطيفة وقصيرة لاتنال من وقار وجدية الموضوع
وقيمة التأريخية .

٩ - عدم تحرّيه لأسماء بعض الأعلام ، اذ يخلط بين « ابن الرومي »
الشاعر المتوفى سنة ٢٨٣ هـ . و « ابن منير الطرابلسي» المتوفى سنة ٥٤٨ هـ
فينسب إلى « ابن الرومي » شعراً قيل بعد وفاته بنحو مائتين وخمسين عاماً .
ومن هنا نخلص إلى تقرير أمرٍ محدد هو ضرورة إعادة تحقيق هذا السفر
الجليل لتخليصه من بعض الشوائب التي علقت به خطأً من مؤلفه أو من
الناسخ ، يدلّ على ذلك اختلاف بعض العبارات في النسخ المختلفة من
الكامل في التاريخ .

مصادر ومراجع البحث

أ - المخطوطات :

- ١ - بغية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديم الجلبلي - نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية - رقم ٩٢٩ تاريخ.
- ٢ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - نسخة مصورة بدارالكتب المصرية - رقم ٣٩٦ تاريخ.
- ٣ - تاريخ دمشق - أبو الحسن علي بن حسن بن عساكر الدمشقي - نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية - رقم ١٠٤١ تاريخ، تيمور.
- ٤ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - أبو المظفر بن قيزوغلي سبط ابن الجوزي - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية - رقم ٥٥١ تاريخ.

ب - المطبوعات :

- ٥ - تاريخ الدول والملوك - ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات - نشره د. قسطنطين زريق - بيروت ١٩٣٩.
- ٦ - تمة المختصر في تاريخ البشر - الشيخ عمر بن الوردى - مصر ١٢٨٥هـ.
- ٧ - تكملة تاريخ الطبري - محمد بن عبدالملك الهمداني - تحقيق ألبرت يوسف كنعان بيروت ١٩٦١.
- ٨ - التنبيه والإشراف - أبو الحسن علي المسعودي - بيروت ١٩٦٨.
- ٩ - تهذيب التاريخ الكبير - ابن عساكر - تحقيق عبدالقادر بدران - دمشق ١٣٣١هـ.
- ١٠ - ذيل تاريخ دمشق - أبو يعلى حمزة بن القلانسي - نشرة آمدروز بيروت ١٩٠٨.

- ١١- ذيل تجارب الأمم - أبو شجاع الروذراوري - تحقيق آمدروز - مصر ١٩١٦.
- ١٢- رسائل ابن الأثير - ضياءالدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير - تحقيق أنيس المقدسي - بيروت ١٩٥٩.
- ١٣- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية - أبو شامه - تحقيق د. محمد حلمي أحمد - مصر ١٩٥٦.
- ١٤- صبح الأعشى في صناعة الانشا - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.
- ١٥- صلة تاريخ أوتبخا - يحيى بن سعيد الانطاكي - نشره لويس شيخو ملحقاً بالتاريخ المجموع لابن البطريق - بيروت ١٩٠٩، ونسخة نشرها كاراثشوفسكي وفاسيليف - باريس ١٩٢٤.
- ١٦- الفتح القسي في الفتح القدسي - العماد الأصفهاني - تحقيق محمد محمود صُبَيْح - القاهرة ١٩٦٥.
- ١٧- فتوح البلدان - البلاذري - تحقيق د. صح الدين المنجد القاهرة ١٩٥٦.
- ١٨- المختصر في أخبار البشر - أبو الفداء - طبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٥هـ.
- ١٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - القاهرة ١٩٦٤.
- ٢٠- معجم البلدان - ياقوت الحموي طبعة دار بيروت
- ٢١- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - جمال الدين محمد بن مسلم بن واصل - تحقيق د. جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٧ - و١٩٦٠ و١٩٧٢.

٢٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - أبو المحاسن بن تغرى
بردى - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.

ج- مصدر مترجم :

٢٣- صفرنامه - أبو معين ناصر خسرو علوى- ترجمة د. يحيى
الخشاب

د- مصدر أجنبي :

HISTORY OF THE BYZANTINE-GEORGE FINLAY-FROM
DCC.

XVI. to MLVII,-BOOK II, ch. 1s2-A.D. 886-912 OXFORD 1877.

ضياء الدين وعلم العربية
في الميزان

الدكتور فخر الدين قباوة

ضياء الدين وعلم العربية في الميزان

الدكتور فخر الدين قباوة

هنا في هذا البلد الكريم ، تلقى علومه أبو الفتح نصرالله ضياء الدين ، فحفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة ، ودرس طرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان (١). فهو إذأً ممن تخرج في هذه المدينة المباركة ، ونهل من ينابيعها ضروب العلم والمعرفة ، حتى أصبح من كبار النقاد ، ومن المترسلين الذين تتبادرهم الملوك والأمراء والعظماء .

وقد صنف عدة كتب في أصول البيان العربي منظوماً ومثوراً ، كان أشهرها « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » لأنه جمع الأصول النظرية لفن الأدب محددة ، مفسرة بالنماذج العملية من شعر ونثر ، وبسط القواعد النقدية المتولدة عن تلك الأصول ، مدعومة بالنصوص الأدبية الواقعية ، لبيان مافيهها من مناح إيجابية وسلبية .

ولما كان علم العربية ، أي النحو ، عنصراً أساسياً في ثقافة من تصدى لصناعة الأدب وجب على ضياء الدين في كتابه هذا أن يعرض له كثيراً ، في مراحل التأصيل والتنظير والتطبيق ، ويتبسط في تناول جوانبه المتصلة بالفن الأدبي . وقد رأيت أن أخص هذه الزاوية بدراسة نقدية ، تحدد صلة أبي الفتح بعلم العربية ، ومكانته من هذا العلم ، دون أن أعرض للزوايا الأخرى وسائر كتبه ، لثلاث تتسع رقعة البحث وتتعذر النتائج المرجوة .

لقد تعرض نصر الله لعلم العربية كثيراً في « المثل السائر » وجعله أحد العلوم التي يقتضيها علم البيان من المنظوم والمثور . ولذلك نراه يتتبع أمور

(١) وفيات الأعيان ٥ : ٣٨٩ . بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧١ .

النحو في الإعراب والتصريف بين كثير من عناصر التقيد والتقييم ، مما يؤكد أنه على صلة واضحة بهذا العلم نظراً وتطبيقاً . وقد حملت هذه الجهود أبا الفتح نفسه على الادعاء أنه أحد علماء العربية (١) ، كما حملت بعض الدارسين المعاصرين على تعظيم شأنه والزعيم انه (٢) واسع المعرفة بعلوم العربية ، متبحر في فقه اللغة ، عاكف على الأضلاع بجوانب الإعراب والصرف .

وتلك لعمرى دعوة كبيرة جداً ، تقتضي النظر والتأمل . فضياء الدين استفاد حقاً من علم العربية استفادة ظاهرة ، في تأصيله وتفريعه وتحليله ونقده . ولكن هل كان على بصيرة وتمكن ، في كل ماتناول من ذلك ؟

أوهام وتخليط

الحق أن أبا الفتح قد أصاب في عديد ، من نظراته وأحكامه الإعرابية والصرفية . إلا أن هذه الإصابة كانت فيما يمس علم العربية مساً رقيقاً ، لا يتناول الدقائق والأعماق . وفي هذا المجال أحسن الاستفادة من مبادئ علم العربية ، واستخدمها في عرض أصول البيان وتطبيقاته . بيد أنه كان إذا تعدى هذه الدائرة ، وتصدى لدقيق القواعد والأحكام ، ولطيف الأسرار والغايات ، خانته براعته ومعارفه ، وسقط في الإحالة أو الجهل أو التخليط .

وأول ما يذكر هنا اختلال فهمه لعلم العربية وميادينه . فهو عندما يعرض موضوع علم البيان ، يستهويه الاستطراد ، فينص على موضوعات بعض العلوم ، ويذكر فيها أن « موضوع النحو هو الألفاظ والمعاني ، والنحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية ، » ثم

(١) المثل السائر ٢ : ٢٥٦-٢٥٧ . طبعة دار النهضة المصرية .

(٢) المثل السائر ١ : ٥ .

يذكر أن «النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي» وهذا (١) — كما ترى — ليس تحديداً صالحاً ، وهو الصق بعلم اللغة منه بعلم النحو (٢) . ذلك لأن موضوع النحو ، وإن اختلف فيه العلماء ، لا يخرج على « مايعرض للكلمات العربية في حالة أفرادها وحالة تركيبها» (٣) والفرق كبير جداً بين ما ذكره ضياء الدين وما عرفه علماء العربية في هذه النقطة .

مع علم التصريف :

في حديثه عن التصريف يرى أن الشاعر أو الكاتب (٤) إذا لم يكن عارفاً به لم تفسد عليه معاني كلامه، وإنما تفسد عليه الأوضاع، وتكون المعاني صحيحة، ثم يضرب أمثلة من التصغير والهمز عسيرة، تحقق ماذهب إليه (٥).

لكأنه لم يدرك حقيقة الأوضاع الصرفية، وعلاقتها بمعاني الكلام. والإفما رأيه في السؤال عن ميت بقولنا: من المتوفي؟ أهذا فساد للأوضاع دون المعاني؟ لقد روي عن الإمام علي، رضي الله عنه، أنه سمع هذا السؤال في جنازة، فاجاب صاحبه قائلاً: «اللَّهُ تَعَالَى»، لينبهه إلى خطئه، وكان ذلك من أسباب وضع أصول علم العربية (٦).

واختصم رجلان إلى عمر بن عبدالعزيز، فكانا يلحنان في كلامهما، فقال لهما الحاجب: قُما فقد أوذيتُما أمير المؤمنين، فقال عمر، رضي الله عنه: أنت والله أشد إيذاءً أليّ منهما (٧).

(١) المثل السائر ١: ٣٩ .

(٢) الفلك الدائر ص ٣٨-٣٩ .

(٣) حاشية الصبان ١: ١٥٠ .

(٤) المثل السائر ١: ٤٠ .

(٥) المثل السائر ١: ٤٨-٥٣ .

(٦) الأشباه والنظائر ٣: ٢٥٦-٢٥٧ .

(٧) المحاسن والسواى ٢: ١٥٩ . وانظر ابن عصفور والتصريف ص ١٩ لفخر الدين قباوة

ثم ألم يعلم أن اللحن الصرفي قد يكون أشنع من اللحن الإعرابي ،
 في النصوص الأدبية؟ هذا سابق الأعمى يقرأ الآية الكريمة «...الخالقُ
 الباريُّ المصورُ» فيلفظ الكلمة الأخيرة بصيغة اسم المفعول. ولذلك
 كان ابن جابان إذا لقيه قال له (١): ياسابق، مافعل الحرف الذي تشرك
 فيه بالله؟ وقرأ سابق هذا أيضاً: «ولاتنكحوا المشركين- حتى يؤمنوا»،
 فقال ابن جابان له (٢): وإن آمنوا لم ننكحهم.

فإذا كان مثل هذا الإخلال بالمعاني يولده الجهل بالتصريف وأحكامه
 حتى ندرك مستويات الإحالة والإيذاء والشرك والمهزلة، ونحن في مجال
 التعبير اليومي أو القراءة، فما قولك به إذا انتقل إلى ميادين الإبداع الفني
 من شعر أو نثر؟

ومن هذا القبيل أن أبا الفتح بن الأثير ينظر إلى الإدغام نظرة سطحية،
 فيرى أن الكاتب ليس في حاجة إلى معرفة أحكامه ، بخلاف الشاعر الذي
 يضطر إليها لإقامة الميزان الشعري (٣). وهذا رأي منه يدل على جهل بصور
 الإظهار والإدغام وعلاقتها بالتعبير القويم . فليس الشاعر أحوج إلى تلك
 الأحكام من الكاتب بل هما فيها سواء (٤)، وكل منهما عرضة للأصابة
 والخطأ. فمن الصواب أن يقال «أولاهم بالإحسان من لم يغش ولم يمارقُ
 ولم يشق عصاً ولم يشاقق» فيظهر ويدغم مايجوز فيه ذلك . ومن الخطأ
 أن يقال «وأخلص بعدما ما نافق ، واصحب بعدما شاقق» فيظهر مالا
 يجوز فيه الإظهار.

إننا لم نغال حين نسبنا إلى ضياء الدين الجهل بأحكام الإدغام، وهذا
 تعبيره ينطق بما ذهبتنا إليه. فقد جاء فيه «وإنما قصدنا أن يكون الكتاب

(١) البيان والتبيين ٢: ٢١٩ وعيون الأخبار ٢: ١٦٠ .

(٢) البيان والتبيين ٢: ٢١١ . وانظر ابن عصفور والتصريف ص ١٨ .

(٣) المثل السائر ١: ٥٦ .

(٤) الفلك الدائر ص ٤٧ .

الذي يُكتب . . . مشتملاً على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع
 والمحاقّة في موضع « (١) . وإذا هو يوازن لفظة المسامحة بلفظة المحاقّة .
 ويسهوا لأن مثل المحاقّة لا يجوز فيه الإظهار (٢) . وكأننا نغرق في اللين
 والتأدب حين نسب هذا إلى السهو ، لأنه قد ورد مثله منه في وصف بعض
 الزنادقة حين قال عنهم : « ويقولون جهلاً ، وإذا حوققوا عليه ظهر
 عجزهم وقصورهم » (٣) . فإذا هو يظهر ما لا يجوز إظهاره ، وليس في
 الكلام موازنة أو ضرورة لذلك .

وفي معرض تفسيره للمبالغة في «حيّاد» يقول إنه : « من : حيّد
 فهو حيّاد ، أي : وجد منه الحيدودة مراراً ، كما يقال : قتّل فهو قتال ،
 أي : وجد منه القتل مراراً (٤) . وهذا قول عجب ليس له من العلم سند .
 ذلك لأن «فعال» مبالغة اسم الفاعل من الفعل (٥) الثلاثي المجرد .
 فعلام من علم ، وركّاب من ركّب ، ومرّار من مرّر .
 وقلما ترد هذه الصيغة من غير الثلاثي المجرد ، نحو : درّك من أدرك ،
 وجبّار من تجبّر . ومعنى هذا أن « قتال » من قتّل لا من قتّل ، و
 « حيّاد » من حاد لا من حيّد ، والا اختلطت المعاني وضاعت دلالة الصيغ
 على الحدث ، فلو ذهبنا مذهب أبي الفتح بن الأثير لكان العلام هو الكثير
 التعليم لأنه من علم ، والركّاب هو الكثير التركيب لأنه من ركّب ،
 والمرّار هو الكثير التمرير لأنه من مرّر ، واللحان هو الذي يكثر نسبة الناس
 إلى اللحن ، والشمات هو الذي يكثر تسميت العاطسين ... وهذا من الفساد
 في منزلة ظاهرة للعيان .

وقد يكون له في النص الواحد عدة سقطات . ومن ذلك أن يذكر ،
 في المنافرة بين الألفاظ ، قسماً يكون تنافره في السبك بين الكلمات ، ويقول :

- (١) المثل السائر ١: ٧١ .
- (٢) الفلك الدائر ص ٥٦ .
- (٣) المثل السائر ١: ٢٣٠ .
- (٤) المثل السائر ٢: ٢٥٣-٢٥٤ .
- (٥) انظر شرح اختيارات المفصل للتبريزي ص ١٧ . دمشق ١٩٧١ .

« ومن هذا القسم وصل همزة القطع . وهو محسوب من جائزات الشعر التي لاتجوز في الكلام المنشور . وكذلك قطع همزة الوصل ، لكن وصل همزة القطع أفصح ، لأنه أثقل على اللسان . فمما ورد من ذلك قول أبي تمام : فأصبح يلقاني الزمانُ ، من أجله

بأعظام مَوْلُودٍ ، ورأفةِ والِدِ
فقوله : من أجله ، وصل همزة القطع . وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي :
يُوسِطُهُ المَقَاوِزُ ، كُلَّ يَوْمٍ

طلابُ الطالبين ، لا الأنتظارُ

فقوله : لا الانتظار ، كلام نافر عن موضعه (١) .

وعندي في هذا الكلام تعقبات :

أولها : أن وصل همزة القطع ليس من ضرائر الشعر ، وهو جائز في الاختيار والاضطرار . بل هو إذا جاء على حدّه صحيح فصيح ، ورد في قراءات القرآن الكريم وعالي الشعر والنثر . أما حدّه فأن تكون الهمزة متحركة بعد حرف ساكن يقبل الحركة ، نحو قوله تعالى : (هل اتى على الإنسان حينٌ من الدهرِ) ، وقول النابغة :

أمن آل مية رائحٌ ، او مُغتدي

عجلان ، ذا زادٍ ، وغير مَزودٍ

وقول عنترة :

الشّامي عرضي ، ولم أشتمهما

والناذرين ، إذا لم القهما ، دمي

وإنما تكون قيمته الفنية بحسب موقعه من الكلام . فان ولد اتصال حركات متوالية كثيرة ، أو اتصال أحرف عسيرة التواصل في النطق ، كان فيه ثقل ومنافرة . والإمكان وسيلة تعبيرية محمودة ، ومظهراً من مظاهر الاقتصاد

(١) المثل السائر ١: ٤١٣ .

الغوي ، لأنه يزِيل نبرة الهمزة الجارية مجرى التهوع ، ويبقي على حركتها المنقولة إلى ما قبلها دليلاً حسيّاً ظاهراً .

وثانيهما : أن قطع همزة الوصل لا بد منه ، إذا بدأ المتكلم أو القارئ بالهمزة ، نحو قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) ، وقول الشاعر العنزي (١) .

إِسْتَقْدِرِ اللّٰهَ خَيْرًا ، وَارْضَيْتَنِي بِهِ
فَيَسْمَا الْعَسْرُ إِذْ دَارَتْ مِيَّاسِيْرُ

بل إذا كانت همزة الوصل في أول عجز البيت فإن قطعها حسن أيضاً ، كقول أنس ابن العباس بن مرداس (٢)

لَا نَسَبَ الْيَسَّوْمِ ، وَلَا خَلَّةَ
إِتْسَعِ الْخَرْقُ ، عَلَي الرِّاقِعِ

وثالثها : ان وصل همزة القطع أجود من قطع همزة الوصل ، وهو أخف على اللسان منه ، لما فيه من إزالة النبر ، في حين أن الثاني فيه تثقيل اللفظ بأقحام النبر الذي ليس في بنية الكلام .. هذا هو الأصل في الحكم ، ثم تختلف فروعه وصوره ، بحسب موقع كل من الهمزتين في سياق التعبير . ورابعها : أن ثقل النطق في قول المتنبي «طلاب الطالبين لا الانتظار» ليس له علاقة بوصل همزة قطع ، أو قطع همزة وصل . وإنما سببه توالي اللامين في اللفظ متحركتين . والفصيح في مثل هذا كسر الثانية للتخلص من التقاء الساكنين ، وإن كان الفتح جائزاً كما ذكر المتنبي نفسه (٣) .

وكل ما أوردناه حتى الان هو من أوهام ابن الأثير في مجال العرض النظري للبيان الفني . ولكننا إذا انتقلنا إلى المجال النقدي الذي وضع فيه

(١) مغني اللبيب ص ٨٨ . مطبوعة دمشق .

(٢) مغني اللبيب ص ٢٤٩ .

(٣) ديوان المتنبي ٢ : ١١ . الشرح المنسوب إلى العكبري .

الأدباء والعلماء كانت له سقطات أخر . وها نحن نذكر طرفاً من ذلك :

إنه يقف عند بيت أبي نواس :

كأنَّ صُغْرَى ، وكُبْرَى ، من فواقعها

حَصْبَاءُ دُرٍّ ، على أرضٍ ، من الذهبِ

ليسجل عليه أن «صغرى وكبرى» غير جائزتين فيه. ذلك لأن «فُعَلَى أفعَل» لا تكون إلا معرفة بالألف واللام أو بالإضافة (١). وهو ههنا ينقل رأي بعض العلماء، دون أن يتتبع حكم المسألة في لغة العرب. فالصغرى والكبرى في بيت أبي نواس، وإن كانتا مؤنث أفعال، ليس مقصوداً بهما التفضيل. ولذلك جاز استخدامهما نكرتين، كما قالوا (٢) : دُنْيَا وَأُخْرَى، وجملة صُغْرَى، وفاصلة كُبْرَى (٣). ومن هذا قول المرقش الأكبر (٤):

وإنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِيٍّ ، ومَكْرُمَةٍ

يَوْمًا ، سِرَاةً خِيَارِ النَّاسِ فَادْعِينَا

وربما تناول ضياء الدين في نقده، ليصل به إلى قراء كتاب الله الكريم وحفظته كأن يقول : «ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم، وهو من أكبر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأنًا، قال في «معاش» : «معاش» بالهمز، ولم يعلم الأصل في ذلك، فأخذ عليه وعيب من أجله؟ ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني، فقال في كتابه التعريف : إن نافعاً لم يدر ما العربية. وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يغلط فيما يوجب قدحاً ولا طعنًا. وهذه لفظة معاش لايجوز همزها بإجماع من علماء العربية... وفي هذا الموضوع

(١) المثل السائر ١: ٥٢ .

(٢) الفلك الدائر ص ٤٣ .

(٣) تصريف الأسماء والأفعال ص ١٧٨ فخر الدين قباوة. حلب ١٩٧٧ .

(٤) شرح اختبارات المفضل ص ١٠٧٠ .

غلط نافع ، رحمة الله عليه ، لأنه لاشك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة،
وجمع فعيلة هو فعائلٌ ...» (١) .

ان ابن الاثير ضياء الدين بشير في حديثه هذا إلى قول الله تعالى
(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) (٢)، ولم ينفرد بالهمز فيه نافع ، وإنما
قرأ به أيضاً عبد الرحمن الأعرج (٣) وابن عامر (٤) وزيد بن علي والأعمش
(٥) . وقد خرج المفسرون وبعض علماء العربية ، على أنه من كلام العرب
لا من وهم القراء ، قال الإمام الطبري (٦) : « ربما همزت العرب جمع
مفعلة من ذوات الياء والواو ، وإن كان الفصحح من كلامها ترك الهمز
فيها إذا جاءت على مفاعل ، تشبيهاً منهم جمعها بجمع فعيلة » . وقبله
قال القراء مثل هذا ، وأضاف (٧) « وقد همزت العرب المصائب ،
واحدتها مصيبة » .

وقد وقف أبو حيان النحوي عند هذه المسألة ، يدفع ماذهب إليه
البرصيون من تخطئة نافع رحمه الله ، فكان مما قال عن هذا الهمز (٨) :
« وجاء به نقل القسرة الثقات : ابن عامر وهو عربي صراح ، وقد أخذ
القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن ، والأعرج وهو من كبار قراء التابعين
وزيد بن علي وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قل أن بدانيه فيه أحد
والأعمش وهو من الضبط والانتقان والحفظ والثقة بمكان ، ونافع وهو
قد قرأ على سبعين من التابعين ، وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحل

(١) المثل السائر ١: ٥٠٠-٥١ .

(٢) من الآيتين ٧ في سورة الأعراف و٢٠ في سورة الحجر .

(٣) تفسير الطبري ٨: ٣٣ والجامع لأحكام القرآن ٧: ١٦٧ .

(٤) الكشاف ٢: ٦٨ .

(٥) البحر المحيط ٤: ٢٧١ .

(٦) تفسير الطبري ٨: ٣٣ .

(٧) معاني القرآن ١: ٣٧٣-٣٧٤ .

(٨) البحر المحيط ٤: ٢٧١-٢٧٢ .

الذي لا يجهل . فوجب قبول ما نقلوه إلينا ، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في هذا . وأما قول المازني ... إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية ، فشهادة على النفي . ولو فرضنا أنه لا يدري ما العربية ، وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب ، فهو لا يلزمه ذلك ، إذ هو فصيح متكلم بالعربية ، ناقل القراءة عن العرب الفصحاء . وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ، ولا يجوز لهم ذلك» .

إن همز «معاش» هو إذاً لغة للعرب صحيحة مألوفة ، يعرفها العلماء ويقرونها ، ويجدون لها نظائر أيضاً في : منائر جمع منارة ، ومسائل جمع مسيل (١) وأقائم جمع أقوام (٢) ، كما يجدون لها شبيهاً في جمع مصير على مصران تشبيهاً ببعير وبُعْران .

فأين إذاً إجماع أدل العربية على إنكار الهمز ؟ ثم أين جهل نافع بأصل معيشة ، وتوهمه في صورتها وهمز جمعها ؟ إن القراء ينقلون كلام الله تعالى ، برواياتهم المستندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبألفاظ هي من صحيح كلام العرب سماعاً وأداء . فهل لنا ، بعد هذا ، أن نتهمهم بالجهل والوهم وعدم الدراية ؟ إن قراءة القرآن الكريم هي رواية ودراية وليست بالرأي والرواية والروايات والأوهام .

مع علم الإعراب

تلك نماذج يسيرة ، من تخليط صاحب «المثل السائر» في علم التصريف . فاذا غادرنا ذلك إلى قسمه ، وهو علم الإعراب ، لمسنا نماذج أخرى من الوهم والتخليط . فضياء الدين يقصر النحو على الإعراب (٣) ثم يقصر الإعراب على التغيرات الصوتية التي تلحق أواخر الكلمات المعربة ثم يقصر ضرورة الإعراب على بعض الظواهر الملبسة ، بقوله : « فاذا

(١) شعر زهير بن أبي سلمى ص ٥٠ للأعلم . بيروت ١٩٨٠ .

(٢) الممتع ص ٣٤٠ لابن عصفور . بيروت ١٨٧٧ .

(٣) المثل السائر ١ : ٤٨ .

نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني . ألا ترى أنك لو أمرت رجلاً بالقيام ، فقلت له : قُومْ ، باثبات الواو ولم تجزم ، لما اختلف من فهم ذلك شيء . وكذلك الشرط لو قلت : إن تَقُومُ قُومٌ ، ولم تجزم لكان المعنى مفهوماً . والفضلات كلها تجري هذا المجرى ، كالحال والتمييز والاستثناء . فاذا قلت : جاء زيد راكباً وما في السماء قدر راحة سحاب ، وقام القوم إلا زيد ، فلزمت السكون في ذلك كله ، ولم تيسر اعراباً ، لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد . وهكذا يقال في المحرورات وفي المفعول فيه ، والمفعول به والمفعول له والمفعول معه ، وفي المبتدأ والخبر ، وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة إلى ذكرها . لكن قد خرج على هذه الامثلة ما لا يفهم إلا بقيود تقيده . وإنما يقع ذلك في الذي تدل صيغته الواحدة على معان مختلفة .. (١)

فهو ، لانه يفهم الإعراب فهماً ضيقاً ، يجهل وظيفته في الكلام ثم يخطئ في تحديد أهميته في الدلالة والبيان . إن الاعراب ، في الحقيقة هو التعبير عن الوظائف اللفظية والمعنوية للمفردات والجمل ، وعلاقة بعضها ببعض . وذلك يكون بالصور الصوتية التي تلحق أواخر المفردات المعربة لفظاً أو تقديراً ، وبالانساق والأنماط التي تحدد قوائن العربية للمفردات والجمل . وإغفال الإعراب في الكلام يؤدي إلى اللبس ومخالفة المراد . فقولك « قُومٌ » في الأمر هو أقرب — في لفظه — إلى مخاطبة جماعة الذكور منه إلى مخاطبة المفرد . وإذا كان معك جماعة التبس الأمر واختل فهم المقصود . قولك « إنْ تَقُومُ قُومٌ » يفترق العلاقة الشرطية بين الكلمات ، وقد يفهم منه أنك تسردها دون أن تقصد منها معنى مركباً . يعلق قيامك بقيام المخاطب . ويمكنك أن تلاحظ الاختلال الأكبر إذا تصرفت في المفردات والانساق ، وهو جزء أصيل من الإعراب ، فقلت :

(١) المثل السائر ١ : ٤٤ - ٤٥ .

تقومُ أقومُ إنُ أقومُ ، تقومُ إنُ أقومُ ، تقومُ إنُ تقومُ أما قولك
جاء زيدٌ راكبٌ» و « مافي السماء قدر راحة سحابٌ » فقد يفهم منه أن
« راكبٌ» هو فعل أمر للمخاطب ، وأن السحاب هو الذي يملأ السماء
وإذا اخلت بالمفردات والنسق في الجملة الثانية وصلت إلى صور من التخليط
لا تدرك . وعلى هذا نقبس سائر ما ذكره من مسائل ، زعم أن عدم الإعراب
لا يفقدها دقة الدلالة .

لكأن ضياء الدين ألف العامية ورطانات الأعاجم ، وطغت عليه
في تفكيره وتعبيره فاصبح ينظر من خلالها إلى وظيفة الإعراب ، ويظن
أن العرب كانوا وما زالوا يفكرون كذلك ويعبرون .

كلا ، فالإعراب أعمق صلة وأبعد أثراً مما يظن ويتصور . ولهذا
كانت القبائل التي تجري الأسماء الخمسة بالأحرف لانفهم ، كما يقول
الجاحظ (١) ، معنى « مكره أخاك لا بطل» و « إذا عزَّ أخاك فهُنْ» .
ولهذا أيضاً رأينا البدوي الذي سأله الكسائي : من خلقتك ؟ بحار في
مراد الكسائي ولا يجيبه . حتى إذا كرر عليه الكسائي الكلام نفسه قال
البدوي : لعلك تريد : من خلقتك ؟ وهذا اعرابي آخر يُسأل عن أحوال
أهله بلفظ مختل ، فيفهم معنى آخر يناسب السائل ، ويقضي بالحكم
العدل . فقد قال له السائل : كيف أهالك ؟ فاجابه : صلباً .

وقد استمر أبو الفتح في فهمه الخاطيء للإعراب ، حتى نقله من المستوى
الصوابي إلى المستوى الجمالي ، وزعم أن الجهل بالإعراب « لا يقدر في
فضاحة ولا بلاغة ، ولكنه يقدر في الجاهل به نفسه ، لأنه رسوم قوم تواضعوا
عليه ، وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم . والدليل على ذلك أن الشاعر
لم ينظم شعره . وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما .
وإنما غرضه إبراز المعنى الحسن في اللفظ الحسن ، المتصفين بصفة البلاغة
والفصاحة . ولهذا لم يكن اللحن قادحاً في حسن الكلام ، لأنه إذا قيل : جاء

(١) البيان والتبيين ١ : ١٦٢ - ١٦٤ .

زيد راكب، إن لم يكن حسناً إلا بأن يقال : جاء راكباً، بالنصب لكان (١)
النحو شرطاً في حسن الكلام. وليس كذلك. فتيين بهذا أنه ليس الغرض
من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته. وإنما الغرض أمر وراء ذلك. وهكذا
يجرى الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنشور» (٢).

إن أبا الفتح كاتب مترسل، وهو يخاطب بكتابه هذا المترسلين والشعراء،
ثم تراه يعفيهم من التزام الإعراب ويزعم أن ذلك لا يقدح في فصاحة ولا
بلاغة. وإذا كان هذا حقاً فلماذا تأذّي عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه،
من حاجبه حين لحن؟ ولماذا كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يضرب
ولده على اللحن، ولا يرى الصلاة خلف لحان، وإذا سمع رجلاً يلحن
ضربه؟ (٣) بل لماذا امر أبا موسى الأشعري أن يضرب كاتبه سوطاً، ويصرفه
من عمله، جزاء قوله في كتاب له (٤) : من أبو موسى؟

لقد ثارت نائرة صلاح الدين الصفدي، لتعنت ابن الأثير وتطرفه
في هذا الموضوع، فقال (٥) : مابقي بعد هذا إلا أن يقول : إن مراعاة
الإعراب علة موجبة لقبح الكلام، «ثم انهال عليه بالتعنيف والتجهيل قائلاً (٦) :
«ما يورد مثل هذا الاغوام الناس ومن لم يتلبس بالمعرفة، ولم يرح رائحة
العلم. ألم يعلم أنه إذا صدر عن مترسل كتاب لم يجزم أفعال أمره،
ولا شروطه وجوابها، ولم يرفع فاعله وينصب فضلاته، ولا راعى قواعد
إعرابه ... كان ذلك ضحكة للمخفلين فضلاً عن العقلاء» ؟

ولست أدري كيف صدر مثل ذلك الكلام عن نصر الله، وهو
الذي يقول : إن الأديب (٧) «إذا كان عارفاً بالمعاني، مختاراً لها، قادراً

(١) كذا بإقحام اللام .

(٢) المثل السائر ١: ٥٥-٥٦ .

(٣) تلقيح الألياب ص ٨ .

(٤) تلقيح الألياب ص ٨ .

(٥) نصرة الثائر على المثل السائر ص ٤٢. وانظر النقد اللغوي عند العرب ص ١٦٨ .

(٦) نصرة الثائر ص ٣٨-٣٩. وانظر النقد اللغوي ص ١٦٨ .

(٧) المثل السائر ١: ٤٨-٤٩ .

على الألفاظ مجيداً فيها ، ولم يكن عارفاً بعلم النحو ، فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام ، ويختل عليه ما يقصده من المعاني . « كيف توفق بين هذين المذهبين المتناقضين ، وقد علمنا أنه افتتح حديثه عن علم العربية بقوله : (١) «أما علم النحو فإنه في علم البيان ، من المنظوم والمثور ، بمتزلة أبجد في تعليم الخط . وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ، ليأمن معرفة اللحن» ؟

ومما يؤخذ على ضياء الدين ، في مجال الإعراب ، أنه يعطي التوكيد معاني كثيرة لاعلاقة لها به (٢) ، ثم يضيق بما حملته إياه ابن جنى من دلالة ، وهو يتحدث في موضوع بياني صرف . ذلك أن ابن جنى يذكر قول الله تعالى (فأدخلناه في رحمتنا) ويجعله من المجاز الذي يضم الاتساع والتشبيه والتوكيد ، ثم يقول : «وأما التوكيد فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة ، تعالياً بالمخبر عنه وتفخيماً له ، إذ صير بمتزلة ما يشاهد ويعاين» . فاذا باين الأثير يضيق عليه الخناق ، ويحبسه في حيز من ميدان الإعراب ، فيقول متعباً له : (٣) «على أن التوكيد ههنا ، على وجه ما أورده في تمثيله لأعلم ما الذي أراد به ، لأنه لا يؤتى به في اللغة العربية إلاً لمعنيين : أحدهما أنه يرد أبداً فيما استقري بألفاظ محصورة نحو : نفسه وعينه وكله ، وما أضيف إليها مما استقري . وهو مذكور في كتب النحاة ، وقد كُفيت مؤونته . الآخر : أنه يرد على وجه التكرير نحو : قام زيد قام زيد . كرّر اللفظ في ذلك تحقيقاً للمعنى المقصود ، أي توكيداً» .

فابن الأثير يتجاهل المقصد البياني لابن جنى ، مع أن المصطلحات والشاهد كلها بيانية لاصلة لها بالنحو ، ثم يزعم أنه لا يكون التوكيد في

(١) المثل السائر ١: ٤٤ .

(٢) المثل السائر ٢: ١٩٣ و ١٩٧-١٩٨ والفلك الدائر ص ٢٣٠ .

(٣) المثل السائر ٢: ٨٥-٨٦ .

اللغة العربية إلا بمعناه الإعرابي ، وهو التوكيد المعنوي والتوكيد اللفظي .
 رأيت كيف يحجر واسعاً حين يطلب التجريح والحجاج ، ويتخطى حدود
 مصطلح التوكيد حين يتبسط في الحديث وبطيل ؟ إنه يضيق نطاق التوكيد
 على ابن جني ههنا ، مع أنه في كتاب «المثل السائر» وحده يذكر بضعة
 عشر ضرباً منه لاتصل بما حدوده هنا . وهي (١) التوكيد «إن» والتوكيد
 باللام بعدها ، والتوكيد باللام في جواب «لو» ، والتوكيد بلام الابتداء ،
 والتوكيد بإحدى النونين ، والتوكيد بزيادة في لفظ الفعل وما يشبهه ،
 والتوكيد بإقامة المصدر مقام الفعل ، والتوكيد بالإطناب ، والتوكيد
 بالتقديم والتأخير ، والتوكيد بالاعتراض ، والتوكيد بالقسم ، والتوكيد
 بذكر آلة الحدث ولوازمه ، والتوكيد بالوصف ، والتوكيد بتنوع ضروب
 الجمل ، والتوكيد بالإجمال بعد التفصيل ، والتوكيد بذكر المثل والقصد
 هو الذات ...

بحسبنا ماعرضنا من أوهام وتخليط ، لابن الأثير في ميدان الإعراب ،
 وهو يحلل العناصر البيانية للجمال الفني . ونرى من واجبنا أن نقف عند
 نظائره النقدية التي ألقاها ، من زاوية الإعراب ، على نتاج الأدباء والعلماء ،
 لنعرض طرفاً من سقطاته .

فهو يتلمس هفوات الأدباء ، ليتخذها نماذج تطبيقية ، توضح
 ماخالفوا فيه أصول الإعراب ، وتقدم الصورة السلبية لإزاء الصورة الإيجابية
 للتعبير القويم . إنه يقرر أن الخروج على قواعد الإعراب ، لدى الأدباء ،
 أكثر من الخروج على قواعد التصريف . وهذا أبو نواس يقول في مدح
 الأمين :

ياخَيْرَ مَنْ كَانَ ، وَمَنْ يَكُونُ
 إِلَّا النَّسَبِيُّ ، الطَّاهِرُ المِيمُونُ

(١) المثل السائر ٢: ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٥٥

٣٥٩ و ٣٦٢ و ٣٦٤ و ٣: ٩ و ٣٠ و ٤١ و ٤٢ و ٦١ ...

فيخطئ إذ يرفع في الاستثناء من الموجب (١) ، كما قال ضياء الدين ،
 وكان عليه النصب . والحق أن الرفع ههنا جائز صحيح ، على تقدير الابتداء
 وحذف الخبر (٢) ، أي : إلاّ النبي الطاهر الميمون لا تفضله أنت . ومن
 ذلك (٣) قول الرسول عليه السلام : « كلُّ أمّتي مُعافىٌ إلاّ المُجاهدون » .
 ويأخذ نصر الله على المتنبّي أنه عبّر عن المثني بالجمع ، في قوله :
 وتكرّمت ركبّاتها ، عن مبرك
 تفعان فيه ، وليس مسكاً أذفراً

فجعل للناقة ركبات وليس لها إلا ركبتان (٤) . والمشهور عن العرب (٥)
 أنهم يتسعون في مثل هذا كثيراً ، كقولهم : « امرأة ذات أوراك » وليس
 لها إلا وركان ، وكقول زينب بنت الطشرية :

فتى ، قدّ قدّ السيف ، لامتنضائل
 ولا رهل لبّاته ، وبأدأه

وليس للإنسان إلا لبة واحدة وبأدلتان . والبأدلة هي لحمة بين الإبط
 والترقوة . واللبة هي موضع القلادة من الصدر .

فالتعبير عن الركبتين بالركبات صحيح لا غبار عليه ، وهم يفعلون
 مثل هذا للمبالغة والتفخيم ، كما رأينا في جمع اللبة والبأدلة ، أو يعبرون
 عن الشيء به وبما حوله أيضاً (٦) للمبالغة .

وكثيراً ما اندفع ضياء الدين وراء نزعته النقدية ، يتسقط أقوال علماء
 العربية وأحكامهم ، لينفذ منها إلى التسفيه والانتقاص ، والتعالم والمباهاة

(١) المثل السائر ١ : ٥٤ .

(٢) الفلك الدائر ص ٤٦ .

(٣) إعراب الجمل وأشباه الجمل ص ١٨٨ - ١٩٠ لفخر الدين قباوة . بيروت ١٩٨١ .

(٤) المثل السائر ١ : ٥٥ .

(٥) الفلك الدائر ص ٤٦ .

(٦) انظر شرح اختيارات المفصل ص ٤٦٦ واللسان والتاج (جول) .

ومما أخذهم عليهم أنهم يطلقون الأحكام ظناً وتوهماً ، دون تبصير وامعان
فيكون فيها خطأ ظاهر وضلال مبين .

فلقد وجدوا «أن» ترد بين «لما» والفعل في القرآن الكريم وكلام
العرب أحياناً ، فظنوا أن المعنى بوجودها كالمعنى بسقوطها ، فقالوا :
إنها زائدة (١) . ولو أنهم أمعنوا النظر ودققوا في النصوص لرأوا ، كما
يقول نصر الله ، أن ورود «لما» بدون «أن» يدل على الفور ، واقترانها
بها يضمن الفعل تراخياً وابطاءً . وهذا ما يكشفه قول الله تعالى (٢) (فلَمَّا
أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ : يَا مُوسَى أَتُرِيدُ
أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ) ، لأن «لما» فيه مع «أن»
تدل على أن مسارعة موسى ، عليه السلام ، إلى القتل لم تكن كمسارعة
من قبل ، بل كان منه ابطاء في بسط يده وبطشه بالعدو .

ويسجل ضياء الدين بهذا، على النحاة، أنهم غفلوا عن أمرين :
أحدهما: أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدحاً في كلام
الله تعالى. وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة إليها، والمعنى
يتم بدونها. وحيث لا يكون كلامه معجزاً، إذ من شرط الإعجاز عدم
التطويل الذي لا حاجة إليه. وإن التطويل عيب في الكلام. فكيف يكون ما هو
عيب في الكلام من باب الإعجاز؟ هذا محال (٣).

والآخر: أن اللفظة لا يُحْكَمُ عليها بالزيادة في الكلام الفصيح
البلغ، إلا إذا كان دخولها كخروجها، وقد تبين بعد التنقيب والتنقير أنها
لا معنى لها، فكيف يحكم على «أن» هذه بالزيادة، وهي تحمل معنى الإبطاء؟
وهذه آية ثانية تثبت ما ذهب إليه وهي قوله تعالى (٤) (فلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ

-
- (١) المثل السائر ٣: ١٣ .
 - (٢) الآية ١٨ من سورة القصص .
 - (٣) المثل السائر ٣: ١٤ .
 - (٤) الآية ٩٦ من سورة يوسف .

ألقاهُ على وجهه). فإنه إذا نُظِرَ في قصة يوسف، عليه السلام، مع إخوته من لدن إلقائه في الجبِّ إلى مجيء البشير إلى أبيه عليه السلام، وجد أنه كان ثم إبطاء بعيد. ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاوّل لما اقترنت «لما» بـ «أن»، ولكانت الآية: فلما جاء البشير ألقاه على وجهه. قال: وهذه دقائق ورموز، لا تؤخذ من النحاة، لأنها ليست من شأنهم.

ولتروُنَّ في مقاله هذا كله ألواناً، من الخطل والتخطيط:

أما الأول فهو الجهل بمصطلح النحاة. ولذلك أخطأ في فهم مقصدهم بالحكم على الحرف بالزيادة. إنه يتوهم أن الحرف الزائد، في علم الإعراب، هو الذي لا يتضمن دلالة معنوية، فوجوده في الكلام كعدمه. وقد أكد هذا التوهم، من قبل، حين نقل حكم الإمام الغزالي على «ما» من قول الله تعالى (١) (فبما رحمة من الله لنت لهم) بأنها زائدة لا معنى لها، ثم أنكر عليه الحكم بزيادتها، وزعم أنها وردت تفضيماً لأمر الرحمة، فلو حذفت من الآية لما كانت تلك الفخامة. وقال (٢): «ومن ذهب إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسماً في دينه واعتقاده».

والتحقيق أن زيادة الحرف لدى النحاة تكون على أنواع. منها التوكيد، وهو شبيه بالتوكيد اللفظي الذي تكرر فيه الجملة. ومنها التقوية، وهي إعانة الحدث على ارتباطه بمعموله. ومنها التزيين اللفظي، وهو إكساب الكلام ضرباً من الجمال التعبيري. ومنها التعميم، وهو تجريد الحدث من تحديده ليدل على العموم. ومنها التنصيص على العموم، وهو تحقيق معنى الشمول. ومنها الكف، وهو منع العامل من العمل لفظاً أو تقديرًا. ومنها العوض، وهو النيابة عن الإضافة أو عن كلمة محذوفة. ومنها التوطئة، وهي تهيئة ما يدخل على الأسماء للدخول على الجملة الفعلية. ومنها المنبهة على وصف

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٢) المثل السائر: ٩٣:٢ - ٩٤.

لائق، كالتعظيم والتحقيق والتنويع. وآخرها الإقحام، وهو أن يكون الحرف بلا معنى، فوجوده كعدمه. وهذا مالا يجوز أن يُزعم وقوعه في القرآن الكريم .

ومما مضى ترون ان زيادة «أن» بعد «لما» هي للتوكيد (١)، فكأن الجملة التي وردت فيها كررت لتثبيت معناها في النفوس. وليس المراد بزيادتها انها لا معنى لها، بل المقصود هو أنها لا عمل لها ولا تحمل معنى من معانيها الخاصة، وإنما تتضمن المعنى العام للحرف الزائد، وهو التوكيد فلو حذف لزال هذا المعنى من الآية الكريمة.

وكذلك الحكم في زيادة «ما». إنها زائدة للتوكيد (٢)، أغنت عن تكرار الجملة التي هي فيها، لتحقيق معناها وترسيخه في القلوب. والمقصود بالزيادة أيضاً أنها، من الناحية اللفظية، لا تمنع ما قبلها من العمل فيما بعدها، فكأنها ليست في الكلام. وهذا يعني أنها أيضاً ليست للتفخيم، كما زعم ابن الأثير، لأن الواردة للتفخيم تكون بعد المفخم لا قبله (٣).

وأما الثاني فهو الزعم أن «لما» إذا لم تكن بعدها «أن» دلت على معنى الفور، وإذا كانت بعدها دلت على التراخي والإبطاء. وقد كان على ضياء الدين أن يستقري هذه المسألة، قبل أن يدلي بالحكم، ويسفه آراء العلماء. وهانحن أولاء نحتكم إليكم. فهل ترون في قول الله تعالى (٤) (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعِلْماً) شيئاً من الفور، مع أن بلوغ يوسف عليه السلام أشده كان في سنوات؟ أم ترون ذلك في قول زهير (٥):

- (١) الجنى الداني ص ٢٢٢ ومغني اللبيب ص ٥٢-٥٣ .
- (٢) الكتاب ١: ٩٢ والجنى الداني ص ٣٣٢ .
- (٣) انظر الجنى الداني ص ٣٣٤ .
- (٤) الآية ٢٢ من سورة يوسف .
- (٥) شعر زهير بن ابي سلمى ص ١٠-١١ للأعلم. بيروت ١٩٨١ .

فلما عرفتُ الدَّارَ قُلْتُ، لربَّعُها :
ألا عمُّ صَبَاحاً ، أَيُّها الرِّبْعُ ، واسلمَ
وهو الذي قد صرح بالبطِّ والتراخي والمعانة ، قبل هذا البيت ، بقوله :

وقفتُ بها ، من بعدِ عشرين حَجَّةً
فلأباً عَرَفْتُ الدَّارَ ، بعد توهمِ

أثافي سفحاً ، في مُعرَّسٍ مرَّجَلٍ
ونؤياً ، كجذمِ الحوضِ ، لم يتَّكلمِ

فالعرفان كان بعد لأي ، أي جهد وبطء ، وبعد توهم بأي تفرس للآثار
الباقية . ثم هل ترون ضرباً من التراخي والإبطاء في قول المعري :
ولمّا أنْ تَجَهَّمَنِي مُرَادِي

مَشَيْتُ مع الزَّمانِ ، كما أَرادَا
والمعري لم يستبطئ تجهم مراده وعبوس زمانه ، بل كان يصادفه دائماً
وفي كل حين .

ولو نظرنا في قول الله تعالى (١) : (قال : إنَّ فيها لوطاً . قالوا :
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا . لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنْ
الْغَابِرِينَ . ولمّا أنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) لو نظرنا
في هاتين الآيتين لتبين لنا أن الرسل فجأت لوطاً عليه السلام ، ولذلك سيء
بهم ، وضاق ذرعاً . ولذلك أيضاً ورد المعنى نفسه في آية أخرى بدون
«أن» ، وهي قوله تعالى (٢) : (ولمّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ
وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) . ولو كان في الحدث إبطاء وجب أن ترد «أن»
في الآية الثانية ، كما كانت في الآية الأولى .

أضف إلى هذا أن من العلماء من ذهب إلى خلاف مازعمه ابن الأثير .
ولهذا رأينا الزمخشري يقف عند قصة لوط عليه السلام ، في الآية الأولى

(١) الآيتان ٣٢-٣٣ من سورة العنكبوت .

(٢) الآية ٧٧ من سورة هود .

ليقول: (١) « أن صلة أكدت وجود الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لافاصل بينهما ، كأنهما وجداً في جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل : لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة ، من غير ريث خيفة عليهم من قومه » .

وأما الثالث فهو اضطراب فهمه للعلاقة الزمنية بين فعل الشرط وماقبله ، ولذلك تجدونه يتحدث عن الفعل بعد « لما » في قصتي موسى ويوسف ، عليهم السلام ، حديثين مختلفين ، ليس بينهما وحدة أو انسجام يسوّغ إيرادهما في مسألة واحدة . إنه يعلق على قصة موسى بأن مسارعته إلى قتل الثاني لم تكن كمسارعته إلى قتل الأول ، بل كان منه إبطاء في بسط يده إليه . ثم يعلق على قصة يوسف بأن بين إلقاءه في الجب ومجيء البشير إلى أبيه مدة بعيدة وأمداً متطاولاً . فإذا هو يخطيء من وجهين : أحدهما أن التراخي يحصره مرة في فعل الشرط وحده ، دون ارتباط بغيره ، ويجعله مرة ثانية في الزمن الفاصل بين حدث مضى وفعل الشرط . والآخر أنه وضّح التراخي في قصة يوسف بالفصل الزمني بين الإلقاء في الجب ومجيء البشير . مع أن الأول ليس قبيل الثاني في نسق الآيات ، وإنما هو في مستهل السورة ، والآخر في خواتيمها . وكان عليه أن يستعين بحدث آخر ، وارد قبيل مجيء البشير ، ليوضح معنى التراخي بينهما والابطاء . وأما الرابع فهو زعمه أن الحكيم على حرف بالزيادة ، في آية كريمة هو قدح في كلام الله تعالى ، وإزالة لصفة الإعجاز عنه ، لأن من شرط الإعجاز عدم التطويل ، والتطويل عيب في الكلام . ولو أنه أدرك معنى الزيادة عند النحاة لعلم أن الحرف الزائد لديهم ليس من باب التطويل وإنما هو لمقصد معنوي متميز ، لا يحسن الأخلال به .

بين الثقافة والعلوم

تلك وقفات متأنية ، تكشف مافي « المثل السائر» من أوهام وتخليط في علم العربية . وهي نماذج قليلة ، اخترتها من عشرات أمثالها ، للدلالة على المظاهر السلبية في ذلك الكتاب . أما المظاهر الإيجابية اللامعة المشرفة فيه ، مما يتعلق بالاعراب والصرف ، فقد تعرضت لها في مجال آخر وليس من الممكن بسطها ههنا ، مع أنها جديرة بالاحترام والتقدير . وأنت لو تتبعت تلك المظاهر المختلفة لتساءلت عن سر هذا التفاوت الكبير ، بين التجويد والتخليط . ولكنك إذا أعمت النظر عرفت أن تفسير ذلك مايلي :

فضياء الدين تلقى علومه في مستهل العقد الثالث من حياته ، ولم يستطع ان يتابع دقائق علم العربية على أعلام النحاة، ولم يتيسر له دراسة أمهات الكتب النحوية . ولهذا كان إذا عرض للأحكام المشهورة من النحو أجاد وأفاد ، ولكنه عندما يستهويه الاستطراد والتكثر والانتقاص للعلماء والخوض في الأصول الدقيقة ، يقع في المزالق الخطيرة ، ويتجلى ضيق ذات يده ، وتتسرب إليه آراء متطرفة ، وأحكام نقدية سطحية هشة .

ومعنى هذا أن صاحبنا كانت له صلة بعلم العربية ظاهرة، تمده في الكتابة والتصنيف بلمحات ثقافية متفرقة، ليس لها أصالة العلم وعمقه ودقته وشموله . إنه ذو ثقافة نحوية ، يستفيد منها برفق وأناة . وإذا أتكا عليها بثقل وعنف تهشمت وانكشفت عن نقائص وفجوات .

على أن هذا كله لاينتقص ما لـ « المثل السائر» من أثر كريم في البلاغة والأدب والنقد ، ولا يضعف منزلته الرفيعة في عالم الكتب ، ونفوس الباحثين وقديماً قيل :

ومَن ذا الّدي تُرَضَى سَجَاياهُ ، كُلهَا ؟
كَتَفَى المَرءُ ، ذُبُلًا ، أنْ تُعَمَّه مَعَايبُهُ

منهجية ابن الاثير في كتاب
(الكامل في التاريخ)

محمد جلوب فرحان
كلية التربية / جامعة الموصل

تقديم :

١ - تهدف هذه الدراسة إلى تثبيت الرؤية النظرية، التي أطل منها (ابن الأثير) على التاريخ ، والمنهج الذي اتكأ عليه في إعادة تشكيل المادة التاريخية. ولتحقيق هذا الهدف يسير البحث في اتجاهين :

الأول - مشروع تحليل لمحاولة (ابن الأثير) في ضوء قراءة عصرية تلتزم بطريق الاستقراء التاريخي للجزئيات المبعثرة في ثنايا تأليفاته .

الثاني - محاولة تلمس منهج في كتابته التاريخية من خلال إعادة تركيب تلك الجزئيات المبعثرة في بناء نظري شامل يحقق ويجسد المنهجية المفروضة في الكتابة .

ان العصب الأساس لرؤية (ابن الأثير) هو الدين الإسلامي ، مضافاً إليه الموروث الفكري للأمة ، من فقه وعلم بمختلف اتجاهاته ، الموقف السياسي الذي يكشف عن العلاقة التي تشد المؤلف بالمؤسسة السياسية . الدور المؤثر للظروف الطبيعية والأقتصادية ، التي يتحرك الناس والمؤلف واحد منهم تحت ظلها وفي رحمها .

ويحدود هذه الرؤية التي تمثل فلسفة المنهج ، نرى أن كتابة التاريخ عنده ، قد تحددت بنوعين من الأطر ، مترسماً اركان المنهج المستخدم في إعادة تشكيل الأبنية التاريخية :

الأول - الأطار النظري (فلسفة المنهج) «١»

الثاني - الأطار العملي (ممارسة كتابة التاريخ) .

ويتشابه الأطاران في ثنايا تأليفات (ابن الأثير) التاريخية ، يؤلفان نسيجاً معرفياً موحداً ، ومن هنا تأتي مهمة هذه الدراسة ، فهي محاولة تحليل لمكونات هذا النسيج المعرفي ، لتحقيق صورة نظرية دقيقة لرسم حدود وابعاد الأطارين النظري منهما والعلمي .

ان إعادة قراءة كتاب (الكامل في التاريخ) ، في ضوء طريقتي التحليل والتركيب ، أوصلتنا إلى امور عدة ، تخص المسار المنهجي الذي قطعه (ابن الأثير) في تشكيل المادة التاريخية من جديد .

اتجهت الطريقة الأولى تشريح البناء الروائي للتاريخ . وكشف طبيعته ومكوناته الداخلية ، وهي بهذا الحال مجموعة حفرات تقوم بها في أسس البناء الروائي ، قصد وضع اليد على شبكة العلاقات الداخلية التي شدت تركيباته التاريخية (٢) واستهدفت الطريقة التركيبية ، اعادة تشكيل التصميم التاريخي من زاوية جديدة (٣) ويهدي هذه الطريقة تكشف لنا ان هذا التصميم أنطبع بجملة خصائص (٤) .

وبحثنا هنا يتحرك للكشف عن هذه الخصائص وابرار السمات التي أشرتها طريقتنا التحليل والتركيب. وبتقديرنا ان هذه الخصائص وتلك السمات مجتمعة تحدد لنا طبيعة الاطار العملي للمنهج (ممارسة كتابة التاريخ).

التمييز بين الواقعة التاريخية والرواية التاريخية :

٢- ان إعادة قراءة مؤلف (ابن الأثير) التاريخي (الكامل) تضعنا امام حقيقة منهجية، تخص وتطبع توليفة (ابن الأثير) التي حققها في كتابه هذا. وهي توليفة (تجميعية - تركيبية) شكلت نسقاً يقترب من مواصفاته من نسق(الطبري)، وان اختلفت معه في إيجاز وقطع واستبعاد الكثير من الروايات التي ضمها النسق الروائي للطبري، (٥) مضافاً إليها الكثير من الروايات التي أحتواها التصميم الروائي لمؤلفات تاريخية اخرى، «فلما فرغت منه اخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعت كل شيء منها موضعه، الاما يتعلق بما جرى بين اصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأني لم اضف الى ما نقله أبو جعفر شيئاً، الا ما فيه زيادة بيان، او اسم انسان، او ما لا يطقن على احد منهم في نقله، وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين، اذ هو الامام المتقن حقاً، الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً. » (٦).

نقول: ان إعادة قراءة مؤلف (ابن الاثير)، تضعنا امام حقيقة منهجية، تذهب الى ان الاجزاء السبعة الأولى، هي بناء روائي للتاريخ يفتقر الى المقابل الدلالي، الواقعة التاريخية (الحدث المعاش الملموس المحسوس). وتعني هذه الحقيقة، فيما تعنيه، ان تركيبه هذه الاجزاء، قد حققت بناءً روائياً للتاريخ، تظهر على صورة حكاية (اخبار) تاريخية، تسرد وقائع معلقة في الفراغ التاريخي (٧) وبتقديرنا تظل تحتاج الى دعم واسناد الأحداث التي انبثقت في قاعية الحياة البشرية. هذه الاحداث التي (وهذا من المفروض ان يتحقق عبر تدرج مسار المعرفة) تشكلت في البداية، في نمط المدركات الحسية للمؤلف، لأنه المراقب والمُشاهد. وهذه هي الخطوة الاولى في طريق المعرفة التاريخية (أو محاولة وضع نفسه في قبول رواية ما موضع المراقب للأحداث التي تعرضها الرواية كشرط لقبولها)، وتجسدت الخطوة الثانية في انتقال صورة الأحداث على سطح المدركات الحسية، عبر ممرات الطريق المعرفي لتتحول إلى نمطية المدركات الفكرية (مدركات عقلية)، وهنا قد تحقق عرض للأحداث على سطح جهاز نظري يتألف من مجموعة من المفاهيم العقلية التي تصف لنا الأحداث على مستوى الفهم (وهذا يؤشر حال المنظر للأحداث) بعد ان سجلت الخطوة الاولى تصويراً للأحداث على مستوى الرزية الحسية (وهذا يرسم حال المراقب أو المشاهد للأحداث) (٨).

غير أن وجه هذه الحقيقة المنهجية، أفترض كبير، يحتاج الى تفصيل وكشف تطبيقي، وتفرعات هذا الكتاب تتحمل الرد على هذا الافتراض لترسم سير مخالف لها. ويشمل اقساماً أخرى تقترب من الافتراض وتتساند معه. ويستلزم هذا القيام باعادة قراءة هذه الاجزاء، تتجه في تحقيق فرز معرفي لتشكيل التصاميم للروايات التاريخية، التي تدعم هذا الافتراض، وفي الوقت نفسه تأشير الأبنية الروائية التي ترسم حدود موقف عليه.

وهذه القراءة تمت عبر منهجية نبتناها وتساعدنا في رسم طريق المعرفة التاريخية، اذا أتفقنا، ونحن بتقديري متفقون، على أن التاريخ،

علم له موضوع ، وطريقة تتجاوب مع طبيعة هذا الموضوع ، وهدف ينشد الوصول اليه . (٩) لذلك حملت كل قراءة عنوانا يناقش مشكلة معرفية ، أستقرت في مباني هذا الجزء أو ذلك المجلد الذي تقوم باعادة قراءته .

إشكالية البناء الروائي للتاريخ :

٣- يقع البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الاثير) في إشكالية لانجد لها خلاً ، إلا عبر عمليات إقتلاع وازاحة للأسس الميتافيزيقية ، التي شُيدت عليها هياكل هذا البناء . وللاستدلال نقول : تبدأ الرواية التاريخية عند (ابن الاثير) بتعريفات للزمان ، إدراكاً منه ، بل والأصح تسليماً منه بالرأى الذي يذهب إلى إن اتجاهية التاريخ هي (اتجاهية زمانية) ، «الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار » (١٠) .

وهنا الفهم المعرفي عند (ابن الاثير) جدير بالأهتمام ، فهو بناء نظري يقترب من الحدود العلمية ، اذ يحدد لنا مقولة علمية اعتماداً على حقائق لها تجسيد في العالم الخارجي (دلالة) وهي الشمس وحركة الارض . وكانت نقطة الانطلاق في تشكيل هذا الفهم النظري لديه ، هو الواقع المحسوس الملموس وهذا هو طريق المعرفة الوحيد . وأي قطع أو تعطيل لنشاطية جزء من اجزاء هذا الدرب المعرفي ، هو تشكيل بناء معرفي ينتقل الى الدقة والموضوعية ويتحول الى لعبة لفظية يساهم الخيال الانساني في تشكيلها . (١١) غير انه يورد جملة من الروايات التي ترسم البداية الزمانية وتؤشر نقطة النهاية لحركية التاريخ ، ودفاعاً عن هدفية هذا التعريف واساسه الميتافيزيقي ، يورد روايات عدة ، وتسجيلاً لكشف تطبيقي حقيقته قراءتنا ، نقول : «أورد رواية (سعيد بن جبير) . (١٣) ورواية (ابي جعفر) . (١٤) وبعد هذا العرض للابنية الروائية المدافعة عن الأساس الميتافيزيقي لتعريف الزمان ، ينتهي إلى ترجيح رواية (ابن عمر) : «عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انه قال : اجلكم في اجل من قبلكم ، من صلاة العصر الى مغرب الشمس » (١٥) .

ورغم هذا الترجيح ، يبدو ان قلقاً فكرياً قد لازم (ابن الاثير) في أمر هذا الترجيح . وهذا مانميل اليه ، وحباً منه للحكايات التاريخية في هذا الاتجاه ، يعود لتسطير وذكر روايات جديدة ، فسجل رواية كل من (أنس) و (ابي سعيد) (١٦) . وكذلك رواية (ابي هريرة) (١٧) وإشارة الى روايات (جابر بن سمرة) و(انس) و(سهل بن سعد) و(بريدة) و(المستورد بن شداد) و(أشياخ من الأنصار) ، (١٨) وينتهي بعد هذا الاستطراد في الانعطاف الذي ظهر في حديثه عن تحديد الساحة الزمانية بين حدى، البداية والنهاية ، الى ان هذه الروايات هي (اخبار صحيحة) (١٩) .

وبهذا الفهم تتحول المعرفة التاريخية ، من بناء نظرى يصف لنا عبر مفاهيم عقلية ، طبيعية حد واقعي ، تقول تتحول الى خطاب يخبرنا عن حكاية اسهم خيال الانسان في اختراعها (٢٠) . ول(روزنثال) رأي تجاه هذه القضية ، يذهب الى ان النقد التاريخي الحديث ، قد لاحظ «ان مؤرخي الفتوح الأولين ، هم الذين مهدوا الطريق لروايات الفتوح ، كما أنهم بعرضهم الروائي الملون للأحداث جعلوا بعض المؤرخين ، كالطبرى يقدرون اعمالهم بأكثر مما تستحق .» (٢١) وقد تابع (ابن الأثير) هذا الاتجاه ، وعمقه في البنية التاريخية .

نحاول ان نقف هنا لنستوضح طبيعة المسار الذي ركبه (ابن الاثير) فقطع به صحة هذه الأخبار التاريخية . وبتساءل ، ماهو الميزان المعتمد في التمييز بين الروايات الصحيحة فيرسم لنا طريق الأخذ بها ، وبين الروايات الكاذبة، ويؤشر لنا معالم المجرى الذي نسلكه لطاردها من ساحة البحث؟ بتقديرنا ان الميزان الوحيد ، الذي يفترض ان يعتمد هو الذي يأخذ بنوافذ سبيل المعرفة البشرية (الحواس زائداً الفاعلية العقلية ، مضافاً الى ذلك شهادة الاخرين التي تشكلت عبر هذه النوافذ) . وهذا السبيل يشترط في صحة الخبر، ان تتوفر في تركيبته أواصر تشده بالواقع أو توجد دالة واقعية تقابل البناء النظري للخبر .

وفي ضوء هذا الميزان المعرفي ، نجد ان بنائية (ابن الأثير) لموقفه المعرفي تخرج ، وتتعلل حركية مشروعه الترجيحي للروايات ، وينقطع مسار التصحيح للروايات عنده ، لان المسألة التي ناقشها ، تندرج ضمن ماندعوه اليوم ؛ (الفرضيات الميتافيزيقية) وهي ابنية فكرية صنعها الخيال ومساحتها معلقة في الهواء ، وساحتنا المعرفية هي ارض الواقع ، ومن هنا ندرك سبب عجز وسائلنا المعرفية من التحقق ، بل والأرتقاء إلى ساحة الفرضيات الميتافيزيقية لمعرفتها .

وكذلك تنهاوى الدلالات الواقعية الممتدة في العالم الخارجي (البعد المكاني) والمشدود والمرتبط زمانياً ، من دعم حقائق لامكانية لازمانية . وفي الحقيقة ان (ابن الأثير) لاينفرد في هذه البنائية لوحده ، بل يشاركه أغلب المؤرخين المسلمين . وللاستدلال نجد ، في معالجات (فرانز روزنثال) الأشكالية علم التاريخ عند المسلمين ، إشارة وتوضيحاً لذلك ، اذ يذهب إلى « ان صورة الخبر قد احتفظت منذ عهد سلفها القديم ، قصص الأيام ، بخصوص القصص القصيرة المروية .. وهذا ماينقد المؤرخ من القيام بواجبه الحقيقي ، أي تقديم تحليل واضح التفسير للوضعية ويترك مثل هذا التحليل للقاريء » (٢٢).

وهنا نقف ونتساءل كذلك : اذن كيف تمكن (ابن الأثير) من التحقيق من صحة الاخبار ؟ نقول ان (ابن الأثير) انتقل من طريق المعرفة البشرية ، طريق الحقيقة الزمنية ، الحقيقية التاريخية النسبية ، إلى طريق الايمان ، سبيل الاطلاقية والفعل الفذ ، الحقيقة اللازمية الاتاريخية . وكان لأرتباط هذه الاخبار بالحقيقة اللازمية المطلقة التي صرحت بها اقوال النبي (ص) وتداخلها وتغلفها آيات شريفة عدة .. نقول هي طريق التعويل الوحيد لصحة هذه الاخبار . ويلتقي موقفنا هذا ، بعض الشيء من الحقيقة التي أكدها (روزنثال) بحق منهجية البحث التاريخي عند المسلمين ، وقد يكون من الخطأ اعتبار سيادة الدين في الرواية التاريخية

مجرد نتيجة آلية للاحوال السياسية التاريخية ، ففي العنصر الديني تتلاقى الحياة والقصص وبدونها قد تبدو الروايات للمسلم العادي عقيمة وغير واقعية (٢٣) .

وهنا نريد أن نسجل رأياً ، تشكل عبر قراءة للمجلد الأول ؛ ان تصميم (ابن الأثير) التاريخي في هذا الجزء ليس هو بناء روائي لواقعة تاريخية بقدر ماهو قراءة لحكاية عن خبر قيل على لسان ناقل او ناشر لرواية خبر ، وقد تسلت إلى داخل منظومتها وتشابكت حقائق اخرى غريبة لاعلاقة لها بالحدث موضوع الخبر .

وكان لنشاط الذاكرة المزوجة بتصعيد عال للخيال دور في الاضافة والبت ، وضم الفاظ جديدة خلفها مواقف . وعن هذا الطريق حققت هذه الروايات ابعاد ساحة ابتعدت فيها حكاية خبر الحدث التاريخي عن الخبر الحقيقي .

ونحاول هنا القيام برسم شكل ايضاحي للطريق المعرفي الذي يسلكه المؤرخ .

← معرفة حسية

← البناء الفكري للتاريخ

↑

الحدث

شهادة الاخرين

← (الخبر)

← حكاية الخبر

في الحقيقة إن هناك فرقاً بين المعرفة العلمية ، في الموضوع والبناء والهدف ، عن الحكاية التي تتميز بالمقابل بالعشوائية واللبس وفقدان الدقة . والتاريخ—والاخلاف في ذلك—حقل من حقول المعرفة العلمية. وهذا يجرنا الى القول بان الحكاية لاصلة لها بالمعرفة التاريخية . وبهذه هذا التمييز نتمكن ان نقول ، ان (ابن الأثير) في هذا المجلد لم يسلك طريق المعرفة التاريخية العلمية في تشكيل التصاميم النظرية للوقائع والأحداث التاريخية. بل قام بعملية قراءة وعرض لحكايات تنقل الخبر عن الحدث اعتماداً على رواية

بينها وبين زمن الحدث ملايين من السنين . وبهذا المسلك ظل الحدث بعيداً عن متناول يد وسيطرة المعرفي الحقيقي لدى (ابن الأثير) الذي شغل نفسه بالحكايات فقط (٢٤) .

وبتقديرنا ان بنائية (حكاية الخبر) في الشكل الايضاحي من طريق المعرفة التاريخية ، هي محطة تصنيع تصاميم خيالية ، تشكيل فرضيات ميتافيزيقية وبناء حكايات مختلفة . وبهذا الاتجاه يكون (ابن الاثير) قد دشّن عملية اعادة تشكيل بناء تاريخي يعرض لحكايات تتحرك للاستشهاد مثلاً ، تجاه اخبارنا عن طبيعة انبثاقية الزمان ونقطة بدايته ومحطة نهايته (٢٥) . ويتوسع (ابن الاثير) في الفهم الميتافيزيقي للزمان ، وهذا التوسيع يتوزع بين الاشارة الى الفهم اليهودي للزمان (٢٦) . والتنقل بين الفهم المسيحي (٢٧) . والمجوسي (٢٨) . ويبقى الاساس في الفهم هو الاساس الميتافيزيقي ، إشكالية الروائي للتاريخ ، فهذا الاساس يتكئ على رؤية التوراة والفكر الديني المسيحي والمجوسي ، وهذا تحقق عبر عمليات تسريب مارسها وقادها بذكاء ودشنها (وهب بن منبه) .

ومثلما بدأ (ابن الأثير) باساس ميتافيزيقي للروايات العدة التي اوردها انتهى في خاتمة المطاف في بنائية تصميمه التاريخي الى اساس ميتافيزيقي طرحه لتبرير توقفه عن الكلام والانتقال الى الحديث عن مسألة تعكس وجهة اخرى من الاشكالية ، ويظل اساسها ميتافيزيقي هي الاخرى . « قلت : ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا فصولاً تتضمن الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات ، وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئاً ام لا ؟ وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى ، وانه احدث كل شيء ، واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه ، فإنه بعلم اولى . وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى » (٢٩) . ونقول من وجهة نظر المنهج الاستمولوجي ، ان (ابن الأثير) لم يتمكن في هذا المجلد ، من تشكيل بناء نظري ، يقربه من المعرفة العلمية .

الدقيقة التي يفترض ان يتمتع بها علم التاريخ كعلم مثل باقي العلوم . ولم يخضع رواياته إلى عملية امتحان وفحص عبر النوافذ المعرفية ، التي تقرب البناء إلى الموضوعية ، بل مرت عبر نافذة التنبؤ والاختيار لروايات منشورة على سطح مؤلف تاريخي سابق عليه ، مضافاً إلى ممارسة التعيير التي مارستها المظلة (الدينية - السياسية - الاجتماعية - النفسية - الاقتصادية) التي استطلت تحتها محاولة (ابن الأثير) ، فقد ساهمت بتشكيل عائق امام اخضاع هذه الروايات الهائلة العدد لقنوات المنهج التقدي الاستمولوجي غير ان (ابن الأثير) بالمقابل سلك طريق التسليم السهل بالروايات كوقائع تاريخية لايمكن أن يقترَب منها الشك. وبهذا الاتجاه نستطيع ان نفهم المحركات التي دفعت (ابن الأثير) إلى ضم هذه الروايات كمكونات للتصاميم النظرية للتاريخ ، التي شكلها ، لأنها منظومات فكرية تطرح تفسيراً لحقب وأحداث تاريخية .

وان كنا لانتخلف مع (ابن الأثير) في كون شهادة الاخرين تمثل مصدراً معرفياً يمنحنا زاداً اضافياً يساهم في إلقاء ضوء جديد على أحداث لم نعشها ، وربما عاشها الآخرون . غير اننا نفتق عن طريقه ونسلك طريقنا المعرفي الحق ، اذ ان قبول روايات هذا المصدر يجب أن يتم عبر امكانيات البشر ، وجدارة نوافذهم المعرفية ، عبر فاعلية الاختبار والتجريب ، وفي كيفية تصوير الأحداث . وبعكس هذا الطريق المعرفي تتحول إلى روايات معلقة في الهواء ، ويظل تصميمها النظري في درج التاريخ ، يضم حكاية عن اخبار تلك الأحداث ، وعملية ضم هذه الحكاية إلى اركان التصميم ، يساهم في استبعاده عن دائرة المعرفة التاريخية ، التي تلح علينا اليوم ان تقربها من حدود الدقة والموضوعية ، الدقة والموضوعية ، وفقاً لأمكانات النوافذ المعرفية البشرية . ولا نقول دقة وموضوعية العلوم الطبيعية . فهذه مسألة لنا فيها نظر ، يعود إلى الاختلاف والأفراق بين الموضوع المعالج من قبل الاثنين .

وللاستدلال على هذه الأشكالية (سيطرة الاساس الميتافيزيقي لبنائية الأحداث)، تقول تظل هذه الاشكالية قائمة ومزروعة في ساحة البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الأثير) في هذا المجلد . ونحاول هنا ان نشير بايجاز إلى استمرارية هذه الاشكالية ، ففي بنائه لحكاية (ابتداء الخلق) ، (٣٠) يسير على هذا المنهج . فقد كانت نقطة الانطلاق في تشكيل البناء . الاساس الميتافيزيقي . والحال كذلك في القول (فيما خلق بعد القلم) (٣١) وحكاية الليل والنهار (٣٢) وأيهما خلق قبل صاحبه. قصة (ابليس واطغائه آدم) (٣٣). ذكر (خلق آدم) وتفصيل عن التحولات التي اصابت حياته (٣٤) . عن (شيت بن آدم) ورسم للاحداث التي ارتبطت بعصره (٣٥). وذكر تفاصيل مدعومة بأساس ميتافيزيقي لأحداث انعطاف في مسار حركية الحكاية لتتجه إلى مركزية بناء روائي يدور حول الفرس ، نسبهم ملوكهم نمطية حكمهم.. فهو اساس ميتافيزيقي متهافت ، تمكنت عن طريق هذا الفعل ، في تحريف مسار الحكاية التاريخية وأن يوظف لاسناد مزاجية فارسية مهزومة (٣٦) . ويواجهنا حديث روائي ، وهذه حالة تتكرر بكثرة ، فيه تفاصيل عجيبة وغريبة تطرح تفسيراً لانبثاقية طوائف دينية (الصائبة مثلاً) من رحم الاحداث التي كانت في زمن نوح (٣٧). ونجد هنا جهداً مبذولاً لاقحام آيات قرآنية بالقوة ، لتشكيل مسوغ ديني يسند الاساس الميتافيزيقي . وكأن حال البناء الروائي عند (ابن الاثير قد تمثل حاله عنده ، بالضعف في الاقتناع والقبول ، ومنها تحرك عبر اقحام الآيات الشريفة ، لفرضه بقوة المبنى الديني بأنه الحكاية المقبولة ، التي لائمنح فرصة للخروج عليها .

وبتقدير ان هناك نفساً فارسياً يغلف الاساس الميتافيزيقي الذي حرك لتأسيس بناء للحكاية عن هذه الاحداث . ويبدو لي ان سكوت الكتاب الشريف عن التصريح أو اعطاء تفاصيل كاملة عن هذه الاحداث ، قد جعل من المزاجية المهزومة ان تتحرك تجاه تحميل هذه الحكايات أمجاد تليدة تعويضاً عن حالة النكوص والركود على رصيف الحياة التي تعانيتها الذات الفارسية المهزومة (٣٨).

والحال كذلك نجده في تشكيلات حكاية الخبر ، حيث يدعم هذه التشكيلات ادخال آيات قرآنية في البناء ، حيث الافصاح عن موقف ، وفتح بصيص ضوء في شاطيء آخر من الموقف ، يحفز وينشط حركية تأليف حكايات يساهم الخيال في تسطيرها . وهذا الفعل الخيالي متحقق في تفاصيل الاحداث (التي كانت بين نوح و ابراهيم) (٣٩). ويظل التوجيه المركزي للحكاية ، روح فارسية مع اقحام آيات شريفة تدعم وتسد الاساس الميتافيزيقي ، وحركية الحكاية تعاهد الوصول اليه، عبر تفاصيل بناء روائي.

يظل بتقديرنا انجاز لفاعلية الذاكرة الانسانية تلك الفاعلية التي امتد عملها إلى الطرف الخيالي؛ الذي لعب دوراً في اختلاق الكثير من التفاصيل. وهذا واضح في عنوان حكاية (ابراهيم الخليل ومن كان في عصره من ملوك العجم) (٤٠) ، ويفضح هدف التوجيه الفارسي؛ بتزع الغلاف الخارجي للحكاية المختلفة؛ توجيه في مسار الحكاية للدفاع عن أمجاد فارسية مزعومة. وهذا يبرز في اختراع حكاية (هاجر). وكون (هاجر) ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم) والأشارة المفضوحة للانتقاص من العرب؛ كون (هاجر) ام العرب وهي جارية؛ وكون (سارة) ام الفرس، وهي حرة، فلاحظ في بنائية هذه الحكاية الدس الفارسي المهزوم للانتقاص من شخصية الأمة العربية، عبر التحريف في مسار البناء الروائي؛ واختراع حكايات تحقق هذا الهدف. وهذا الاختراع يقف خلفه عقل ذكي خبيث، حيث تجده يوظف لخدمة الهدف، حديث للرسول (ص) يسير في اتجاه آخر لا علاقة له بهذه المسألة. واضح لدينا هدف هذا التوظيف، وهو إلزام وفرض الحكاية بأنها مقبولة ولا شك فيها، ما دام يقف خلفها ويدعمها حديث نبوي. ونجد اضافة إلى هذا تفرعات من الحكاية، تتوجه حركتها تجاه دعم مركزية الأنطلاق الميتافيزيقي؛ مع اقحام آيات واحاديث شريفة في أبنية هذه الحكايات الفرعية (٤١). والحال كذلك في حكاية (لوط وقومه) (٤٢).

ونواجه عبر قراءة لأبنية هذه الحكايات، وتأشير لأتجاهية حركتها، نقول نواجه جهداً منظماً غايته اختراع حكايات تنشد تحقيق اهداف مرسومة. وللإستدلال نجد حكاية تتحرك في اتجاه التفصيل في اسباب اختلاف الامم، وتفرع ونشوء الأقوم. وبتقديرنا ان هذه الحكاية تطرح رأياً غريباً، اذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر الانثروبولوجين وعلماء الاجناس؛ فالحكاية تقرر بأن الكل المتنوع يرجع إلى ابراهيم. وبفعل فذ يحمل كل قوم هوية تنوعه واختلافه عن الاقوم الأخرى؛ فمع كل ولادة جديدة كان تجسيدا لطبعة خصائص مميزة لفئة من الأقوم. وهنا قد أشارت الحكاية فيما اشارت إلى تعطيل حركية قانون النمو وتطور الخصائص وأثر الظروف والسير التطوري للطبيعة والتاريخ، وهذه الطبعة المميزة للأجناس قد تحققت عبر زواج (إبراهيم) ب (هاجر) و (سارة) و (قطورا)؛ فالعرب هم من (هاجر)، والفرس من (سارة)، والكنعانيون من (قطورا)، وتفرع عن الكنعانيين البربر والمدين. (٤٣) وكذلك الحال في حكاية أخرى، ذات بناء عجيب غريب، حيث تخبرنا عن نشوء (بني الاصفر) و (الروم) و (بني اسرائيل) من اسحاق بن ابراهيم وابنه يعقوب دفعة واحدة وإلى الابد (٤٤).

وبتقديري ان أبنية هذه الحكايات، هي نتاج اختراعية خيالية خالطتها روح فارسية موجهة لحركية الحكاية نحو تحقيق صورة يشم فيها ايجاد فارسية، واستحضار صور تدافع عن ماضي أقوام أخرى. وكان هدف بناء الحكاية تحريك نشاطية هذه الاقوم لتساهم في نفس مباني الحضارة التي شيدها العرب واقتلاع كل ما أستقر وتوطن في ساحتها من أبنية حضارية ومنظومات ثقافية وتشكيلات علمية. والملاحظ ان نقطة أنطلاق اية حكاية من الحكايات المنشورة على سطح هذا المجلد، نقول ان نقطة أنطلاق اية حكاية هي حلقة مرتبطة بنهاية حلقة الحكاية السابقة عليها؛ فنهاية الحكاية السابقة هي نقطة البداية لحفر مجرى الحكاية اللاحقة. وهذا برأي، يؤشر حقيقة مهمة تخص بناء الحكاية، فهو يشير إلى ادراك واع من العقل الذي ساهم في اختراع

البناء الروائي لتفاصيل الحكاية، فهذا التسلسل المتصل يدعم الاساس الميتافيزيقي المخلوق، الذي شكل الأرضية التي شُيد عليها البناء النظري لجميع الحكايات اضافة إلى ان هذا البناء يتصف اذا ما أُريد منا ان نصفه، بأن اركانه قد شهدت اقحاماً واضحاً بالقوة لآيات شريفة، لا تلتقي مع مركزية توجه الحكاية وهدفيتها. ويشير إلى ان الحكاية فيها اشارة إلى شخص أو (نبي)، واذا تنتزع الآية او الحديث انتزاعاً، وتقحم هنا، ويبدو للقارىء بأن هذه الآية، او الحديث، هي اقرار على صحة وصدق تفاصيل الحكاية. في ان العكس هو الصحيح .

وللاستدلال نقول ان هذا الحال نجده متجسداً في حكاية (أيوب). (٤٥) وحكاية (يوسف) التي تشير إلى اختراعية حكاية تدعم وتهدف تبرير برنامج تربوي، يخفي اهداف مجتمع ذكوري ويبدد تصورات نسوية ويكافح في اتجاه توطين تصور يُقر بدونية المرأة، التي حصرت خلف جدران معتمة، وتفاصيل عن صراعية بين خطوط تتحرك في رحم المجتمع (٤٦).

وكذلك الحال في حكايتي (شعيب) (٤٧). و (الخضر وخبره مع موسى). (٤٨) ففي الحكاية الثانية تعطل نشاطية النوافذ المعرفية، اذ الدقائق التي تتحدث عنها الحكاية فوق قدرة وطاقة النشاط المعرفي الانساني، من جهة انها حقائق قد حدثت في عالم غير عالم الانسان وأدواته المعرفية المحددة. وفي هذه الحكاية واضح جهد استحضار الاساس الميتافيزيقي ليدعم اختراعية الحكاية. وتلتقي مع هذه الرؤية قصة (موسى) وتفاصيل الاحداث التي أتجهت في حركيتها نحو المركزية التي تدعم الاساس نفسه. من جهة انها جهد روائي انشغل بتصوير افعال فذة، لا تلتقي مع الحقيقة الانسانية المحددة المشروطة بامكانيات وقدرة الاداة المعرفية التي يملكها الانسان .

وهذه الاداة تظل عاجزة عن طرح أي تفسير أو تحليل لها . وتفاصيل الحكاية وتفرعاتها التي تتحدث عن (بني اسرائيل) ؛ كلها تصب في مجرى الاساس الميتافيزيقي ذاته (٤٩).

ويظل هذا الاساس الميتافيزيقي هو المحرك وراء اختراعية أية حكاية تتدرج تحت مكونات البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الأثير)، والحال ذاته بالنسبة للحكايات الباقية ، وهي هائلة العدد ، فالاساس الميتافيزيقي والاختراعية سمتان سائدتان في البناء . ونحاول ان نقف هنا ، ونكتفي بما طرحناه من نماذج تدعم وتسد التنظير الذي شكلناه ودافعنا عنه ، لتوجه لمناقشة مسألة اخرى تخص الاشكالية التي تواجه البناء الروائي للتاريخ عند (ابن الأثير) .

ونقول ، من الملاحظ ايضاً في هذا المجلد ، ان اختراعية الحكاية بدأت تخف ، كلما قطعنا شوطاً في القراءة وتقلب الاحداث ، وأخذت الحكاية تقترب من الواقعة (الحدث) التاريخي ، الذي حرك العقل تجاه تسجيله ، وتشديد بناء روائي خاص به ، فأقترب من الدقة والموضوعية التي حددت عملية البحث التاريخي .

غير اننا نقول ان الذاكرة الأنسانية لاتحافظ بأمانة على قابلية الحدث التاريخي كما هو ، بل يظهر ، وهذا هو الحال ولاحال غيره ، يدخل عبر توالي السنين وتتداخل احداث جديدة إلى ساحة الذاكرة يؤدي إلى ضياع جزء (اوربماكل) من حكاية الحدث او تتداخل تفاصيلها مع تفاصيل من حكايات اخرى . وهنا ملزمون ايضاً ان نقرر ، بان الحكاية عبر تنقلها الشفهي والانتقال من لسان إلى ذاكرة ، ومن ذاكرة إلى لسان ، ينضاف إلى حكاية من قبل الرواة ، مايتفق مع مزاجهم ، بشكل واع او غير واع ، وضغط الحال التي كانوا فيها ، في اثناء رواية الحدث ، اضافة إلى طبيعة الظرف الذي يروون فيها الحكاية . ونقول ؛ بان بعض الحكايات ظلت محافظة على مركزية الحدث ، الا ان التفاصيل وبعض التفريعات قدأصابها تحريف ، أو ربما قد حدث لها تأسيس جديد يتفق مع مزاجية الرواية ، وظروف الفترة الزمنية ، التي أعيد فيها سرد حكاية هذا الحدث .

ورغم هذا الإقتراب الذي حققته الحكاية من الواقعة التاريخية ؛ نجد ان الاساس الميتافيزيقي ، وإشكالية البناء الروائي للتاريخ ، ظل محركاً للاختراعية ، في ركن من أركان الحكاية ، والمشجع لأضافة تفاصيل جديدة للتفاصيل الاصلية ، اضافة إلى استمرارية التوظيف للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في اسناد الموقف الذي تدور حوله الحكاية ، نقول ظل ايضاً سائداً ومسيطرأ على أركان البناء الروائي للتاريخ .

وللاستدلال على هذا التحول نشير إلى بنائية حدث (امر الفيل) . (٥٠) و (عود اليمن إلى حمير واخراج الحبشة عنه) (٥١) . والبناء الروائي لحكاية ماقامت به (قريش بعد الفيل) . (٥٢) من اعمال ، وذكر (حلف المطيين والاحلاف) (٥٣) .

وفي هذا الجزء من المجلد الاول لمؤلف (ابن الأثير) ، قد طبعه بسمه تجدر الاشارة اليها ، فقد اظهر موقف التصادم والمواجهة مع هدفية مشروع الذات الفارسية المهزومة ، وقد تحقق هذا عبر أحداث تنتصر للعرب وتدافع عنهم ، فقد اتجهت حركية البناء الروائي للتاريخ تجاه تبديد مركزية وهدفية الحكاية ، التي سيطرت عليها روح فارسية ، والتي كانت تجاهد في اتجاه استحضر امجاد فارسية ، تحولت إلى خرائب خاوية واستقرت على شكل آمال في سراديب الذات ، ثم تمظهرت على صورة أحلام تقض مضجع هذه الذات ، وتحركها بحقد للقيام بعملية اجتثاث جذور الامجاد العربية الناجزة والنامية ، والضارية في عمق الساحة التاريخية . وهذا واضح في البناء الروائي الذي كرس ذاته لذكر (مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتفاصيل عن حياته ، ورصد لمراحل نموه في رحم المجتمع العربي (٥٤) . وكذلك رسم تسجيلية تاريخية لذكر (مارأي كسرى من الآيات بسبب رسول الله عليه وسلم) (٥٥) . والحال كذلك في البنائية الروائية لواقعة (ذي قار وسبيه) (٥٦) .

ان التحول الذي حدث في اتجاهية البناء الروائي ، ليتجه صوب الحديث عن ايام العرب وذكر لصفاتهم وخصائلهم ، كان هدفه الاساس كما يبدو لنا . مجابهة الحكايات المخترعة عن اصول ملوك فارس وخصائصهم . وهذا التحول تجسد في مركزية الحكاية ، فقد اصابها هي الاخرى تحول ، فقد اتجهت صوب الامجاد العربية . على الرغم من محافظتها على الاساس الميتافيزيقي ، الذي يمثل اشكالية البناء الروائي عند (ابن الأثير) . وهذا واضح في الحكايات التي ذكرت (ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند)، (٥٧) والحكايات الهائلة العدد التي كرسست مهمتها بالحديث عن (ايام العرب في الجاهلية) وتفاصيل عن مشاغلهم الحياتية وحروبهم ونمطية تفكيرهم والجهاز اللغوي المعتمد : اشعارهم ، نثرهم ، ورسم لحالاتهم المزاجية ، وتصوراتهم الكونية وآرائهم الاجتماعية والسياسية المشوثة عبر منظومات البناء الروائي للاحداث التاريخية (٥٨) .

هذه الاشكالية التي تعرضنا الى بيانها والتفصيل فيها ، تطرح حقيقة مهمة تخص وتطبع مؤلف (ابن الأثير) ، وكذلك المؤلفات الاسلامية (ومنها الدينية بشكل خاص) ، التاريخية وهي ارتباط الاساس الميتافيزيقي برؤية عالمية (كونية) للاحداث التاريخية . وبهذا الاتجاه شكل (ابن الأثير) في هذا المجلد ، رؤية كونية للعالم ، فمركزية البحث التاريخي هنا تحركت الى البدايات الاولى لنشوء الكون ، وخلق الانسان والكائنات الحية ، وتدرجت بتعرض لتولد الكائنات البشرية من ظهر آدم ، وبروز الامم والاقوام ، المجتمعات ، ظهور التشكيلات والانظمة التي تضبط العلاقات البشرية ، وحديث عن سببية صراعية الامم والاقوام ، قيام الدول ، توزع الامم وانتشارهم في سطح العالم ، وهذا تضمن حديث عن العرب ، الفرس ، الروم وامم اخرى وتفصيل عن المحركات الحياتية - السياسية - الاجتماعية - الاقتصادية - الدينية لديهم .

كتابة التاريخ من وجهة نظر القرآن :

٤. رسم (ابن الاثير) في مؤلفه هذا مركزية لكتابتة، فقد دارت هذه المركزية عن انبثاقية (الاسلام) ، وبقدر ماشكلت رؤيته العالمية الخطوط الاولى للنشوء و بروز عالم البشرية ، فانها حددت المقدمات التي حملت تشكيلاً جينياً أخذ ينمو لأحتواء حلول سماوية ، وشهدت تلك المرحلة رسائل هداية من السماء ، وكانت الأنسانية ممعنة في غليها ، وواجهت الرسائل واصحابها المحاصرة ، ورغم هذه المحاصرة ، لم ينقطع الرجاء السماوى في هداية البشرية الى الصراط المستقيم ، والواقع ان الاسلام دين يعتبر التاريخ اساسا في عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظاما وقوانين لسير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرهما ، هذا فضلا عن تأكيده على علاقة القرآن بما في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ، وان الاسلام والرسول يتبعان ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً، ويؤكد باستمرار على المسلمين بأن ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم، وينظروا الى مصائر الامم» (٥٩).

والبحث هنا توزع في محورين :

الاول - رسم حدود محاولة (ابن الاثير) في اعادة تركيب المادة التاريخية قبل الاسلام من زاوية القرآن :

ان اختيار القدر الالهي للنبي محمد (ص) ، الذي يعني في الوقت نفسه اختيار للامة العربية لتعيش تجربة روحية جديدة ، مثلما عاشت بعض اركان من ارضها تجارب روحية - سابقة . نقول بفعل هذا الاختيار ، ان تحول البحث التاريخي عند (ابن الاثير) نحو رسم ورصد المراحل الحياتية لرسول الامة ، نسبه ، عشيرته ، مواقفه او بمعنى آخر تشكيل سيرته الذاتية والتي هي صورة مصغرة لشخصية الامة العربية الجديدة وشخصية الانسان العربي الجديد (٦٠) .

ونجد ان البحث لدى (ابن الاثير) . من البداية ، نشد وضع رسم للمقدمة السابقة على انبثاقية الاسلام ، وبرز ثقل للمبنى الديني ، يتحرك

في اركان هذه المقدمات التي تعرض الاصول والفروع ، والاشارة الى حالة الضيق والجذب والانتهاه والتلاشي في حياة الرسول (ص) ، فوالد الرسول ، من المفروض كما مقرر واقعيا ان ينحر لنذر في رقبة (عبد المطلب) غير ان الفعل الفذ يتدخل ليفاجيء الاحداث بأنعطاف لصالح الرسالة السماوية فينقذه من الموت : « وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم ، كما نذكره ، لئن ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعه لينحرون احدهم عند الكعبة لله تعالى : فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا : كيف تصنع ؟ قال : يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه . ففعلوا وآتوه بالقدح فدخلوا على هبل في جوف الكعبة ، وكان أعظم اصنامهم وهو على بئر يجمع فيه ما يهدى الى الكعبة » (٦١) .

وبعد سلسلة عمليات للقدح ، تنتهي كلها بتقرير ذبح (عبد الله) يقترح على (عبد المطلب) بالذهاب لاستشارة كاهنة بالحجر ، فأشارت الكاهنة الى طريق جديد للقدح ، وهو افداء (عبد الله) في كل مرة ، عندما ينتهي القدح عليه بعشرة من الأبل : حتى وصلت الى مئسة من الأبل ، « ثم ضربوا فخرجت القدح على الابل فقال من حضر: قد رضي ربك يا عبد المطلب . فقال عبد المطلب : لا والله حتى اضرب ثلاث مرات ، فضربوا ثلاثاً ، فخرجت القدح على الأبل ، فنحرت ثم تركت لا يصد عنها أنسان ولا سبع » (٦٢) .

ونلاحظ هنا ان الاساس الميتافيزيقي اخذ يتغلف بأردية جديدة ، هي أردية دينية تقترب من الفهم الاسلامي ، ويظل الحس المعرفي لعالم الانسان والحقيقة الزمنية محسوس ، وينطلق حس ماورائي يتحرك خلف جملة الأبنية الروائية الممهدة لبروز ونمو الرجل الذي يتحمل مسؤولية نشر الرسالة الجديدة ، والبحث التاريخي في هذا الاتجاه يندرج ، عبر حلقات حياتية يرصد ويؤشر التحولات في حياة (عبد الله) والد الرسول (ص) ، لتنتهي

هذه التحولات وتصب في مجرى المحط الاخير ، الولادة العظيمة ، تزويج عبد الله بن عبد المطلب بأمنة بنت وهب (٦٣) ، « فدخل عبد الله عليها حين ماكها مكانها فوق وقع عليها فحملت بمحمد، صلى الله عليه وسلم» (٦٤).
وبتحريك الرؤية الدينية يتحول البحث التاريخي الى اعلان وترويج عن حقيقة فوق ادراك البشر ، غير ان قراءة هذه الحقيقة وسير اغوارها كما يوضح الاعلان قد تمت على يد امرأة .

«فدخل عبد الله عليها .. ثم خرج من عندها حتى آتى المرأة التي عرضت عليه نفسها بالامس فقال لها : مالك لاتعرضين علي اليوم ماكنت عرضت بالامس ؟ فقالت : فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة .» (٦٥) .

ويظل القلق مسيطراً على الحكاية ، لانه بالمقابل توجد حكاية يطرح بنائها الروائي حساً ما ورائياً منظماً ومرتباً ، فهذه المرأة ليست امرأة عادية ، بل كاهنة وهذا الامر أصبح ملتصقاً بما ورائية مقبولة من الاساس الميتافيزيقي ، ومدعوماً من المبنى الديني . فهي (كاهنة من خثعم) متهودة «وقالت له : يافتى هل لك ان تقع علي الآن واعطيك مائة من الابل ؟ .. ثم قال لها ، انا مع ابي ولا أقدر ان افارقه : فمضى فزوجه آمنة .. فأقام عندها ثلاثاً ثم أنصرف ، فمر بالخثعمية فدعته نفسه إلى مادعته اليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت اردت ؟ فقالت : يافتى ما أنا بصاحبة ربة ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون لي ؛ فأبى الله الا أن يجعله حيث اراد » (٦٦) .

ويبدو ان البحث التاريخي عند (ابن الأثير) لم يقطع الصلة بسير الحكاية ، التي سادت في رؤيته العالمية للتاريخ ، وظل روح الصلة محتفظاً باستمرارية في عملية اختراعية للدفاع عن الاساس الميتافيزيقي ، غير ان الهدفية هنا اختلفت حيث اتجهت للدفاع عن حياة وشخصية الرسول (ص)

قبل تحمله مسؤولية الدعوة للدين الاسلامي فهناك رصد للمنحنيات والتعرجات التي سادت في مسار هذه الحياة ، وتأشير لنقاط الضيق والأنفراج التي اسهمت وساعدت في هذه الانبثاقية العظيمة والاختلاف الذي مارسه الذاكرة الانسانية ، ظل هو الاخر له دور في تشكيل الابنية الروائية لاحداث المرحلة ، والحكايات عن واقعة واحدة ، السابقتي الذكر ، مصداقاً على رؤيته .

ويظل سير البحث عند (ابن الأثير) قلقاً ، بسبب الاختلاف والتنوع في مصادر المعرفة وتعدد قنواتها ، وتشمل أقوال متضاربة ومتعارضة . ولم تنهياً له فرصة ممارسة العمل النقدي تجاه هذه المصادر المعرفية ، وطرق التزويد بالانخبار والحكايات التاريخية ، ولو تمكن من امتلاك تلك الفرصة لتحرك بتشديد بناء روائي للتاريخ يقطع الشكبة ويقترب من يقينية تاريخية تجانب تصوير يحمل بعض من سمات الحدث ، وبهذه الممارسة النقدية يتمكن ، في الوقت نفسه من ترجيح الحكاية التي يراها اسلم واقرب إلى الفهم وتنسجم وتتماشى مع مجريات احداث التاريخ وللإستدلال نجد هذا القلق غير المستقر في البحث التاريخي عند (ابن الأثير) واضح في ادراجه لحكائيتين تعالجان حدثاً واحداً الاولى « قال الزهري ، ارسل عبد المطلب ابنه عبدالله الى المدينة يمتار لهم تمرا فمات بالمدينة .» (٦٧) . والثانية «وقيل : بل كان في الشام فأقبل في غير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها ودفن في دار النابغة الجعدي وله خمس وعشرون وتوفي قبل ان يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٦٨) .

وتأخذ تفرعات البحث التاريخي عند (ابن الاثير) منحى غريباً ، وان كانت هذه الحالة لها امثلة ونماذج كثيرة ، تنتشر على سطح تأليفاته التاريخية ، حيث يتحول البحث التاريخي عنده الى حكاية يعرض سيرها عن الحقيقة وينشغل بدرج تفاصيل عن حلم رجل نائم . وهكذا تتحول الحقيقة الى حلم يتطاير ويصبح الحلم على يد (ابن الاثير) هو الحقيقة التي تفصح عن الاحداث

ونقول هنا رأى بحق كتابة (ابن الاثير التاريخية ، ان الحس الماورائي المسيطر في كتاباته ، كان موظفاً ، بوعي أم بغير وعي ، لصالح دعم تعميم الحقيقة أو لفها بضبابية تخدم الغرض الميتافيزيقي ، وتحقق هذا عبر قبول مسار حلم يفتح ضوء لفهم الحقيقة . في حين بتقديرنا ان الطريق المعكوس هو الصحيح والمقبول معرفياً ، وهي ان الحقيقة ترسم لنا طريق فهم المجهول والغامض ، أو على اقل احتمال نتكى عليها ، وعلى ماتوفر لدينا من فرص فهم لتتمكن من سبر أغوار المجهول ، وفك حجب الغامض وتتعرف على طبيعتها . المسار المعرفي الاخير ظل معطلا عند (ابن الاثير) ومارس وأتكا على المسار الاول (الحلم) : «وكان الى عبد المطلب السقاية والرفادة.. ثم انه حفر زمزم ..وكان سبب حفره اياها انه قال بينا انا نائم بالحجر اذ أتاني آت فقال :أحفر طيبة . قال : قلت فما طيبة ؟ قال : ثم ذهب ، فرجعت الى الغد الى مضجعي فنمت فيه ،فجاءني فقال : احفر برة . قال قلت :وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، قال :فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر المذنونة .قال :قلت :وما المذنونة ؟قال :فذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي ، فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم ، انك ان حفرتها لاتندم ،قلت : ما زمزم ؟قال تراث من أبيك الاعظم ، لاتنزف ابداً ولا تدم ،تسقي الحجيج الأعظم . «(٦٩).

وأقف هنا لأشير الى حقيقة تخص بناء (ابن الاثير) للتاريخ ، واقول هنا ،وان الدفاع عن الحقيقة الغيبية ، هو الهاجس المسيطر على الرؤية التاريخية عنده ، وهو المحرك لتوظيف حلم رجل نائم ، أو درج حديث عن عالم غير عالم الانسان ، والمتقاطع مع الحقيقة الحسية النسبية ، المشروطة بمحدودية الأدوات المعرفية التي يمتلكها الانسان طبيعياً وبتقديري ولي رأى اخسر تجاه هذه الدفاعية عن الحقيقة الغيبية وتوظيف الحلم ، وهنا سأفصح عن رأى تجاه التوظيف ، لان لي حديث سابق عن الاساس الميتافيزيقي ، ان الحلم بالتفسير السايكو - سوسولوجي ، هو حالة طبيعة

يمارسها الانسان ، لان الحلم هو الحارس الامين على الاستمرارية في النوم ، فالانسان يظل مستغرقاً في نومه مادام هو في حالة حلم . والحلم من ناحية اخرى يعكس حالة قد مر بها الانسان او اكثر تفكيره حولها وبتصوري المتساند مع بعض حقائق التاريخ ، ان عبد المطلب ، واحد : كان يفكر في العمل المأساوي الذي اقدمت على ارتكابه قبيلة (جرهم) حين قامت بدفن وردم بئر (زمزم) قاطعة على الناس مصدراً مائياً مهماً تعتمد عليه استمرارية حياتهم وحيواناتهم عليه ، وخاصة في مناسبة الحج واذا ما وضعنا في تصورنا اهمية بئر ماء في محيط صحراوي متحرك لأحتواء الحياة وقتلها . والثاني : ان الانسان عندما يذهب الى فراش النوم وهو في حالة جوع لا يستطيع النوم ، وان فاعلية الحلم تقدم تعويضاً عن هذه الحالة ، فيرى الانسان ، في حلمه انه امام مائدة انتشرت عليها من المأكولات (والمشروبات) مالد وطاب ..

ورأيي ان (عبد المطلب) كان قد ذهب الى فراشه ، وهو بحاجة الى سد ظمئه ، أو ربما قد هاجمه العطش وهو مستغرق في نومه . وهنا كان الحلم يرصم حالة التعويض ، فالبشر هو وعاء الماء المستمر في العطاء ولا ينضب عند العربي ، وبهذا التفسير تبرز لنا حقيقة الحكاية التي أنشغل بها (ابن الاثير) ، أقول ان احلام الانسان كثيرة ، واذا ماجعلنا من هذه الاحلام ، اساس انطلاق لفهم وتفسير مجريات حياتنا ، تعطلت حركية الحياة ، وبدأت حركية الحلم . وهذا بتقديري قد حقق ، بشكل غير واع ، انتصار اخر للخط الماورائي ، الذي يتحرك بشكل ملحوظ في أبنية (ابن الاثير) الروائية للتاريخ ، كما هو الحال في ابنية غيره من المؤرخين المسلمين .

وهذه المرحلة ، اضافة الى هذه الشواهد التي سجلناها ، ترصم لنا حالة الترقب والانتظار ، للتحويل الذي بدأت ملامحه تلوح في سماء المجتمع وكذلك بوادر التبديل والتغيير في بنية العلاقات بين الناس ، وضعاً وتفكيراً

ونجد هنا ان (ابن الاثير) يشير الى منظومة فكرية لها اهمية في دعم الحس الماورائي ، فحركة نشاطه وجهوده تتوجه لاستطاق صورة المستقبل ، وليس قراءة الحاضر فقط ، نقول يشير الى منظومة فكرية خطيرة تتعلق بأركان حكاية دارت حول حياة (ابن كعب) الذي مات في عام الفيل، « وكان كعب عظيم في عقد العرب ، فلهذا أرخوا لموته الى عام الفيل ثم أرخوا بالفيل ، وكان يخطب الناس ايام الحج ، وخطبته مشهورة ، يخبر فيها بالنبي (ص) . (٧٠) »

من المعروف لدى الجميع ، ان النبي محمداً (ص) ولد في هذا العام عام الفيل، هذا جانب والجانب الآخر، ان عملية فك حجب المستقبل وقراءة ساحته، حالة تتساند مع الرزية الميتافيزيقية، التي تركناها، ولم يتركها ويتخل عنها (ابن الاثير). نقول تركناها عند انتهاء مناقشتنا للفقرة السابقة اشكالية البناء الروائي للتاريخ .

في مناقشة هذه المسألة، التي يتداخل في شبكتها الجانبين السابقين ، نبدأ برأي يطرح على شكل تساؤل، يفصح عن ماهيته على شكل مشروع للأجابة؛ من أين جاءت هذه القوة الذهنية الخارقة لدى (ابن كعب) ، ليمكن ، ولكنه من سبر اغوار ساحة سنين عدة، تمتد إلى (٤٠ سنة) لقراءة ما سيحدث وراء عالم مليء بتحويلات لم يرها ولم يعيش في رحمها؟

تحدد الاجابة بأن هذه القوة لم تكن متوفرة لديه، لان صورة حياة الرجل لا تخرج على الحدود الطبيعية، ولم تتحرك لتغادر ساحة البشر، بل نقول للتوضيح ظل رجلا يحمل عقل انسان وتلك نوافذ معرفية محدودة ، هي ادوات معرفية انسانية، رغم العظمة التي ميزته، لأنه سيد قوم، وان هذه العظمة لم تخرج على حدود وتنشيط جيد لحركية النوافذ المعرفية .

هذا الوجه الاول من الاجابة، اما الوجه الآخر، فإنه يشير، ويتساند مع رأينا الذي يذهب إلى ان قراءة هذه المرحلة الزمنية، قد تمت في ضوء وجهة نظر التحول الذي حدث في حياة النبي محمد (ص)، فقد اختاره

القدر الالهي ليكون نبي هذه الأمة، ولتتحمل مسؤولية نشر نظرية الحياة الجديدة، ويدافع عنها، ويساهم في التفتيش والبحث عن أدوات تنفيذها، ويوفر اجواء، تحقق ترجمة حياتية امينة لها. من هذه الزاوية قد أنجز مشروع قراءة للحكايات التاريخية عن الاحداث السابقة على الاسلام. لتتحقق سير لها وتوجيه لحركتها لتصب في مجرى التحولات التي حدثت، انبثاقية الاسلام، تحمل الرسول مسؤولية الدعوة له، تسهيل مهمة انتشاره ايجاد ترجمة امينة له. وهذا الحال نجده متحققاً في حكاية (وقود النار بالمزدلفة) (٧١)

وكذلك الحكاية التي تروى عن النبي (ص): «لا تسبوا مضرأ وربيعة فإنهما مسلمان» (٧٢) والحال كذلك في حكاية (نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، «لا يختلف الناسون فيه إلى معد بن عدنان، على ما ذكرت، ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافاً عظيماً لا يحصل منه على غرض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين اسماعيل، عليه السلام، اربعة آباء، ويجعل آخر بينهما اربعين أباً، ويختلفون ايضاً في الأسماء اشد من اختلافهم في العدد .. ومنهم من يروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في نسبه حديثاً يصله باسماعيل ..». (٧٣)

والحال كذلك في حكاية (رحلة عم النبي ابا طالب إلى الشام) ، ففيها توجيه بنفس قرآني ، لتسير الاحداث كلها نحو الحقيقة الجوهرية، التي سيعلم عنها الرسول (ص) ، لانه الشخصية المهيئة ، من كل النواحي، لتحمل الاعلان من الرسالة ، اضافة إلى ان الارضية التي يتحرك عليها الرسول ، حُبلى بكل ماتحتاج اليها انبثاقية الرسالة ، «فلما اراد المسير لزمه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فرق له واخذه معه ، ولرسول الله، صلى الله عليه وسلم ، تسع سنين . فلما نزل الركب بصري من ارض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له . وكان ذا علم من النصرانية. فلما رأهم بحيرا صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك لانه رأى على رسول الله غمامة تظله من بين القوم ، ثم نزلوا في ظل شجرة قريبة منه ، فنظر

إلى الشجرة وقد هصرت اغصانها حتى استظل بها ، فنزل اليهم من صومعته ودعاهم . فلما رأى بحيرا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جعل يلاحظه لحظاً شديداً وينظر إلى اشياء من جسده كان يجدها من صفته .

فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن اشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته ، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال بحيرا لعمه (ابي طالب) ماهذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ماينبغي ان يكون ابوه حياً . قال : فإنه ابن أخي مات ابوه وامه حبلى به . قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك واحذر عليه .. فإنه كائن له شأن عظيم .» . (٧٤)

وكذلك الحال في ذكر (نكاح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خديجة) ، «أن خديجة .. كانت امرأة تاجرة .. فلما بلغها عن رسول الله .. ارسلت اليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجرا .. فأجابها وخرج معه ميسرة .. فنزل .. في ظل شجرة قريباً في صومعة راهب ، فأطلع الراهب رأسه على ميسرة فقال : من هذا ؟ قال ميسرة : هذا رجل من قريش . فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي .. فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحاً كثيراً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما رأى من اطلال الملكين اياه .. فأرسلت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فعرضت عليه نفسها .. فتزوجها ..» . (٧٥)

وحكاية (حلف الفضول) : «فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وشهده رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال حين ارسله الله تعالى : لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت.» . (٧٦) وكذلك حكاية (الحجر الاسود) وتنازع القبائل العربية في امر رفعه ، فاقترح (ابو امية بن المغيرة) ، وكان اسن قريش عليهم ، «اجعلوا بينكم اول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم ، فكان اول من دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلما

رأوه قالوا: هذا الامين قد رضينا به. وانخبروه الخبر فقال: هلموا الي ثوباً، فأتى به، فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه». (٧٧)

الثاني - اعادة كتابة المادة التاريخية التي تكشف المسارات التي قطعتها الدعوة الاسلامية

لقد حقق (ابن الاثير) مشروع قراءة للاحداث التاريخية والحكايات عن الفترة السابقة على الاسلام، من زاوية القرآن وخطوط الدعوة الاسلامية واتجاهاتها، اما فترة انبثاق الاسلام، فلنا فيها رأي آخر يخص معالجات (ابن الاثير)، وهذا الرأي يتحدد، بان البحث التاريخي تعطل على يده من كل مشاغل، اذ لا شغل لديه، سوى الانصراف إلى رصد مسارات الدعوة الاسلامية، منها التي تخص الرسول (ص) ورسم التحولات التي كانت تحدث في شخصه لتقربه من مسؤولية تحمل اعباء الرسالة السماوية، او تخص قضية الانبثاق وتأشير مرحلتي النشر والتثقيف الاسلامي السرية منها والعلنية .. (٧٨)

ونقول هنا، ان سير البحث تسجيلي عند (ابن الاثير)، يرصد مسيرة التحولات التي أحدثتها الاسلام، والتناقضات التي فجرها، والأطر التي الغاها، مرحلة بدء بالنزول، وبالمقابل رسم حالة انحسار النماذج المتخلفة من الحياة العربية، وبيان اثر الصدمة التي حققها الاسلام في ساحة القوى التي تسلطت على خطوط الحياة دون ان تمتلك شرعية السيطرة، وحركة المسلمين لاعادة ترتيب الحياة من جديد .

وهنا تركز البحث، ضمن اهتماماته بتأشير حدود المعاناة التي كانت تعيشها طليعة الامة بصمت لا يحتمل، ورسم لابعاد المشكلات والمواجهات الحياتية التي كانت تهددها، والاشارة إلى معالم الطريق السلوكي ومجري الكيفية التي تعاملوا بها.

الأولى - تحليلي ، تحليل مكونات البناء التاريخي عند (ابن الأثير) .
الثاني - تركيب ، نشدنا بركوبه إعادة تركيب المادة التاريخية من جديد
ليبان واظهار أثر (القرآن) وخطوط الدعوة الاسلامية ، في رسم مسارات
الاحداث التاريخية لديه .

واحاول ان اقف هنا لاوضح ابعاد حقيقة منهجية تخص ابحاث
المؤرخين المسلمين عموماً ، وبحث (ابن الأثير) خصوصاً ، الحقيقة التي
انتشرت على سطح تساؤل واجابة عليه ، هل لدينا تفسير للتاريخ العربي ؟
تقول الاجابة ، «لقد قدم المؤرخون القدامى بعض التفاسير ومن ذلك ان
التاريخ البشري ، بما فيه تاريخ العرب ، تعبير عن الهسيئة الالهية المتمثلة
في توالي الرسائل ، واخرها وأكملها الاسلام . واصبح بعد ظهور الاسلام
تاريخ امة هي الامة الاسلامية ومحورها العرب . » (٧٩)

وللاستدلال على منهجية (ابن الأثير) ، نشير إلى الوقائع التاريخية ،
المنشورة على سطح الابنية الروائية للتاريخ ، والتي نجد فيها دعماً واسناداً
للتنظير الاستقرائي ، الذي شكلناه ، فهناك ذكر للوقت (الذي ارسل فيه
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم) . (٨٠) ونجد ان منهجية (ابن الأثير)
هنا ، كما دعودتنا ، واعتدناها ، قلقة لاستتقر على حال ، او تقطع برأي ،
فهي تنقل لنا روايات متعددة تجاه هذه الواقعة التاريخية العظيمة ، وللاستشهاد
نشير إلى تعددية واختلافية الروايات :

الأولى - «قال ابن عباس .. ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعث وانزل
عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة» . (٨١)

الثانية - «وقال ابن عباس .. انه انزل عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وهو
ابن ثلاث واربعين سنة ..» . (٨٢)

و (ابن الأثير) لايتوقف عن دفاعيته عن الحس الماورائي ، بل يجد
في الجو الجديد الذي وفره المبني الديني ، طريقاً لقبول الحكايات دون

تمحيص ، نقول ان دفاعيته عن الحس الماورائي ، هو منهج سار عليه ، ولم يتمكن الخلاص منه ، بل ان الحس الماورائي وجد نبضات نمو له في رحم هذا المنهج ، فبدأ يحرك الاشياء ويوجهها وفقاً لهديته ، وهذا الدفاع جاء مدعوماً بتفاصيل حكاية ، تدور احداثها على ساحة فوق تصورات البشر ، وتتجاوز وتتخطى قدراتهم المعرفية ، وتتضمن تأشيراً لمسار فكر طفولي جنيني ، تركته البشرية وراءها في مرحلة الطفولة ، وهو تأنيس الأشجار والأحجار ومنحها حساً انسانياً خالصاً : «ومن ذلك انه كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى احد ..» . (٨٣)

وكذلك الحال في الواقعة التاريخية التي تشغل برسم مراحل تحمل النبي محمد (ص) مسؤولية الرسالة السماوية الجديدة، فهي تشير إلى أن عائشة قد أخبرتنا بخطابها، الذي ينقله (ابن الاثير)، كان اول ما أبدى به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد انت رسول الله ..» (٨٤) .

والحال ايضاً في الحدث التاريخي، الذي يمثل نهاية لفترة بكاملها، وبداية مرحلة تاريخية جديدة، كل الجدة، «فلما أمر الله نبيه، صلى الله عليه وسلم، أن ينذر قومه، عذاب الله على ما هم عليه من عبادة الاصنام دون الله، الذي خلقهم ورزقهم وان يحدث بنعمة ربه عليه، فكان يذكر ذلك سرّاً لمن يطمئن اليه من اهله، فكان اول من آمن به وصدقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته.» (٨٥) .

وهذا التحول يقتضي التغيير والتبديل في شبكة الحياة، واعادة ترتيب خارطتها وفقاً لهدفية الدين الجديد (نظرية الحياة الجديدة). ويستلزم هذا برنامج تربوي صارم، ينطلق من ساحة الذات، فيعيد تأسيسها من جديد.

وهذا التأسيس يرسم ملامح تشكيل مصغر لشخصية الامة الجديدة، والذي اتجه كفاح النبي (ص) إلى اعادة ولادتها من جديد (٨٦). والولادة هذه تقتضي اعلى درجات الانضباطية في السلوك، وتحقيق ترجمة صحيحة للمبنى الديني الذي دعى اليه الاسلام: «ثم كان اول شيء فرض الله من شرائع الاسلام عليه بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة...» (٨٧). وذكر حادثة «المعراج برسول الله، صلى الله عليه وسلم» (٨٨).

وتحقيقاً لهدفية التغيير أخذت تتشكل الخلايا السرية الاولى للدعوة الاسلامية وكان لهذا التشكيل أهميته على عدة مستويات، فهو رسم لصورة جديدة للأمة، تستظل تحت راية جديدة، هي التوحيد، وهو من ناحية ثانية بداية تشكيل المؤسسة الثقافية الدينية، التي توجه الحركة، ففي داخل اجواء هذا التشكيل المصغريتم مناقشة تحديد الاهداف الأولية والملحة التي يجب توجيهه إلى تحقيقها، عبر الالتزام بالخطاب الديني الموجه من قبل الرسول. ونقول، هنا قد تحققت أول عملية تثقيف ديني شملت مجموعة الخلايا لرفع معنوياتها ولتكون بمستوى عال ، قادرة على تحقيق عملية التغيير في الواقع الحياتي للناس، وفي الوقت نفسه، عبر هذه العملية، ترسم الطريق للأخرين للاقتداء بهم والانسحاب الى ساحة الدين الجديد، وكل حركة وكسب جديدين، تؤشر في ساحة الطرف (التقيض) لحركة الاسلام، نقطة انحسار وتلاشي للشخصية القديمة للأمة العربية، وفي ساحة الاسلام تحقيق امتداد وانتشار للملامح الشخصية الجديدة، التي ولدت مع ولادة الاسلام. و(ابن الاثير) كعادته، يورد روايات كثيرة متضاربة ومتقاطعة في تأكيد الاخبار التي تدعم الحقيقة. غير اننا عولنا على رواية (ابن اسحاق) التي نقلها ضمن مجموعة الروايات ، للاستدلال ودعم التدرج في سير البحث، وتأشير المنهجية المفروضة في كتابته التاريخية، رغم التفريعات الكثيرة التي ترسم محطات ضياع لهذه المنهجية، «اول ذكر اسلم من بعد النبي عليّ وزيد بن حارثة ثم اسلم ابو بكر.. فأسلم على يديه عثمان بن عفان

والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم الى النبي، صلى الله عليه وسلم، حين استجابوا له فاسلموا وصلوا، وكان هؤلاء نفرهم الذين سبقوا الى الاسلام، ثم تتابع الناس في الاسلام، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحادث به الناس.» (٨٩).

ويأخذ البحث التاريخي على عاتقه مهمة رسم ملامح المرحلة الجديدة، وان كانت هذه المرحلة لاتقطع الصلة، بل تتساند وتتواصل مع كل ما هو مجيد في المرحلة السابقة، ورغم هذا التواصل فهي تحمل خصائص جديدة، أثار في ساحتها تناقضات من نوع مختلف، وأفرزت وحركت الى اصطفاى قوى، لم تكن في السابق، في موقع معارضة، فأنتجت حركتها الى تصفية الاسلام بقوة السلاح احياناً، وحياناً اخرى ساكت طريق المساومة، ان وجدت القوة لاتحقق الاغراض.

نقول: ان هذه المرحلة هي المحطة التاريخية الخطيرة في الاسلام، فهي مرحلة الاعلان التاريخي جهاراً عن ولادة الاسلام، النظرية الجديدة للحياة العربية التي ترفض الواقع المشتت الممزق، وتدعو الى التوحيد ولمّ شتات الذات العربية، وترفض التمحور للقوى، ونمطية الصراعية التي تشتت الامة الى جزر متناثرة، وهذا الرفض يتضمن تدمير كل الانماط الفكرية والدينية والاجتماعية، التي وطنت هذا التمزق ودافعت عنه، وساهمت في تأييد هذه الصراعية في القاع الحياتي للامة. هذا الدرب النبي سلكه الاسلام هو الذي حدد خطورة المواجهات التي تحركت لأيقاف حركته، لان فاعلية رؤيته هزت المركزية للقوى التي كانت من مصلحتها ان تظل الاوضاع قائمة بحالها.

ورسم اعلان النظرية الاسلامية برنامجاً تدرجياً في مواجهة الاوضاع، البداية كانت بالتحريك على (الاقربين)، لأنهم، بافتراض الجسور المقامة بينهم لصلة الرحم، ربما أهون وأخف من تحملهم وأحتوائهم للصدمة التي يحدثها الاعلان .. بعد ذلك الانفتاح الى الخارج نحو الناس أجمعين

ويواجهنا حال (ابن الاثير) كذلك، فهناك تعددية واختلافية في مسار الروايات التي يوردها، ولخدمة الغرض التي ننشد تحقيقه، نختار رواية (جعفر بن عبدالله بن ابي الحكم): «لما انزل الله على رسوله «وانذر عشيرتك الاقربين»، أشهد ذلك عليه وضاق به ذرعاً، فجلس في بيته كالمریض، فأثته عماته يعدنه، فقال، ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني ان انذر عشيرتي الاقربين، فقلن له: فأدعهم ولا تدع ابا لهب فيهم فإنه غير مجيبك. فدعاهم، صلى الله عليه وسلم، فحضروا ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومك وبنو عمك فتكلم ودع الصبابة، وأعلم انه ليس لقومك في العرب قاطبة طاقة، وان أحق من اخذك فحبسك بنو ابيك، وان أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من يشب بك بطون قريش وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني ابيه بشر مما جئتهم به. فسكت رسول الله، صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس، ثم دعاهم ثانية. وقال: الحمد لله، احمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، ثم قال: ان الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وأنها الجنة ابدأ أو النار ابدأ». (٩٠) و«امر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ان يصدع بما جاء من عند الله وان ييادىء الناس بأمره ويدعوهم إلى الله». (٩١)

وبهذا الاعلان اشر الرسول (ص) نهاية مرحلة المعادل السريّة للدعوة الاسلامية وفتح ساحة مرحلة الافصاح والاعلان بوضوح عن مبادئ الدعوة وهدفيتها، ليؤشر بداية مرحلة جديدة من حياة الامة العربية. وخط المنهجية عند (ابن الاثير) يسير في هذا الاتجاه، فيتدرج زمنياً مع تدرج الانتصارات الجديدة التي تحرزها نظرية الحياة العربية. ويرصد حالات الضيق والمحاصرة التي تواجهها، وهذا السير موجه كما هو واضح بحركية الاسلام،

وللاستدلال على هذه الحال أشير الى المواجهة بين الاسلام ورجالات قريش: « ياأبا طالب: ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل اباينا، فأما ان تكفه عنا وأما ان تخلي بيننا وبينه .» (٩٢). وعاودوا طرح القضية مرة اخرى: «ياأبا طالب ان لك سناً وشرفاً. وانا اشتهيناك ان تنهي ابن اخيك. » (٩٣) .

وجاءت اجابة الرسول لعمه في العرض المطروح عليه، لتبدد احلام الشرك، وترسم معالم طريق الدعوة الاسلامية، طريق المبادئ والصلابة والحق والمسؤولية التاريخية: «ياعمامه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر، حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته» (٩٤). ان اجابة الرسول، التي رسمت استراتيجية الدعوة الاسلامية، وفشل المحاولات اللاحقة، والمساومات والتنازلات التي قدمها الطرف المعادي. (٩٥) حرك المشركين لتصعيد طريق المواجهة، وجعل هذا الطريق نمطين من المواجهة، عملية تصفية المسلمين بأسلوب التعذيب، جسدياً، «وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين فجعلوا يحسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة، والنار ليفتنوهم عن دينهم.» (٩٦) وركوب طريق «التشهير والاستهزاء» برسول الامة (ص) (٩٧). ان الفكرة التي تحدث انقلاباً في واقع ما، وتحمل شرعية التغيير وقيادة الواقع، لجدارتها وانها بمستوى المشكلة التي يعانيتها الواقع تقتضي من القيادة الموجة لحركة التغيير، التوقف والتبصر فيما قطعته الحركة، وتأشير التوقفات التي اصابته حركتها، وتعيين الاساليب والادوات التي تقتضيها كل مرحلة في المواجهة. وجددير ان نشير الى ان (ابن الاثير) قد ناقش هذه المسألة باسلوبه الروائي المعتاد ونقول بلغتنا قد طرح ايضاً فكرياً واستدلالاً عليه، فقد ذهب الى ان الرسول بدكاء ثاقب أدرك بأن حماية الاسلام تقتضي تحصين المسلمين وحماية ارواحهم من اعتداءات الطرف المعادي، فأقترح الهجرة، فأصبحت الهجرة جزءاً اساساً من مسالك الحماية والتحصين للدفاع

عن العقيدة الجديدة. (٩٨) وتبدد، في هذا الاتجاه، الاسلوب الذي ركبه اعداء العقيدة، في تحريك (النجاشي) لتسليم المسلمين اليهم، وعقد معاهدة معه لأنهاء اصوات الحق، عبر التصفية الجسدية لهم (٩٩).

نقول تبددت هذه الأساليب ، ولم تحقق امراً ، سوى امر واحد هو انتصار النظرية الجديدة التي نشرها الإسلام ، وحققت انتصاراً للإسلام في طرف اخر ، لم يكن ورد ضمن حساباتهم ، اذ مال اعداد من العرب ، اصحاب الفضائل والعقول ، إلى صفوف المسلمين ، لتعاطفهم مع المسلمين ورفضهم الاساليب اللانسانية ، التعذيب والتشهير ، وأنفتاح أستتاج عقلي نير في أذهانهم بأن هؤلاء على حق وأن القضية التي يدافعون عنها ، حتى الأستشهاد قضية عادلة ، وبهذا الطريق ضَمَّ الإسلام إلى صفوفه عقول الكثيرين ممن كانوا خارج دائرة الإسلام ، وللاستبدال يشير (ابن الأثير) إلى اسلام (حمزة بن عبدالمطلب) (١٠٠) واسلام (عمر بن الخطاب) (١٠١)

وترسم لنا منهجية (ابن الأثير) الملتزمة بحركية مسارات الدعوة الإسلامية ، ابعاد مرحلة جديدة من المراحل التاريخية للتدرج الزمني لحركية برامج العقيدة الإسلامية المتجهة إلى تركيز اقدامها ، وضرب جنود عميقة في التراب العربي ، وهذا الجانب أفقد الأعداء صوابهم ، وحرك حقدهم لركوب اسلوب جديد ، تمثل بأقدام الطارف المعادي على محاصرة الأسلام، عبر محاصرة بيت الرسول (بني هاشم وبني المطلب) ، و (ابن الاثير) يقدم لنا هذا الايضاح للمحاصرة، « ولما رأَت قريش ان الأسلام يفشو ويزيد .. أثمروا في ان يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ان لاينكحوا بني هاشم وبني المطلب ولاينكحوا اليهم ولا يبيعوا ولايتباعوا منهم شيئاً .. فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا » (١٠٢) .

وقد حققت هذه المحاصرة أنتصاراً جديداً للإسلام يضاف إلى قائمة الأنتصارات ، وهذا ركن لم يتمكن الطارف المعادي من تقديره، فقد انجاز

الهاشميون والمطاليبون كلياً إلى ساحة الأسلام . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كشفت للأعداء خطأ حساباتهم وتصوراتهم وعدم جدارة اساليبهم ، اذ ان صلابة المسلمين وجلدهم وعدالة قضيتهم ، جolt صحيفة المحاضرة إلى صحيفة انتصار ولصالحهم ، اذ اصبحت ورقة معلقة لافائدة لها ، مما جعل نفرأ من قريش ، لأنهم وجدوا فيها اجحاف وتعسف ، يتحرك تجاه نقض الصحيفة والأقدام على تمزيقها (١٠٣).

ويرصد سير البحث عند (ابن الاثير) المراحل الصعبة ، التي انتشرت على سطح تاريخية الدعوة الأسلامية ، وما خلقته من معاناة للرسول (ص) حملها في داخله هذا جانب ، ودور هذه المعاناة من جانب آخر في تشييط حركية الدعوة وبلا هوادة في مقارعة مراكز الباطل وتصفيتها ، من أجل حسم الانتصار الكامل لنظرة الحياة العربية ، اذ مصلحة الامة والمجموع فوق أي مصلحة ذاتية ، وهذه المحن تمثلت بفقدان ركنين كان الرسول يستغل بهما ، وفاة (خديجة) (١٠٤) . و (ابي طالب) (١٠٥) .

ورغم هذه الحالات من الضيق التي مرت بها مسيرة الدعوة الاسلامية ، ترصد لنا منهجية (ابن الأثير) حالات الانفراج الجديدة ، وتجديد انتشارية الاسلام في دوائر واسعة من التراب العربي ، اسلام الانصار (١٠٦) . بيعة العقبة الأولى . (١٠٧) بيعة العقبة الثانية . (١٠٨) وتؤشر لنا التحول الذي حدث في الأسلوب أمد روح الأنتصار باستمرارية جديدة ، فهي ترسم لنا معالم السلوك الجديد الذي ساكه الرسول تجاه تحقيق انتشارية جديدة لنظرية الحياة العربية ، واطافة امكانيات اخرى تحقق انتصاراً مركزياً كبيراً . ينهي إلى الأبد ، ويسحق جميع القلاع الخاوية ، التي جسدت حالة تعويق لحركة انتشار الأسلام ، و (ابن الأثير) يعطينا ايضاحاً عن هذه التحولات ؛ هجرة النبي إلى المدينة . (١٠٩) بناء المسجد المؤسسة الأولى للاسلام . (١١٠) وجسد هذا البناء روحاً جديدة لشخصية الأمة ، وهي التعاون والتساند لبناء واستكمال تشكيل المؤسسات اللاحقة . واكتمال

الوجه الآخر لشخصية الرسول (ص)، تحقق عن طريق رفض الواقع ، فهو رجل الدين الأول ، واصبح الرجل الأول المنظم لشؤون الحياة العربية ، « فأجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يقيم لهم نقيباً (بعد وفاة نقيبهم) فقال لهم : انتم أخواني وأنا نقيبكم ، فكان فضيلة لهم » . (١١١) رسم البرامج السياسية الأولى للإسلام ، في معالجة المسائل الخاصة ، والعامه ، وقد رسمت هذه البرامج خطبة الرسول عندما نزل المدينة . (١١٢) وتشكيل مكونات المؤسسة العسكرية للإسلام ، « وفيها .. عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعرضوا عبر قريش . » (١١٣) وعقد « لواء لعبدة بن الحارث بن المطلب . فألتقى هو والمشركون .. » . (١١٤) وعقد « لواء لسعد بن ابي وقاص وسيره إلى الأبواء . » (١١٥)

وبعد هذا التشكيل لمؤسسات الإسلام ، نجد المؤسسة الفكرية (الثقافية) وفي الوقت نفسه تمارس دور المؤسسة السياسية ، وتنظيم تشكيلات المؤسسة العسكرية ، بدأت مرحلة الاحتكاك مع الأطراف المعادية المحلية ، واخذت قلاع هذه الأطراف تتهاوى الواحدة بعد الأخرى ، وفي الشاطيء الاخر يحقق الإسلام امتداداً وشخصية الأمة العربية الجديدة تمتد معه ، والحياة المعتمة المظلمة تنحسر وتضيق .

كانت البداية ، مرحلة اختبار الذات وكشف القدرة القتالية لديهم ولدى الأعداء ، وتجسدت هذه المرحلة واقعياً ، في (غزوة بواط) (١١٦) . و (غزوة العشيرة) (١١٧) . وفي الحقيقة لم يحدث فيهما احتكاك عسكري ، بل كانتا اشبه بمناورات قامت بها المؤسسة العسكرية الإسلامية ، لأختبار القدرة القتالية وأرهاب وأثارة الذعر في الطرف الاخر .

وبدأت المرحلة الجديدة ، والحاسمة في تاريخ الإسلام ، وهي مرحلة الاحتكاك العسكري ، وتحملت هذه المهمة (سرية عبدالله بن جحش) التي ترقبت تجارة قريش ، « وانقضت على غير يحمل زبيباً لقريش ، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون . » (١١٨) تبعثها (غزوة بدر) التي

رسمت اوضاعاً جديدة ، فقد كان لأنتصار المسلمين فرصة مكنتهم من التحرك ، بشكل أكثر حرية ، في إعادة ترتيب الأمور لصالحهم ، في حين زرعت في الطرف المعادي الانكسار ، وأصاب الموثيق والأحلاف مع اطراف اخرى الخلل والفتور ، وأعادة نظر ، وأنفلتت الفرص المتاحة من يد الأعداء لرص الصفوف لمواجهة السيل الذي اخذ بأجتياح قلاعهم ، ويمد مركزيته في أركان جديد من التراب العربي ، ليثبت جداره قيادته وتوجيهه لأمر الحياة العربية ، عبر الالتزام باشتراطات النظرية التي طرحها الكتاب الشريف وتوجيهات الرسول (ص) (١١٩) . وتلاحقت الانتصارات ، وللاستدلال يشير (ابن الأثير) إلى (غزوة بني القينقاع) (١٢٠) . وفي (غزوة الكدر) . (١٢١)

ورغم الهزائم والانكسارات في ساحة الطرف المعادي ، نجده لا يكف او يفتر عنده التفكير ، او توظيف ظروف ، لأيجاد فرصة يبني عليها آمال جديدة تعيد ماء الوجه وبعض من الهيبة التي هتكت . وتحول الحقد هنا صوب البحث والتفتيش عن أساليب جديدة تقوض الانتصار الإسلامي ، وأخيرا اهتموا إلى اسلوب التخريب ، وقد حسمت مجابهة المسلمين لهذا الأسلوب لصالحهم وتجسد هذا ، كما يخبرنا (ابن الأثير) في (غزوة السويق) وهروب المخربين بجلودهم . (١٢٢) وفي غزوة (بني سليم بجران) ولم يتوقف الطرف المعادي عن محاولاته ، ويصيبه اليأس ، بل ظل يبحث عن ورقة رابحة جديدة ، وبدأ يعيد ترتيب أوضاعه ، ويعقد الاحلاف ويجهز لواقعة تحسم الأمور فيها لصالحه ، وكانت (غزوة أحد) التي حققت انتصاراً جزئياً للأعداء تنفسوا ، عن سبيله ، الصعداء (١٢٤) . وان خلقت (غزوة احد) انكساراً نفسياً لدى المسلمين، غير أنها بتقديرنا وعبر الخطاب التاريخي اللاحق لابن الأثير ، كشفت لهم ، بأنه اذا كان للأنتصار ثمن فإن المحافظة على روح النصر تستلزم دفع ثمن أكبر ، وبدأت محاولات المسلمين لترجيح كفة النصر لصالحهم ، وتجسد هذا في

(غزوة حمراء الاسد) التي ثبت فيها المسلمون على موقفهم الصلب، فأما النصر والدفاع عن القضية العادلة ، وأما الموت والاستشهاد (١٢٥) وظلت محاولات المسلمين للبحث عن فرص جديدة ، والتوظيف للظروف المتوفرة، والأدوات والاساليب المتاحة لصالحهم لتعزيز الانتصار .وبالمقابل خلق حالة تئيس للطرف المعادي وزرع الفشل وتعميق وتوطين الاندحار في ساحته، واضطراره الى الاستسلام. وتوزعت هنا الغزوات ، بين رد على موقف معادي ، او تعزيز لروح النصر . وللاستدلال يقدم لنا (ابن الأثير) قائمة من الشواهد في هذا الاتجاه ، (غزوة الرجيع). (١٢٦) توجيه من قبل الرسول (ص) الى قتل (ابي سفيان). (١٢٧) حادثة (بئر معونة). (١٢٨) (اجلاء بني النضير). (١٢٩) (غزوة ذات الرقاع). (١٣٠) غزوة بدر الثانية). (١٣١) (غزوة دومة الجندل). (١٣٢) (غزوة الخندق). (١٣٣) (غزوة بني قريظة) . (١٣٤) (غزوة بني لحيان). (١٣٥) (غزوة ذي قرد). (١٣٦) (غزوة بني المصطلق من خزاعة) (١٣٧) .

عززت هذه الانتصارات ، الدفاعية منها والهجومية، مواقف المسلمين ورجحت الأقرار بقوتهم الضاربة، مما حملت الطرف المعادى الى سلوك طريق المعاهدات ، فكان (صلح الحديبية) . (١٣٨) ليمنحه فرصة راحة واسترخاء يراجع فيها حساباته ، بعد رحلة تعب وعناء طويلة ، لم يحصل فيها سوى الفشل والاندحار والهزيمة . وبالمقابل منح المسلمين الحرية، ووفر لهم اجواء امتلاك الارادة والقرار دون حواجز وقيود.

مكنت الاجواء التي وفرها (صلح الحديبية)، نقول مكنت المسلمين الحركة لضم واحتواء جيوش من الناس الى صفوفهم (١٣٩) وهنا قد حدثت نقطة تحول مركزية في حركة المسلمين ، تمثلت بمكاتبة (رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، الملوك) فبعث الرسل الى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس ، وكذلك الملوك المحليين في المنطقة العربية (١٤٠) . وهذا التحول في مركزية حركة الدعوة الاسلامية، لم يكن توجهاً طارئاً بل

يعكس هوية الدعوة (القومية - الانسانية) ، فالرسالة من ناحية ركزت على الحل القومي لمشكلات الواقع العربي . عبر توجه الى احداث التغيير، ورفض التشتت وخلق امة موحدة. وانسانية ، لأنها مسؤولة عن ايقاف النزف والأضطهاد والقهر السائد في خارطة العالم ، عبر ايقاف التسلط الممارس على البشرية من قبل التشكيلات السياسية السائدة في العالم ، لذلك وقف الاسلام موقفاً انسانياً تجاه شعوب العالم .

ورسمت أجواء الحديبية حركة لاطراف وقوى ، شعرت وأحست ، أن قبول المسلمين بالصلح، يعني ضعفهم ، وبهذا الاتجاه تحركوا لجنس نبض المسلمين ، فكانت تحرشات لليهود، وتمكنت جحافل المسلمين من حسم هذه المسألة ومعالجتها في (غزوة خيبر) (١٤١) وعزز المسلمون موقفهم في هذا الاتجاه ، في (غزوة وادي القرى) (١٤٢). وفي (فدك). (١٤٣) وفي (غزوة غالب بن عبد الله الليثي بن الملوح) : (١٤٤) وتغزز موقف المسلمين وقوتهم المادية والمعنوية باسلام (خالد بن الوليد) و(عمرو بن العاص) و(عثمان بن طلحة) (١٤٥). وفي (غزوة ذات السلاسل). (١٤٦) و(غزوة الخبط) واحداث فرعية متصلة بالدفاع عن روح النصر وتوسيعه. (١٤٧) وفي (غزوة مؤتة) (١٤٨) . وقد مكنت هذه الانتصارات من تحقيق الانتصار الكبير ، الذي أنهى الى الأبد آخر القلاع الداخلية (فتح مكة) ، وسيطرة المسلمين على مركزية التوجية السياسي والفكري والثقافي ، ومهمة التأسيس الاجتماعي من جديد للمجتمع العربي ، وتوظيف البعد الاقتصادي لصالح الجماهير الغفيرة من المستضعفين ، وللدفاع عن العقيدة وحمائيتها ومدتها نحو ساحات جديدة (١٤٩) .

وان حسمت القضية المركزية لصالح الامة العربية ونظريتها الحياتية، فإن هناك مواقع هامشية، اخذت تهوى الواحدة بعد الاخرى ، وتحقق هذا في (غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة) (١٥٠) و(غزوة هوازن بنحنين) (١٥١) وفي (حصار الطائف) (١٥٢) وبعد سقوط هذه القلاع بدأت مرحلة

جديدة هي مرحلة التحرير العربية للتراب العربي والذي ضمته عدوانا مراكز سياسية محيطية بالوطن العربي ، في الفترات الحرجة التي تمر بها الاممة العربية ، وبهذا الاتجاه كانت (غزوة تبوك) هذا من جهة ومن جهة اخرى اتجهت حركة الاسلام الى حسم المشاكل التي انبثقت في ساحة التجربة العربية الجديدة ، لاسباب اثارها تشنجات ترجع الى متوطنات في الذات ترتبط وتتصل بتفكير وسلوك الجاهلية ، فكان توجه الرسول (ص) الواعي لطرح حلول لها، وتعامله معها بمستوى روح النصر ، وهدفية الرسالة الاسلامية. وفي هذا الاتجاه نذكر حادثة (قدوم عروة بن مسعود الثقفي) (١٥٤) و(قدوم وفد ثقيف) . (١٥٥) و(غزوة طيء واسلام عدى بن حاتم). (١٥٦) و(قدوم الوفود على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم). (١٥٧) و(قدوم وفد نجران) مع العاقب والسيد) . (١٥٨) و(اسلام همدان) (١٥٩) بعد هذه الانتصارات وسقوط القلاع الداخلية، أخذت تستمر تشكيلات المؤسسة العربية ، السياسية - الاقتصادية - الاجتماعية وما يرتبط بها من مؤسسات فرعية، ثقافية - عسكرية ، والرسول (ص) وجه هنا تشكيل خلايا العمال ، وقام بتوزيعهم على الاقاليم ، لتوجيه العملية بشكل منظم يحافظ على روح الاسلام ، ورسم برامج ترسم وتوطن احكام وضوابط الشريعة وتمارس هذه الخلايا دور المسؤول السياسي والديني والاقتصادي، الممثل للرسول في هذه الاقاليم (١٦٠) . وبهذا التوجيه من قبل الرسول (ص) رسم أول تشكيل لمؤسسة الخلافة الاسلامية وللإستدلال على ذلك توجيهاته في حجة الوداع (١٦١) . وهذه المؤسسة ستتخذ على عاتقها مهمة تحرير التراب العربي، وتحقيق انتشارية جديدة للعقيدة، وتحرير الشعوب، وقد شارك الرسول برسم خطط التحرير ، فقد أوعز ل(اسامة بن زيد) ان يجهز حملة الى الشام وارض فلسطين (١٦٢) .

وانتهت هذه الفترة التاريخية، كما انتهى فيها خط المنهجية عند (ابن الاثير) بمرض الرسول (ص) ووفاته (١٦٣) . نقول انتهى خط المنهجية

في اعادة كتابة المادة التاريخية من زاوية القرآن ومسارات خطوط الدعوة الاسلامية. لبدأ خطأ آخر من المنهجية، يحمل خصائص وسمات المرحلة الجديدة ، وما أفرزته محرراتها من قوى جديدة ومشكلات جديدة، وهذا الخط لنا حديث عنه في بحث لاحق .

النهج الاستقرائي في البحث التاريخي :

٥- أحاول أن أقف هنا لأشير الى مسألة ، كانت ومازالت في غاية الاهمية، وكم نحن الآن محتاجون لسير عليها في البحث التاريخي ، الا وهي طريقة الاستقراء التاريخي ، وهذه تتحد بشكلها البسيط بأنها: سبيل نعتمد عليه في تأشير وتشخيص الجزئيات التي ترتبط بواقعة أوحدث ثم الانطلاق منها لإعادة تشكيل الرؤية النظرية التي تسندها وتدعمها هذه الجزئيات ، وكان (ابن الاثير) قريب من هذه الطريقة العلمية ، فقد روى وأدرج حكاية (الاخوة : مضر وربيعه وايداد وانمار) اولاد (نزار بن معد) وتفصيل هذه الحكاية تحدد الطريقة الاستقرائية . غير ان (ابن الاثير) لم يلتفت اليها رغم إعادة قراءتها ، وروايتها من قبله، ومن قبل الكثير من المؤرخين الاسلاميين.

وهنا أطلقُ دعوى لقيام وأنشاء طريقة استقراء تاريخي. (١٦٤) او بمعنى آخر اعادة تأسيس علم التاريخ على منهج استقرائي ، عند قراءة الحكايات والروايات التاريخية ، فمن الجدير بالذكر ان علم الفقه الاسلامي. قد تبني هذه الطريقة منهجاً، وعمقها علماء الفقه لتتجاوز مع موضوع بحثه، فظهر لنا منهج استقرائي للفقه، او بمعنى آخر اعادة تأسيس علم الفقه على أسس استقرائية (١٦٥). واحاول هنا ان اشير الى خطوات الطريقة عبر دعم وأسناد تفاصيل الحكاية لهذا التحديد للخطوات:

الاولى- ترسم لنا انتهاء العملية الاستقرائية ، إلى استصدار حكم (صيغة كلية) مدعوم من قبل الجزئيات المحسوسة المرئية ، ويمثل هذا الحكم تفسير وتعليل للحالة موضوع الدراسة والبحث . وأن بناء هذا الحكم أعتد على

نشاط عقلي قام بتجميع الحزئيات وربطها برابط موجود في الحزئيات جميعاً ..فبينما هم يسرون في مسيرهم اذ رأى مضر كلاً قد رعي ، فقال : ان البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور . وقال ربيعة : هو أزور . وقال اياد : هو أبتو وقال انمار : هو شرود . فلم يسروا الا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : هو أعور ؟ قال : نعم . قال ربيعة : هو أزور ؟ قال نعم . وقال اياد : هو أبتو ؟ قال : نعم . وقال انمار : هو شرود ؟ قال : نعم ، هذه صفة بعيري ، دلوني عليه ، فحلفوا له مارأوه ، فلزمهم ، وقال : كيف أصدقكم وهذه صفة بعيري» (١٦٦).

الثانية — ملاحظة ورصد الحزئيات المبعثرة ، والتي تربطها وتشدها علاقات تجمعها تحت سقف نظري واحد ، وأن ادراك هذه العلاقات الثابتة بين الحزئيات هو الذي يرسم الطريق لصياغة الحكم من ناحية ، وهو طريق التحقق من صحة وصدق الحكم من ناحية ثانية (فساروا جميعاً حتى قدموا) نجران فترلوا على الأفعى الجرهمي ، فقص عليه صاحب البعير حديثه ، فقال لهم الجرهمي : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيت يري جانباً ويدع جانباً فعرفت انه أعور . وقال ربيعة : رأيت أحدى يديه ثابتة والأخرى فاسدة الأثر فعرفت انه أزور . وقال اياد : عرفت أنه أبتو بأجتمع بعره ولو كان أذنب لمضع به . وقال انمار : عرفت انه شرود لأنه يري المكان الملتف نبتة ثم يجوزه إلى مكان أرق منه نبتاً وأخبث . فقال الجرهمي ليسوا بأصحاب بعيرك فأطلبه (١٦٧) .

وإذا افترضنا ان (ابن الأثير) قد سار على هدى هذه الطريقة لفتح ابواب جديدة في البحث التاريخي ، لم يصل اليها علماء التاريخ الا في العصر الحديث (١٦٨) . انها ملاحظة جديدة بالاهتمام اردنا ان نسجلها بحق (ابن الاثير) في هذا الجانب من منهجيته .

تعقيب نهائي :

٦ - هذه قراءات دقيقة ، قمنا بها لتحقيق رسم للملامح الخط المنهجي الذي اعتمده (ابن الاثير) في ممارسته الكتابية التاريخية . وهذه القراءات توزعت بين قراءة ذات رؤية إبستمولوجية ، كشفت محركات البناء الروائي للتاريخ ، عبر عملية التمييز التي قمنا بها بين الواقعة التاريخية لأنها امتداد زماني - مكاني ، والرواية التاريخية لأنها صياغة عقلية تتأثر بمزاجية الراوي وارتباطاته السياسية ، الاجتماعية ، منغذورة للحياة ، رؤيته الكونية ، ثقافته العلمية . وحققنا نقداً ، في ضوء هذا التمييز ، وجدنا تسجيله على منهجية (ابن الاثير). وقراءة ذات رؤية ايديولوجية ، كشفت فيها المؤشرات التي أملت على (ابن الاثير) إعادة كتابة التاريخ من وجهة نظر (القرآن) ، وأخيراً قراءة منهجية ، دعت وتمنت إلى تبني النهج الاستقرائي في البحث التاريخي . وفي هذه القراءات نتمنى بحدود متواضعة قد أسهمنا في التنبيه ، على أقل احتمال ، إلى أهمية القراءات ، الأبيستمولوجية الأيديولوجية المنهجية ، لإعادة قراءة تراثنا الفكري ، وبشكل خاص فكرنا التاريخي.

هوامش وتعليقات:

- (١) قمنا بنشر الجزء الاول، الخاص بـ(الاطار النظري: فلسفة الملهج) في مجلة الفكر العربي المعاصر / يصدرها مركز الانماء القومي، بيروت / العدد (١٢) أيار ١٩٨١، صص ١٤٩ - ١٥٨
- (٢) اعتمدنا هذه الطريقة على، هيوج. أتكن، دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية، ترجمة د. محمود زايد، تقديم د. قسطنطين زريق، بيروت ١٩٦٣ صص ١٦١ - ١٦٥
- (٣) تبني الباحث هذه الطريقة، المصدر السابق، صص ١٨٧ - ١٨٩
- (٤) ومحاولتي هذه تطرح كشفاً تجريبياً لدعوة الدكتور عبدالعزيز الدوري، التي تلح على دراسة «تاريخنا بروح النقد والتفهم في آن واحد. فنحن لا نريد أضواء صفة القدسية عليه، فهو تاريخ بشر، ولكننا كذلك لا يمكننا هدم وتقويض حتمائه على مذهب الشك الساخر، ولا نريد، في الوقت نفسه، اضافة صفة الرومانتيكية عليه بدراسة كتاريخ بطولات.»
- أنظر، د. عبدالعزيز الدوري: التاريخ والحاضر، مقالة منشورة ضمن مجموعة مقالة في كتاب، تفسير التاريخ، بغداد (بلا تاريخ) ص ١٢
«وخير سبيل لدراسة التاريخ العربي هو ان يبحث على اسس حديثة، ولكنني لا أرى أصول البحث التاريخي الغربي وافية، بل من الضروري ان نكون مصطلحاً تاريخياً يلائم طبيعة أصول التاريخ العربي» المصدر السابق ص ١٣
- (٥) انظر، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (بلا تاريخ) المجلد الاول، ص ٣
- (٦) المصدر السابق
- (٧) طرحنا هذا الرأي مقتفين اثر رأى:
١ - د.عبدالعزیز الدوري، «أنا لانريد اخضاع تاريخنا لفرضيات ووجهات بعيدة عنه، بل الأجدد بنا ان تكون فرضياتنا مشتقة من هذا التاريخ ومن محاولاتنا لفهمه...»، المصدر السابق، ص ١٢
- ب - د. صالح أحمد العلي، «انه لا بد لدارس التاريخ من ان يستعمل ذهنه وافكاره الخاصة لفهم حوادث الماضي، وكتابته عن أية حادثة اذاً لاتتوقف على الحادثة فقط، بل على فكر المؤرخ نفسه ايضاً، ومن المعلوم ان المؤرخ قد يتأثر بأوضاعه الذهنية الخاصة في الحكم على الاشياء.»
- انظر: د. صالح أحمد العلي، تفسير التاريخ، مقالة منشورة في الكتاب السابق، ص ٢٤ ونحاول ان نقرب من رأي الدكتور صالح أحمد العلي، في معالجته لمشكلات التاريخ العربي، وللاستدلال نشير اليه: «وعلى هذا فلا بد لدراسة التاريخ من اتباع طريقة غير مباشرة، وذلك بالاعتماد على ماكتبه أو تركه الذين شاهدوا الاشياء التي نريد دراستها،
- (٨)

وهذه الكتابات والمخلفات ماهي الارموز تتطلب الفهم والتفسير، فضلا عن النقد للتحقق من صحة ماتدعيه هذه الكتابات « المصدر السابق ، ص ٢٢ (٩) نشد هنا عقد دراسة جزئية تطرح تخطيطا، لمعالجة قضية (علمية التاريخ). وبدء نقول، سادت في ساحة البحث التاريخي وجهات نظر عدة، توزعت في النظر الى التاريخ، انه:

أولاً «البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها.»
ثانياً «تفسير الحقائق وربطها، فالمؤرخ يختار الحقائق، أو بالأحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها، وهذه هي مادته الأولية، ثم يكسبها مفهومها التاريخي.»
ثالثاً «فهم أى تاريخ يتطلب فهم المؤرخ واتجاهاته ونظراته.»
رابعاً «عملية متصلة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه أو حوار متصل بين الماضي والحاضر.»
أنظر مقالة الدكتور عبدالعزيز الدورى، المصدر السابق، ص ٣
خامساً «ان اعتبار التاريخ علم أدى بالمؤرخين الى الدقة والحذر في التثبت من الحقائق وصياغتها والتأكد الدقيق من صحة كل نقطة، وفحص مختلف الأدلة بغية الوصول الى نتائج مضبوطة كما أدى الى تضييق نطاق التحيز.»

انظر مقالة الدكتور أحمد صالح العلي، المصدر السابق، ص ٢١
سادساً «والغاية من وراء البحث في العلم كله هي المعرفة أو فهم العلائق، ومثل هذا الفهم يقتضي في البحث التاريخي شيئاً أكثر بكثير من مجرد ترتيب الحوادث على النحو الذى وقعت فيه زمنياً.» انظر، هيو ج. اتكنس المصدر السابق، ص ١١

(١٠) ابن الاثير، ج ٢، المصدر السابق، ص ١٣
(١١) مناقشة البعد الزماني وربطه بالبحث التاريخي، أحيل القارىء الى مراجعة:
أ - أنظر مناقشات، الدكتور عفت محمد الشرقاوى، أدب التاريخ عند العرب، بيروت (بلا تاريخ)، صص ١٨٣ - ١٨٩، مناقشات تطفح بالبعد الميتافيزيقي للزمان وفكرته، في القرآن وفي الفكر الإسلامي.

ب - أنظر، الدكتور نزار عبداللطيف، اراء في كتابة التاريخ العربي، بحث منشور في كتاب (حول كتابة التاريخ) بغداد، ١٩٧٩، صص ١١٥ - ١١٦
وأنظر ربط الزمن بعملية الوعي بالتجدد، ص ١١١

(١٢) أنظر، ابن الاثير، ج ٢، المصدر السابق، ص ١٣

(١٣) المصدر السابق

(١٤) المصدر السابق

(١٥) المصدر السابق

(١٦) المصدر السابق

(١٧) المصدر السابق، صص ١٣ - ١٤

- (١٨) المصدر السابق، ص ١٤
- (١٩) المصدر السابق
- (٢٠) وزيادة في الاطلاع على التحليل الابدستمولوجي (المعرفي) للفكر التاريخي نقترح على القارئ مراجعة كتاب، هيوج . أتكين، دراسة التاريخ وعلاقته بالعلوم الاجتماعية، صص ١٩٠ - ١٨١
- (٢١) فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسين، بغداد ١٩٦٣، ص ٢٦١
- (٢٢) المصدر السابق ، ص ٩٦
- (٢٣) المصدر السابق، ص ٢٦٣
- (٢٣) أنشد هنا وضع أيضا عن المنهجية في مباحث المسلمين التاريخية بشكل عام، ومنهجية (ابن الاثير) بشكل خاص، قائلا : ان نشأة علم التاريخ عند المسلمين اختلطت «بعلم الحديث من حيث موضوع البحث ومنهجه. أما الموضوع فقد كان يدور حول رواية أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، ومغازي المسلمين وسيرهم وأما المنهج فهو العناية بذكر الاسانيد وتوثيق الرواية عند سرد كل خبر .
- أنظر، د. عفت محمد الشرفاوي، أدب التاريخ عند العرب، ص ٢٥٤
- وعلى مثل هذا المنهج الروائي سار (الطبري) و«المنهج التاريخي الذي يقوم على الرواية وحدها، قد يثير عدداً من المشكلات فيما يتشمل بمصادر البحث ، فاذا كان الطبري حريصاً على اثبات اسانيده في كل حال، فليس كل الحقائق التاريخية التي أوردها مما يمكن تتبعه خلال سلسلة من السند الضابط الى وقت حدوثه في عهود بالغة القدم . ومن ذلك مثلا أحداث التاريخ قبل ظهور الاسلام التي رواها الطبري ، والتي لم يجد لها مصادر موثقة غير النصوص القرآنية والنبوية».
- أنظر المصدر السابق، ص ٢٦٨
- وفي هذا الاتجاه سار (ابن الاثير)، فقد ظل «منهج الطبري وتصوره للتاريخ لهما تأثير كبير على بعض المؤرخين اصحاب التواريخ العامة من أمثال ابن الاثير صاحب الكامل».
- أنظر، أحمد أمين، ظهر الاسلام، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٧٥
- (٢٥) أنظر ابن الاثير، المصدر السابق، صص ١٣ - ١٥
- (٢٦) المصدر السابق، ص ١٤
- (٢٧) المصدر السابق
- (٢٨) المصدر السابق
- (٢٩) المصدر السابق ، ص ١٥
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١٦

- (٣١) المصدر السابق، صص ١٦ - ١٠
- (٣٣) المصدر السابق، صص ٢٠ - ٢٢
- (٣٣) المصدر السابق، صص ٢٣ - ٢٦
- (٣٤) المصدر السابق، صص ٢٧ - ٥٣
- (٣٥) المصدر السابق، صص ٤٥ - ٥٥
- (٣٦) المصدر السابق، صص ٥٦ - ٦٦
- (٣٧) المصدر السابق، صص ٦٧ - ٨٢
- (٣٨) المصدر السابق، صص ٨٣ - ٨٤
- (٣٩) المصدر السابق، صص ٨٥ - ٩٤
- (٤٠) المصدر السابق، صص ٩٤ - ١٠١
- (٤١) المصدر السابق، صص ١٠٢ - ١٠٧
- (٤٢) المصدر السابق، صص ١٠٨ - ١١٢
- (٤٣) المصدر السابق، ص ١٢٣
- (٤٣) المصدر السابق، ص ١٢٦
- (٤٥) المصدر السابق، صص ١٢٨ - ١٣٦
- (٣٦) المصدر السابق، صص ١٣٧ - ١٥٦
- (٤٧) المصدر السابق، صص ١٥٧ - ١٥٩
- (٤٨) المصدر السابق، صص ١٦٠ - ١٦٣
- (٣٩) المصدر السابق، صص ١٦٩ - ٢٠٦
- (٥٠) المصدر السابق، صص ٤٤٢ - ٤٤٧
- (٥١) المصدر السابق، صص ٤٣٧ - ٣٥١
- (٥٢) المصدر السابق، صص ٤٥١ - ٤٥٣
- (٥٣) المصدر السابق، صص ٤٥٣ - ٤٥٤
- (٥٤) المصدر السابق، صص ٤٥٨ - ٤٦٧
- (٥٥) المصدر السابق، صص ٤٨٠ - ٤٨٢
- (٥٦) المصدر السابق، صص ٤٨٢ - ٤٨٠
- (٥٧) المصدر السابق، ص ٤٩١
- (٥٨) المصدر السابق، صص ٥٠٢ - ٦٨٤
- (٥٩) الدكتور صالح أحمد العلي، تفسير التاريخ، الكتاب السابق، ص ١٨ ودعماً لموقفنا نشير إلى الرأيين الآتيين؛ «يظهر الاسلام..أخذت بواكير الشعور التاريخي طريقها إلى ضمير المسلم، فشرع المسلمون في الاهتمام بالتاريخ تدريجياً، ثم تزايدت عنايتهم به بعد ذلك لاسباب متعددة.»

أنظر الدكتور عفت محمد الشرفاوي، أدب التاريخ عند العرب، ص ١٣٤
«تقوم فكرة التاريخ في القرآن الكريم على ان للتاريخ معنى اخلاقياً وروحياً مؤسساً
على علاقة الألوهية بالعلم، ونور الانسان فيه، بوصفه خليفة الله في ارضه. وكثير
من النصوص القرآنية تؤكد هذا المعنى في مناسبات مختلفة، فهي تحصح الانسان على
الاقبال على الحياة والعمل، ولكنها تحذره في الوقت نفسه من غرور يتهدده فيكون
مصيره الهلاك كما حدث لكثير من الامم من قبل».

أنظر، ١ - المصدر السابق، ص ٢١٠

التاريخ ٢ - عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادى، الكويت
(بلا تاريخ) صص ١٣١ - ١٤٢

(٦٠) أنظر دعماً لموقف قراءتنا لنصوص (ابن الاثير) بهذه الاتجاهية:

آ - مقال الدكتور عبدالعزيز الدورى، التاريخ والحاضر، الكتاب السابق، ص ١٢
«اذكر ان فكرة الامة تسود جل تاريخ العرب، وان توسعهم وحضارتهم
استنداً الى رسالة تاريخية حملوها، وانهم خرجوا بقيم خلقية وأنسانية لعبت
دورها في تطورهم وأثرهم في سير المدينة».

ب - الدكتور نزار عبد اللطيف، الفكرة التاريخية في القرآن (مقال منشور في

كتاب حول كتابة التاريخ، بغداد ١٩٧٩) صص ١١٦ - ١١٧

«وردت كلمة (امة) في القرآن اربع وستين آية. غير أن القاسم المشترك فيها
أنها تعبير عن سيادة اجتماعية أوسع من (القبيلة)».

ج - محمد جلوب فرحان، دور الاسلام في تطور الفكر العربي، مجلة العلوم

الاجتماعية، الكويت (عدد خاص بمناسبة دخول القرن الهجرى الخامس عشر)

صيف ١٩٨١، ص ٦٨

(٦١) ابن الاثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٥

(٦٢) المصدر السابق، ص ٧

(٦٣) المصدر السابق

(٦٤) المصدر السابق، ص ٨

(٦٥) المصدر السابق

(٦٦) المصدر السابق، صص ٨ - ٩

(٦٧) المصدر السابق، ص ١٠

(٦٨) المصدر السابق

(٦٩) المصدر السابق، ص ١٢

(٧٠) المصدر السابق، ص ٢٥

(٧١) المصدر السابق، ص ٢٧

- (٧٢) المصدر السابق، ص ٣٢
- (٧٣) المصدر السابق، ص ٣٣
- (٧٤) المصدر السابق، ص ٣٧
- (٧٥) المصدر السابق، ص ٣٩ - ٣٠
- (٧٦) المصدر السابق، ص ٤١
- (٧٧) المصدر السابق، ص ٤٥
- (٧٨) نلتقي في قراءتنا هذه لنصوص (ابن الاثير) مع اراء:
 آ - د. نزار عبداللطيف، التي وردت في بحثه الموسوم «تكوين الشخصية النضالية في التاريخ العربي» المنشور في كتاب «حول كتابة التاريخ» ص ١٢٢ - ١٣٢
 ب - د. عزمي محمد شفيق، كتابة التاريخ ضرورة علمية وثورية (الكتاب السابق) ص ١٦٥ - ١٦٩
- (٧٩) الدكتور عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، ص ٩
- (٨٠) ابن الاثير، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٤٦
- (٨١) المصدر السابق
- (٨٢) المصدر السابق
- (٨٣) المصدر السابق
- (٨٤) المصدر السابق، ص ٤٨
- (٨٥) المصدر السابق، ص ٥٠ -
- (٨٦) أنظر محمد جلوب فرحان، مشروع قراءة لموقف القرآن من الجهاد، القسم الاول، البناية الفكرية للجهاد النفسي، بحث اشترك به الباحث في المؤتمر العلمي الاول لجمعية المؤرخين والاثريين العراقيين.
- (٨٧) ابن الاثير، المصدر السابق، ص ٥٠
- (٨٨) المصدر السابق، ص ٥١ - ٥٧
- (٨٩) المصدر السابق، ص ٥٩
- (٩٠) المصدر السابق، ص ٦١
- (٩١) المصدر السابق، ص ٦٣
- (٩٢) المصدر السابق
- (٩٣) المصدر السابق، ص ٦٤
- (٩٣) المصدر السابق
- (٩٥) المصدر السابق، ص ٦٥
- (٩٦) المصدر السابق، ص ٦٦ - ٧٠
- (٩٧) المصدر السابق، ص ٧٠ - ٧٦

- (٩٨) المصدر السابق، صص ٧٦ - ٧٩
- (٩٩) المصدر السابق، صص ٧٩ - ٨٢
- (١٠٠) للتفاصيل أنظر، المصدر السابق، صص ٨٣ - ٨٤
- (١٠١) المصدر السابق، صص ٨٤ - ٨٧ التفاصيل كاملة
- (١٠٢) المصدر السابق، ص ٨٧
- (١٠٣) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ٨٨ - ٩٠
- (١٠٣) المصدر السابق، ص ٩٠
- (١٠٥) المصدر السابق، ص ٩١
- (١٠٦) المصدر السابق، صص ٩٤ - ٩٥
- (١٠٧) المصدر السابق، صص ٩٥ - ٩٨
- (١٠٨) المصدر السابق، صص ٩٨ - ١٠١
- (١٠٩) المصدر السابق، ص ١٠٩
- (١١٠) المصدر السابق
- (١١١) المصدر السابق، ص ١١٠ مابين قوسين كبيرين من عندنا
- (١١٢) المصدر السابق، ص ١٠٩
- (١١٣) المصدر السابق، ص ١٠١
- (١١٣) المصدر السابق
- (١١٥) المصدر السابق
- (١١٦) للتفاصيل راجع، المصدر السابق ص ١١٢
- (١١٧) المصدر السابق
- (١١٨) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ١١٣ - ١١٤
- (١١٨) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ١١٦ - ١٣٧
- (١٢٠) التفاصيل، المصدر السابق، صص ١٣٧ - ١٣٩
- (١٢١) المصدر السابق، ص ١٣٩
- (١٢٢) التفاصيل، المصدر السابق، صص ١٣٩ - ١٤١
- (١٢٣) المصدر السابق، ص ١٤٢
- (١٢٤) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ١٤٨ - ١٦٣
- (١٢٥) للتفاصيل، المصدر السابق، صص ١٦٤ - ١٦٥
- (١٢٦) للتفاصيل، المصدر السابق، صص ١٦٧ - ١٦٨
- (١٢٧) التفاصيل، المصدر السابق، صص ١٦٩ - ١٧٠
- (١٢٨) المصدر السابق، صص ١٧١ - ١٧٢
- (١٢٩) المصدر السابق، صص ١٧٣ - ١٧٤

- (١٣٠) المصدر السابق، صص ١٧٤ - ١٧٥
- (١٣١) المصدر السابق، صص ١٧٥ - ١٧٦
- (١٣٢) المصدر السابق، صص ١٧٧ - ١٧٨
- (١٣٣) المصدر السابق، صص ١٧٨ - ١٧٩
- (١٣٤) المصدر السابق، صص ١٨٥ - ١٨٧
- (١٣٥) المصدر السابق، ص ١٨٨
- (١٣٦) المصدر السابق، صص ١٨٨ - ١٩١
- (١٣٧) المصدر السابق، صص ١٩٢ - ١٩٤
- (١٣٨) التفاصيل، المصدر السابق، صص ٢٠٠ - ٢٠٦
- (١٣٩) المصدر السابق، صص ٢٠٦ - ٢١٠
- (١٤٠) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ٢١٠ - ٢١٥
- (١٤١) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ٢١٦ - ٢٢٢
- (١٤٢) المصدر السابق، صص ٢٢٢ - ٢٢٣
- (١٤٣) المصدر السابق، صص ٢١٣ - ٢٢٦
- (١٤٤) المصدر السابق، صص ٢٢٩ - ٢٣٠
- (١٤٥) المصدر السابق، صص ٢٣٠ - ٢٣١
- (١٤٦) المصدر السابق، ص ٢٣٢
- (١٣٧) المصدر السابق، صص ٢٣٢ - ٢٣٤
- (١٤٨) المصدر السابق، صص ٢٣٤ - ٢٣٨
- (١٤٩) للتفاصيل راجع، المصدر السابق، صص ٢٣٩ - ٢٥٣
- (١٥٠) المصدر السابق، صص ٢٥٥ - ٢٦٠
- (١٥١) المصدر السابق، صص ٢٦١ - ٢٦٦
- (١٥٢) المصدر السابق، صص ٢٦٦ - ٢٦٨
- (١٥٣) المصدر السابق، صص ٢٧٦ - ٢٨٢
- (١٥٤) المصدر السابق، ص ٢٨٣
- (١٥٥) المصدر السابق، صص ٢٨٣ - ٢٨٣
- (١٥٦) المصدر السابق، صص ٢٨٥ - ٢٨٦
- (١٥٧) المصدر السابق، صص ٢٨٦ - ٢٩٠
- (١٥٨) المصدر السابق، صص ٢٩٣ - ٣٠٠
- (١٥٩) المصدر السابق، ص ٣٠٠
- (١٦٠) المصدر السابق، ص ٣٠١
- (١٦١) المصدر السابق، صص ٣٠٢ - ٣٠٣

- (١٦٢) المصدر السابق، ص ٣١٧
- (١٦٣) المصدر السابق، ص ٣١٧ - ٢٢٣
- (١٦٤) تلتقي وجهة نظرنا مع رأى د. عبدالعزيز الدورى: المصدر السابق، ص ٧ الرأى الذي يذهب، «ان ننظر الى التاريخ بذهن مفتوح وان نحاول استقراره للتوصل الى النتائج وهذه حالة لا تفترض ذهنياً خالياً تماماً، بل أن الانسان جزء من مجتمع له مشاكله وثقافته وتياراته، وارثه الحضارى وهذه كلها تؤثر في تفكير المؤرخ، ولعلها تكون لديه بعض الفرضيات والمفاهيم العامة.»
- (١٦٥) أنظر، محمد جلوب فرحان، مقدمة في دراسة تأسيس منطقي لعلم الفقه عند (ابن رشد) بحث مقبول للنشر في العدد الخامس من مجلة التربية والعلم، كلية التربية في جامعة الموصل.
- (١٦٦) ابن الاثير، المصدر السابق، ص ٣٠
- (١٦٧) المصدر السابق
- (١٦٨) ومن الجدير بالذكر قد ارتبطت الطريقة الاستقرائية في التاريخ بـ«لامبرخت» الذي عرض هذه الطريقة عام ١٨٠٣، والحقيقة نقول إنه حاول في الاخير تحويل «نظريته الاستقرائية الى نظرية استنباطية».
- أنظر، ارنست كاسيرر، في المعرفة التأريخية، ترجمة أحمد حمدى محمود، مراجعة على أدهم، نشر وزارة الثقافة والأرشاد القومي المصرية (بلا تاريخ) ص ص ٩٨ - ١٠٠

مجد الدين بن الاثير
وجهوده في علم غريب الحديث

الدكتور محمود محمد الطناحي
الاستاذ المشارك بقسم الدراسات
العليا العربية كلية اللغة العربية
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجد الدين بن الاثير
وجهوده في علم غريب الحديث

من العلوم التي نشأت حول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: علم غريب الحديث، وقد افرد له الحاكم النيسابورى النوع الثاني والعشرين من علوم الحديث.

قال رحمه الله :

«هذا النوع منه معرفة الالفاظ الغريبة في المتون. وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من اتباع التابعين، منهم مالك والثورى وشعبة، فمن بعدهم»(١). وقد اتسعت دائرة هذا العلم لتشمل ايضا شرح الغريب الوارد في كلام الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم اجمعين.

معنى الغريب :

اورد الامام أبو سليمان الخطابي في مقدمة كتابه «غريب الحديث» كلاما نفيسا في معنى الغريب والغرابة. قال رحمه الله:

«الغريب من الكلام انما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس انما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الاهل، ومنه قولك للرجل اذا نحيت واقصيته: اغرب عني، اى ابعد، ومن هذا قولهم: نوى غربة، اى بعيدة وشاؤ مغرب، وعنقاء مغرب: اى جائية من بعد، وكل هذا مأخوذ بعضه من بعض، وانما يختلف في المصادر، فيقال: غرب الرجل يغرب غربا: اذا تنحى وذهب، وغرب غربة اذا انقطع عن اهله، وغربت .

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨٨ .

الكلمة غرابة ، وغرّبت الشمس غرباً .
ثم ان الغريب من الكلام يقال به على وجهين :
احدهما ان يراد به بعيد المعنى غامضه ، لا يتناوله الفهم الاعن بعد
ومعاناة فكر .

والوجه الآخر : أن يراد به كلام من بعدت به الدار ، ونأى به
المحلّ من شواذ قبائل العرب ، فإذا وقعت الينا الكلمة من لغاتهم استغربناها
وانما هي كلام القوم وبيانهم وعلى هذا ماجاء عن بعضهم ، وقال له
قائل : أسألك عن حرف من الغريب ، فقال : هو كلام القوم ، انما الغريب
انت وامثالك من اللخلاء فيه (١) .

ثم اخذ الخطابي يعلل مجيء الغريب في حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فيقول :

« انه صلى الله عليه وسلم بعث مبلغاً ومعلماً ، فهو لا يزال في كل مقام
يقومه ، وموطن يشهده ، يأمر بمعروف ، وينهى عن منكر ، ويشرع في
حادثه ويفتى في نازلة ، والاسماع اليه مصغية ، والقلوب لما يرد عليها من
قوله واعية ، وقد تختلف عنها عباراته ، ويتكرر فيها بيانه ، ليكون اوقع
للسامعين ، واقرب إلى فهم من كان منهم اقل فقهاً ، واقرب بالاسلام
عهداً ، واولو الحفظ والاتقان من فقهاء الصحابة يرعونها كلها سمعاً ،
ويستوفونها حفظاً ، ويؤدونها على اختلاف جهاتها ، فيجتمع لذلك في القضية
الواحدة عدة الفاظ تحتها معنى واحد ، وذلك كقوله : «الولد للفراس
وللعاهر الحجر» ، وفي رواية أخرى : «وللعاهر الإثلب» ، وقد مرّ بمسامعي
لم يثبت عندي : «وللعاهر الكئبث» .

(١) غريب الحديث ورقة ١٣ - مخطوطة المكتبة السلمانية باستانبول .

وقد يتكلم صلى الله عليه وسلم ، في بعض النوازل ، وبحضرته اخلاط من الناس قبائلهم شتى ، ولغاتهم مختلفة ، ومراتبهم في الحفظ والاتقان غير متساوية ، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره ، او يتعمد لحفظه ووعيه ، وانما يستدرك المراد بالفحوى ، ويتعلق منه بالمعنى ، ثم يؤديه بلغته ، ويعبر عنه بلسان قبيلته ، فيجتمع في الحديث الواحد اذا اشعبت طرقه عدة الفاظ مختلفة ، موجهاً شيئاً واحداً ، وهذا كما يروى ان رجلاً كان يهدى إلى رسول الله كل عام راوية خمر ، فاهداها عام حرمت فقال : انها حرمت ، فاستأذنه في بيعها ، فقال له : ان الذي حرم شربها حرم بيعها .

قال : فما اصنع بها ؟ قال : سنّها في الطحاء . قال : فسنّها . وجاء في رواية أخرى : فهتّها . وفي رواية أخرى : فبعتها ، والمعنى واحد .

ولكثرة ما يرد من هذا ومن نظائره ، يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى : «أعيانا ان نعرف ، او نحصى غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم» . هذا كلام الخطابي ، وقد اورد ابن الاثير كلاماً جيداً عن نشأة علم الغريب ، ودواعي التأليف فيه ، تراه في مقدمة النهاية .

ولا بد من التنبيه الى ان هناك الفاظاً لم تعرف الا في الحديث ، ولم تدر في كلام العرب ولا في اشعارها ، ومن ثم فقد جاء شرح هذه الالفاظ موصولاً بالحديث .

فمن ذلك ما اورده أبو عبيد القاسم بن سلام في تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم : «ماذا في الامرين من الشفاء ، الصبر والثفاء» .

(١) المرجع السابق - ورقة ١٢

قال ابو عبيد :

«يقال ان الثفاء هو الحرف (١) ، والتفسير هو في هذا الحديث ، ولم اسمعه في غير هذا الموضع ، وقد رويت أشياء في مثل هذا لم نسمعها في اشعارهم ، ولا في كلامهم ، الا ان التفسير في الحديث ، منه قوله : «انه نهى عن كسب الزمارة» وتفسيره في الحديث : الزانية ، ومنه حديث سالم بن عبد الله : «انه مر به رجل معه صير ، فذاق منه ثم سأله : كيف يبيعه «تفسيره في الحديث «انه الصحناء» (٢) .

وكذلك حديثه الآخر : «من اطع من صير باب ففقت عينه فهي هدر» فتفسيره في الحديث ان الصير هو الشق في الباب .

ومن ذلك حديث عمر رضي الله عنه ، حين سأل المفقود الذي كانت الجن استهوته : «ما كان شرابهم ؟ فقال : الجدف» ، وتفسيره في الحديث انه مالا يغطى . ويقال : انه نبات يكون باليمن ، لايحتاج الذي يأكله إلى ان يشرب عليه الماء . وفي هذا احاديث كثيرة» (٣) .

وقال ابو عبيد في تفسير هذا الحديث مرة أخرى : «قوله في تفسير «الجدف» لم اسمعه الا في هذا الحديث ، وما جاء الا وله اصل ، ولكن ذهب من كان يعرفه، ويتكلم به، كما قد ذهب من كلامهم شيء (كثير) (٤) .
وانبّه هنا ايضاً الى ان اهل الحديث يختلفون احياناً في ضبط بعض الكلمات عن اهل اللغة ، وقد رأيت من ذلك شواهد عدة ، اكتفى منها باختلافهم في دال «دومة الجندل» فأهل اللغة يضمون الدال من «دومة» واصحاب الحديث يفتحونها (٥) .

(١) بضم الحاء المهملة، وسكون الراء، وهو حب معروف. ويسمى حب الرشاد .

القاموس (حرف) وانظر الفائق ١٦٨/١

(٢) هو ادم يتخذ من السمك الصغار، مصلح للمعدة. القاموس (صحن)

(٣) غريب الحديث ٤١/٢

(٤) المرجع السابق ٣/٣٨١، وانظر الغريبين ١/٣٢٩، وانظر أيضاً غريب الحديث لابي عبيد

. ٢٢٧/٢

(٥) منال الطالب ٦٥/١

وايضا اختلافهم في ضبط الأسماء المختومة بويه ، نحو : سيويه ، ونفظويه ، وراهويه « فالغويون يضبطون كل ماورد من ذلك بفتح الحرف الذي قبل الواو ، والمحدثون يضمونه . قال السيوطي في ترجمة «نفظويه» وذكر هذا الخلاف : هذا اصطلاح لاهل الحديث ، في كل اسم بهذه الصيغة ، وانما عدلوا إلى ذلك ، لحديث ورد : ان «ويه» اسم شيطان ، فعدلوا عنه كراهة له « (١) .

وقد وقفت على نص لابني عبيد القاسم بن سلام ، يصرح بهذه التفرقة بين لغة أهل الحديث ، وأهل اللغة :

وهذا النص اورده الحافظ أبو موسى المدني الأصبهاني ، في مقدمة كتابه المغيث في غريب القرآن والحديث (مخطوطة مكتبة فيض الله افندي باستانبول) .

يقول أبو موسى « وروى لنا عن أبي عبيد ، باسناد لم يحضرنى في الحال ، قال : لاهل الحديث لغة ، ولاهل العربية لغة ، ولغة أهل العربية أقيس ، ولابد من اتباع لغة أهل الحديث » .
ومن هنا تأتي أهمية كتب غريب الحديث في الدرس اللغوي ، إلى ما تضمنه هذه الكتب من لغات القبائل ولهجاتها .

بدايات التأليف في غريب الحديث

يكاد الأجماع ينعقد على أن اول من صنف في غريب الحديث : هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، التيمي بالولاء المتوفى سنة (٢١٠) ، الا ماذهب اليه الامام أبو عبدالله الحاكم النيسابورى ، فانه ذكر ان أول من صنف في غريب الحديث : الضر بن شميل ، المتوفى سنة (٢٠٣) ، قال الحاكم : « فاول من صنف الغريب في الإسلام الضر بن شميل ، له فيه كتاب ، هو عندنا بلا سماع » (٢) .

(١) بغية الوعاة ٣٢٨/١ ، وانظر معجم الادباء ٢٥٥/١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٨٨ ، وانظر مقدمة تحقيقي للنهاية ، ومثال الطالب .

بن المثنى كما روى . وفي ذلك الزمان صنف ايضا في غريب الحديث : محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة (٢٠٦) ، والا صمعي ، عبدالملك بن قريب المتوفى سنة (٢١٦) ، وشمر بن حمرويه المتوفى سنة (٢٥٥) ، وغير هؤلاء من علماء ذلك القرن . لكن هذه الكتب على كثرة عددها اذا حصلت كان مالها كالكتاب الواحد ، كما يقول الخطابي (١) .

البداية الحقيقية للتصنيف في غريب الحديث جاءت على يد الامام الجليل ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بمكة ام القرى سنة (٢٢٤) . لقد احتشد أبو عبيد لهذا العمل احتشادا عظيماً ، وروى عنه أن قال : « مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت استفيد الفائدة من افواه الرجال فاضعها في موضعها من الكتاب ، فاييت ساهرا فرحا مني بتلك الفائدة (٢) » .

مناهج المؤلفين في غريب الحديث :

اختلفت مصنفات العلماء في هذا العلم شرعة ومنهاجا : فقد عمد بعضهم إلى شرح ما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الغريب ، جملة ، ثم قفى بشرح غريب احاديث الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وعلى ذلك جاءت الكتب الرائدة في هذا الفن ، وهي كتب ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤) وابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) وابي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة (٣٨٨) . وهذه الكتب الثلاثة عمدة هذا الفن ، وقد دارت دورانا عظيما في كتب المتأخرين .

وفريق ثان انتزع الاحاديث المشتملة على الغريب ، ونسقتها على حروف المعجم ثم شرحها وفق الحروف الهجائية ، وهذه الطريقة أقرب تناولا ،

(١) غريب الحديث . ورقة ٤

(٢) المرجع السابق . ورقة ١٣ ، ووفيات الاعيان ٦١/٤

وأيسر سبيلا ، ثم هي اجدى نفعا في الدراسات اللغوية ، حيث تفيد في تتبع اللفظ ، ومعرفة دورانه وتطوره الدلالي .

ومن هذه الكتب : الغريين لابي عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة (٤٠١) والفائق (١) لجارالله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨) . ثم (النهاية) لصاحبنا مجد الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦) . وطائفة ثالثة جردت احاديث بعينها ، وافردتها بالشرح ، من ذلك صنيع ابي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨) حين شرح حديث السيدة عائشة في صفة ابيها ابي بكر الصديق ، رضى الله عنهما (٢) .

وهذه ايضا كتاب «بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد» (٣) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة (٥٤٤) .

ويمثل كتاب « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » لصاحبنا مجد الدين بن الأثير ، منهجا رابعا من مناهج التصنيف في غريب الحديث ، وهو جمع وشرح الأحاديث الطويلة . المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين . وبعد : فهذه لمحة موجزة عن علم غريب الحديث : معناه ، وبدايات التأليف فيه ، ومناهج المؤلفين لكتبه . وضعتها بين يدي حديثي عن ابن الاثير ، وجهوده في هذا العلم .

ولقد تجلّى نشاط ابن الاثير في علم الغريب في كتابين « النهاية في غريب الحديث والاثار » . و« منال الطالب في شرح طوال الغرائب » . بالإضافة

(١) في طريقة الزمخشري في ترتيب الاحاديث بعض العسر ، وقد اشرت إلى ذلك في مقدمة تحقيقي لكتاب منال الطالب ص ٥ .

(٢) نشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، بالمجلد السابع والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٣) نشر هذا الكتاب بالرباط ، بالمغرب الاقصى سنة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، ونشر معه تفسير الحافظ السيوطي للحديث نفسه

الى مانثره في كتابه الكبير «جامع الاصول في احاديث الرسول» . وكتابه «الشافى في شرح مسند الشافعى» . ويأتى الحديث عن الغريب في هذه الكتب ان شاء الله .

اما «النهاية» فهي اشهر كتاب ، وأسير مصنف في علم غريب الحديث وقد عرف ابن الاثير بها ، وانتسب اليها . يقول القائل في ابناء الاثير الثلاثة :
وبنو الأثير ثلاثة

قد حاز كل مفتخر

فمؤرخ جمع العلو

م وآخر ولي الوزر

ومحدث كتب الحديث.....

ث لسه النهاية في الاثر (١)

وقد رزقت «النهاية» الحظوة والقبول عند الناس ، فغطت شهرتها على ماسبقها من تصنيف ، واعجزت من اتى بعدها من المصنفين ، فاقصرت جهودهم على الاختصار والتذليل .

لقد انتهى الى ابن الاثير حصاد طيب ، في شرح غريب الحديث ، افاد منه واربى عليه ، وجمع واستقصى ، ولم تند عنه الا احاديث يسيرة يأتي الكلام عليها .

وترى في صدر «النهاية» مقدمة نفيسة ، تكلم فيها ابن الاثير عن نشأة علم غريب الحديث ، وبدايات التأليف فيه ، ومراحل نموه وتطوره ، ومناهج المصنفين فيه وطرائقهم ، ناقلا من كلام هؤلاء المصنفين ما يبين عن منهجهم ، ناقدا لهم ، كاشفا عن مواطن القوة والضعف عندهم ، وهو بذلك الصنيع يدل على المفيد من هذه الكتب ، فاذا صعب عليك جمعها كلها ، سهل عليك ان تختار بعضها ، لتجد فيه مقنعا وبلاغا .

(١) الاول هو عز الدين ، صاحب الكامل ، واللباب ، والثاني هو ضياء الدين ، صاحب المثل السائر . والثالث مجد الدين صاحبنا . وانظر مقدمة تحقيقي لمنال الطالب .

وقد نظر ابن الاثير في مناهج من سبقوه ، ثم اختار منها منهج ابي
عبيد الهروي ، وابي موسى المدني الاصبهاني ، من حيث ايراد المواد
اللعوية ، وترتيبها وفق الحرف الاول والثاني والثالث . ثم انه ادار كتابه
«النهاية» على هذين الكتابين ، فجعل الحرف (هـ) علامة النقل عن الهروي ،
والحرف (س) علامة النقل عن ابي موسى .

قال رحمه الله : «سلكت طريق الكتابين ، في الترتيب الذي اشتتملا
عليه ، والوضع الذي حوياه ، من التقفية على حروف المعجم ، بالتزام الحرف
الأول والثاني من كل كلمة ، واتباعها بالحرف الثالث منها ، على سياق
الحروف ، الا اني وجدت في الحديث كلمات كثيرة ، في اوائلها حروف
زائدة ، قد بنيت الكلمة عليها ، حتى صارت كأنها من نفسها ، وكان يلتبس
موضعها الاصلي على طالبها لاسيما واكثر طلبة غريب الحديث ، لا يكادون
يفرقون بين الاصلي والزائد ، فرأيت ان اثبتها في باب الحرف الذي هو
في اولها ، وان لم يكن اصلياً ، ونهت عند ذكره على زيادته ، لئلا يراها
احد في غير بابها ، فيظن اني وضعتها فيه للجهل بها ، فلا انسب إلى ذلك
ولا اكون قد عرضت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن» (١) .

هذا منهج ابن الاثير ، وتلك سبيله ، التزم الترتيب وفق الحرف الاول ،
والثاني والثالث ، ثم اورد الكلمات على ظاهر لفظها ، دون ان يجردها
من الزيادة ، طلباً ليسر والسهولة ، واتقاءً للسهو او الغفلة .

ويظهر اثر هذا المنهج واضحاً في (باب الهمزة) ، وهو اول ابواب
الكتاب . وابن الاثير حريص على ان يذكر اصل الكلمة ، بعد ان يوردها
على ظاهر لفظها ، فقد ذكر كلمة «حدة» في باب الحاء والذال : قال في
شرح حديث جابر - رض - ودفن أبيه : «فجعلته في قبر على حدة» :
أي منفرداً وحده . قال : «واصلها من الواو ، فحذفت من اولها ، وعوض

عنها الهاء في آخرها ، كعدة ، وزنة ، من الوعد ، والوزن (١)». وكانما احس ابن الاثير احيانا بان النص على اصل الكلمة ، حين يذكرها على ظاهر لفظها ، لا يعني عن وضعها في حق موضعها ، فذكرها مرتين : مرة على ظاهر اللفظ ، ومرة على حق اللفظ :

فمثلاً ذكر في مادة (أبيض) (٢) حديث «ان النبي صلى الله عليه وسلم بال قائما لعة بمأبضيه» : المأبض : باطن الركبة هاهنا ، وهو من الاباض الحبل الذي يشد به رسغ البعير الى عضده ... وسيجيء في حرف الميم « . وقد اعاده على ظاهر لفظه ، في باب الميم مع الهمزة (مأبض) (٣) . وكذلك (الافكل) ذكره في باب الهمزة مع الفاء ، على ظاهر لفظه ، ثم اعاده في باب الفاء مع الكاف ، وهو حق موضعه (٤) .

ولم يلتزم ابن الاثير هذا المنهج تماما في ابواب الكتاب ، فمثلا ذكر حديث علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه «زعم ابن النابغة اني تلعب بتمراحة» ذكر هذا الحديث في مادتي (تلعب - تمرح) على ظاهر لفظه ، ثم اعاد ذكره في (لعب) وهو حق لفظ «تلعب» ، لكنه لم يعده في (مرح) على حق لفظ «تمراحة» بل هو لم يذكر مادة (مرح اصلا) (٥) .

والحديث اورده ابن منظور في اللسان ، مادة (مرح) ، وذكر ان ابن الاثير اتى به في حرف التاء ، حملا على ظاهر لفظه . وقد خالف ابن الاثير منهجه في ايراد المواد على ظاهر لفظها ، وذلك حين شغل بالكلام على التصريف ، قال في باب الذال مع الخاء

(١) النهاية: (حدة) ٣٥٥/١ ، وانظر ايضاً هذا المنهج: (ابرز) ١٤/١ ، (تنر) ١٨١/١ ، (تجف) ١٨٢/١ ، (فج) ١٨٣/١ ، (ترث) ١٨٦/١ ، (تلعب - تمرح) ١٩٤/١ ، ١٩٦ .

(٢) النهاية ١٥/١

(٣) النهاية ٢٨٨/٤

(٤) النهاية ٥٦/١ ، ٤٦٦/٣

(٥) النهاية ١٩٤/١ ، ١٩٦ ، ٢٥٢/٤

المعجمتين : «وفي حديث اصحاب المائدة : امروا ان لا يدخروا فادخروا» .
قال : هذه اللفظة هكذا ينطق بها بالبدال المهملة ، ولو حملناها على لفظها
لذكرناها في حرف الدال ، وحيث كان المراد من ذكرها معرفة تصريفها ،
لامعناها ، ذكرناها في حرف الدال ، واصل الادخار اذخار ، وهو
افتعال من الذخر (١) ثم اخذ في ذكر ما عرض لهذه الكلمة من تغييرات
صرفية .

وقد يعد من مخالفة المنهج ايضاً ذكره لكلمة (جمعم) (٢) بعد
(جمل) وقبل (جسم) ، وحقها ان تسبق جميع ما تقدمها من المواد ، وتأتي
في اول كلمات الجيم مع الميم .

هذا ، وقد بالغ ابن الأثير احياناً في ايراد المواد على ظاهر لفظها ،
حتى انه اعتبر كاف التشبيه مع «ما» كلمة واحدة ، وذكرها في آخر
(باب الكاف مع الميم) وشرح عليها حديثين ، الاول : «من حلف بملة
غير ملة الاسلام كاذباً فهو كما قال» ، ثم قال في شرحه : هو ان يقول
للانسان في يمينه : ان كان كذا وكذا فانا كافر او يهودي ، او نصراني ،
او برىء من الاسلام ، ويكون كاذباً في قوله ، فانه يصير إلى ماقاله من
الكفر ، وغيره . وهذا وان كان يعتقد به يمين عند ابي حنيفة ، فانه لا يوجب
فيه الا كفارة اليمين ، واما الشافعي فلا يعده يميناً ، ولا كفارة فيه عنده .

والحديث الثاني ، هو حديث الرؤية ، ونصه : «فانكم ترون ربكم
كما ترون القمر ليلة البدر» . قال : قد يخيل إلى بعض السامعين ان الكاف
كاف التشبيه للمرئي ، وانما هي للرؤية ، وهي فعل الرائي ، ومعناه انكم
ترون ربكم رؤية يتزاح معها الشك ، كرويتكم القمر ليلة البدر ، لا ترتابون
فيه ، ولا تمترون .»

(١) النهاية ١٥٥/٢

(٢) النهاية ٢٩٩/١

ثم قال : وهذا الحديث ، والذي قبله ، ليس هذا موضعهما ، لأن الكاف زائدة على «ما» ، وانما ذكرناهما لاجل لفظهما» (١) .
وواضح ان هذا الكلام كله انما هو شرح معنى وحكم ، لا شرح لفظ ولغة .

هذا ، وقد تابع ابن منظور ابن الأثير ، في ذكر هذين الحديثين ، في مادة «كمى» من اللسان» (٢) ، ثم قال : «وذكرهما ابن الأثير لاجل لفظهما، وذكرناهما نحن حفظاً لذكرهما ، حتى لانخل بشيء من الاصول» .
وايضاً فقد ذكر ابن الأثير ، بعد مادة (ملا) من باب الميم مع اللام ، وقيل مادة (منا) من باب الميم مع النون ، ذكر (مم) واورد فيها حديثاً واحداً ، هو حديث كتابه صلى الله عليه وسلم ، لوائل بن حجر : «من زنى مم بكر ، ومن زنى مم ثيب» ، ثم قال : «اي من بكر ، ومن ثيب ، فقلب النون ميماً ، اما مع «بكر» فلان النون اذا سكنت قبل الباء ، فانها تقلب ميماً في النطق ، نحو عنبر ، وشنباء ، واما مع غير الباء ، فانها لغة يمانية ، كما يدلون الميم من لام التعريف» (٣) .

وقد اورد ابن منظور ، هذا الحديث ، عن ابن الأثير ، في مادة (موم) (٤) وهذا كله - كما قلت من قبل - مبالغة من ابن الأثير ، في ايراد المواد التي على ظاهر لفظها .

وبعد :

فهل يعد ابن الأثير بهذا المنهج سابقاً على المعاصرين من اللغويين ، الذين ينادون بصنع معجم لغوي يراعى ظاهر اللفظ ، ولايرد الكلمات إلى اصولها وذلك تلبية لحاجات العصر ، وطلباً ليسر والسهولة ؟ .

(١) النهاية ٢٠١/٤ ، ٢٠٢ ، وانظر جامع الاصول ٥٥٨/١٠

(٢) اللسان (كمى) ٩٨/٢٠

(٣) النهاية ٣٩٣/٤

(٤) اللسان (موم) ٤٣/١٦

هل استقصى ابن الاثير كل احاديث الغريب ؟

قلت من قبل ان ابن الاثير قد اربى وزاد ، على ما انتهى اليه من مصنفات في غريب الحديث ، لكنني في اثناء عملي في تحقيق « النهاية » وقفت على بعض احاديث نددت عنه ، وبعض مواد اغفلها جملة .

فمن ذلك انه لم يذكر في مادة (جشم) حديث عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه « جشمت اليك عرق القرية » مع ذكره له في مادة (عرق) (١)

وفي مادة (حمت) ذكر « الحميت » وهو كما شرحه : « النحي » والزق الذي يكون فيه السمن ، والرب ، ونحوهما « ، ولم يذكر من احاديثه حديث عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، واثاه رجل يسأله ، فقال له : هلكت وأهلكتُ ، فقال له عمر : اسكت ! أهلكتَ وانت تَنثُ نثيت الحميت ؟ . وقد ذكر ابن الاثير هذا الحديث ، في كتابه « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » ضمن احاديث عمر بن الخطاب .

والعجيب ان ابن الاثير ذكر الحديث ، في مادة (نث) ، وقال في شرحه : « نث الزق ينث ، بالكسر : اذا رشح بما فيه من السمن . اراد اتهلك وجسدك كأنه يقطر دسما » (٢) .

فانت ترى ان الحديث لم يسقط عليه اصلا ، وانما هو قد اغفل ذكره في مادة (حمت) ، وذكره في مادة (نث) مع ان منهجه ان يذكر الحديث في جميع المواد التي تتضمن الغريب .

ومن ذلك ايضا ما اورده السيوطي ، في الدر الثير - وهو تلخيص النهاية - في اخر مادة (دخل) ، قال حكاية عن ابن الجوزي : « في الدخيل صدقة : هو الجاورس » (٣) . انتهى مازاده السيوطي .

(١) النهاية ٢٧٤/١ ، ٢٢٠/٣

(٢) النهاية ٤٣٦/١ ، ١٤/٥

(٣) النهاية ١٠٨/٢ ، وبحاشيته الدر الثير .

والجوارس - بفتح الواو - حب يشبه الذرة ، وهو اصغر منها (١) ومنه ايضا ما ذكره السيوطي ، في آخر احاديث مادة (رجل) ، قال « قال الفارسي : وكان ابليس ثني رجلا . معناه اتكل على ذلك ومال ، طمعا في ان يرحم ، ويعتق من النار » (٢) .

والفارسي هذا : ارجح انه ابو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر ، المتوفى سنة (٥٢٩) ، وله كتاب في غريب الحديث . اسمه : مجمع الغرائب في غريب الحديث (٣) .

وايضا زاد السيوطي في آخر احاديث مادة (رهن) ، قال : « وقال ابن الجوزي في حديث ام معبد » فغادرها رهناً « اي خلف الشاة عندها مرتبهة بان تدر » (٤) .

وفي مادة (سخم) لم يذكر ابن الاثير حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد اورده الهروي في الغريبين : والسيوطي في الدر الثير ، حكاية عن ابن الجوزي ، ونصه كما ذكره الهروي : « في حديث عمر رضي الله عنه ، في شاهد الزور : يسخم وجهه » قال الهروي : اي يسود وقال الاصمعي : السخام : الفحم ، ومنه قيل : سخم الله وجهه . قال شمر : السخام : سواد القدر » (٥) .

وفي مادة (عود) زاد السيوطي ، قال : « وكان له قدح من عيدان يبول فيه » . قال : « بفتح العين المهملة ، وهي النخل الطوال المنجردة : الواحدة عيدانة » (٦) .

-
- (١) المصباح المنير (جرس) .
 - (٢) الدر الثير ، بحاشية النهاية ٢٠٥/٢
 - (٣) انظر مقدمتي لتحقيق النهاية ص ٦
 - (٤) الدر الثير بحاشية النهاية ٢٨٥/٢
 - (٥) الغريبين (سخم) ، والدر الثير ، بحاشية النهاية ٣٥٠/٢ ، وانظر الحديث ايضاً في اللسان (سخم) .
 - (٦) الدر الثير بحاشية النهاية ٣١٨/٣ ، وانظر اللسان (عود - عيد - عدن) .

ورأيت في مادة (نخس) من اللسان، والتاج، حديثاً لم يذكره ابن الاثير في المادة، ونص الحديث: «إِذَا صُبَّ لَبَنُ الضَّأْنِ عَلَى لَبَنِ المَاعِزِ فَهُوَ النَخِيسَةُ» .

وفي مادة (نصح) اسقط ابن الاثير حديثاً، اثبته الهروي، قال في الغريبين: «وفي حديث عبد الرحمن بن عوف، في الشورى، قال: وان جُرْعَةَ شَرُوبٍ أَنْصَحَ لَكُمْ مِنْ عَذْبِ مُوبٍ» ثم حكى الهروي عن الاصمعي قال: اذا شرب دون الري، قال: نصحت الري، بالصاد معجمة فإن شرب حتى يروى، قال: نصحت الري، بالصاد غير معجمة، نصحاً، ونصعت، ونقعت، وقد انصعني، وانقعني» .

وقد ذكر ابن الاثير هذا الحديث، في مادتي (شرب - ريا) برواية «جرعة شروب انفع من عذب موب» و «انفع» بالفاء (١) .
وايضاً لم يذكر في هذه المادة، حديثاً، اشتمل على كلمة منها، وقد اورده في مادة (كبن)، ونصه: «انه امر بفلان وهو ساجد وقد كبن ضنفيديه، وشدهما بنصاح» (٢) .

لم يذكر ابن الاثير هذه الكلمة «نصاح» في مادتها. والنصاح، بكسر النون، بوزن كتاب: الخيط والسلك. ذكره صاحب القاموس .
ولم يذكر في اثناء مادة (سوق) كلمة «السويق» وهو ما يعمل من الحنطة والشعير، وفي الكلمة حديث ذكره صاحب تاج العروس، قال: «وفي الحديث: فلم يجد الا سويقاً فلاك منه» .

هذا، وقد فات ابن الاثير ذكر بعض المواد المشتملة على كلمات من غريب الحديث:

(١) النهاية ٢/٤٥٥، ١٤٥/٥

(٢) النهاية ٤/١٤٥

فمنه ما ذكره السيوطي، في الدر النثير، قال: «وفات المصنف مادة (جرل)، وفي السير، في غزوة الحديبية: «سلك بهم طريقاً وعراً اجرل (اي كثير الحجارة والجرل - بفتحيتين - والجرول: الحجارة» (١). ولم يذكر مادة (حربش)، وفيها حديث اورده في مادة (فشش) قال، بعد ان ذكر ان الفشيش: الصوت: ومنه حديث ابي الموالي: «فاتت جارية، فأقبلت وادبرت، واني لاسمع بين فخذيها من لففها مثل فشيش الحرابش». قال: الحرابش: جنس من الحيات، واحدها: حربش» (٢). وايضاً لم يترجم ابن الاثير لمادة (نفظ) مع مجيء كلمة غريبة منها في حديث حذيفة، اورده ابن الاثير في مادة (نبر)، قال: «وحديث حذيفة: كجمر دحرجته على رجلك فنفظ، فتراه منتبرا» (٣).

لم يشرح ابن الاثير كلمة «نفظ» هذه، بل هو لم يترجم للمادة اصلاً. وقال الامام النووي: «نفظ، بفتح النون وكسر الفاء، ويقال: تنفظ، بمعناه، والتنفط: الذي يصير في اليد من العمل بفأس، او نحوها، ويصير كالقبة فيه ماء قليل» (٤).

ملاحظات اخرى حول منهج ابن الاثير:

درج ابن الاثير، في شرحه للكلمة الغريبة، على ان يشير إلى الرواية الأخرى، سابقة كانت او لاحقة، وكذلك اذا تعددت الروايات، بشرح كل رواية في مكانها، ثم يحيل على بقية الروايات في مواضعها. ولكن مع اتساع مادة الكتاب، وغزارة احاديثه، جاءت مواضع لم يلتزم فيها ابن الاثير هذا المنهج:

- (١) الدر النثير، بحاشية النهاية ٢٦٢/١
- (٢) النهاية ٤٤٨/٣، ومكان هذه المادة الساقطة في ٣٦٨/١، واللف، واللفف: تداني الفخذين من السمن، والمرأة لفاء. النهاية ٢٦١/٣.
- (٣) النهاية ٨/٥، ومنتبرا: اي مرتفعاً.
- (٤) شرح النووي على صحيح مسلم (باب رفع الامانة والايمان من بعض القلوب. من كتاب الايمان ١٦٩/١).

فمن ذلك انه ذكر في مادة (جلا) حديث العقبة: «انكم تباعون محمداً على ان تحاربوا العرب والعجم مجلبة» اي حرباً مجلبة، مخرجة عن الدار والمال .

وهذا الحديث روى من قبل ، في مادة (جلب) : «مجلبة» ، و اشار هناك إلى انه يروى بالياء التحتية ، لكن فاته ان يذكر هنا انه سبق بالياء الموحدة ، وفق منهجه (١) .

ومن ذلك ايضاً ماجاء في مادة (جيش) ، ذكر الحديث : «جاؤا بلحم فتجيشت انفس اصحابه منه «اي غثت» ، وهو من الارتفاع ، كأن مائي بطونهم ارتفع إلى حلوقهم ، فحصل الغثي .

وقد اعاد الحديث في مادة (حيش) ، وقد «تحيشت» اي نفرت ، ثم قال : «ويروى بالجيم ، وقد تقدم» لكنه لم يشر عند ذكره في باب الجيم ، إلى انه سيأتي بالحاء المهملة ، على جاري عادته (٢) .

ومنه ايضاً انه ذكر رواية ، ولم يشر إلى الاخرى ، ذكر في مادة (خبر) : «وفي حديث ابي هريرة : حين لا آكل الخبير» ثم قال : «هكذا جاء في رواية اي الخبز المأدوم ، والخبير ، والخبرة : الادام» (٣) . هذا كلامه ، ولم يشر إلى الرواية الاخرى ، وقد ذكرها الزمخشري ، قال : «وروى الخمير» (٤) .

واشد من كل هذا ، انه ذكر حديثاً في موضعين ، بروايتين مختلفتين ، وسكت عن ذكر الرواية الاخرى في كل موضع :

(١) النهاية ٢٨٢/١ ، ٢٩٠

(٢) النهاية ٣٢٤/١ ، ٣٦٧ ، وانظر ايضاً مثالا لهذه الظاهرة في حديث انس رض الله عنه ، في صفة خميسة النبي صلى الله عليه وسلم ، في المواد (جون - حتك - حوت) ٣١٨/١ ، ٣٣٨ ، ٣٥٦ .

(٣) النهاية ٧/٢ ، وانظر ايضاً مثالا آخر في مادتي (جفا - جفا) ٢٧٧/١ ، ٢٨١ حديث حنين .

(٤) الفائق ٣٥٣/١

وذلك حديث خزيمة بن ثابت السلمي ، في ذكر السنة : تركت
المخ رزاما .

قال ابن الاثير : ان صحت الرواية ، فيكون على حذف مضاف ،
تقديره : تركت ذوات المخ رزاما ، ويكون رزاما جمع رازم « (١) .
انتهى كلامه . والناقة الرازم هي التي لا تتحرك من الهزال .

وقد اعاد الحديث في مادة (ريز) برواية : « تركت المخ رارا » ، ثم
قال في شرحه : « اي ذائبا رقيقا ، للهزال ، وشدة الجذب » (٢) .
ولم يشير ابن الاثير في كلا الموضوعين الى الرواية الاخرى

ولئن كان ابن الاثير - رحمه الله - قد التزم في كتابه كله ، ان
ينتزع من الحديث اللفظة الغربية وحدها ويشرحها ، دون ان يذكر الحديث
كله ، فانه قد اضطرّ في بعض الاحيان ان يجانب هذا المنهج ، حفاظا
على روح الحديث المشروع ومعناه :

قال في اول مادة (خضر) : فيه : ان اخوف ما اخاف عليكم بعدي
ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، وذكر الحديث ، ثم قال : ان الخير
لا يأتي الا بالخير ، وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم ، الا آكلة
الخضر .. الحديث « قال ابن الاثير : هذا الحديث يحتاج الى شرح الفاظه
مجتمعة ، فانه اذا فرق لا يكاد يفهم الغرض منه » . ثم اخذ في شرح
طويل (٣) .

وقال نحو من هذا الكلام في مادة (حبط) ، قال هناك : ولهذا
الحديث شرح يجيء في موضعه ، فانه حديث طويل ، لا يكاد يفهم اذا
فرق « (٤) .

(١) النهاية ٢٢٠/٢

(٢) النهاية ٢٨٨/٢

(٣) النهاية ٤٠/٢

(٤) النهاية ٣٣١/١

لكن فات ابن الاثير - رحمه الله - ان يذكر اين يجيء موضع الشرح المشار اليه ، فان في الحديث الفاظا غريبة كثيرة .

ومما ينبغي التنبيه له انه ليس كل ما في « النهاية » غريبا ، فقد يذكر ابن الاثير الكلمة الواضحة الظاهرة ، لغرض اخر ، غير الغرابة : ذكر في مادة (زبل) ، قال : « في حديث عمر رضى الله عنه ، ان امرأة نشزت على زوجها ، فحبسها في بيت الزبل » : هو بالكسر : السرجين وبالفتح : مصدر زبلت الارض : اذا اصلحتها بالزبل . ثم قال : « وانما ذكرنا هذه اللفظة ، مع ظهورها ، لثلا تصحف بغيرها ، فانها بمكان من الاشتباه » (١) .

ولم يقف ابن الاثير عند حدود الشرح اللغوي لغريب الاحاديث ، فنراه يعني بالتوفيق بين الاحاديث المتعارضة في الظاهر : ومن ذلك توفيقه بين قوله صلى الله عليه وسلم : « كل محدثة بدعة » وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين جمع الناس على قيام رمضان وندبهم اليه : « نعمت البدعة هذه » (٢) .

ومنه التوفيق بين الاحاديث التي جوزت الرقية ، والاحاديث التي نهت عنها (٣) .

ومن ذلك ايضا التوفيق بين قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عني غير القرآن » ، وبين اذنه في كتابة الحديث عنه (٤) .

(١) النهاية ٢/٢٩٤

(٢) النهاية ١/١٠٦ ، ١٠٧

(٣) النهاية ٢/٢٥٤ ، ٢٥٥

(٤) النهاية ٤/١٤٨

وقد ظهرت ثقافة ابن الاثير الفقهية واضحة بينة في « النهاية » فقد عرض لمسائل كثيرة ، من ابواب الفقه ، كالزكاة ، والحدود ، والبيوع وغيرها من المعاملات (١) ثم ذكر شيئا من اختلاف الفقهاء ، كاختلافهم في من يعتق ، من قوله صلى الله عليه وسلم : « من ملك ذا رحم محرم فهو حر » (٢) .

وكاختلاف مالك ، والشافعي ، رضى الله عنهما ، في الصلاة في جلود السباع (٣) ومنه اختلاف ابي حنيفة ، والشافعي ، رضى الله عنهما في تأويل حديث « لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ... » الحديث (٤) .

واختلاف الائمة والفقهاء ، في تفسير التفرق ، في قوله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » (٥) .

ومن هنا فاني احمد الله حمدا كثيرا ان وفقني وأعاني على صنع فهارس للاعلام التي وردت في جميع اجزاء النهاية ، فعن طريق هذه الفهارس يمكن للدارس ان يجمع آراء العلماء ، ومواضع اتفاقهم واختلافهم

وقد اهتم ابن الاثير كثيرا في « النهاية » بمسائل النحو والصرف توجيهها واعرابا ، وكذلك صنع في كتابه « منال الطالب » على ما يأتي ان شاء الله . واشتغال ابن الاثير بالنحو والصرف معروف ، وله في النحو ثلاثة مصنفات : الباهر في الفروق ، والبديع ، وهو شرح فصول ابن الدهان

(١) النهاية ١/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١٦ ، ٢٠/٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٣ ، ٢٠١ ، في المواد (حضر

حقل - خرج - خلط - رجع) .

(٢) النهاية ٢/٢١٠ ، ٢١١ (رحم)

(٣) النهاية ٢/٣٣٧ (سمع)

(٤) النهاية ٣/٣٢٥ (عهد)

(٥) النهاية ٣/٤٣٨ (فرق)

وتهذيب فصول ابن الدهان (١)

ومع عناية ابن الاثير بالنحو ، وتوجيه بعض مسائله في النهاية : فقد زوى حديثا على وجه مخالف لما عليه جمهور النحاة ، ولم ينص على تلك المخالفة :

وذلك ما أورده في مادتي (جوب - نمر) : «فجاءه قوم مجتأبي النمار» (٢). ووجه مخالفة هذا لما عليه جمهور النحاة انه أتى بالحال ، وهو «مجتأبي» من النكرة ، وهي «قوم». والحال لا تأتي من النكرة الا بوجود مسوغ ، على ما هو مبسوط في كتب النحو (٣) ، ولا وجود لمسوغ في هذه الرواية . وجاءت الرواية في الفائق : «ج» جاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النمار أزرا بينهم عامتهم من مضر ... » قال الزمخشري : «أزرا بينهم : انتصابه على الحال من الضمير في «عراة»، وجعله حالا من «قوم» غير ضعيف ، لانه موصوف » (٤) .

ومثل ذلك جاءت الرواية بوصف النكرة ، في جامع الاصول ، للمؤلف بلفظ «فجاءه قوم عراة مجتأبي النمار»، وصحيح مسلم ، ومسنند احمد بن حنبل (٥) .

ولعله من المفيد ان اشير إلى قصة طريفة ، حول هذا الحديث ، بين قاسم بن اصبيغ ، وبكر بن حماد التاهرتي ، أوردها القرطبي ، في تفسيره ،

(١) راجع مقدمتي لتحقيق النهاية ، ومنال الطالب .

(٢) النهاية : ٣١٠/١ ، ١١٨/٥

(٣) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٦٣٣/١ ، وقد اجاز بعض النحاة مجيء الحال من النكرة مع عدم وجود المسوغ . واستدلوا على ذلك بحديث : صلى الله عليه وسلم قاعداً ، وصلى وراءه رجال قياما .

(٤) الفائق ٢٤٣/١

(٥) جامع الاصول ٤٥٧/٦ ، وصحيح مسلم (باب الحديث على الصدقة ، من كتاب الزكاة) ص ٧٠٥ ، ومسنند احمد ٣٥٨/٤ ، (من حديث جرير بن عبد الله البجلي) ويلاحظ ان هنالك رواية أخرى في صحيح مسلم ص ٧٠٦ تتفق مع رواية ابن الاثير في النهاية .

وحكاها عنه المقري ، في نفع الطيب (١) . فاطلها في هذين الكتابين .
بعض مآخذ في النهاية :

استشهد ابن الأثير كثيراً ، بأمثال العرب ، واقوالها الحكيمة ، على ما أورده من شروح لغوية . لكنه رحمه الله ، وهم ، حين أورد بعض الأمثال على أنه حديث : قال في مادة (خلب) : «ومنه الحديث» : إذا لم تغلب فاخلب» ، أي إذا اعميك الأمر مغالبة فاطلها مخادعة» (٢) .

ولاشك أن هذا سهو من ابن الأثير رحمه الله ، فمحال أن يصدر هذا الكلام عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو المبعوث ليتسم مكارم الاخلاق — ويبعد أيضاً أن يقوله واحد من الصحابة أو التابعين رضوان الله عليهم اجمعين .

ولا يصح أن يقال : لعل مراد ابن الأثير بالحديث مطلق القول ، فليس هذا اصطلاحه ، كما ذكره في مقدمة النهاية .

وقد نص الهروي في الغريبين ، على أن هذا الكلام مثل ، وكذلك جاء في لسان العرب ، وتاج العروس ، وعليه جاء في كتب الأمثال (٣) . وقال أبو هلال في شرحه : «معناه إذا لم تترك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلها بالرفق والمدارة ، وأصل الخلابة : الخداع ، ومنه قيل : برق خلب : إذا ومض من غير مطر ، كأنه يخدع الشائم ، وبه سميت المرأة خلوباً .

قال : وله وجه آخر : وهو أن يريد : إذا لم تغلب عدوك بجلدك وقوتك : فاخدعه وامكر به ، فإن المماكرة في الحرب ابغ من المكاثرة والجلد» (٤) .

(١) تفسير القرطبي ٢٨٧/١ ، في تفسير قوله تعالى : (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) سورة البقرة ، آية ٣٢ ونفع الطيب ٤٨/٢ ، في ترجمة قاسم بن أصبغ

(٢) النهاية ٥٩/٢

(٣) راجع الأمثال لابن عبيد ص ١٥٦ ، وجمهرة الأمثال ٦٦/١ ، وجمع الأمثال ٣٣/١

(٤) الموضوع السابق من جمهرة الأمثال .

ومن المآخذ على ابن الأثير ، ما ذكره في مادة (زبا) ، قال : «فيه انه نهى عن مزابي القبور» . وقال في شرحه : «هي ما يندب به الميت ، ويناح به عليه ، من قولهم : ما زباهم إلى هذا ؟ اي مادعاهم ؟ . وقيل : هي جمع مزبأة ، من الزبية ، وهي الجفرة ، كأنه . والله اعلم - كره ان يشق القبر ضريحاً ، كالزبية ولا يلحد .

ويعضده قوله : «اللحد لنا والشق لغيرنا» ، وقد صحفه بعضهم فقال : عن مرثي القبور» (١) .

قال السيوطي : «المصنف انعكس عليه الامر ، فان الاول التصحيف ، والثاني هو المحفوظ ، كذا ذكره الخطابي ، والفارسي ، قالوا : وانما كره من المرثي النياحة على مذهب الجاهلية» (٢) .

والامر على ما قال السيوطي ، في غريب الحديث للخطابي :

قال الخطابي رحمه الله في شرح الحديث : «المزابي ان كانت محفوظة ، فاني لا اعلمها الا من الزبية ، قال ابو زيد : الزبية : بئر تحفر للاسد في رابية ، لا يعلوها الماء ، كره - والله اعلم - ان يشق القبر ضريحاً كالزبية ، لا يلحد ، وهذا كقوله : «اللحد لنا والشق لغيرنا» . وما ارى هذا محفوظاً ، فقد حدثنا احمد بن ابراهيم ابن مالك ، حدثنا بشر ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا ابراهيم بن مسلم الهجري ، عن ابن ابي اوفى ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن المرثي ، فأرى هذا ذلك بعينه ، صحفه بعض الرواة» (٣) .

ومن سهوه رحمه الله ، ما ذكره في شرح «لهبرة» الواردة في الحديث : «لاتزوجن لهبرة» ، حيث قال : «هي الطويلة الهزيلة» (٤) .

(١) النهاية ٢/٢٨٥

(٢) الدر الثبير، بحاشية الموضوع السابق من النهاية

(٣) غريب الحديث - مخطوطة المكتبة السلمانية باستانبول - ورقة ٢٤٣

(٤) النهاية ٤/٢٨٠

وتابعه على هذا صاحب اللسان (١) . والذي في القاموس ، والفائق
ان الهبرة : القصيرة الدميمة (٢) .

اما قول ابن الاثير : الطويلة الهزيلة «فهو شرح» الهبرة» ، كما
في الفائق ، وكما ذكره المصنف في مادة (نهر) (٣) .

ومما غفل عنه ، رحمه الله ، ما اورده في باب اللام مع الباء ،
قال: وفي حديث الزبير: «اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبة»
قال ابن الاثير: «هو اسم موضع بالحجاز، وقد تقدم في اللام والواو» (٤).

هذا قوله، ولم تتقدم «لبة» في هذا الموضع الذي اشار اليه، ولم اجدها
الا عرضا في موضعين، في اثناء مادة (بحر) ومادة (نخب) (٥) .

هذا، وقد ازم ابن الاثير نفسه بمنهج الايجاز والاختصار، ولكن
هذا الايجاز قد اخذ عليه، ومن الايجاز ما يكون مخلا بالمعنى المراد .

قال في مادة (جبه) : «في حديث الزكاة»: ليس في الجبهة صدقة»

الجبهة: الخيل، وقال ابو سعيد الضرير قولاً فيه بعد وتعسف» (٦) .

وقد اخذ السيوطي على المصنف انه لم يبين هذا القول الذي قاله ابو
سعيد الضرير. وقد نقلت ما قاله ابو سعيد في حواشي تحقيقي على النهاية(٧).

ومما يتصل بالاخلال ما وجدته من بياض في اثناء مادة (ورع) في
تفسير الحديث: «ملاك الدين الورع». قال رحمه الله: الورع في الأصل:

(١) اللسان (هبر) آخر مادة في الجزء السادس. ولم يذكر ابن منظور في المادة غير هذا الحديث
وشرحه .

(٢) الفائق ٢/٢٧٢

(٣) الموضوع السابق من الفائق، والنهاية ١٣٣/٥

(٤) النهاية: ٤/٢٨٧

(٥) النهاية: ١/١٠٠٠ ، ٥/٣١

(٦) النهاية: ١/٢٣٧

(٧) الدر النثير بحاشية النهاية-الموضوع السابق- وانظر الغريين ١/٣١٥

الكف عن المحارم، والتخرج منه ... ثم استعير للكف عن المباح والحلال،
وينقسم إلى (١)

وهنا وقف الكلام في جميع نسخ النهاية المخطوطة التي وقفت عليها،
وكذلك جاء في الطبعة العثمانية من النهاية، وهي من ادق الطباعات قبل طبعتي،
وقال مصححها اجزل الله له الثواب: «هكذا بياض في جميع النسخ».
وفيما نقله ابن منظور في اللسان عن النهاية، وقف الكلام هناك عند
كلمة «والحلال».

وقد كنت كتبت في تحقيقي على هذا الموضوع ما صورته: «والحديث
وان كان في كتاب ابي موسى، كما رمز اليه المصنف، الا اني لم اجد هذا
الشرح في كتاب ابي موسى، المسمى المغيث في غريب القرآن والحديث»
المحفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، برقم (٥٠٠) حديث).
موارد ابن الاثير في النهاية:

قلت من قبل انه قد انتهى إلى ابن الاثير، حصاد طيب في شرح غريب
الحديث، وقد نظر ابن الاثير في هذا الذي انتهى اليه، وافاد منه كثيراً.
وفي المقدمة النفيسة التي صدر بها كتابه «النهاية» وتكلم فيها فيما تكلم
عن مناهج المصنفين في غريب الحديث: يتضح اجلاله لمصنفات هؤلاء
الائمة دون غيرها من المصنفات، واعني مصنفات: ابي عبيد القاسم بن سلام،
وابن قتيبة، والخطابي، والهروي، والزمخشري، والحافظ ابي موسى المديني
الاصبھاني.

وقد صرح ابن الاثير نفسه، بانه ادار كتابه «النهاية» على كتابي ابي
عبيد الهروي، وابي موسى المديني. ولكنني بعد طول معايشة ومدارسة لكتب
الغريب، ولكتابي ابن الاثير «النهاية» و «منال الطالب» ظهر لي أن ابن
الاثير، رحمه الله، قد عول كثيراً على الخطابي، والزمخشري، ويتضح

هذا من المواضع التي ذكر فيها اسم هذين العالمين الجليلين ، وقد احصيتها .
عدداً في فهرس الأعلام ، الذي صنغته مع ما صنعت من فهارس للنهاية .
وفيما وراء ذلك رأيت يعول عليهما كثيراً دون أن يصرح بالنقل عنهما . وقد
ظهر لي ذلك بالنسبة للخطابي ، حين عهد إلى مركز البحث العلمي ، بكلية
الشريعة ، بمكة المكرمة ، بمراجعة الجزء الأول من كتابه « غريب الحديث »
وقد رأيت أثر الخطابي واضحاً جداً في « النهاية » ولاسيبيل إلى ذكر مواضع
الالتقاء والتشابه بين الكتابين ، لأن كتاب الخطابي لم يطبع بعد .
ومهما يكن من امر فقد رأيت في بعض مانقله ابن الأثير عن الخطابي ،
توثيقاً لكلام الخطابي ، وضبطاً له ، فمن ذلك :

تفسير « صيرة » في قوله صلى الله عليه وسلم : « مامن امتي احد الا
وانا اعرفه يوم القيامة . قالوا : وكيف تعرفهم مع كثرة الخلائق ؟ قال :
ارأيت لو دخلت صيرة فيها خيل دهم ، وفيها فرس اغر محجل ، اما
كنت تعرفه منها » .

قال الخطابي : قال ابو عبيد : صيرة ، وهو غلط ، والصواب :
صيرة ، وهي كالحظيرة تتخذ للدواب من الحجارة واغصان الشجر .
هذا ما ذكره الخطابي في غريب الحديث ، وقد حكاه عنه ابن الاثير
في النهاية ، وجاء الكلام فيها مقيداً هكذا : « قال ابو عبيد : صيرة بالفتح
وهو غلط » (١) . فأنت ترى ان هذا التقييد « بالفتح » لم يرد عند الخطابي
ويبقى ان اشير الى انني لم اجد هذا الحديث ، ولا شرحه ، في غريب
الحديث المطبوع لابي عبيد القاسم بن سلام .

ومنه ايضا ، ما ذكره ابن الاثير ، في شرح حديث عمر بن العاص
رضي الله عنه : « انظروا لنا رجلا يتجنب بنا الطريق ، فقالوا : مانعلم
الا فلانا ، فانه كان ربيلا في الجاهلية » .

(١) النهاية : ٦٦/٣

قال ابن الاثير : الربيل : اللص الذي يغزو القوم وحده ، ورأبلة العرب هم الخبثاء المتلصصون على اسؤقهم . هكذا قال الهروي ، وقال الخطابي : هكذا جاء به المحدث ، بالباء الموحدة قبل الياء ، قال : واره : الربيل ، الحرف المعتل قبل الحرف الصحيح ، يقال : ذئب ريبال ، ولص ريبال ، وسمى الاسد ريبالا ، لانه يغير وحده ، والياء زائدة ، وقد يهمز ولا يهمز» (١) .

هذا كلام ابن الاثير ، وهذه حكايته عن الخطابي ، وقد قابلت هذا الكلام على كلام الخطابي نفسه في غريب الحديث ، فوفقت على امرين : الاول : ان الخطابي يقول : «الباء قبل الياء» ، ولم يذكر كلمة الموحدة التي قيد بها ابن الاثير .

والثاني : ان الخطابي يقول في تقييد «الريبال» : الحرف السقيم قبل الحرف الصحيح .

وليس يخفى ان لفظ «المعتل» الذي اثبته ابن الاثير ، هو الشائع المصطلح عليه عند علماء الصرف ، خاصة المتأخرين . وهذا يكشف عن جانب ملحوظ عند ابن الاثير ، وهو ميله الى اليسر والسهولة ، في اختيار الالفاظ الدالة على المعاني . ومن هنا رأيت يعمد كثيرا الى تغيير العبارات الغربية المطرحة الى عبارات مألوفة مأنوسة . ويظهر هذا اكثر ما يظهر فيما أخذه من الزمخشري .

وهذا مدخل صالح إن شاء الله ، للحديث عن اثر الزمخشري في ابن الاثير ، رحمهما الله .

الزمخشري امام من ائمة العربية ، وكتابه «الفائق» من اصول علم الغريب الحديث ، وقد اثني عليه ابن الاثير في مقدمة «النهاية» فقال : لقد صادف هذا الاسم مسمى ، وكشف من غريب الحديث كل معمي» .

(١) النهاية : ١٩١/٢

وقد افاد منه ابن الاثير كثيرا ، في كتابيه «النهاية» و«منال الطالب» مصرحا بالاخذ منه، غير اني رأيت في مواطن كثيرة جدا ، يستاف كلام الزمخشري، ويصنع منه حججه، ويدير عليه تأويلاته ، دون ان يصرح بالنقل عنه: والعزو اليه، وهذا فاش مستفيض في النهاية ، ولا سبيل الى ذكر امثله والتدليل عليه، فهذا محوج الى صفحات كثيرة ، وانما اكتفى هنا ببعض الامثلة:

ماذكره في تفسير حديث ابن مسعود، رضى الله عنه: «جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم» (١).

وماذكره في تفسير النهى عن بيع جبل الحبله (٢).

وما اورده في شرح حديث «تزوجوا في الحجز الصالح فان العرق

دساس» (٣)

وما ذكره في تفسير حديث بلال رضي الله عنه: «انه مر عليه ورقة بن نوفل ، وهو يعذب، فقال: والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حناناً» (٤).

وماذكره في شرح حديث: «الاختصار في الصلاة راحة اهل النار» (٥)

وما اورده في شرح حديث: «بادروا بالاعمال ستا: الدجال، وكذا

وكذا، وخويصة احدكم» (٦) .

وماذكره في شرح حديث ابن مسعود، رضى الله عنه: «ان طول

الصلاة وقصر الخطبة مسنة من فقه الرجل» (٧)

(١) النهاية ٢٥٦/١ ، ويقارن بما في الفائق ٢٠٥/١ ، ٢٠٦ .

(٢) النهاية ٣٣٤/١ ، والفائق ٣٥١/١ ، وانظر كلاما نفيسا عن معنى «جبل الحبله» للسهيلى،

في الروض الانف ٢٦٠/١ ، ٢٦١ .

(٣) النهاية ٣٤٥/١ ، والفائق ٢٦٣/١

(٤) النهاية ٤٥٢/١ ، والفائق ٣٢٦/١

(٥) النهاية ٤٥٢/١ ، والفائق ٣٢٦/١

(٦) النهاية: ٣٧/٢ ، والفائق ٣٧٤/١

(٧) النهاية ٢٩٠/٤ ، والفائق ٦٣/١ ، ٦٤

هذه مثل بسيرة مما اخذه ابن الاثير من الزمخشري، ولم يعزه اليه.
ومن وراء ذلك فقد حكى ابن الاثير عن الزمخشري، شيئاً لم يقله:

وذلك ما ذكره في شرح حديث: «ان الحكم بن ابي العاص كان
خلف النبي صلى الله عليه وسلم، يلمصه، فالتفت اليه فقال: كن كذلك».
قال ابن الاثير: «يلمصه: اى يحكيه، ويريد عيبه بذلك». قاله
الزمخشري (١).

ولم يذكر الزمخشري الحديث بهذا السياق، بل انه لم يترجم اصلاً
لمادة (لمص) والذي وجدته في الفائق: «مر بالحكم بن مروان، فجعل الحكم
يغمز النبي صلى الله عليه وسلم، ويشير باصبعه، فالتفت اليه، فقال:
اللهم اجعل به وزغاً، فرجف مكانه، وروى انه قال: كذلك فلتكن،
فأصابه مكانه وزغ لم يفارقه» (٢).

والحديث بهذا السياق، ذكره ابن الاثير ايضاً، في مادة (وزغ) (٣).
والوزغ - بسكون الزاى - : الرعشة. والتقييد بالسكون لابن الاثير.
ويتصل بهذا ايضاً، ما ذكره ابن الاثير، في مادة (نبد)، بالنون والباء
الموحدة. قال: «في حديث عمر: جاءت نجارية بسويق، فجعل اذا حركته
ثار له قشار، واذا تركته نبد» اى سكن وركد. قاله الزمخشري (٤).

وهذا الحديث لم يذكره الزمخشري في مادة (نبد)، وانما ذكره في
(نشد) بالنون والياء المثلثة، وحكاه عنه ابن الاثير ايضاً في هذه المادة (٥).
ومن هذا ايضاً ماجاء في مادة (لمه)، فقد خلط ابن الاثير كلام
الجوهري بكلام الزمخشري، وجعله كله من كلام الجوهري، وذلك

(١) النهاية ٢٧١/٤

(٢) الفائق ٥٧/٤، ٥٨

(٣) النهاية ١٨١/٥

(٤) النهاية ٦/٥

(٥) الفائق ٨٤/٤، والنهاية ١٤/٥

ماذكره في شرح حديث فاطمة رضى الله عنها: « انها خرجت في لمة من نساءها، تتوطأ ذيلها، الي ابي بكر، فعاتبته». اى في جماعة من نساءها، قيل: هن ما بين الثلاثة الى العشرة، وقيل: اللمة: المثل في السن، والترب». قال ابن الاثير: قال الجوهرى: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما اخذت عينه، كسه، ومد، واصلها: فعلة، من الملاءمة، وهي الموافقة» (١).

هذه حكاية ابن الاثير، عن الجوهرى: وقد راجعت الكلام على كتاب الجوهرى «الصحاح» فلم اجده زاد على قوله: «الهاء عوض» شيئا اما بقية الكلام فهو للزمخشري، في الفائق (٢).

والعجب من ابن منظور (٣)، ينقل عن ابن الاثير، نسبة هذا الكلام كله، الى الجوهرى، ولا يعقب، مع ان كتاب الجوهرى «الصحاح» من مراجع ابن منظور الخمسة، فكان الاولى به ان يرجع اليه، ويتأكد من وجود هذا الكلام فيه.

هذا، وقد حكى ابن الاثير، عن الزمخشري، بعض شروحه اللغوية وذكر انها مما انفرد به الزمخشري، وذلك ما اورده في تفسير حديث: «اتاكم اهل اليمن، هم ارق قلوبا وابخع طاعة».

قال ابن الاثير: «اى ابلغ، وانصح في الطاعة من غيرهم، كأنهم بالغوا في بخع انفسهم، اى قهرها، واذلالها بالطاعة».

ثم قال: «قال الزمخشري: هو من بخع الذبيحة: اذا بالغ في ذبحها وهو ان يقطع عظام رقبتها، ويبلغ بالذبح البخاع - بالباء - وهو العرق الذي في الصلب والنخع، بالنون، دون ذلك، وهو ان يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الابيض، الذي يجري في الرقبة، هذا اصله، ثم كثر حتى استعمل

(١) النهاية ٢٧٤/٤

(٢) الصحاح (لمى)، والفائق ٣٣٠/٣

(٣) اللسان (لأ)

في كل مبالغه . هذا ذكره في كتاب الفائق في غريب الحديث ، وكتاب الكشاف في تفسير القرآن ، ولم اجده لغيره ، وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب ، والتشريع ، فلم اجد البخاع بالباء مذكورا في شيء منها (١) . هذا كلام ابن الاثير ، والامر على ما قال في كتابي الزمخشري : الفائق والكشاف ، وايضا جاء بعضه في اساس البلاغة (٢) .

واقول : هذا الذي تعقب به ابن الاثير الزمخشري ، قد شاع في كتب اصحاب المعاجم المتأخرين : ابن منظور صاحب اللسان ، والفيروز ابادي صاحب القاموس ، والمرتضى الزبيدي صاحب التاج . ويدل سياق هؤلاء جميعاً في كتبهم ، على ان الزمخشري منفرد ، دون اللغويين ، بذكر «البخاع» بالباء الموحدة . حتى ليقول الزبيدي في التاج ، بعد حكاية كلام ابن الاثير ، والفيروز ابادي ، : قال شيخنا (٣) وقد تعقب ابن الاثير قوم بأن الزمخشري ثقة ثابت ، واسع الاطلاع ، فهو مقدم .

فهذا كلام دال بوضوح ، على أن الزمخشري ، منفرد بذكر هذا القول ، وان انفراده به لا يطعن فيه ، لانه ثقة مأمون .

وقد وقعت على نص عال موثق ، يدل على أن هذه التفرقة بين «البخاع» بالباء الموحدة ، و «النخاع» بالنون ، تفرقة قديمة سابقة على الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨) وذلك ما ذكره ابن فارس المتوفى سنة (٣٩٥) ، في كتابه معجم مقاييس اللغة . قال رحمه الله :

قال أبو علي الأصفهاني ، فيما حدثنا به أبو الفضل محمد بن العميد ، عن أبي بكر الخياط ، عنه ، قال : قال الضبي : بخعت الذبيحة : اذا

(١) النهاية ١٠٢/١

(٢) الفائق ١/٨٢ ، والكشاف ٢/٣٣٥ ، في تفسير الآية الثالثة من سورة الشعراء ونصها : (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) ، والاساس (بخع) .

(٣) هو محمد بن الطيب محمد الفاسي المالكي ، كان علامة باللغة والادب ، مولده ، بفاس سنة ١١١٠ ، ووفاته بالمدينة المنورة ، سنة ١١٧٠ . الاعلام للزركلي ٦/١٧٧ ، ١٧٨ .

قطعت عظم رقبتها ، فهي مبخوطة ، ونخعتها ، دون ذلك ، لان النخاع :
الخييط الأبيض الذي يجري في الرقبة وفقرار الظهر ، والبخاع ، بالباء :
العرق الذي في الصلب « (١) .

فانت ترى أن الزمخشري مسبوق فيما ذهب اليه ، بهذا الذي حكاه
ابن فارس ، باسناده إلى الضبي ، وقد خفى هذا على ابن الأثير ، وما
جاء بعده : ابن منظور ، والفيروزابادي ، والمرضى الزبيدي ، وشيخه
محمد بن الطيب الفاسي ، وان كان هذا قد اعترف للزمخشري بالامامة
والتقدم .

وبعد : فهذا حديث ابن الأثير مع الزمخشري ، وسأزيده بيانا ،
ان شاء الله ، عند كلامي على « منال الطالب » .

ومن علماء الغريب الأولين ، الذين افاد منهم ابن الأثير : الامام
الجيليل ابراهيم بن اسحاق الحربي المتوفى سنة (٢٨٥) .

وقد ذكره ابن الأثير في مقدمة النهاية ، واورد رأيه في كتابه .
قال : وقد كان في زمانه (يعني زمان ابن قتيبة) الامام ابراهيم بن اسحاق
الحربي ، رحمه الله ، وجمع كتابه المشهور في غريب الحديث ، وهو
كتاب كبير ، ذو مجلدات (٢) عدة ، جمع فيه ، وبسط القول ، وشرح ،
واستقصى الأحاديث بطرق اسانيدھا ، وأطال بذكر متونها والفاظها ،
وان لم يكن فيها الا كلمة واحدة غريبة : فطال لذلك كتابه ، وبسبب طوله
ترك وهجر ، وان كان كثير الفوائد ، جم المنافع ، فان الرجل كان اماما
حافظاً متقناً ، عارفاً بالفقه والحديث ، واللغة والأدب ، رحمة الله عليه .

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٠٦/١ ، ٢٠٧

(٢) لا يعرف من هذه المجلدات إلى الان ، الا المجلدة الخامسة ، وهي اخر الكتاب ، وهي بخط
قديم ، وتحتفظ بنسختها المكتبة الظاهرية بدمشق ، ويعكف عليها طالب نابه من اهل العلم ،
هو الشيخ سليمان بن ابراهيم العابد ، ويقيم عليها درساً للدكتوراه باشرافي ، بكلية الشريعة
- جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وقد نقل ابن الأثير ، عن الحربي ، في مواضع من النهاية ، ثم نقده وناقشه في شرح حديث عمر بن الخطاب ، رض الله عنه ، : « فيم الرملان والكشف عن المناكب وقد اطاأ الله الاسلام ؟ » .

قال ابن الأثير : يكثر مجيء المصدر على هذا الوزن ، في انواع الحركة ، كالتزوان ، والنسلان ، والرسفان ، واشباه ذلك . وحكى الحربي فيه قولاً غريباً . قال : انه تشبیه الرمل ، وليس مصدراً ، وهو ان يهز منكبيه ، ولا يسرع ، والسعي ان يسرع في المشي ، واراد بالرملين الرمل والسعي ، قال : وجاز ان يقال للرمل والسعي : الرملان لانه لما خف اسم الرمل ، وثقل اسم السعي ، غلب الاخف ، فقليل : الرملان ، كما قالوا القمران ، والعمران .

وهذا القول من ذلك الأمام كما تراه ، فان الحال التي شرع فيها رمل الطواف ، وقول عمر فيه ما قال ، يشهد بخلافه ، لأن رمل الطواف هو الذي امر به النبي صلى الله عليه وسلم . ، اصحابه في عمرة القضاء ، ليرى المشركين قوتهم ، حيث قالوا : وهنتهم حمى يثرب . وهو مسنون في بعض الاطواف دون البعض ، واما السعي بين الصفا والمروة فهو شعار قديم ، من عهد هاجرام اسماعيل عليهما السلام فاذا المراد بقول عمر : رملان الطواف وحده الذي سن لأجل الكفار ، وهو مصدر ، وكذلك شرحه اهل العلم ، لاختلاف بينهم فيه ، فليس للتثنية وجه ، والله اعلم (١) .

ومن علماء الغريب الذين ناقشهم ابن الاثير ايضا : الحافظ ابو موسى المدني الاصبهاني وكتابه احد مصدرين ادار عليهما ابن الاثير كتابه «النهاية» كما سبق :

قال في شرح حديث عمرو ابن العاص ، رضى الله عنه ، اردت ان تبلغ الناس عني مقالة يزعونون اليها «اي يميلون اليها» ، يقال : زعن الى الشيء

إذا مال إليه . قال ابو موسى : اظنه «يركنون إليها» فصحف . قلت : الاقرب الى التصحيف ان يكون «يدعنون» من الاذعان ، وهو الانقياد ، فعلاها بالي ، بمعنى اللام ، واما «يركنون» فما بعدها من «يزعنون» (١) . ومن علماء اللغة الذين اكثر ابن الاثير من النقل عنهم : الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، صاحب «الصحاح» المتوفى سنة (٣٩٣) ، وابو منصور الازهري ، محمد بن احمد صاحب «تهذيب اللغة» المتوفى سنة (٣٧٠) . فقد حكى عن هذين العالمين كثيرا ، فيما رأيت من كتبه : النهاية ، ومنال الطالب ، وجامع الاصول .

وفيما عدا ذلك ، فقال كان ابن الاثير ، رحمه الله ، قليل العزو ، والتصريح باسماء العلماء الذين ينقل عنهم ، فما اكثر ما كان يقول : «قال بعض المتأخرين ، و» في كتب بعض المتأخرين» و«رواه بعض المتأخرين» و«احسن ما سمعت» (٢) . ما كتب حول النهاية :

شغل العلماء بالنهاية : تذييلا ، واختصارا ، ونظما : فمن ذيل عليها صفى الدين محمود بن ابي بكر بن محمود الارموي القرافي ، المتوفى سنة (٧٢٣) . قال الوادي آشي : «وله ذيل كبير على النهاية لابن الاثير (٣)» . ومن اختصرها الشيخ علي حسام الدين الهندي ، الشهير بالمتقي المتوفى سنة (٩٧٥) .

(١) النهاية ٣٠٣/٢

(٢) راجع النهاية (جزا) ٢٧٠/١ ، (حرث) ٣٦٠/١ ، (حرجم) ٣٦٢/١ ، (حقل) ٣١٦/١ ، (غذم) ٣٤٧/٣ ، (غرد) ٣٥٧/٣ ، (غمز) ٣٨٦/٣ ، (غيظ) ٤٠٢/٣ ، (فقر) ٤٦٤/٣ ، (نسج) ٤٧/٥ ، (نقط) ١٠٨/٥ ، (نكه) ١١٧/٥ .

(٣) برنامج الوادي آشي ص ٨٩ ، وكشف الظنون ص ١٩٨٩ .

وعيسى بن محمد الصفوي ، المتوفى سنة (٩٥٣) في قريب من نصف حجمها (١). والحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١) ، وقد صنع السيوطي رحمه الله حول النهاية مختصراً ، وذيلاً ، ويسمى الاول : «الدر الثمير تلخيص نهاية ابن الاثير» وسمي الثاني : «التذليل والتذويب على نهاية الغريب» . وقد طبع الدر بهامش الطبعة العثمانية (٢) من النهاية. وحين اخرجت طبعتي من النهاية التقطت فوائد وزيادات الدر الثمير ، ووضعتها في حواشي الطبعة (٣) .

اما التذليل والتذويب ، فهو صغير ، يقع في سبع ورقات . ومنه عدة نسخ مخطوطة (٤) .

وقد نظم «النهاية» شعرا : عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن محمد بن بردس البعلبي الحنبلي الحافظ ، المتوفى سنة (٧٨٥) ، ومن هذا النظم نسخة بمكتبة برلين ، تحت رقم (١٦٥٩) باسم «الكفاية في نظم النهاية» (٥) . هذا وقد افادني بعض طلبة العلم بمكة المكرمة وقد غاب عني اسمه افادني ان بمكتبة عارف حكمة (٦) بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة

(١) كشف الظنون : الموضع السابق .

(٢) بالقاهرة سنة ١٣١١

(٣) صدرت هذه الطبعة عن مطبعة عيسى البادي الحلبي بالقاهرة عام ١٣٨٣-١٩٦٣ م في خمسة أجزاء . وقد اصاب هذه الطبعة ما اصاب غيرها من عيون كتب التراث ، فقد اغار عليها مصوروا الكتب في بيروت ، واصدروا منها طبعتين ، دون اخذ اذن مني ، ففوتوا علي بذلك فرصة استدراك ما فرط مني من هنات وزلات ، فلقد كان عملي في هذا الكتاب من اوائل اشتغالي بالعلم . لكنني احمد الله ان وفقني لصنع فهراس جامعة لذلك الكتاب العظيم ، وفي هذه الفهارس غير كثير ان شاء الله وقد افاد منها كثير من طلبة العلم .

(٤) راجع مقدمة تحقيقي للنهاية ص ٨

(٥) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ٣٥٧/١ ، وملحق الجزء الاول ص ٦٠٧ .

(٦) آثرت كتابة التاء مربوطة كما ترى ، لان كتابتها مفتوحة (حكمت) انما هو اثر من آثار النطق التركي مثل هذه الكلمات نحو (عزت وبهجت ورافت) وانما هذه كلها : عزة وبهجة ، ورافة

وازكى السلام كتابا اسمه قاموس البحر ونبراس الفجر، وهو في اختصار
النهاية لابن الاثير . لمؤلف اسمه ابراهيم بن علي النووي ، وتاريخ نسخ
هذا الكتاب المخطوط سنة (٧٩٧) ورقمه في المكتبة ٢٣٧٧ (٨٠، ٢٠١).
ولست احق هذا كله. ولعلي ارى هذه المخطوطة بنفسى فيما استقبل
من ايامى ان شاء الله.

اثر النهاية في كتب العربية :

قلت من قبل «ان النهاية» قد رزقت الحظوة والقبول عند الناس،
وقد غطت شهرتها على كل كتاب صنف في غريب الحديث، فقل ان تجد
كتابا في اللغة او التفسير او الحديث، لم يأخذ النهاية في مصادره، ولم يعتدها
من مراجعه.

ومن اشهر من عول على «النهاية» من اصحاب المعاجم: ابن منظور
صاحب لسان العرب، المتوفى سنة (٧١١) فقد صرح في مقدمة اللسان
بانه صنعه من كتب خمسة: تهذيب اللغة للازهري، والمحكم لابن سيده
والصحيح للجوهري، وحواشيه لابن برى، والنهاية لأبن الاثير. وهذه
عبارة ابن منظور عن النهاية: «فرأيت ابا السعادات المبارك بن محمد بن
الاثير الجزري، قد جاء في ذلك النهاية، وجاوز في الجودة حد الغاية .
الى آخر مقال (١).

ومن الذين افادوا من النهاية كثيرا الامام النووي المتوفى سنة (٦٧٦)
وترى ذلك في قسم اللغات من كتابه تهذيب الاسماء واللغات، ثم في شرحه
على صحيح مسلم .

وكذلك الفيومي المتوفى سنة (٧٧٠) في معجمه المختصر المفيد
«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». وقد ذكر النهاية في ثبوت مصادره،
في آخر الكتاب.

ثم خاتمة اصحاب المعالم : المرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) في معجمه العظيم : تاج العروس في شرح القاموس .
ولا سبيل الى استقصاء الكتب التي افادت من «النهاية» فهي الى الكثرة ما هي .

والكتاب الثاني الذي شارك به ابن الأثير في علم غريب الحديث هو كتاب « منال الطالب » .
واليك حديثه :

منال الطالب في شرح طوال الغرائب

لا أعلم لهذا الكتاب سميّاً في مناهج (١) من صنفوا في غريب الحديث ، فقد جرد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين — جرد ابن الأثير هذه الأحاديث من كتب السنة والسير ، وافرد لشرحها هذا الكتاب . وقد قسم ابن الأثير الكتاب إلى قسمين : الأول في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما له فيه كلام او ذكر سبق الحديث له ، او بنى عليه ، ومعظم احاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحاديث المولد والمبعث ، ودلائل النبوة ، وخصائصه صلى الله عليه وسلم .

والقسم الثاني في آثار جماعة من اصحابه وبعض التابعين لهم باحسان رض الله عنهم أجمعين .

منهج ابن الاثير في ايراد الاحاديث وشرحها

صدر ابن الأثير كتابه بمقدمة كاشفة ، ابان فيها عن منهجه ، وسيله في اختيار الاحاديث وشرحها ، ويبقى ان اذكر أشياء حول هذا المنهج ،

(١) راجع ما سبق في صدر هذا البحث .

تكشف عن خصائصه ، ثم تنزل الكتاب منزله من كتب العربية ، فاقول
وبالله التوفيق :

جري ابن الاثير على ان يورد الحديث كاملا ، ثم يذكر في آخره
من اخرجه من علماء الحديث والغريب ، ويعقب بما قيل في الحديث جرحا
وتعديلا ، وقبولا وردا .

وكثير من هذه الاحاديث الطوال قد تكلم فيها علماء الجرح والتعديل
وضغفوا طرقها ، ووهنوا رواتها ، ولم يعب هذا عن ابن الاثير ، وهو المحدث
الكثير ، صاحب « جامع الاصول » وشارح « مسند الشافعي » فيقول في
اخر حديث قس بن ساعدة الايادي : « حديث قس بن ساعدة على كثرة
رواياته واختلاف طرقه ، حديث مشهور متداول بين رواة الحديث واثمته ،
وقد ذكر بعض الحفاظ انه موضوع . »

فاما الرواية الاولى فهي معروفة بمحمد بن الحجاج اللخمي ، عن مجاهد
بن سعيد عن الشعبي ، عن ابن عباس ، وقد اخرجها ابو القاسم البخوي ،
وابو القاسم الطبراني وغيرهما .

واما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بشر بن نمير ، عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس . قال ابو موسى : وهو غريب من هذا الوجه ، وقد
روى عن ابن عباس من غير وجه ، وروى عن انس بن مالك وابي لبابة
وكان الفاظها مصنوعة ملفقة ، لكن هكذا يروى ، على انا قد تركنا بعض
الفاظه التي اطالوه بها اختصارا ، والله اعلم (١) .

وأبين من هذا في الدلالة على رأى ابن الاثير في الاحاديث الطوال
ما ذكره في آخر حديث فذلك ، عن السيدة فاطمة الزهراء ، رضي الله عنها .
قال رحمه الله : « هذا الحديث اكثر ما يروى من طريق اهل البيت ،
وان كان قد روى من طرق اخرى اطول من هذا واكثر ، واهل الحديث

(١) منال الطالب ١/١١٩ ، ١٢٠

يقولون: انه موضوع على فاطمة.

وقال ابن قتيبة: قد كنت كتبتہ وانا ازی ان له اصلا، وسألت عنه رجال الحديث فقال لي بعض ثقله الاخبار: انا استن من هذا الحديث، واعرف من عمله.

قلت: هذا الحديث وان كان موضوعا كما ذكر، فهو من افصح الكلام واحسنه مأخذا واحتجاجا، ولعل واضعه لا ينقص درجة عن الحجاج بن يوسف الثقفي. وكتب غريب الحديث مصحوبة بشرح كلامه وخطبه، فلا بأس أن يجري هذا الحديث مجراها في شرح غريبه ومعانيه، ولعل اكثر ما يروى من احاديث الغريب الطوال جارية هذا المجرى في التصنع والله اعلم (١).

وهذا الكلام صريح الدلالة على ان الغاية التي تعيها ابن الاثير من وضع هذا الكتاب انما هي غاية لغوية. وهذا شأن كتب غريب الحديث تدور كلها في فلك اللغة: معاني واشتقاقا ودلالات. الا ما قد تراه عند الامام الجليل ابي عبيدة القاسم بن سلام، من آراء فقهية نثرها في كتابه «غريب الحديث».

وقد يزيد هذا الامر وضوحا ما ذكره في آخر احاديث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، فقد اورد له احد عشر حديثا، ثم قال في آخرها: «كلام علي بن ابي طالب، كرم الله وجهه، الكثير الغريب، كثير، وقد اوردنا منه هذه الاطراف اليسيرة مناسبة لما اودعناه في هذا الكتاب من الاختصار، ومن اراد الوقوف على كلامه فليطلبه من مظانه».

فاين الاثير رحمه الله انما استكثر من حديث علي بن ابي طالب، رضي الله عنه، لما اشتمل عليه من غريب اللغة، ليس غير.

(١) هذا في الجزء الثاني من المتال، ولا يزال مخطوطا.

على ان ابن الاثير قد يشرح بعض الاحاديث ، لا لغريب الفاظها ، بل لاشكال معناها ، كما صنع ، ي حديث معاوية بن ابي سفيان وحواره مع عبد الله بن الزبير ، رضي الله عنهم ، فانه قال في آخر ذلك الحديث ، « اخرجته القتيبي ، وانما ذكرناه مع قلة غريبه لاشكال معناه » .

ومما يتصل بالمعاني ما ذكره في حديث وائل بن حجر الحضرمي ، من اختلاف ابي حنيفة والشافعي ، رضي الله عنهما ، في مسألة الخلاط في الزكاة (١) ومنه ايضا توفيقه بين الاحاديث التي قد تبدو متعارضة ، كما تراه في حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، المروى عن هند بن ابي هالة ، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه (٢) .

النحو في الكتاب

عرض ابن الاثير لمسائل كثيرة من علم النحو ، توجيهها واعرابا ، وتري ذلك في احاديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني ، والاستسقاء ، ولقمان بن عادة ولقيط بن عامر العقيلي ، وابن زمل الجهني ، وقس بن ساعدة الايادي ، وأبي بكر الصديق ، وحديث عائشة بنت ابي بكر الصديق ، المتضمن حديث ام زرع .

وقد رأته يجري على قواعد البصريين ، ومن ذلك توجيهه لقوله تعالى : « وما منا الا له مقام معلوم » بانه على حذف الموصوف ، وقد اثبت في تعليقاتي ان هذا هو رأى البصريين (٣) .

الشواهد الشعرية في الكتاب :

ابن الاثير مقل من الاستشهاد بالشعر ، ترى ذلك في هذا الكتاب ، كما تراه في كتابه « النهاية » . مع ان ابا عبيد ، وابن قتيبة ، والخطابي - وهم الرواد الأوائل في علم غريب الحديث - قد استكثروا في كتبهم من شواهد الشعر .

(١) منال الطالب ٧٨/١

(٢) منال الطالب ١٦٨/١

(٣) منال الطالب ٨٣/١

وقد ترك ابن الأثير آياتا ذوات عدد دون نسبة ، كما اضطرب في نسبة هذا الشاهد :

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى اعبدائنا فنضارب
فنسبه في الحديث العاشر من أحاديث علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، إلى قيس بن الخطيم ، على حين نسبه في حديث الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ابن حطان .
موارد ابن الأثير في الكتاب :

أفاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف في غريب الحديث ، وصرح بالنقل عنهم ، وذكر في آخر كل حديث من أخرجه منهم ، ثم ذكر من الكتب :

الصحيحين للبخاري ومسلم ، والطبقات الكبير لابن سعد ، والمغازي لمحمد بن إسحاق ، والسيرة لعبد الملك بن هشام ، والمعجم الكبير للطبراتي ، ومعجم الحافظ أبي أحمد العسال (١) ، والأكمال لابن ماكولا ، والحلية لأبي نعيم الإصهاني ، ومآلات القرابة في الصحابة ، والمؤتلف والمختلف ، كلاهما للدارقطني .

وقد رأيت ابن الأثير يدور في فلك أربعة من العلماء : ابن قتيبة والخطابي والزمخشري ، وأبي موسى المدني الإصهاني . وقد أفاد ابن الأثير من كتب هؤلاء العلماء في غريب الحديث أفادة بالغة ، وعود عليهم كثيرا ، كما صنع في «النهاية» .

ويذكر ابن الأثير في آخر حديث طهفة بن أبي زهير النهدي ، أنه وجد فيه زيادة لم يجدها في كتب هؤلاء الأربعة ، ووجدته أنا قد زاد على ما ذكره ابن قتيبة والزمخشري في الرواية والشرح (٢) ، لكن تظل كتب

(١) نقل عنه من طريق الحافظ أبي موسى المدني الإصهاني . (انظر حديث أم عبد) ١٥١/١ .

(٢) كما في حديث وائل بن حجر ، وحديث ابن زمل الجهني ٧٤/١ ، ١٩٦ ، وحديث طهفة

هؤلاء الاعلام العماد والاساس لكتاب ابن الاثير
وبعد ما حكاه ابن الاثير عن (غريب الحديث) لابن قتيبة في توثيقا
مههما له، فقد اورد اربعة احاديث في الجزء الاول. وذكر ان ابن قتيبة
اخرجها في كتابه، وهي احاديث: طهفة بن ابي زهير النهدي، وقطن
بن حارثة، واستسقاء النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب قريش والانصار.
ولم اجد هذه الاحاديث في (غريب الحديث) لابن قتيبة الذي حققه
ونشره الاخ الاستاذ الدكتور عبدالله الجبوري، ببغداد سنة ١٣٩٧ -
١٩٧٧.

ومعروف انه لا توجد نسخة كاملة من غريب ابن قتيبة هذا، ونشرة
الاخ الدكتور الجبوري انما هي عن اجزاء من نسخ مختلفة.
وهذا الذي حكاه ابن الاثير عن ابن قتيبة يدل على ان هناك نقصا في
الكتاب، وبخاصة في الجزء الاول المتضمن احاديث رسول صلى الله عليه
وسلم (١).

وليس ابن الاثير وحده هو الذي ذكر ان ابن قتيبة قد اخرج حديثي
طهفة بن ابي زهير، وقطن بن حارثة، فقد ذكر ذلك ايضا ابو عبيد اللهورى
في (الغريبين) والحافظ ابن حجر العسقلاني في (الاصابة) وقد اشرت الى
ذلك في موضعه من التحقيق
ابن الاثير والزمخشري :

قلت من قبل : ان الزمخشري امام من ائمة العربية ، وكتابه (الفائق)
من اصول علم غريب الحديث ، وقد افاد منه ابن الاثير كثيرا في كتابه
(النهاية) و(منال الطالب) مصرحا بالاخذ عنه، غير اني رأيت في مواطن

(١) لقد احسن الاخ الدكتور عبدالله الجبوري كل الاحسان حين جمع اجزاء هذا الكتاب
العظيم من مختلف مكاتب العالم ، ثم اقام عليه درسا علميا للدكتوراه ، وحققه تحققة
جيدا ، ولعل الله ييسر له نسخة كاملة من الكتاب .

كثيرة جدا يستاق كلام الزمخشري ، دون ان يصرح بالنقل عنه ، والعزو اليه ، وقد سبق شي من هذا في حديثي عن «النهاية» وانا ذاكر هنا بحول الله اثر الزمخشري في المنال ، فاقول :

لقد اودع ابن الاثير كتابه هذا كثيرا من شروح الزمخشري وتوجيهاته التي سلخها من (الفائق) ، ولاسبيل الى ذكر كل ما وقعت عليه ، فهو الى الكثرة ماهو ، وانا اكتفى ببعض الامثلة ، كما صنعت في حديثي عن النهاية :

ماتراه في شرح حديث طهفة بن ابي زهير النهدي ، وكذلك ما ذكره في توجيه التأنيث في (مطهرة) من حديث لقيط بن عامر العقيلي ، ومثلهما ما في حديث لقمان بن عاد ، وام معبد ، وقد نبهت على ذلك في حواشي التحقيق .

على اني وجدت ابن الاثير يغير على شرح الزمخشري كله في بعض الاحاديث ، مع تغيير بعض عبارات الزمخشري الجاسية (١) الموغلة في الغرابة الى الفاظ مألوفة مأنوسة فمن ذلك :

يقول الزمخشري في حديث «لقمان بن عاد» : اراد ان عيشه عيش الصعاليك ان ظفر بشي أماً عليه ، والا فهو موطن نفسه على معاناة خشونة الحال وشظف العيش .

ويقول ابن الاثير : اراد ان عيشه عيش الصعاليك ، ان ظفر بشي اخذه ، والا فهو موطن نفسه على معاناة خشونة الحال ، وشدة العيش (٢) . رأيت الى «أماً» و«أخذ» «شظف» و«شدة» ؟

(١) أي الصلابة . يقال : جسا ، أي : صلب . ومن تعبيراتهم القديمة : «في ألفاظ فلان جسر ونكارة» .

(٢) منال الطالب (حديث لقمان بن عاد ١١٥/٣ والفائض ٧٨/١ ، ويقال : الما عليه : ذهب به خفية .

ويقول الزمخشري: البوغاء : دقاق التراب الهائي في الهواء ...
وارتفعت بوغاء الطيب : اذا سطعت سواطع فوجه .

ويقول ابن الاثير : البوغاء: دقاق التراب الطائر في الهواء وارتفعت
بوغاء الطيب : اذا سطعت رائحته (١) .

وتأمل : «الهائي في الهواء» و«الطائر في الهواء» و«سطعت سواطع
فوجه» و«سطعت رائحته» .

ويقول الزمخشري: المرمل: الذي نفذ زاده ، فرقت حاله وسخفت ،
من الرمل وهو نسج شخيف .

ويقول ابن الاثير: المرمل : الذي نفذ زاده فرقت حاله ، وضعفت ،
من الرمل، وهو نسج ضعيف خفيف (٢) .

ويقول الزمخشري : والضليع في الاصل : الذي عظمت اضلاعه
ووفزت ، فاجفر جنباه ، ثم استعمل في موضع العظيم ، وان لم يكن ثم
اضلاع .

ويقول ابن الاثير : والضليع في الاصل : الذي عظمت اضلاعه ، واتسع
جنباه ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل عظيم ، وان لم يكن ثم اضلاع (٣) .

وقول الزمخشري : «أجفر جنباه» بمعنى « اتسع جنباه» التي اثبتها
ابن الاثير ورحم الله ابا حيان النحوى ، فانه لو وقعت له «اجفر» هذه ،
لقال فيها مايقوله في بعض كلام الزمخشري الذي يناقشه في (البحر المحيط)
فانه يقول في مثل هذا الموطن : «وفيه عجرفية العجم» .

ويقول الزمخشري : الدليف: هو المشى الرويد ، والتقدم في

رفق

(١) منال الطالب (حديث سطح) ١٤٠/١ والفائض ٤٢/٢ .

(٢) منال الطالب (حديث ام معبد) ١٤٩/١ والفائض ٩٦/١ .

(٣) منال الطالب (حديث هند بن ابي هالة) ١٦٦/١ والفائض ٢٢٩/٢ .

ويقول ابن الاثير : الدليف: المشي المتأنى ، والتقدم في رفق (١).
وحسبك هذا ، فهو كاف في الدلالة على ماذهبت اليه .

هذا ، وقد تعقب ابن الاثير الزمخشري في اشياء : فاشار الى انه
يذكر الاحاديث بغير اسناد. فيقول في آخر حديث صفة النبي صلى الله
عليه وسلم ، المروى عن علي بن ابي طالب ، رضى الله عنه : «واخرج
الزمخشري اكثره بغير اسناد ، على عادته (٢) .

وضعف ، ماذهب اليه في تأويل هذا البيت الذي يروى في حديث
سطيح : ازرق مهمى الناب صرّار الاذن

فقال : «ورواه الزمخشري «مهمى الناب» ، وقال : هو مقلوب من
المهمى : المحدد والظاهر — والله اعلم — انه تصحيف ، قد وقع اليه
كذا ، فاحتال لتأويله وجها» .

هذا كلام ابن الاثير ، وقد علق عليه في تحقيقي (٣) ، بان الذي
في (الفائق) المطبوع : «مهمى» بيمين بعدهما هاء ، وقال الزمخشري :
«وهو من المهمى ، مقلوب» ، وكذلك حكاه عنه ابن الاثير في النهاية ، ترجمة
(مهم) .

ومما يتصل بهذا ماحكاه ابن الاثير عن الزمخشري ، في شرح حديث
عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، قال ابن الاثير: «وانصاح: مطاوع
صاحه يصوحه : اذاشقّه .. هكذا شرحه الزمخشري ، وقال : ذكره
الهرورى في الضاد والخاء المعجمتين ، وهو تصحيف منكسر .»

قلت: الذي وجدته في (الفائق) (٤): «ومنصاخ. بالضاد والخاء

(١) ملال الطالب (حديث رقية بنت ابي صيفي) ٢٠٥/١ ، والفائض ٦١/٣ ، وانظر ايضا
في هذا الموضوع من الكتابين تفسير « الصحل» .

(٢) منال الطالب ١٧٥/١ .

(٣) منال الطالب ١٤٠/١ .

(٤) الفائض ٣١/٢ .

المعجمين تصحيف منكر». لم يزد الزمخشري على هذا، ولم يذكر الهروي ولا غيره.

بين المنال والنهاية

صرح ابن الأثير في مقدمة (منال الطالب) بأنه اخذ في تصنيفه بعد كتابه (النهاية في غريب الحديث والاثار) الذي فرق فيه الغريب على حروف الهجاء، وقد اقتضاه هذا ان ينتزع من الحديث الجزء المشتمل على الغريب وحده. قال رحمه الله عن كتاب (النهاية): «فلا تكاد تجد فيه حديثاً تاماً وان قل كلمه، ولا أثراً متسقاً وان استقل منتظمه (١)». «فهو كتاب لغة كما ترى».

اما كتاب (المنال) فقد جمع فيه الاحاديث والاثار الطوال والاوساط بتمامها، واخذ في شرحها، فهو كتاب حديث ولغة، وان كانت الغاية التي تغياها من وضع الكتاب لغوية، كما اسلفت القول.

ولما كانت (النهاية) بهذه المثابة فقد كثرت المادة اللغوية فيها وغزرت، ولم يتسع القول فيها لبسط الشرح، وتعدد الروايات ومناقشتها على نحو ما جاء في (منال الطالب).

فقد بسط ابن الأثير في (المنال) ما اختصره في (النهاية) فمن ذلك: تفسيره لوضائع الملك، في حديث طهفة بن ابي زهير النهدي، فقد عرض في (المنال) لرأى ابن قتيبة، وذكر رد أبي موسى المديني عليه، ثم تكلم على المعنى بفتح الميم وكسر اللام، وبضمها وسكون اللام في «الملك» وقد اختصر كل ذلك في (النهاية) اختصاراً (٢).

ومن ذلك ايضاً ما جاء في حديث قطين بن جارية، في تفسير «الهمولة» قال في المنال: «الهمولة: الابل التي اجملت للرعي، وتركت حيث شاعت ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعلة، ولهذا اكدها بالراعية».

(١) مقدمة منال الطالب . وراجع ما كتبه من قبل من منهج ابن الأثير في ايراد الاحاديث وشرحها.

(٢) المنال (حديث طهفة) والنهاية (وضع) ١٩٨/٥

وقال في (النهاية) في تفسير الهمولة : «هي التي اهلتم ، ترعى بانفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة» (١).

ومنه شرح «النصية» في حديث ذي المشعار مالك بن نمط الهمداني ، فقد اوجزه في (النهاية) وبسطه في (المثال) (٢) .

ولم يحتفل ابن الاثير بتعدد الروايات كثيرا في (النهاية) كما فعل في (المثال) فمن ذلك ما ذكره في تفسير «العجالة» في حديث خزيمة ، قال في (النهاية): هي لبن يحمله الراعي من المرعى الى أصحاب الغنم قبل ان تروح عليهم» .

وقال في (المثال) : «العجالة ، بالضم : اللبن الذي يحمله الراعي من المرعى الى اصحاب الغنم قبل ان تصدر ، وانما يفعل ذلك اذا كثر اللبن عليه ، فيحلبها في المرعى . ويروى «العجالة» بالكسر ، وهي ما يحمل الراعي عليه زاده كالتيس والكبش وقيل هما بالضم والكسر ما يتعجله الانسان (٣) .
منه ما ذكره في تفسير « عليه مسحة ملك » من حديث جرير بن عبد الله البجلي ، فقد ذكر في (المثال) ان قوله : «ملك» يروى بفتح الميم واللام ويروى بضم الميم وسكون اللام ، ولم يشرح في (النهاية) الا على الرواية الاولى (٤) .

ومن ذلك ايضا ما ذكره في حديث ام معبد ، وقولها في رسول الله صلى الله عليه وسلم : «محفود محشود» . فقد قال في (المثال) : « المحشود الذي يجتمع الناس حوله ، يعني ان اصحابه يحوطون به ، ويجتمعون على خدمته من الحشود : الجمع . ويروى بالسين المهملة ، من الحسد ، فان صح فمن اولى بان يحسد ممن تكاملت فيه مثل هذه الاخلاق المرضية؟

(١) المثال (حديث قطن بن حارثة) والنهاية (همل) ٢٧٤/٥ ، وقوله في النهاية : «مفعولة» خطأ ، وكذلك جاء في اللسان (همل) والصواب : «مفعلة» كما في المثال .

(٢) المثال (حديث ذى المشعار) والنهاية (نص) ٦٨/٥ .

(٣) المثال (حديث خزيمة بن ثابت السلمي) والنهاية (عجل) ١٨٧/٣ .

(٤) المثال (حديث جرير بن عبدالله البجلي) والنهاية (ملك) ٣٥٩/٤ .

ولم يشر في (النهاية) إلى رواية «محشود» بالسین المهملة ، ثم لم يزد في شرح «محشود» على قوله: «أي ان اصحابه يخدمونه ويجمعون اليه»(١). وفي حديث ام معبد ايضاً ، وذكر هزال ابلها ، اورد ابن الاثير في (المنال) اربع روايات في هزال الابل وضعفها : «تشاركن هزلاً ، وتساوكن ، وتساوقن وتتاركن» وهذه الرواية الاخيرة لم يذكرها في (النهاية)، لاني مادة (ترك) ولا في غيرها .

ومنه ايضاً ما ذكره في شرح قوله: «حتى اذا القت السماء بأوراقها قال في (النهاية) : «ان بجميع ما فيها من الماء ، والاوراق : الاثقال ، اراد مياهها المثقلة للسحاب» .

هذا قوله في (النهاية) ، وقال في (المنال) : «وقوله : « حتى التقت السماء بأوراقها» يريد بالسماء هاهنا السحاب. أي ألتقت بجميع ما فيها من الماء ، والاوراق : الاثقال ، كأنه قال : التقت السماء بمائها الكثير المثقل للسحاب . وقيل : اراد بأوراقها مياهها الصافية ، من راق الماء : اذا صفا ، ويجوز ان يريد بالسماء السماء الحقيقية ، لاالسحاب ، لأن المطر انما يجيء من جهة السماء . وفي رواية : «حتى اذا القت السماء بأوراقها من الالقاء ، والباء زائدة» (٢)

وقد ناقش ابن الاثير بعض الروايات اللغوية في (المنال) ، على حين اكتفى بعرضها في (النهاية) . ومن ذلك شرحه للمؤزلة في حديث طهفة ، قال في (المنال) : «المؤزلة ، هكذا تروى بهمزة ساكنة وكسر الزاي الخفيفة وفسرت انها الجائية بالازل ، والازل : الضيق . يقال : ازله يأزله ازلاً : اذا حبسه وضيق عليه ، والرواية لا تتنظم مع هذا التصريف ، لأن المؤزلة من آزلت ، بالمد ، فان صححت الرواية فيكون قد عدى الفعل بالهمزة ، يقال : ازل الامر يأزل : اذا ضاق واشتد وآزله غيره . وفي كتاب

(١) المنال ام معبد (والنهاية (حشد) ٣٨٨/١ .

(٢) المنال (حديث الاستسقاء) والنهاية (روق) ٢٧٨/٢ .

الزمخشري : المؤزلة» بفتح الهمزة وتشديد الزاي (١) ، فان صحت الرواية فيكون قد عدى الفعل بالتشديد للتكثير .

هذا كلامه في (المنال) ، ولم يزد في (النهاية) ، على قوله : «اي : آتية بالازل ، ويروى : «مؤزلة» بالتشديد ، على التكثير» (٢) .

هذا وقد تكلم ابن الاثير في (المنال) على اشياء لم يعرض لها في (النهاية) فمن ذلك كلامه على اصل «النهنية» ، قال : «والاصل فيه : نهه ، بثلاث هاءات ، فابدلوا من الهاء الوسطى نونا للقرق بين فعلل وفعل . ومُ يذكر هذا في (النهاية) (٣) .

ثم رأيت يقيد بعض الالفاظ بالعبارة في (المنال) ، ويهمل ذلك في (النهاية) ، فمن ذلك ضبطه للهورى في حديث ذي المشعار . قال في (المنال) «الهورى : منسوب الى الحور ، بفتح الحاء والواو ، وهي الجلود المتخذة من جلود الغنم : مصبوغة بحمرة»

ولم يقيد هذا التقييد في (النهاية) (٤) وان كان قد ذكر هناك عبارة صرفية تؤول الى ما ذكره في (المنال) ، قال : «وهو احد ماجاء على اصله ، ولم يعل كما اعل ناب» . فان هذا يعطي ان «الهور» بفتح الحاء والواو . ومن ذلك تقييده في (المنال) «عرضان» بكسر العين وضمها . واهمال ذلك في (النهاية) (٥) .

وقد وقفت على شيء من الخلاف بين (المنال والنهاية) وذلك ما ذكره ابن الاثير في ضبط «الحوب» ، فقد قال في (المنال) : «الحوب : الاثم ، وتضم حاؤه وتفتح فالضم لغة الحجاز ، والفتح لغة تميم» .

(١) ذكرت في تعليقي على هذا الموضوع ان الذي في (الفائق) المطبوع ، بسكون الهمزة وكسر

الزاي مخففا ، بضبط القلم ، ولم يقيده الزمخشري بالعبارة .

(٢) المنال (حديث طهفة بن ابي زهير النهدي والنهاية (ازل) ٤٦/١

(٣) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمى) والنهاية (نهته) ١٣٩/٥

(٤) المنال (حديث ذى المشعار مالك بن نمط الهمداني) والنهاية (حور) ٤٥٩/١

(٥) المنال (حديث وائل بن حجر) ، والنهاية (عرض) ٢١٤/٣ .

وجاء عكس هذا في (النهاية) ، وقلت في تعليقي على هذا الموضوع «وكذا قال الفيومي في المصباح ، وعكس المصنف في (النهاية) فجعل الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم، ومثله في اللسان والتاج» (١). وبعد: فلعل في هذا الذي ذكرت ، دليلاً على فرق مابين الكتابين، وانه لايعني كتاب عن كتاب شيئاً .

توثيق نسبة الكتاب الى ابن الاثير

على كثرة من ترجموا لابن الاثير، لم اجد من ذكر له هذا الكتاب الا ابن الشعار الموصللي، المتوفى سنة (٦٥٤). وتاج الدين السبكي المتوفى سنة (٧٧١) (٢) .

وابن الشعار يسمي الكتاب: «منال الطالب في شرح الغرائب» ، ثم يقول: «وهي الاحاديث المطولات» .

وابن السبكي يسميه: «شرح غريب الطوال»، وهذه تسمية موهمة، كما ترى، فاكثر ما يطلق لفظ «الطوال» على القصائد السبع الجاهلية المعروفة . وقد نظرت في كتاب «كشف الظنون» في جميع مظانه، فلم اجد فيه ذكرا لهذا الكتاب، ثم رأيت اسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة (١٣٣٩) في كتابه «ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٣)» يذكر عنوان الكتاب «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» ، ولم يزد على ذكر العنوان شيئاً البتة .

وفيما عدا هؤلاء الثلاثة ، لم أجد من ذكر الكتاب ، او اشار اليه ، او نقل عنه .

-
- (١) المنال (حديث جرير بن عبدالله البجلي) والنهاية (حوب) ٣٥٥/١
 - (٢) راجع عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (الجزء السادس من مخطوطة اسعد افندي) وطبقات الشافعية الكبرى ٣٦٧/٨ .
 - (٣) ايضاح المكنون ٥٦٢/٢ ، ويشير هنا إلى ان اسماعيل البغدادي ، حين ترجم لابن الاثير في كتابه هدية العارفين ٢/٢ ، ٣ ، لم يذكر له هذا الكتاب .

وقد حاك في صديري ان الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢) ربما يكون قد اطلع على (منال الطالب) ، وذلك ان ابن الاثير ذكر في حديث اكيدير ، قال : «ومن الناس من يقول : انه اسلم ، والأول اصح» وقد حكى ابن حجر هذه العبارة عن المصنف ، في ترجمة اكيدير من (الاصابة) (١) ، فقال : وقال ابو السعادات ابن الاثير - أخو مصنف اسد الغابة - : من الناس من يقول : ان أكيدِر اسلم ، وليس بصحيح» . فهل نقل ابن حجر هذا الكلام من (منال الطالب) او من كتاب آخر من مصنفات ابن الاثير ؟ .

ومهما يكن من امر ، فنحن نحمد الله تعالى ان سلمت لنا مقدمة الكتاب التي ذكر فيها ابن الاثير غرضه من تأليف الكتاب ، ومنهجته فيه ، وعنوانه الذي اختاره له ، ولولا ذلك كله لكنا من هذا الكتاب في امر مريب .

ولعل جهالة هذا الكتاب عند القدامى ترجع إلى انه من آخر تصانيف ابن الاثير - في اكبر الظن - اذ كان تاريخ الانتهاء من نسخته وقراءته على مصنفه (٢) سنة (٥٦٠٦هـ) والمصنف رحمه الله توفي في سلخ ذي الحجة من السنة نفسها .

نسخة الكتاب

هي نسخة وحيدة احتفظت بها الخزانة العامة بمدينة الرباط ، عاصمة المغرب الأقصى - صانه الله من الآفات والمحن - وكم من المخطوطات الفريدة النادرة ، احتفظت بها مكاتب المغرب العزيز ، الذي ظل عربي الوجه واليد واللسان ، برغم عوامل القهر فلقد عرفوا قيمة هذا الارث الجليل الذي آل اليهم ، فحفظوه وصانوه ، كما يصون كرام الابناء ودائع الآباء .

(١) الاصابة ١/١٣١ .

(٢) سيأتي الكلام على ذلك في وصف نسخة الكتاب .

والمشتغلون بالتراث ونشر النصوص يذكرون للمكتبة المغربية انها احتفظت بنسخ وحيدة من كتب ذوات عدد ، اذكر منها على سبيل التمثيل لالحصر : حذف من نسب قريش ، لمؤرخ السدوسي ، والفرق في اللغة ، لثابت بن ابي ثابت ، وراق ابي عبيد القاسم بن سلام ، والبرصان والعرجان ، للجاحظ والصاهل والشاحج ، لابي العلاء المعري ، والوسيط في الامثال للواحدي ، والموفق في النحو ، لابن كيسان ، وكتاباً صغيراً في النحو ، للحسن بن عبد الله المعروف بلغدة الاصبهاني (١).

وأعود إلى الحديث عن نسخة (منال الطالب) ، فأقول : لقد جهدت في الظفر بسخة ثانية من هذا الكتاب ، فلم اوفق.

ومن نعم الله تعالى علينا ان هذه النسخة المغربية غير هي محوجة إلى غيرها فهي إلى النفاسة ماهي . ولقد جمعت النسخة كل اسباب القبول والتوثيق التي يعرفها المشتغلون بعلم المخطوطات .

فخطها نسختي نفيس جداً ، مضبوط ضبطاً كاملاً ، مع وضع علامات الاهمال تحت الحروف المهملة

وناسخها هو : شرف الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، وهو ابن أخي المصنف ، والده : نصر الله بن الاثير ، صاحب كتاب (المثل السائر) ، وقد فرغ شرف الدين من نسخ الكتاب سنة (٦٠٦) هـ وكتب في آخر النسخة :

«ثم كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، وذلك في سنة ست وستمائة . كتبه محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، ولد أخي المصنف ، حامداً لله تعالى (٢) على نعمه ، ومصلياً على رسوله (٣) مسلماً . ولحمد لله رب العالمين »

(١) لعل الايام تظهر نسخا اخرى من هذه الكتب ، ولكن إلى الان لم تعرف هذه الكتب الا من قبل المغاربة . وقد كتبت عن علماء المغرب في حفظ التراث الاسلامي قديما وحديثا ، منذ نحو اربع سنوات ، في مجلة الثقافة المصرية ، ودعوة الحق المغربية .

(٢) هكذا بكسر اللام في لفظ الجلالة .

(٣) هكذا بغير واو العطف

وقد سمع محمد النسخة وقرأها على عمه المصنف . وكتب السماع
 عمّه الثاني عزالدين علي بن محمد ، ابن الاثير المؤرخ ، صاحب كتاب
 (الكامل) وهذه صورة السماع وتاريخه ، كما جاءت على صفحة العنوان :
 سمع جميع كتاب (منال الطالب في شرح طسوال الغرائب ، من اوله
 إلى آخره ، على مصنفه المولى الاخ (السعيد) (١) مجد الدين ابي السعادات
 المبارك بن محمد ابن عبد الكريم ، املاء من لفظه ولسد (الاخ) (٢) الولد
 الاعز شرف الدين محمد بن نصرالله بن محمد بن عبدالكريم ، في عدة
 مجالس ، في شهور سنة ست وستمائة . كتبه علي بن محمد ابن
 عبد الكريم ، في جمادى الاول (٣) (هكذا) من سنة ست وستمائة ، حامدا
 لله تعالى ، ومصليا على رسوله محمد وآله ومسلما» .

وترى اثر هذا السماع على حواشي النسخة في آخر الاحاديث .

وهذه النسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، برقم (١٨٢) اوقاف .
 وقد نسختها بيدي . وفرغت من تحقيقها . وصدر الجزء الاول في عام
 ١٤٠٠=١٩٨٠ عن مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بكلية
 الشريعة — بمكة المكرمة .

واذ قد فرغت من الكلام على الكتابين اللذين افردهما ابن الاثير ،
 لغريب الحديث ، وهما «النهاية» و«منال الطالب» فاني ذاكر كلمة موجزة
 عما نثره من شرح لغريب الحديث في كتابيه : «جامع الاصول» وشرح
 مسند الشافعي» .

(١) جاءت هذه الكلمة غامضة ، ولقد اجتهدت في قراءتها كما ترى .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض : ولقد رجحت انها هكذا .

(٣) هكذا جاء ، والمعروف ان جمادى مؤنثة ، قال الفراء : «الشهور كلها مذكرة الا جماديين
 فانهما .. ثم قال : فان» فان سمعت تذكير جمادى فانما يذهب إلى الشهر وانظر اللسان
 (جمد) .

جامع الاصول في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

جمع ابن الاثير ، رحمه الله ، في هذا الكتاب ، الاصول الستة :
الموطأ ، والبخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي .
وقد عني ابن الاثير ، في كتابه هذا ، بشرح الغريب ، عناية بالغة
وقد ذكر منهجه في ذلك ، وابان عنه في مقدمته ، قال رحمه الله في الفصل
الخامس من المقدمة في بيان الغريب والشرح :

« لما اردنا ان نذكر شرح لفظ الحديث ومعناه ، كان الاولى بنا ان
نذكره عقيب كل حديث ، فانه اقرب تناولاً ، واسهل مأخذاً ، لكننا
رأينا ان ذلك يتكرر تكرراً زائداً ، لاشتراك الاحاديث في المعنى الواحد
مع تقارب الالفاظ ، بل اتحادها ، فان ذكرنا شرح الحديث الواحد ،
واذا جاء مثله احلنا عليه ، احتاج الطالب الى كلفة عظيمة ، حتى يجد
الغرض ، وكان الكتاب يطول بكثرة الاحالات ، وان نحن اوردناه آخر
كل فصل او باب جاء من التكرار ما يقارب الاول ، وان نحن افردنا
للشرح كتاباً مستقلاً بنفسه - كما فعله الحميدي ، رحمه الله في « غريب
كتابه » - صار ذلك الكتاب مفرداً وحده ، لاعلاقة بين الاصل وبينه
فمن شاء نسخه ، ومن شاء تركه ، فكانت الفائدة تذهب ، ويزول الغرض
ويبقى الكتاب خالياً من الشرح والتفسير الذي قصدنا اليه .

فأدى النظر الى ان ذكرناه في اخر كل حرف من حروف (أ ب
ت ث) على ترتيب الكتب التي في كل حرف ، وسياق الاحاديث التي
في كل كتاب ..

ثم قال رحمه الله :
وعولت في الشرح على كتب ائمة اللغة ، وكتب غريب الحديث ،
وكتب الفقه ، وغيرها .

فمن كتب اللغة : كتاب « التهذيب » لابي منصور محمد بن احمد
الازهري ، وكتاب « لغة الفقه » له ، وكتاب « صحاح اللغة » لابي نصر

اسماعيل بن حماد الجوهري ، وكتاب «المجمل» لابي الحسين احمد
 بن فارس . ومن كتب الغريب : كتاب « غريب الحديث» لابي عبيد القاسم
 بن سلام وكتاب غريب الحديث « لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
 وكتاب «مختلف الحديث» له وكتاب غريب الحديث» لابي سليمان حمد
 بن محمد الخطابي ، وكتاب « معالم السنن» له ، وكتاب « شأن الدعاء»
 له ، وكتاب « الجمع بين الغريبين» لابي عبيد الروي ، وكتاب « الفائق»
 لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، وكتاب « غريب الحديث»
 لابي عبد الله الحميدي « (١) .

هذا منهج ابن الاثير ، وتلك خطته في شرح غريب الحديث الوارد
 في الكتاب ، ولكن المحقق رأى ان يدل هذه الطريقة ويشت غريب كل
 حديث وشرحه ، عليه ، تسهيلات للقارى — هكذا قال —
 وهذه طريقة غير مرضية ، وهي مظمنة خطأ ، وموضع سهو ، وكثيرا
 ماتوقع في اضطراب ، وقد وقع شيء من ذلك في الكتاب (٢) .

وما ينبغي لمحقق ان يستجيز لنفسه تغيير نظام كتاب ، اراد مؤلفه
 ان يكون ، ومن اراد التسهيل على القارى ففى الفهارس الفنية غنية وكفاية

ومهما يكن من امر ، فقد اورد ابن الاثير في كتابه هذا مادة لغوية
 غزيرة جدا ، وفي اكبر ظني ان هذه المادة اللغوية . لو افردت في كتاب
 لعاء في نصف « النهاية»

(١) جامع الاصول ١/٦٤-٦٧ .

(٢) راجع الجزء الرابع ، صفحات ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وقال المحقق في الموضع الاول ،
 عن الحديث المشروح : « سقط غريبه والثلاثة الذين بعده في محله سهوا ، استدركناه هنا
 لقربه » .

ويختلف منهج ابن الاثير ، في شرحه للغريب ، في هذا الكتاب عن منهجه في « النهاية » فهو في « النهاية » يوجز القول ايجازا ، على حين نراه هنا يتوسع في الشرح ، وفي ذكر الروايات .
واضرب لذلك مثلا بما ذكره في شرح حديث : « وكان منها اجادب امسكت الماء » (١) .

وكذلك الخلاف بين الافتراق والتفرق (٢) .

وما اورده في شرح حديث عائشة رضی الله عنها : « نصبت على باب حجرتي عباءة مقدمه من غزاة خيبر او تبوك ، فهتك العرض حتى وقع بالارض » . والخلاف في « العرض » هل هو بالصاد المهملة ، او بالضاد المعجمة (٣) .

وما ذكره في حديث المسح على الخفين « فادرعهما ادراعا » (٤) .
وما ذكره في شرح حديث الحيض : « نخذي فرصة ممسكة فتطهري بها » (٥) .

ومنه ما اورده في شرح حديث ابن عباس رضی الله عنهما ، في امر الكعبة : « فرق لي رأی فيها » (٦) .

وما ذكره في شرح حديث : « ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه » (٧)
وما اورده في حديث اشراط الساعة : « ويلقى الشح » (٨) .

(١) جامع الأصول ٢٨٦/١ ، وقارن بما في النهاية ٢٤٣/١

(٢) جامع الاصول ٥٧٨/١ ، والنهاية ٤٣٩/٣ .

(٣) جامع الاصول ٨٠٦/٣ ، والنهاية ٢٠٨/٣ .

(٤) جامع الاصول ٢٣٣(٧) ، والنهاية ١٥٨/٢ .

(٥) جامع الاصول ٣٢٠/٧ ، والنهاية ٤٣١/٣ .

(٦) جامع الاصول ٣٠٠/٩ ، والنهاية ٤٤٠/٣ .

(٧) جامع الاصول ٥٤١/٩ ، والنهاية ١٢٣/٣ .

(٨) ٤٠٩/١٠ ، والنهاية ٢٦٨/٤

وفي حديث الصراط : « ومنهم مكدوس في النار » (١) .
 وفي حديث عائشة ، رضى الله عنها ، وذكرت نساء الانصار :
 « عمدن الى حجور او حجوز ، فشققنهن فاتخذنهن خمرًا » (٢) .
 ففي كل هذه الامثلة ، ترى توسعا وبسطا في الشرح ، في جامع
 الاصول ، وترى وجازة واختصاراً في النهاية .
 ومع ان ابن الأثير ، رحمه الله ، قد شرط في مقدمته الا يكرر شرح
 الكلمات الغريبة ، اعتماداً على ماسبق ذكره ، فانه كرر شرح بعض الكلمات
 كثيراً ، ولعل ذلك لطول الكلام بين الموضوعين ، كما ذكر رحمه الله .
 ومن ذلك كلمات :

« قسط واقسط ، والاوثنان ، والعجوة ، والغير ، وأنفأ ، والعقال ،
 والاربيكة ، والوسادة وبني باهله ، ونشدتك الله ، وامالا ، والظعينة ،
 وعنبة طافية ، والراحلة ، ووهم ، والسرية والسرايا ، والموجدة ، والخيلة ،
 والثياب المعافرية ، والموجدة ، والاقط ، والداجن ، والثوب القطري ،
 والتخرج ، والدباء ، وأوجب ، والاحتباء . وقوله صلى الله عليه وسلم :
 ان من البيان لسحرا » .

ولم يقف ابن الأثير عند حدود الشرح اللغوي للفظ الغريب ، بل
 عمد إلى شرح المعاني ، وأشار إلى اختلاف العلماء في الاحكام :
 ومن هذا شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قال في كتاب
 الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ » . وقد اورد ابن الأثير على هذا الحديث
 كلاماً جيداً (٣) .

(١) جامع الاصول ٤٥٤/١ ، والنهاية ١٥٥/٤ .

(٢) جامع الاصول ٦٤٤/١٠ ، والنهاية ٣٤٤/١ .

(٣) جامع الاصول ٣/٢ - ٦ .

وما ذكره في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه
الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » (١) . والكلام الذي قاله
ابن الأثير حول هذا الحديث ، عال سديد .

هذا ، وقد ذكر ابن الأثير ، رحمه الله ، شرحاً طيباً ، لقول الله
تعالى ، فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم لي وانا
اجزى به » .

وقد عزى ابن الاثير هذا الشرح للامير مجاهد الدين قايماز بن عبد
الله ، ثم افاد ان هذا الفهم لمعنى الحديث مما انفرد به ذلك الامير ، وانه
لم يقع لاحد قبله .

واني استجيز لنفسي ان انقل كلامه كله - مع طوله - لما فيه من
الفائدة والغرابة .

قال رحمه الله :

«انما خص الصوم ، والجزاء عليه ، بنفسه عز وجل ، وان كانت
العبادات كلها له ، وجزاؤها منه ، لان جميع العبادات التي يتقرب بها
العباد إلى الله عز وجل ، من صلاة ، وحب ، وصدقة ، وتبتل ، واعتكاف ،
ودعاء ، وقربان ، وهدي ، وغير ذلك من انواع العبادات ، قد عبد
المشركون بها آلهتهم ، وما كانوا يتخذونه من دون الله اندادا ، ولم يسمع
ان طائفة من طوائف المشركين في الازمان القديمة عبدت الهتها بالصوم ،
ولا تقربت اليها به ، ولادانتها به ، ولا عرف الصوم في العبادات الا من
جهة الشرائع فإذلك قال الله عز وجل : «الصوم لي» . اي لم يشاركني فيه
احد ، ولا عبد به غيري ، فانا حينئذ اجزى به على قدر اختصاصه بي ،
وانا اتولى الجزاء عليه بنفسى ، لآأكله إلى احد (غيري) من ملك مقرب ،
او غيره .

(١) جامع الاصول ١١/٣٢٠ - ٢٣٤ .

ثم قال : وقد ذكر العلماء في معنى هذا الحديث ، وجوهاً من التأويل ، لاتداني هذا القول ، ولاتقاربه ، اذ مامن قول منها الا وبقي العبادات تشاركه فيه . وهذا القول اخبرني به الامير مجاهد الدين ابو منصور قايماز بن عبد الله - ادام الله سعادته - وذكر انه مما وقع له ابتكاراً ، ولم يسمعه من احد ، ولا وقف عليه في كتاب ، ولم اسمعه انا من غيره ، ولقد اصاب فيما وقع له ، واحسن ، وفقه الله بعرفانه» (١)

هذا كلام ابن الأثير ، وهو رحمه الله غير متهم في دينه وورعه ، ولم يعرف عنه انه كان يصانع الحكام ، او يتقرب اليهم ، فقوله هذا ، ونقله عن الامير مجاهد الدين ، مرضي ومقبول ، ان شاء الله .

والامير مجاهد الدين هذا : هو ابو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، تسولى نيابة الحكم لسيف الدين غازي ، بالموصل ، وكان كثير الخير والصلاح ، وكان ابن الأثير كاتبه ومنشئ الرسائل عنه إلى الملوك . توفي سنة (٥٩٥) (٢) .

ولم يخل ابن الاثير كتابه من بعض مسائل النحو والصرف ، على عادته في كل مصنفاته (٣) .

وتتجلى امانة ابن الاثير العلمية ، فيما اورده في شرح حديث الاستسقاء وقول الاعرابي : «فألف الله بين السحاب وملاعتنا» .

قال رحمه الله : «الذي جاء في كتاب الحميدي : «ملاعتنا» ، وفي كتاب مسلم : «ملتنا» ، ولم يتعرض الحميدي في غريبه لشرحها ، والذي جاء في كتاب رزين : «هلتننا» يعني السحاب ، وهو اقرب إلى المعنى . والله اعلم» .

(١) جامع الاصول ٤/٤٥٣ ، ويلاحظ ان ابن الاثير ، قد ذكر هذا الرأي في توجيه الحديث ، في النهاية ١/٢٧٠ ، ولم يعزه إلى أحد . بل قال : «واحسن ماسمعت في تأويل هذا الحديث . وذكروا ما ذكر .

(٢) وفيات الاعيان ٤/٨٣ .

(٣) انظر مثلاً : جامع الاصول ٢/٣٦٢ ، ٨/٢٣٧ ، ٩/١٢٣ .

ثم قال: «وهذه اللفظة لم تجيء الا في رواية مسلم، و«اعرف معناها، ونحن نرويها كما سمعناها، إلى ان نعرف لها معنى» (١)

موارد ابن الاثير في الكتاب :

هي نفس الموارد التي تراها في كتابيه: النهاية، والمنال، وقد نقلت لك قريبا كلامه عن العلماء الذين افاد منهم، ونقل عنهم، ويظهر في هذا الكتاب تعويله على الخطابي وحكايته عنه كثيرا، وكذلك الحميدي، ونقل عنه نقلا عزيزا، في جمع فعلة - بكسر الفاء - على افعلاء وذكر انه لم يعرفه، ولم يجده في كتب اللغة والنحو (٢).

غير اننا نجد ابن الاثير في هذا الكتاب، ينقل عن بعض العلماء الذين لم ينقل عنهم في النهاية، مثل الميداني، صاحب الامثال (٣).

هذا، وقد جرى ابن الاثير في الجامع، على ما جرى عليه في النهاية من الابهام في بعض المواضع، وعدم التصريح بذكر من ينقل عنهم، كقوله، «رأيت بعض اكابر العلماء». «وقال بعضهم» (٤).

(١) جامع الاصول ٦/٢٠٤ .

(٢) جامع الاصول ١٩/١٢٣ (حديث فضل ام المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها) .

(٣) جامع ٩/٦٧ ، وقارن بما في النهاية ٤/٢٧ .

(٤) جامع الاصول ٥/٣٩٣ ، ٧/٥٠٢ ، وقد اورد في الموضوع الأول ، كلاما نفيسا ، عن

هذا الذي لم يصرح باسمه من اكابرا العلماء ، في شرح حديث : « اعوذ برضاك من سخطك

وبمعافاتك من عقوبتك » .

الشافعي في شرح مسند الشافعي

وهذا هو الكتاب الرابع من كتب ابن الاثير الذي عني فيه بغريب الحديث .

والكتاب لا يزال مخطوطا. وقد قال في مقدمته ، فيما قال :
«ثم أنا بعد ذكر الاسانيد والروايات ، نشرع في ذكر ما في الحديث ،
مما تدعو الحاجة إلى بيانه، وجرت العادة بشرح ما يتعلق به من اسناد، ورجال ،
وغريب ، ولغة، ونحو، واعراب، وتصريف، واشتقاق، ومعنى ، وفقه،
واصول فقه، وعلم كلام، واصول حديث «إلى اخر ما قال (١) .
وبعد:

فارجو ان اكون قد وفقت فيما قصدت اليه من الابانة عن جهود
ابن الاثير، في شرح غريب الحديث، والكشف عن موارده ، واثره في
المخالفين. والحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة.

٧ من ذي القعدة ١٤٠١ هـ

٥ من سبتمبر ١٩٨١ م.

مصادر ومراجع البحث

١. اساس البلاغة للزمخشري. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٧٢م.
٢. الاعلام، للاستاذ خير الدين الزركلي. الطبعة الرابعة - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩.
٣. الامثال، لابي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش - مركز البحث العلمي والتراث الاسلامي بكلية الشريعة - مكة المكرمة ١٤٠٠=١٩٨٠.
٤. ايضاح المكنون في الدليل على كشف الظنون. لاسماعيل باشا البغدادي. استانبول ١٩٤٥م.
٥. برنامج الوادي آثي. تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الاسلامي. بيروت ١٤٠٠=١٩٨٠م.
٦. بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد. للقاضي عياض. تحقيق صلاح الدين بن احمد الادلبي، ومحمد الحسن اجانف، ومحمد عبد السلام الشرقاوي - الرباط بالمغرب الاقصى ١٣٩٥=١٩٧٥م.
٧. بغية الوعاة، للسيوطي. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. عيسى الحلبي. القاهرة ١٩٦٤م.
٨. تاريخ الادب العربي. لبروكلمان. الطبعة الالمانية.
٩. تفسير القرطبي. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٣٧٢.
١٠. جامع الاصول. لابن الاثير. تحقيق الشيخ عبد القادر الارناؤوط. دمشق ١٣٨٩=١٩٦٩م.
١١. جمهرة الامثال لابي هلال العسكري. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، والدكتور عبد المجيد قطامش المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة ١٣٨٤=١٩٦٤م.
١٢. الدر الثبير تلخيص نهاية ابن الاثير. للسيوطي. طبع بهامش النهاية. العثمانية. القاهرة ١٣١١.

١٣. الروض الانف للسهلي. الجمالية. القاهرة ١٣٣٢=١٩١٤م.
١٤. الشافي في شرح مسند الشافعي. لمجد الدين بن الاثير. مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ حديث.
١٥. شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك. تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الخامسة عشرة. دار الفكر بيروت ١٣٩٢=١٩٧٢م، مصورة عن طبعة السعادة بالقاهرة.
١٦. شرح النووي على صحيح مسلم. المطبعة المصرية القاهرة ١٩٢٩م.
١٧. الصحاح للجوهري. تحقيق احمد عبد الغفور عطار. دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٥٦م.
١٨. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٧٤.
١٩. طبقات الشافعية الكبرى. لابن السبكي. تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الخلو والدكتور محمود محمد الطناحي. عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٨٣=١٩٦٤م.
٢٠. عقود الجمان في شعراء هذا الزمان. لابن الشعار الموصلبي. مخطوطة بمكتبة اسعد افندي باستانبول. ومنها صورة بمعهد المخطوطات برقم (٣٣٩) تاريخ.
٢١. غريب الحديث للخطابي. مخطوطة المكتبة السليمانية، ورجعت إلى مصورة منها بمركز البحث العلمي. بكلية الشريعة - مكة المكرمة.
٢٢. غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام. تصحيح محمد عظيم الدين. ومراجعة الدكتور محمد عبد المعيد خان - حيدر آباد الدكن. الهند ١٣٨٤=١٩٦٤م.
٢٣. غريب الحديث لابن قتيبة. تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري. وزارة الاوقاف - بغداد ١٣٩٧=١٩٧٧م.

٢٤. الغريبين (غريبي القرآن والحديث) تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي
المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة ١٣٩٠ .
٢٥. الفائق في غريب الحديث للزمخشري وتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،
ومحمد علي البجاوي . عيسى البابي الحلبي . الطبعة الثانية ١٩٧١ م .
٢٦. القاموس المحيط . للفيروز ابادى . المطبعة الحسينية المصرية . القاهرة
١٣٤٤ .
٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل . للزمخشري . المطبعة الاميرية بالقاهرة
١٣١٨ .
٢٨. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . للحاج خليفة . استانبول
١٩٤١ م .
٢٩. لسان العرب . لابن منظور . المطبعة الاميرية . بولاق . القاهرة ١٣٠٠ .
٣٠. مجمع الامثال . للميداني . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .
مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٧٤=١٩٥٥ م .
٣١. مسند احمد بن حنبل القاهرة ١٣١٣ .
٣٢. المصباح المنير في الشرح الكبير للفيومي . تصحيح مصطفى السقا .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٦٩=١٩٥٠ م .
٣٣. معجم الادباء . لياقوت الحموي . دار المأمون . القاهرة ١٩٣٦ م .
٣٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق استاذنا عبد السلام محمد
هارون . عيسى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٦٦ .
٣٥. معرفة علوم الحديث . للحاكم النيسابورى . تصحيح الدكتور السيد
معظم حسين .
- المكتب التجاري للطباعة . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
٣٦. المغيث في غريب القرآن والحديث . لابي موسى المديني الاصبهاني
مخطوطة بمكتبة فيض الله افندي باستانبول . ورجعت الى صورة

- منها بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم (٥٠٠ حديث) .
- مقاييس اللغة = معجم مقاييس اللغة .
٣٧. منال الطالب في شرح طوال الغرائب . لمجد الدين بن الاثير .
تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي . نشر مركز البحث العلمي
والتراث الاسلامي بمكة المكرمة ١٤٠٠ = ١٩٨٠م
٣٨. نفع الطيب للمقرى . تحقيق الدكتور احسان عباس . دار صادر
- بيروت ١٣٨٨ = ١٩٦٨م
٣٩. النهاية في غريب الحديث والاثر . لمجد الدين بن الاثير . تحقيق
الدكتور محمود محمد الطناحي . عيسى البابي الحلبي . القاهرة
١٣٨٣ = ١٩٦٣م
٤٠. هدية العارفين . لاسماعيل باشا البغدادي . استانبول ١٩٥١م .
٤١. وفيات الاعيان . لابن خلكان . تحقيق الدكتور احسان عباس . دار
صادر- بيروت ١٣٩٨ = ١٩٧٨م

1. The first step in the process of writing a research paper is to choose a topic. This should be a topic that interests you and one that you can research thoroughly.
2. Once you have chosen a topic, you need to narrow it down to a specific question or problem. This will help you focus your research and make your paper more manageable.
3. Next, you should gather information on your topic. This can be done through a variety of sources, including books, articles, websites, and interviews. It is important to evaluate the credibility of your sources.
4. After you have gathered your information, you should organize it into a logical structure. This will help you present your ideas clearly and effectively.
5. Finally, you should write your paper. This is the most time-consuming part of the process, but it is also the most rewarding. Make sure to proofread your paper carefully before submitting it.

ملخص عن مخطوطة فريدة للجزء الثاني من
ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير

اعداد
الاستاذ هلال ناجي

1

1900

1901

1902

1903

ملخص عن مخطوطة فريدة للجزء الثاني من

ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير

حديث عن المخطوطة :

مخطوطة هذه الرسائل التي ننشرها اليوم أول مرة ، محفوظ أصلها الفريد في مكتبة يافت بالجامعة الامريكية في بيروت تحت رقم MS89 - 2 - 76062 FAV.Z كانت من كتب ابي بكر بن رستم بن احمد الشبرواني وعليها تملك باسمه . وعدة اوراقها ١١٥ ورقة (٣٢٠ صحيفة) معدل سطور الصحيفة الواحدة ١٥ سطرا ، وفيها سقط واحد بين الصحيفتين ٢٢ و ٢٣ ذهبت به بقية الرسالة السابعة واول الثامنة .

وقد كتب على الصحيفة الاولى بخط مختلف عبارة « الجزء الثاني من ترسل صاحب ضياء الدين » . وكتب على الورقة ١١٥ بخط مماثل لخط الاصل عبارة : « تم الجزء الثاني من ترسل المولى صاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة » . ويليهما محو وبعده عبارة « كتاب كتبه الى بعض غلمانه وقد ارسل على يده كتابا فغرق في الفرات » ويتلوها بعد ذلك تحميد هذا نصه « والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه » .

ويغلب على الظن ان عبارة « كتاب كتبه الى بعض غلمانه ... الخ » تخص الجزء الثالث من ديوان رسائله ، وادرجها الناسخ هنا سهوا ، وان في موضع المحو بداية الجزء الثالث .

وعلى الرغم من اثبات اسم المصنف في آخر المخطوط بخط مماثل للاصل ، فان مقتضيات البحث العلمي كانت توجب التثبت من صحة نسبه اليه . ان دراسة النص من الداخل انتهت بي الى الجزم بان هذا المخطوط

هو جزء من ديوان رسائل ضياء الدين بن الاثير الذي اكده ابن خلكان انه يقع في عدة مجلدات والادلة على ذلك كثيرة منها :

١. ان استقراء مناسبات هذه الرسائل يرسم لنا صورة للحياة السياسية والاجتماعية والادبية التي عاشها ضياء الدين بن الاثير ، وهي صورة لاتخلط بغيرها من حيث الشخوص والاحداث والمضامين ، وتقطع بنسبة هذه الرسائل اليه .

٢. مما يعزز نسبة هذا المخطوط لضياء الدين بن الاثير الرسالة المرقمة ٤١ وقد كتبها الى اخيه مجد الدين ابي السعادات يعزبه بسقط . ومعلوم ان المحدث الكبير مجد الدين بن الاثير هو الاخ الاكبر لضياء الدين .

٣. من الادلة القاطعة ان نقولاً من هذه الرسائل قد اثبتتها ابن الاثير في كتابه الشهير « المثل السائر » ونسبها فيه لنفسه صراحة ، فمن ذلك :

أ - قطعة من الرسالة رقم ٤٠ وهي تقليد بولاية مدينة دمشق ، صرح ابن الاثير بنسبتها لنفسه في المثل السائر ١١٠/٣ - ١١١ .

ب - قطعة من الرسالة رقم ١٤ في وصف البرد ، صرح ابن الاثير بنسبتها لنفسه في المثل السائر ٧٩/٣ .

٤. ان الرسائل المرقمات ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ موجودة في نشرة (القيسي - هلال) الثابتة النسبة الى ضياء الدين بن الاثير والتي لا يثور شك في انها جزء من ديوان رسائله .

وهذه الادلة في مجموعتها تقطع كل شك ، وترد كل شبهة في صحة نسبة المخطوطة الى ضياء الدين بن الاثير .

وقد كانت في الاصل المخطوط بياضات قليلة في بعض المواضع اشرنا اليها والى مقاديرها في مواضعها من نشرتنا هذه ، كما كانت هناك كلمات نادرة مبهمة اشرنا اليها في مواضعها .

ولقد اعتمدنا في تحقيق هذا المخطوط الفريد ، القواعد التي جربنا عليها في تحقيقاتنا السابقة والمؤلفة مع قواعد تحقيق النصوص التي وضعتها لجنة « وضع قواعد تحقيق التراث » المنعقدة في بغداد في أيار من عام ١٩٨٠ بإشراف واختيار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وكان المحقق من اعضائها .

وتضم المخطوطة خمسا وخمسين رسالة من انشاء ضياء الدين بن الأثير ، ورسالة واحدة من انشاء الملك الأفضل . وليس في المجموعة التي نشرها الاستاذ انيس المقدسي بعنوان « رسائل ابن الأثير » في بيروت عام ١٩٥٩ اية رسالة منها . غير ان المجموعة التي نشرتها بمشاركة الدكتور نوري القيسي من رسائل ابن الأثير تلتقي مع مجموعتنا هذه في خمس رسائل فقط . ان استقلال كل مجموعة من هذه المجاميع الثلاث عن بعضها ، وعدم تكرار الرسائل بينها - الا في النادر - لا يمكن ان يأتي اعتباطاً او محض صدفة ، وهو يقودنا إلى استنتاج حقيقة بالغة الأهمية هي : ان هذه المجاميع الثلاث تمثل ثلاث مجلدات متفرقة من ديوان رسائل ابن الأثير الذي ذكر مترجموه انه في عدة مجلدات .

ولعل الزمن يكشف عن اجزاء مازالت طي الخبيء المجهول من مخطوطاتنا العربية المتناثرة عبر العالم .

تضيف رسائل هذه المخطوطة اشياء كثيرة إلى جوانب من تاريخنا وادبنا ، وتلقي اضواء على زوايا غامضة او غير معروفة فيها .

ففي الجانب التاريخي مثلاً تؤرخ الرسائل ١١ و ١٠ و ١٢ للصحيفة الأخيرة من الصراع بين المالكين الأفضل والعاذل الايوبيين ، بعد استقرار الأفضل في سميساط وهي صحيفة مجهولة لفقدان وثائقها . ولكن مجموعتنا هذه تقدم - وللمرة الأولى - الرسائل المؤرخة لها والتي تنفرد بحفظها .

كما تؤرخ الرسالة ١٥ صحيفة من صحائف الصراع الذي دار بين
حاكم الموصل وحاكم الجزيرة عام ستمائة هجرية .
وتكشف الرسالة ٥٠ جانباً من العلاقات بين حاكم سنجار علاء الدين
محمود بن مجاهد الدين العمادي ، والسلطان الأشرف الأيوبي .
وتصوب الرسالة السادسة وهماً وقع فيه بعض مترجمي مجاهد
الدين قايماز حاكم الموصل ، اذ ذكرت تلك المصادر انه مات في سجنه ،
وهو وهم جكسته هذه الرسالة واكدت انه قد اطلق سراحه واعيد إلى
مناصبه بعد ان تكشفت براءته . وتكشف الرسالة الرابعة والثلاثون امراً
بالغ الاهمية تم عام ٦٠٨ هـ وهو اعلان الطائفة الاسماعيلية المعتصمة بحصون
الموت من بلاد العجم اسلامها وانتهاء الصراع بينها وبين الدولة العباسية .
وتؤكد الرسائل المرقمات ١٧ و ١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٣٨ و ٤٤ و ٤٧ ،
نزعة الخير عند ابن الأثير ، وحبه المعروف ، وعمق انسانيته ، في تشفعه
للناس رداً لما لحقهم من مظالم ، او انصافاً لهم من زمنهم ، او درعاً للعوز
عن بعضهم .

واذا كانت رسائل الوصف في الادب العربي قليلة عموماً ، فان
هذه المخطوطة تقدم في الرسالتين المرقمتين ٣٥ و ٣٦ نماذج قلمية ثرية
رائعة ترقى إلى اجود ما حفظه لنا الادب العربي من رسائل الوصف . واذا
كان وصفه للبستان والدار والروض والازهار له نظائر في النثر العربي
القديم ، الا ان وصفه للشطرنج عجيب في بابه وينم عن اصالة وبلاغة
وتفرد في ابتكار المعاني والادوصاف والتشبيهات ، فمما قاله في الشطرنج:
«ومما حضرنا بعد ذلك انه جرى بلعبة عجماء للناس بها غرام ، وهي جديدة
لديهم على قدم الايام ، ومما توصف به انها حلال واخوها حرام . وقد
وضعت على ارض استوت طولاً وعرضاً ، وسويت جوانبها فلا رفعاً
ولا عرضاً ، وبها فريقان من خيل ورجل قد اختلفا شعاراً ، كما اختلفا
نजारاً» . وسواء لديهم الحرب ليلاً ونهاراً ، وما منهم الا من يحمل على

قرنه حمل الشجاع ، ولايفر لخوف القتل ولايمل لتعب القراع . ومن شأنهم ان يقاتلوا بلا سلاح ، ولايرضوا من الغنمة الا بالارواح ، فقتلهم لاتوارى في القبور ، ولاترك طعاماً للشعالب ولا للنسور ، لكن لها في كل ساعة قتل ونشور . ومن اعجب ما فيهم انهم يركضون من غير عثار ، ولا اثاره غبار ، وكلما اخمدت لهم نار حرب عادوا إلى اشعال تلك النار .

ارأيت إلى هذه اللوحة الفنية التي صيرت لعبة الشطرنج ساحة قتال ، ثم انعطفت تقارن وتوازن لتصل إلى ادق الفروق والمفارقات .

وبمثل هذه القدرة الابداعية وصف ابن الأثير فصل الشتاء اثناء مسيره رسولا عن الملك الافضل إلى صاحب الروم من حصن سميساط فذكر : «انه سار عن الخدمة في يوم ضرب الغيث فيه مضاربه ، واسبل عليه ذوائبه ، وجعل كل ربوة حفيراً ، وكل قرارة غديراً ، وخط بكل ارض خطأً ، وغادر كل جانب شطاً» حتى قال : «ثم استمر المملوك في مسيره يقاسي الارض ووحلها ، والسماء ووبلها ، ولقد جاد حتى اكثر ، وواصل حتى اضجر ، واسرف حتى التحق بره بالعقوق ، وما كان المملوك ليخاف لمع البوارق كما يخاف لمع البروق ، فلم يزل من مواقع نظره في حرب ، ومن شدة برده في كرب .

وكتابه هذا صدر في مدينة «ملطية» وهي اول بلاد الروم مقاماً ، ولم يمض عليه الا ثلاثة ايام وكل يوم يجن عاماً . لكن شوقه قد انتهى إلى مداه ، وتمكنت من القلب يداه ... ولايقابل نار شوقه في ايقاد ضمورها ، واشتداد المها ، الا مايجده من البرد الذي الحق الحيوان بالجماد ، وفعل في باطن القلوب ما فعله في ظاهر الاجساد . فهو من ملابسة هذين الحالين في جانبي اضرار ، وليس شبيهه الا الملك الذي نصفه من ثلج ونصفه من نار . ومن صفات هذا البرد انه يعقد الدر في خلفه ، والدمع في طرفه . ولربما تعدى إلى قلب الخاطر فأجنته ان يجري بوصفه ، فالشمس في قيده مأسورة ، والنار بقرة مقررورة ، والارض شهباء الا انها حولية لم

ثرض ، ومسيلات الجبال أنهار الا انها جامدة لم تخض ، والتلج قد ملأ
 الفضاء ، وبرز الموت الاحمر في صورة بيضاء ... وهناك لوحات فنية
 اخرى في الشيب وفي الورد وفي القلم وغير ذلك .
 وتجلو المخطوطة في بعض رسائلها جوانب من صلوات ابن الاثير
 باعلام عصره كالقاضي المؤرخ بهاء الدين ابن شداد رفيق السلطان صلاح
 الدين الايوبي ومصنف كتاب «النوادر السلطانية(١)» ، وكتاج الدين الكندي
 الذي انتهى اليه علم النحو واللغة والقراءات في زمنه (٢) ، وكالامير سيف
 الدين محمد بن تميرك(٣) ، وسواهم . كما تكشف الرسالة ٤٣ عن ابن عم
 له اسمه شمس الدين علي كان كاتباً للسلطان القاهر عز الدين مسعود صاحب
 الموصل عام ٦١٢هـ . وشمس الدين علي هذا هو ذاته الشمس علي بن احمد
 الذي ذكر في نشرة المقدسي ص ٢٦٠ ولابن الاثير رسالة في ذمّه .
 والرسالة التاسعة في هذا المخطوط انموذج رائع للعدل وخيفة الله
 وتوخي الحاكم التخفيف عن الرعية ، وهي جديرة بالوقوف عندها لانها
 تجسد اهتمام الحاكم بالشعب ايام الافضل بن صلاح الدين الايوبي .
 وجوهر هذه الرسالة «توقيع» اصدره الملك الافضل بالغاء المكوس في مملكة
 دمشق والتوقيع في تلك الايام يقابل مانسميه بمرسوم جمهوري في زمننا هذا .
 فمما جاء في هذا التوقيع قوله : «لما عرضت علينا المكوس بدمشق
 المحروسة وجدناها تخفف موازين الاعمال ، وان كانت تثقل موازين
 الاموال ، وعلمنا انها لاتربو عند الله وان ربت عند الناس ، وصاحبها وان
 أثرت منها يده فهو في عدم ذوى الافلاس ، ولاخير فيما يبقى أصرا على
 حامله ، ويفتقر في الدنيا إلى عاملين لحسابه وهو في الآخرة حساب على عامله .
 وكما يسود صحائف الدواوين باثبات اقلامه ، فكذلك يسود صحائف
 السيئات باثبات آثامه . وقد أمرنا بمحورسمة ، وازالة اسمه ، وان يبدل عرفه

(١) انظر الرسالتين ١٨ و ٢٢ .

(٢) انظر الرسالة الثانية .

(٣) انظر الرسالتين ٤٨ و ٤٩ .

بالإنكار، ويتوقى ذكره توقي الأعمار، وينسخ كما نسخت «البقرة» وآل عمران» عفت الديار.

حتى قال: «ولامنة لنا على الرعايا برفع ظلامه إن رفعت كان لنا اجرها، وان تركت كان علينا وزرها. «يمنون عليك ان أسلموا، قل لا تمنوا علي اسلامكم، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان».

وقد اجزل الله لنا العطاء من نعمه التي تضطرب في طولها وعرضها، ووهب لنا الدنيا افلا نشترى نفوسنا ببعضها ١٤، ومن اخسر صفقة ممن ترك تجارة اخراه الخالدة، ورجب في عاجلة اولاه البائدة ... الخ. وإلى جانب هذا التوقيع الفريد في بابه، تنهض الرسالة الاربعون في المخطوطة دستوراً اسلامياً رفيعاً في توجيه الولاة عند توليتهم. وما احسنني ظفرت بمثلها في كل تقاليد الولاة، بل هي تعيد إلى الاذهان عهد خلفائنا العظام إلى ولايتهم وقضاتهم كعهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إن ابي موسى الاشعري، وعهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - إلى النخعي.

وهذه الرسالة في واقعها تقليد كتبه ابن الاثير عن ديوان الملك الافضل عيّن أحدهم بموجهه واليا على دمشق، والافضل في هذا التقليد يرسم للوالي معالم الطريق ويلزمه بجملة وصايا.

والمشعري يحس منذ البداية انه يشق دربا جديدة في فن التقليديات، ويسن سنة لم تطرق فيقول:

«كانت التقليديات تفتح بكلام ليس بندي شأن، ولايجتنى من افنان، ولايوضع في ميزان، وغاية مايقال: هذا ماعهد فلان إلى فلان، وتلك فاتحة لم تكن جديدة فتخاق بتناول الايام، ولاحسنة النظم فتصاهى بمثلها من النظام».

ولقد تحدث في صدر التقليد بعد التحميد عن مصعب الامرة فقال:

«فإن الامرة وان درت اخلافها، وطاب مرتبها ومصنفاها، فأنها مرة الفظام، كثيرة الآثام، تصبح غدا وهي لصاحبها خصيمة واليه ذميمة، والسعيد من اذا جاءته اتخذ التقوى عليها ظهيرا، وقال بالقول النبوي (افلحت يا قديم ان لم تكن اميرا)

ثم ينتقل إلى امتداح الوالي فيقول: ولولا انك من الرجال الذين سلمت فطرته صغيرا، وهذبتة الرياضة كبيرا، لأمرناك ان تمشي على السنن، وان تأخذ بالحسن وان تستجن بمخافة الله التي هي من اوقى الجن، فمن ذلك ان تلزم نفسك اناة ولسانك صدقا، وقلبك خشية ويدك رفقا، واذا غضبت فلا تكن في القول فاحشا، واذا قدرت فلا تكن بالقدرة باطشا، وان تلبس للناس هيئة من غض التواضع طرفه، لاهيئة من لوى التكبر عطفه، وان تعالق السنة المطلوبة، وتقوم بقضاء حقوقه عليك وهي خمسة مكتوبة. حتى قال: وهذه الوصايا قد كنا نوردها على سواك، ونعلم ان هواه غير مأمون عليه وانت مأمون على هواك، وقد صرفناها عن سمعك، ورفعناك عنها، وانت حقيق برفعك. إلى ان قال:

و اول مانأمرك به ان تجعل بابك مسلوكا، وحجابك متروكا، وان تجلس للخصوم جلوسا لايشان بملل ولاعجل، وتستمع إلى اقوالهم استماعا يرويههم من العلل بعد النهل... وان تسوي في الحكام بين بعيدك وقريبك، وبغضك وحبيبك، حتى لايمتاز ذو الفاقة من ذوي اليسار، ولا الاجانب عن ذوي الشركة في لحمه النجار، وهذا مقام زلت عنه رواسخ الاقدام، ولايملك المرء فيه قلبه فان ملك القلوب غير ملك الاجسام. ثم قال: واذا رفعت اليك الظلمات فنتب فيها عن الباطن والظاهر، ولا تنقض للاول حتى تسمع من الآخر، فكثيرا ما يصرى الضرع في مثل ذلك حتى يقطن خافلا، ويقال هذا صاحب حق ثم لم يلبث حقه ان يعود باطلا. ولا تزال الرينة الا أن يستبرىء شهادة واقراراً، وتأنى في فصلها احتياطاً واستظهاراً. وهذه الكلمات على ايجازها تمثل ارقى ما وصلت اليه قواعد العدالة في زمننا هذا.

وفي التخوين من هدر الدماء يمضي إلى القول : وقد جعل الله الانسان من اشرف خلقه الذين كرمهم بفضله ، ولم يجعله كغيره من الحيوان المعرض لذبحه وقتله ، وقطرة الدم المراقبة ظلما لاتزال تستغيث على مريقها ، وهي والكفرسيان في رفع المغفرة وانسداد طريقها ، قال النبي - صلعم (كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يقتل مؤمنا، او الرجل يموت كافرا). فتأمل مارويناه لك في هذا الخبر ، واجعله منك مكان السمع والبصر ، ولايحملك التعمق في السياسة على القاء نفسك في حفرة من الحفرة ، ومتى لاحت لك شبهة فاستمسك بها في درء الحدود وكن بالناس رؤوفاً رحيماً لتقرّ بالزلفى من الرحيم الودود، وهب ان الجاني أساء في الاجترام، فما يجوز لك أنت أن تسيء في الانتقام .

ثم هو يقف عند اهل الذمة وقمة كلها انسانية وكلها احترام لحرية الاديان فيقول:

«ومن الرعية الذين تحت يدك اهل الذمة وهم قوم بذلوا الجزية فعصموا بها مباح الدماء والاموال ، فعليك بان تملي عليهم ظل المعدلة ، وتزلهم حيث انزلهم الله ورسوله من المنزلة ، وان تحفظ كلا منهم في نفسه وعرضه ، ولاتحمله ثقلا يخف عليه حمل بعضه ، وان تحفظ عليه عهده من النقص الا في سب يحكم بنقضه ، ومن احسان السيرة فيهم الاتطلب الجزية من راهب انقطع في صومعته ، ولامن شيخ حال الضعف بينه وبين الانتفاع به كما حال بينه وبين منفعته»

وتجلى روعة السماحة في هذا العهد (التقليد) حين نراه يحترم حرية الاديان ويسقط الضريبة عن المتفرغ لشؤون دينه من الرهبان المنقطعين او الشيوخ العاجزين عن الكسب ، في وقت كانت اوربا فيه توغل في تعصبها الديني فتشن الغازات الصليبية وتشكل محاكم التفتيش - السيئة الضيعة - في غير مكان.

ثم هو يجسد الالتفات والاهتمام بشؤون الفقراء والمعوزين من افراد شعبه بقوله: «وقد اجرينا على فقراء هذه البلدة صدقات تطوعنا ببذلها ، وافررناها عند اهلها، ولم تكن لبسط يد في طلبها ولالتقدم نذر سبق منّا بها ، وخليقة التطوع تأبى ان تكون صادرة على اسباب، ونحن نخشى ان حيننا للعطايا يخرجنا منها بغير ثواب. والذي نوصيك ان تجرى هذه المكرمة مأدومة بالاعجال، محمية من كدر المطال، ولا يطلع هلال شهر من الشهور الا وقد تردد بها طلوع ذلك الهلال، فحال الفقراء ارقّ من ان يضيق الرزق عليهم بتعريفه، وهي كالثوب الخلق الذي يغلب صاحبه بتمزيقه ، وصاحب العافية يغتر بالسهول والحزون ، والدعة والسكون ، ومن لم تظماً كبده ولا جاعت بطنه لم يدر ماظماً الاكباد وجوع البطون».

وكما تشرّع الحكومات الثورية في عصرنا هذا اقسى العقوبات لجريمة الرشوة باعتبارها داءً اجتماعياً وبيئياً، فان الايوبيين قبل ثمانية قرون قد التفتوا إلى خطورة هذا الداء فوضعوا له الدواء، فنرى «الافضل» في عهده هذا يقرر مأمثاله: «وهاهنا كبيرة هي من اعظم الكبائر، وقد فشت في الناس حتى صارت صغيرة من الصغائر ، وذاك ان ولاة السوء قد الفوا تناول الرشوة التي تغير حكماً، وتختتم على القلوب ختماً، وسماها الله سحتاً واثماً، وانت يمنعك عنها دينك الذي هو عصمة امرك، وعلو نفسك الذي يقضي بعلو قدرك، ولكن ربما استنزل الهوى بعض أصحابك فملاً عينه، وحال بين الحق وبينه، فاحصص على هؤلاء الانفاس عدداً، واسلك بين ايديهم ومن خلفهم رصداً، وكن كالطائر الحذر الذي يقطن ان كل شيء حجراً وبدا...».

ثم هو يبحث واليه على جباية الاموال من طرق الجلال فقط: «فليس بنا حاجة إلى استزادة المحصولات من غير معادنها، والتعرض إلى قاذوراتها في ملاحظتها، فان الدرهم الحرام مرتعه إلى ونخامة، وعقباها إلى ندامة، وجمعه إلى التكسير لا إلى السلامة ، والكفاية ليست في الظلم الذي يأخذ الالوف

من موضع الآحاد، ويستأصل البطون الناتجة قبل الميلاد. ولا يظن ظان انه يتحَبَّب الينا بتحصيل المال من وجوه الطاعة، وحصله من الارض التي ليست بذات زراعة، وانه يراجعنا فيه مراجعة من يقول: كلمة الشيخ مطاعة، فنحن مانريد الاموال الا لنفيضها على ايدينا التي هي كالبحور، وليست عندنا من الذخائر التي تكوى بها الجباه والجنوب والظهور».

وبعد: فان التقليد المذكور جدير ان تفرد له دراسة خاصة، تجلو الفاظه وتجتلي معانيه. وتوضح سننه ومقاصده، وتكشف اصالته وسبقه، ومدى اتصال وصاياها بجوهر الاسلام الخفيف، ومدى زيادته في عصره وفي العصور التي تلتها.

وهو جانب واحد من جوانب جمة تزخر بها هذه المخطوطة، يؤكد اهمية نشرها وبعثها.

وبعد: فَعَلَيَّْ في هذا الكتاب فضلان : فضل الباحثة الجليلة الأدبية العربية الكبيرة الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس ، التي تكرمت مشكورة فبدلت من جهدها ووقتها في تصوير مخطوطة هذه الرسائل الفريدة وابدائها هدية منها على الأين. في وقت تثن فيه بيروت بما ينظر له القلب وتسح له العين، ما يجعلني عاجزا عن ايفاء مالها علي من يد ودين.

وفضل الاخ الجليل الدكتور محمد السعيد رئيس جامعة الموصل الذي تبنى نشر هذا الكتاب ضمن مطبوعات ندوة ابناء الاثير ، هو وصحبه الميامين اعضاء اللجنة التحضيرية للندوة وفي مقدمتهم الدكتور خضر جاسم عميد كلية الاداب في جامعة الموصل. فلهم جميعا فضل الشاكر الذاكر المعترز بتفتهم الغالية. وبعد: فأني اسأل الله - تعالى - أن يمدني بعون من عنده لمواصلة نشر فرائد تراث هذه الامة العربية رافعة النبراس، التي شهد الله لها في قرآنه العظيم بانها (خير امة اخرجت للناس). والحمد لله على ماأنعم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هلال ناجي

الاعظمية صندوق البريد ٤٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مع «المرصع»

في الآباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات
لمجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير (١)

د. ابراهيم السامرائي

اذا كان «النهاية في غريب الحديث والاثير» قد عرف بمجد الدين
وخلد اسمه مع اخويه الشهيرين ، فان كتاب «المرصع» ليضفي عليه صفات
اخرى هي جملة ما يحتاج اليه اللغوي الضليح من العلم اللغوي بالعربية
معاني وابنية ودلالات خاصة ، ومن العلم باشتات مفيدة تتصل بالانسان
وعاداته وسلوكه وعلاقته بالبيئة .

وقد يبدو هذا الذي اثبته غريبا على الصفوة القليلة من الدارسين لهذا
الكتاب الذين انتهوا الى انه معجم خاص يشتمل على فوائد معينة يضبطها
نهج معين سار عليه مجد الدين بن الاثير . اقول : لو ان هذا النفر القليل
ممن عرف الكتاب قد سبر الغور ولم النظر لانتهى الى شيء مما ذهب
اليه، ولركن بعد طول المسيرة الى كنف الحقيقة العلمية في هذا السفر العظيم .

-
- (١) انظر ترجمته في (١) بغية الوعاة للسيوطي ٢٨٥-٢٨٦ .
(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ٤٤١/١ (ط. محمد محيي الدين
عبد الحميد)
(٣) الكامل لابن الاثير ١١٣/١٢ .
(٤) انباء الرواة للقاضي ٢٥٧/٣-٢٦٠ .
(٥) معجم الأدباء لياقوت ٧١ / ٧٧ .
(٦) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٣/٥٠-١٥٤ .
(٧) النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ١٩٨/٦-١٩٩ .
(٨) شذرات الذهب لابن العماد الحلبي ٢٢/٥-٢٣ .

قلت في مقدمة الكتاب (١) : انه تمط طريف من التأليف المعجمي يشتمل على مادة لغوية واخرى ادبية تتصل بتاريخ العربية منذ اقدم عصورها. انه معجم خاص من المعجمات التي عقدها اصحابها على «المعاني» ثم انه خاص بين هذه المعجمات الخاصة ، فهو يتناول الاسماء التي صدرت بـ «ابو» و «ام» و «ابن» و «بنت» و «ذو» و «ذات» . ومن اجل ذلك وسمه المصنف بـ «المرصع في الاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات» . لقد اشتمل الكتاب على مقدمة عرض المصنف فيها للغرض الذي قصد اليه من تصنيفه فقال في ذلك .

اما بعد فان العلماء في سالف الدهر وآنفه مازالوا مختلفي الاغراض في ما ألفوه متبايني المقاصد في ما صنفوه من انواع العلوم على كثرتها ، وفنون المعارف على سعتها ، لا يكاد يحد اغراضها حد ، ولا يجمع افرادها عد . لكثرة المطالب الباعثة عليها ، وسعة المباحي الداعية اليها ، وما احد حاول تصنيف كتاب الا وقد خصه بوصف يغلب على ظنه انه لم يسبق اليه وانه لظن يخطيء ولا يكاد يصيب ، ومع هذا فان دواعي التأليف لاتنقطع والهمم فيه دائما لاتمتنع .

ولقد وقفت بعض الايام في بعض كتب العربية على تمثيل اسماء مثل بها مصنفه ، وفي جملتها «ام رباح» ولم يقيد لها لفظا ولابناء ، ولا ذكر لها مسمى ، فاشتبه امرها فتطلبتها في محضرتي من كتب العربية لغة ونحو فلم اجدها ، وسألت عنها فلم اجد فيها شافيا فمن قائل : انها براء مكسورة وتاء من فوقها نقطتان وجيم ، ومن قائل انها براء مكسورة وياء تحتها نقطتان وحاء ، جمع ربح ، ومن قائل انها براء مفتوحة وباء تحتها نقطة

(١) كنت قد حققت كتاب « المرصع » معتمدا اصولا ثلاثة من المخطوطات بينها نسخة قرئت على المصنف وهي نسخة خزنة وزارة الأوقاف ببغداد ، ونشر الكتاب في منشورات الوزارة نفسها سنة ١٣٩١ هـ .

وحاء ، وهو الصحيح ثم جهل مسماها فمن قائل انها الشمس ومن قائل انها الريح

فلم تقع الثقة بشيء من هذه الاقوال لاختلافها ، ولم ازل اتتبع مواقعها واتطلبها من مظاهرها الى ان وجدت في كتاب «الطير» لابن حاتم السجستاني - رحمه الله - وقد ضبطها بالراء المفتوحة وبالباء الموحدة والحاء المهملة وقال :

هي طائر احمر الجناحين والظهر يأكل العنب . فحيث حصل اليقين وتلج الصدر وسكون النفس الى معرفة هذه الكلمة التي خلا أكثر كتب العربية عنها ، وناهيك ان «تهذيب» الازهرى و«صاح» الجوهري - رحمهما الله - على عظمهما في كتب اللغة لم ترد فيهما ، انصرفت الهمة حينئذ الى تتبع امثال هذه اللفظة ومايجرى مجراها من الكنى والابناء فتطلبت ماجمع في ذلك من الكتب فوقفت على تصانيف قديمة وحديثة قد تصدى فيها مؤلفوها لجمع ماورد في اللسان العربي من الكنى والاباء والامهات لغير الاناسي ، وماورد فيه من التسمية باضافة البنين والبنات ، والذوين والذوات ، فرأيتهم - رحمة الله عليهم - قد مهلوا فيه طريقاً وسعيماً ، وجمعوا منه اسماء كثيرة وابقوا لمن بعدهم كثيراً .

ووجدتها مع ذلك على اختلافها غير مقيدة بترتيب حاصر يجمع شواردها ، وينظم بدائدها ، حتى اذا طلب الانسان منها كلمة وجدها بادنى تأمل ، ورأيتهم قد اضافوا اليها جماعة من المشهورين بالكنى والابناء والاذواء من الناس ممن ضرب به مثل او كان دائرا في كثير من الخطاب فابقوا لهم من ذلك كل ذكر جميل ، وشرعوا للدارسين اوضح سبيل ، فجمعتهم ، والى ماثروه فيها فنظمتهم ، واضفت اليه ماوجدته خارجا عنها ، ولم يشتمل عليه واحد منها مما عثرت عليه في كتب اللغة والنحو والاشعار والانساب والامثال والمجاميع والتواريخ وغير ذلك من كتب الادب ، وما ورد من الكنى المحدثه ، ورتبت ذلك جميعه على حروف المعجم

ليكون اسهل مأخذاً واقرب متناولاً ، وجعلت التقفية للاسم المضاف اليه دون المضاف . والتزمت في الترتيب الحرف الثاني والثالث لثلا يقع فيه تصحيف . واعتمدت على ذكر الحرف الذي في اول الكلمة زائداً كان او اصلياً . ولم اسقط منها الا الالف واللام التي للتعريف .

ثم بدأت في كل حرف من حروف المعجم بذكر مافيه من الكنى بالآباء وبعده مافيه من الكنى بالامهات ، ثم بما فيه من الاضافة بالابناء ، وبعده مافيه من اضافة البنات ، ثم بما فيه من الاضافة بالاذواء ، وبعده مافيه من اضافة الذوات فيجتمع في كل حرف ستة أنواع ، وربما سقط من بعض الحروف بعض الأنواع حيث لم يرد فيه شيء فإذا اراد الانسان كلمة طلبها في نوعها من حرفها فيظفر بها سريعاً من غير تعب .

على اني لم ارد في هذا الفن كتاباً مؤلفاً على الحروف الا ما جمعه ابو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي فإنه جمع كتاباً كبيراً في هذا الفن وقفاه على أواخر الاسماء ولم يلتزم فيه ترتيب الكلمات في مواضعها على التقديم والتأخير ، ثم عاد فنقض هذا الالتزام فحصل في طلب الكلمة منه تعب ومشقة .

وسأذكر عند انتهاء الحروف باباً يشتمل على الاسماء المترادفة على مسمى واحد مما جرى ذكره في الحروف مفصلاً على سياقها ليكون الكتاب جامعاً لنوعي التأليف ، فانحصر الغرض منه في ثلاثة ابواب .

وحيث كان مدار هذا الكتاب على ذكر الكنايات والاضافات بالأولاد والاذواء والذوات لغير الناس لم نذكر فيه من اسماء الناس الا بعض من اشتهر منهم فضرب به مثل ، او لم يعرف بغير كنيته او اضافته ممن غلبت عليه الكنى والاضافات ، فإن اسماء الناس من الأولين والآخرين وخصوصاً الصحابة والتابعين قد جمعت اسمائهم في كتب المعارف والأنساب وصنفت فيها التصانيف الكثيرة فلا حاجة إلى ذكرها في هذا المختصر الا

على سبيل الشذوذ والندور كما ذكرنا ، وسميته كتاب «المرصع»
وبالله التوفيق .

اننا ندرك من هذه المقدمة التعليمية ان مجد الدين بسن الاثير من
المصنفين الذين نضج لديهم البحث العلمي فصار المصنف يسير على هدى
من منهج علمي يقوم على البحث والجمع والتنقيح والترتيب والاعتماد على
المصادر المختلفة والافادة من جملة هذه المواد صنعة المصنف المنظم مما
يدخل في «منهج البحث» الذي اصطلح عليه في عصرنا هذا .

قيمة الكتاب ومكانته :

ان قيمة الكتاب لا تقوم على انه معجم من معجمات المعاني الخاصة ،
بل تتجاوز ذلك فتضح في ان هذا المصنف يكشف عن مادة لغوية لانجدها
في كثير من كتب اللغة . ثم ان هذه المادة اللغوية تظهر لنا طرائق العرب
الا قدمين في اطلاق العلم والشهرة ، كما تكشف عن نظرتهم الى اعيان
الطبيعة البدوية من حيوان ونبات وموضع سهلا كان او جبلا وعمما يضطرب
في تلك البيئة ويتعاورها مما يعرض من سحب ومطر وبرق ورعد وريح .

ومن المفيد ان اشير الى ان في هذه المادة اللغوية نمطا من تفكيرهم
الاجتماعي من حيث علاقة الانسان باخيه الانسان ، ثم بالبيئة التي يعيش فيها .
وبسبب من ذلك نستطيع ان ندرك من اشتات مادة الكتاب طرفاً من العادات
والتقاليد العربية القديمة . اننا نتبين من الكتاب على سبيل المثال كيف تصور
العرب «الداهية» هذا الكيان المجهول المتخيل على هيئات مختلفة ، فهو تارة
انسي من الاناسي اتصف بالشجاعة والقوة والمكر والخديعة وحسن التخلص
في الصعاب ، وجماع كل هذا استحق ان يكون احد داهية من دهاة العرب ،
وقد الصقت هذه الصفة بجملة من الرجال كان من بينهم مثلاً عمرو بن العاص .

وقد تكون الداهية شيئاً اخر من حيوان لانعرف من حقيقته الا صفات
متوهمة لوجود له الا في اخيلة الاقدمين ، كما تكون شيئاً اخر من شخوص
الطبيعة الحية .

وقد يتبين الدارس لأشتات هذه المواد اللغوية علاقة الانسان بالحياة منبوذة حقيرة في انها «دنيا» فانية لحمتها وسداها الشر والخبث .
وعلى هذا لا تكون مادة «المرصع» مما يخص الدارس اللغوى ، بل انها تخص جمهرة كبيرة من الدارسين في اللغة والتطور اللغوى وما يدعى بـ «علم اللغة الاجتماعي» وما يتصل باختصاصات علم الانسان من حيث انك واجد في هذه المادة العتيقة نماذج من عادات وسلوك وصلة دائما الانسان العربي القديم بيئته وكيف يتعامل مع اشياء تلك البيئة البدوية القديمة.

ولنعرض لشيء من مادة الكتاب فنقف على ذلك وقفات مقيدة معلقين بفوائد مما تمليه علينا تلك الثروة اللغوية. وعلى ان هذا الكتاب معجم كما اشرفنا الا أن المصنف قد بسط بعد مقدمته التي عرضنا لها مادة علمية تتصل بالاسم والكنية واللقب في العربية غير تلك البند اليسيرة التي نجدها في كتب النحو، وقد جاء هذا في الباب الاول وفيه مقدمات وفصول فقال: (١) فصل:

اعلم ان الاسماء انما وضعت في اول الامر دلالة على مسمياتها لتعرف بها اذا ذكرت ويشار اليها في مايتقنم به الكلام من خبر واستخبار وامر ونهي وغير ذلك من انواع الكلام الجارية في الخطاب فكانت الموجودات كلها سماؤها وارضها ومافيهما وبينهما محتاجة اليها لضرورة التفاهم، وكان الاولى ان يكون لكل عمل مسمى اسم يخصه كالانسان والفرس والبعير، ولكنهم عدلوا عن ذلك في بعض المسميات، فمنها ما جعلوا له اسماء كثيرة كالسيف والخمر، ومنها ما جعلوه لمسميات كثيرة اسما واحدا كالعين والمولى، فالاول يقال له: «الاسماء المتباينة» والثاني يقال له: «الاسماء المترادفة» والثالث يقال له: «الاسماء المشتركة».

وانما فعلوا ذلك لان القسمة الحاصرة ادت اليه فانه لا يخلو ان يكون للذات الواحدة اسم واحد او اكثر من اسم او يشارك ذاتا اخرى في اسمها.

وقد كان القياس ان تسمى الذوات بالاسماء المفردة لانها اول بالوضع ولكنهم توسعوا فيها فسموها بغير المفرد.

والاسماء على اختلاف انواعها لا تخلو ان تكون مفردة او مركبة فالمفرد نحسو....

والمركب لا يخلو ان يكون جملة مفيدة او غير جملة. فالجملة نحو تأبط شرا و....

وغير الجملة لا يخلو ان يكون مضافا او غير مضاف

والمضاف لا يخلو ان يكون ابا نحو : ابي محمد، او أما نحو : ام ثار، او ابنا نحو ابن دأية، او بنتا نحو : بنت الارض، او «ذو» الذي بمعنى صاحب نحو : ذو يزن. او مؤنثة نحو : ذات أو شال

وكل هذه الانواع هي اسماء موضوعة للدلالة على مسمياتها ولا يتعلق لنا بها غرض في هذا الكتاب الا في احد انواع المضاف وهو ماسمي بالاباء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات.

فصل :

اصل اسماء الاعلام ان تكون لمن يعقل، لانهم الذين يخبر عنهم ويخاطبون. ثم انهم اطلقوها على غير العقلاء من الحيوان والجماد مجازا واتساعا فسموها ما يقتنونه او يألفونه من خيل وابل وغنم وكلاب وغير ذلك باعلام تنزلت عندهم منزلة العقلاء نحو : اعوج ولاحق وضمران. وتعدوا ذلك الى ما لا يقتنى ولا يؤلف فسموه باعلام فرقوا بها بين اجناسه نحو : اسامة وابي الحارث وثعالة، وابي الحصين. ثم تعدوا الذوات الى المعاني فاجروها منجرى الاعيان نحو شعوب وام قشعم. وكيسان. وانما كثر الاتساع في هذه الاسامي بقدر ملابتهم لها، وكثرة ذكرهم اياها، واخبارهم عنها في ما يقتنى ولا يقتنى كالفرس والبعير والكلاب حيث كانت الغالبة على اموالهم.

وكالاسد والثعلب والضبع والذئب فان لها عندهم آثارا يكثر بها اختيارهم عنها، فكثرت لذلك اسمائها وكنائها واسماء اجناسها، ولانهم باقائتهم في البوادي قد يشاهدون من حيوانها سباعها وأحناشها وهوامها وطيرها اشياء غريبة وليس لها عندهم اسم موضوع فيسمونه باسماء اوكنى يشتمونها من خلقتها او فعلها او بعض مايشبهها كما قيل للخليل — عليه السلام — ابو الاضياف ، وللبرغوث ابو طامر وابن طامر، والظمور الوثوب، فجرى لها مجرى الاعلام والالقب على ماتراه مفصلا في مواضعه.

فصل :

مدار هذا الكتاب على ستة اسماء هي الاب والام والابن والبنت وذو وذات.

اقول: في هذا الفصل كلام على اشتقاق الاسم من السمو عند البصريين، ومن السمة عند الكوفيين وهذا معروف سطره الانبارى في كتاب «الانصاف» وطلاب النحو على معرفة به. ثم كلام على ان الكنية من الكناية وهو ان تتكلم بالشيء وتريد به غيره تقول: كنىت وكنوت بكذا عن كذا كنية وكنية، والجمع الكنى، واكنى فلان بابي محمد...

فصل :

لما كان اصل الكنية ان تكون بالاولاد تعيين ان يكون بالذين ولدوهم كابي الحسن في كنية علي بن ابي طالب — كرم الله وجهه — فمن لم يكن له ابن وكان له بنت كنوه بها كما قيل للمسروق بن الاعدع: أبو عائشة . ومن لم يكن له ابن ولا بنت كنوه باقرب الناس اليه كما كنى النبي — صلى الله عليه وسلم — عبدالله بن الزبير وهو صبي بابي بكر وهو جده لأمه اسماء. ثم لما ولد له ولد سماه خبيبا وتكنى به فصار له كنيتان . وجروا في كنى النساء بالامهات هذا المجرى فقالوا: ام سلمة ، وام زينب في الكنى بالاولاد، وام عبدالله في كنية عائشة ام المؤمنين يعنون : عبدالله بن الزبير، وهو ابن اختها اسماء حيث لم يكن لها ولد.

ثم لما شارك الناس في الولادة باقي الحيوانات كنوا ماكنوا منها بالابناء والامهات كابي الحارث للاسد، وام عامر للضبع، واجروها في ذلك مجرى الاناسي. وكذلك فعلوا في اضافة الابناء والبنات إكراما واحتراما لهم باضافتهم الى ابائهم مع ترك اسمائهم فقالوا ابن عباس وابن عمر لما كانا أشرف من ابنيهما. وكذلك كانوا يقولون للحسين بن علي: يا ابن بنت رسول الله كرامة له بامه.

واجروا غير الاناسي مجراها في ذلك فقالوا: ابن قتره للحية، وبنت حذف لضرب من غنم الحجاز فلما تجوزوا في اجراء الحيوانات العجم مع الناس في الكنى والابناء حملوا عليها بعض الجمادات فاجروها مجراها، فقالوا: ابو جابر للخبز وام قار للداهية وابن ذكاء للصبح، وبنت ارض للحصاة ثم انهم لم يجروه على سنن واحد فكنوا بالاباء مذكرا على الاصل فقالوا للذئب: ابو جعدة، وللنمر او جهل. وكنوا مؤنثا من الجمادات فقالوا للنار: ابو سريع، وابو حياحب.

وكذلك في الامهات فقالوا للقوس: ام السهام، ولحبل معروف: ام سحيل. واجروا في البنين والبنات هذا المجرى فقالوا للغراب: ابن دأية، ولطائر: بنت الماء، فلم يجروا التسمية في ذلك على القياس اتساعا.

فصل:

قد جروا في الأسماء والكنى على قسمين، معتادا ونادراً. فمن المعتاد الكنية بالأولاد كما سبق ومنه قولهم: آدم أبو البشر، والنادر كقولهم في كنية علي بن أبي طالب أبو تراب، وكنية عائشة ام المؤمنين. وهو كثير في غير الاناسي واستعملوا هذين القسمين في الأبناء كابن كراع وابن رألان وكابن عرس وابن آوى.

واستعملوها ايضا في « ذى » و « ذات » فمن المعتاد: ذو الجلال، وذات البروج، للزوم هذه الصفة. ومن النادر تسمية يونس - عليه السلام ذا النون، وتسمية « أسماء » بنت أبي بكر: ذات الطاقين.

ومن هذه الكنى والابناء ما جعل علما للمسمى لا لمعنى فيه ، ومنها ما جعل صفة لمعنى فيه فيعرف وينكر به ، ومنها ما جعل كنى للمسمى لا لصفة فيه .
فصل : في تسمية الأسماء والكنى

تسمى باسمه من هذه الأسماء والكنيات حوالاً إضافات ينقسم ثلاثة أقسام :
الأول : ما يلزمه الألف واللام كابي الخارث للأسد ، وأبي الحصين للشعب .
والثاني : لا يدخله الألف واللام كابي جمعة الذئب ، وام عامر للضبع وابن

داية للغراب ، وبنيت طبق للحية .
والثالث : ما يجوز دخوله في واسقاطهما كابي مضاء للفرس ، وام ربال للنعام ، وابن ماء لطير الماء لانها اعلام للأجناس . فوقت على الواحد والجمع وقوع الدرهم والدينار عليهما . وقد اتسعوا في الام أكثر من اتساعهم في الأب فاستعملوها أكثر منه فقالوا : ويل امه (ويامه) ، ولا ام له ، وهوت امه ، وثكلته امه ، ولأمه الهبل ، ويا ابن ام ، ولم يكادوا يستعملون الأب في هذا واشباهه الا نادرا ، فلهذا اتسع كانت كنى غير الاناسي بالامهات أكثر من كناها بالاباء .

ثم انهم اتسعوا في الأبن والبنات أكثر من اتساعهم في الام حتى قالوا للقصيد من الشعر : هي ابنة ليلتها ، وفلان ابن بدانة وابن فرجه اذا كان همه فيهما ، وابن يومه اي لا يفكر في غده وقالوا : هؤلاء ابناء فارس والروم وابناء مكة وخراسان ، ولم يستعملوا هذا في الاباء والامهات .
فصل : في تسمية الأسماء والكنى

لم يقصروا هذا التوسع على هذه الأسماء خاصة ، بل اجروه في غيرها فقالوا لمن صاحب شيئا او رافقه او أكثر من استعماله : هو اخوة واخته ، ومنه قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم ، وقول الشاعر :
اخا الحرب لباساً اليها جلالها

فليس بولاج الخوالف اعتزلا

وقول ابي الاسود الدؤلي في الخمر والنبيذ :

فالا يكنه او تكنه فانه

اخوها غذته امه بلبانها

ومنه قوله تعالى: «ياخت هرون ماكان ابوك امراً سوء»، وقوله

تعالى: «وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها» .

ومنه قولهم: هذا الكلام اخو ذلك الكلام، وهذا المعنى اخو ذلك

المعنى. وانما يريدون بهذا الاتساع انهما متجانسان ومتشاكلان في الصفة

والحال على المجاز والتشبيه. ومن هذا الاتساع تسميتهم الرجل والمرأة

الغريبين بالعم والعمة، والخال والخالة، وحتى سموا النخلة عمه، ومنه

الحديث، «اكرموا عمتمكم النخلة».

فصل:

بعض المسمين من الحيوان والجماد يكون لهما اسم ولاكنية له وهم

الاكثر. وبعضهم يكون له اسم وكنية وهم دون الاول في الكثرة كعلي

وابي الحسن، والداهية وام قار. وبعضهم يكون له علم وكنية واسم جنس

كاسامة وابي الحارث والاسد. وبعضهم يكون له كنية وليس له اسم غيرها

كابي براقش وام رباح.

وبعضهم يكون له كنيتان في حالين كعامر بن الطفيل يكنى في السلم

بابي علي، وفي الحرب بابي عقيل. وبعضهم يكون له كنيتان او اكثر في

حال واحدة وهم كثير في الناس وغيرهم.

فصل:

ماضيف من الابناء والبنات لغير الاناسي سواء كان لحيوان او جماد

فانه يجمع مذكروه ومؤنثه على «بنات»، فيقال في «ابن اللبون» و «ابن المخاض»

و «ابن آوى» و «ابن عرس» و «ابن دأية» و «ابن الطود»:

«بنات اللبون» و «بنات المخاض» و «بنات آوى» و «بنات عرس» و «بنات الطود»، لان الجموع كلها مؤنثة. ولا يجمع «الابن» في هذا النوع على «بنين» الا ماجاء شاذاً نحو: «بنى نعش» في «بنات نعش» و «بنى برح» في «بنات برح» وهي الداهية ، وان كان القياس يقتضي خلاف ذلك، ولكن الاستعمال العرفي يمنع منه.

وهذا احد ماغلب فيه المؤنث المذكر فان الاصل: اذا اجتمع مذكر ومؤنث ان يغلب المذكر المؤنث. ألا تراهم قالوا: ابن عرس و «ابن آوى» ولم يقولوا: «بنت عرس»، ولا «بنت آوى» كما قالوا: «بنت لبون» و «بنت مخاض» لان هذه مما يؤلف ويقتنى فاحتاجوا الى فارق بين الذكر والانثى، وتلك حيث لم تؤلف ولم تقتن لم يحتاجوا الى معرفة بعضها من بعض فقالوا في الواحد «ابن كذا» وكان لفظ التذكير اخف عليهم فاذا جمعوا انثوا الجمع فقالوا: «بنات كذا». (١)

ولنعرض لمادة الكتاب فنقف على جملة مسائل كان للعربية فيها كلام كثير يظهر شيئا من عاداتهم وسلوكهم وعلاقتهم بما يضطرب في بيتهم البدوية .

ان مادة الكتاب قد اشتملت على جملة كبيرة من الحيوان المعروف وغير المعروف في بلاد العرب ، وعلى طائفة من الشجر والنبات والثمار كما اشتملت على الفاظ تكشف عن تصوراتهم وافكارهم في الدنيا ومشكلاتها، على أنك واجد فيها اشتاتا من الطعام والشراب مما يحتاج اليه .

قلت : وفي مجموع ذلك فوائد عدة لغوية واجتماعية سنأتي عليها، ولنبدأ بالحيوان والطيور وما يتصل بها : الابل وفيه نقرأ مواد هي :

(١) لم اذكر من الفصول التي تصدرت مادة « المرصع » الفصل السابق للاخير وذلك لاشتماله على فوائد صرفية تتصل بالاشتقاق والنسب والافراد والثنوية والجمع لهذه المواد وهي الاب والام والابن والبنت وذوات ، وذلك لانه مشهور عرض له النحاة في مباحثهم الصرفية .

أبو كامل ، ابن الخلية ، بنات الارحبي ، بنات الجدليل ، بنات
 الداعرى ، بنات البدو ، بنات السير ، بنات شدقم ، بنات العسجد ، بنات
 العيد ، بنات الغريرى ، بنات الفحل ، بنات القراقر ، بنات الليل ، بنات
 المفاوز ، بنات ملموسة ، بنات وطاء ، بنات دهاس .
 تعليق :

لقد عني اللغويون الأوائل بمادة « الأبل » حتى أفردوا لها رسائل
 وكتبا تشتمل على لغة هذه المادة وما يتصل بها من فوائد أدبية وتاريخية .
 غير أن شيئاً من هذه الفوائد التي ذكرها ابن الأثير يصعب ان تجده
 في تلك المظان ولا في المطولات من المعجمات وكتب اللغة ، ولعل هذه الشوارد
 مما يلحقه العربون في حديثهم اتساعاً وافتناناً بطرائق التعبير في لغتهم السائرة .
 ومثل هذا يحدث كثيراً ، ألا ترى ان العامة في عصرنا تلصق الاب او الابن
 بكثير من الأفراد ارادة التعريف بهم واطارة لنوع من الأختصاص او
 الوصف فهم يقولون مثلاً : أبو اللحم للجزار ، وأبو الثلج لبائع الثلج وأبو
 الحليب لبائع الحليب ، وأم اللبن لبائعة اللبن ، وأبو الكباب لصاحب الكباب ،
 ومثل هذا كثير ، ثم انك قد تسمعهم يصفون احدهم بانه نشيط يحسن
 الأفادة من الظروف بأنه : « ابن الدنيا » واخر معوز محتاج يتصرف تصرفاً
 خاصاً بانه : ابن عازة (كذا) كما يقولون للشريير : ابن شر ولاكريم الخير :
 ابن خير ، ومن الطريف ان نشير إلى أنهم ينعنون الحمية المصونة بانها : بنت
 فراش وغطاء او بنت بيت كما يقال للمترفين من الأولاد « ابناء ذوات »
 و « بنات عوائل (كذا) .

ولنعُد إلى هذه الأشئات التي نعتت بها الأبل فنجد ان ابا كامل شيء
 لاوجود في غير « المرصع » ولعل سبب هذه الكنية انهم رأوا « الجمل » وحسبوه
 ما يمكن ان يتصف بما اتصف به الاناسي من الصفات فلم لا يكون « كاملاً »
 فيستحق هذه الكنية « الكاملة » الا ترى أنهم اهلوا هذا الحيوان محل الاناسي
 في خطابهم واشعارهم وارجازهم ، ولا حصر للامثلة في ذلك ؟ .

اما (ابن الخلية) « للجميل فكلمة مفيدة ايما فائدة ، فهي تكشف عن نمط من عاداتهم في عيشتهم وكيف يسلكون مع هذا الحيوان .

والخلية هي التي خلت عن ولدها بموت او نحر فتستدر بولد غيرها تعطف عليه من غير ان ترضعه ، فسميت خلية لانها لاترضع ولدها ولا غيره . وعلى هذا يكون ابن الخلية ما كان صفته كذا .
واما بنات الارحبي هي ابل منسوبة إلى فحل منجب ، وقيل إلى رجل من همدان اسمه ارحب .

قال الليث : ارحب حي او موضع ينسب اليه النجائب الارحية .
اقول : كأن هذه التسمية تشير إلى مدح هذا النوع من النجائب .
ومثل هذا قولهم : بنات الحديد فهي نوق منجبة كانت للنعمان . ومثله :
بنات شدقم وشدقم فحل من كرام الابل ، وكذلك : بنات العبد ، وبنات عسجد ومن هذا ايضاً «بنات الداعري» فداعر اسم فحل منجب تنسب اليه الداعرية من الابل ، ومنه ايضاً بنات الفحل .

اما بنات السير وبنات الدو وبنات القراقر وبنات الليل وبنات المفاوز وبنات ملموسة فإنها تشير إلى أن الابل مما مرنت على السير وجدت فيه وانها تقطع الليل سيراً في المفاوز والبوادي .

وقالوا : بنات وطاء وبنات دهاس للابل ، غير انك لاتجد شيئاً من ذلك في المعجمات اللغوية ، كما انك لاتعرف عن بنات عسجد وبنات العبد وبنات الغريري ، واكبر الظن انها منسوبة إلى ماضيفت اليه اشارة الى انها من نجائب الابل مثلاً .

واذا كان للأسد في العربية عشرات الاسماء فقد كان له من باب الكنى قدر آخر يشير إلى شجاعته وبأسه ، فقد ورد : ابو الابطال وابو العباس وابو الضيم وابو النخس ، كما ان له من ذلك مايشير إلى موضعه كالعرين

ونحوه ومن ذلك ابو العرين وابو الاخياس وابو التامور وابو النخس وابو فراس .

وقد تعجب انهم كانوا عن الاسد بأنه ابو الوليد وابو العباس وكلاهما من كنى الآدميين. ومن هذا قالوا في «ابن آوى» ابو ذؤيب وابو كعب وابو معاوية وابو وائل وكلها كنى نجد امثالها في كنى الاناسي ماعدا «ابا ذؤيب» .

وقد خصوا الحمار بطائفة من الكنى والفاظ الشهرة الاخرى منها: ابو صابر لانهم لمحوا فيه صفة الصبر ، ومنها ماكانت كنى يصح ان تكون من كنى الاناسي مثل : ابو محمود وابو نافع وابو زياد .

وقالوا في الحمارة: ام الجحش وام حلس وام الهنبر، وقد جاء من هذا مايصح ان يكون للاناسي نحو: ام ضبة وام المثنى وام نافع وام وهب وقالوا في الحمام: ابو العرق، وابو عكرمة وابو الهديل وابو مهدي ، كما قالوا: ام الهديل. وقالوا: بنات الهديل كما في قول ابي العلاء المعري :

أبنات الهديل اسعدن اوعد ن قليل الغزاء بالاسعاد

وقالوا في الحيات: ابو البحرري وابو الربيع وابو عثمان وابو القاضي وابو وثاب وابو اليقظان وهمكنا نحس انهم في هذه الكنى المحوا إلى شيء من صفات الحية كاليقظة والوثوب، ولاندرى لم كان «ابو البحرري» و«ابو عثمان».

واذا جئنا إلى الخيل وجدناهم يقولون: ابن اعوج وبنات اعوج، واعوج فحل تنسب اليه كرائم الخيل كما قالوا «بنات سهال» اشارة إلى الصهيل كما قالوا في البغال: بنات شجاج. وقد حفل الفرس بجملته كنى هي من كنى الاناسي ومنها: ابو شجاج وابو طالب، وابو مدرك وابو المضاء وابو المنجي وابو منقذ (١).

(١) وام الفرس : جواد معروف كانت لا تلد غير جواد . وفي المثل : ليس بطيء من بني ام الفرس . يضرب لبني الكرام اي : من ولدته الكرام لا يكون لثيما كما ان « ابن ام الفرس» لا يكون بطيئا . مجمع الامثال ٢٠٦/٢ .

ولعل مشاركة هذه الوحوش للانسان في هذا الباب من الوصف بالكنى وغيرها من الفاظ الشهرة تأتي من نظرهم العالية إلى هذه المخلوقات وقيمتها ومكانتها في ذلك المجتمع العربي القديم . وكنت قد أشرت إلى أنهم قد خصوا بكناهم حيوانات ينذر وجودها في البيئة العربية القديمة ومنها الفيل والدب والطاووس وغيرها.

وفي هذا القدر من عالم الحيوان كفاية للدارس ليتبين طرائق العرب في مواجهة الحيوان ومعايشته، وماظن ان امة من الامم يقول شاعرها مخاطبا الحيوان كالشاعر البدوي القديم وهو يخاطب الجميل:

شكا الي جملي طول السرى

ياجملي ليس الي المشتكى

صبرا جميلا فكلانا مبتلى

ولنعرض لشي مما يتصل بالشجر والنبات فنجد:

«البقل» وهو ابو جميل وابو الخضر، وابن الارض، و بنت الارض وهذه الكنى تشير إلى نظرهم لكل شيء اخضر فيه عيشهم ورفههم، وهو ابن الارض وبنتها لانه يخرج منها . وكذلك «الريحان» . وهو ابو الاخضر وابو المزين وابو النضر . وابن المسرة ، وكلها يشير إلى تشوفهم لكل شيء اخضر مما تنبت الارض. واذا عرفنا ان البيئة البدوية قاسية تسودها الفلوات القاحلة ادركنا كيف يتوجه اهل تلك البيئة القديمة إلى الخضرة والماء، ولهذا كان «النبات» ابن الارض و بنت الارض عندهم. ومن ذلك «الكمأة» فهي ام اوبر وابن اوبر وبنات اوبر . وهو ضرب من الكمأة صغار سريعة الخروج في رؤوس الآكام سريعة الهيج مزغبة ، ولعلها سميت بـ«اوبر» لمكان الزغب فيها اي كالوبر.

وقد نظروا إلى الطعام فخصوه بشيء من هذه الفوائد اللغوية ومن ذلك :
«الثريد» وهو ابو نافع ، و ابو رزين (١).

و«الخبز» وهو ابو جابر ، و ابو حبيب ، و ابو نعيم ، و ام جابر ، وفي هذا وضع للخبز في موضعه من انه «جابر» للصدع اي الجوع ، «حبيب» لديهم ، وهو دليل «النعيم» وهو ابن برة وابن حبة اشارة إلى اصله وهو البر اي الخنطة ، كما انه «بنات التناير» ومن الطعام «الخبيص» وهو ابو رزين و ابو الشهي و ابو صالح و ابو الطيب وكلها يشير إلى فضله عندهم و قيمته الغذائية ، وهو ابو الاصفر من حيث لونه ، و ابو الخليط لانه مصنوع من عدة اجناس . وقالوا في «الفالوذج» ابو سائغ و ابو العلاء استحسانا وقبولا . ومن طعامهم «الهريسة» وهي ام الفضل وهذا مما نجد سبيلا إلى ادراكه وفهمه ، ولكنها ايضا «ام ابني هريرة» وهو الشيء لم اهتم اليه بعد التنقيح والبحث . ولعل من المناسب ان ادرج ماجاء في «القدر» في هذا الموضع من ذكر الاطعمة فهي : ام العيال و ام غياث ، وفي هذا اشارة إلى قيمة القدر ومكانه في تهيئة الطعام للعيال وانه «غياث» لهم ، وهو من «بنات الغلي» وقال الشاعر :

تسامى بنات الغلي في حجراتها

تسامي عتاق الخيل وردا و اشهبها

و«بنات الغلي» في هذا البيت تفيد قطع اللحم اي ان منها نضيجا ومنها نيئا تشهبها بخيل شقر وشهب .

و القدر : ابو الادهم (٢) لمكان السواد في لونه الخارجي . و«ام بيضاء» اشارة إلى السواد من باب التسمية بالضد كما وصف المتنبي كافورا فكناه : «ابني البيضاء» لسواد لونه ، وذلك في قوله :

-
- (١) ابن نارين هو الخبز يثرد في سمن ولبن قد اغلي غلية ثم يساط كما تساط العصيدة ويسمونها المعذبة لأنها تعذب في النار مرتين ، ويقال لها ايضا : بنت نارين .
- (٢) القدر في العربية مؤنثة وكان حقها ان تكون « ام الادهم » يدل على ذلك قولهم : « ام بيضاء » ولعل معجى هذه الكنية على التذكير من لغة العامة ، ويقوى ذلك عندي ان القدر مذكر في عامية عصرنا .

ما كنت احسبني احيا إلى زمن
يسيء بي فيه كلب وهو محمود
ولاتوهمت ان الناس قد فقدوا
وان مثل «ابي البيضاء» موجود
والقدر «ام دسمة» وهذا معروف.

ولكننا نجد في القدر «ام عقبة» و«ام كعبية» و«ام غيار» ولانستطيع
ان نتوجه بشيء في تفسير ذلك الا ان يكون في «عقبة» اشارة إلى مايقمى في
القدر من فضلة طعام !! ولعلنا ندرك بيسر لم كان الملح ابا صابر و ابا عون،
و ابا الطيب.

ومن المناسب ان نعقب الكلام على الطعام بالكلام على الشراب فنجدان
«الماء» في رأس هذا الصنف أو للماء في لغة العرب وادبهم مكان اي مكان
فهو مما يفتقرون اليه اشد الافتقار في فلواتهم وبواديههم. ومن اجل ذلك نظروا
إلى الماء نظرة خاصة فكان عنوان الخير والخصب والنعيم ثم الحسن والجمال
فقالوا: ماء الجمال وماء الحسن.

وكان للماء من كناهم واقوالهم نصيب يشير إلى الحياة والوفرة
والجمال فهو ابو الحياة وابو حيان، وابو الغياث، وام الحياة، وابو حباب،
وابن درار

وكانت الغدران: بنات الارض وواحدتها ابن الارض، وبنات المزن (١).
ثم كان المطر ابن السحاب، وبنات البكر هي الامطار، والبكر السحاب
اول ماينشأ قال الشاعر:

وذات عين وقرن لادماغ لها
وقرنها ليس منها ذلك العجب

(١) قال أبو العميل : وأصحت بنات المزن زرقا كأنها
سلوقية الابدان شيفت سرودها
المرصع ص ٣١٧ .

اخرجت منها بنات البكر ضاحية
بكل ابرق من اماته العطب(١)

يصف بئرا، وعينها: ماؤها، وقرنها: مايني على رأسها لتوضع البكرة عليه،
والعطب القطن. يقول: استقيت منها الماء الذي صار فيها من السحاب، وغنى
بالابرق حبلا مفتولا من قطن وغيره، وجعل القطن أمأ له لانه عمل منها
ومن غيرها.

وكذلك «بنات بخر» ويقال: «بنات مخر» وهن سحائب بيض يأتين في
قبل الصيف. وقيل تنشأ بالبادية من قبل البحر بعضها اكثر ماء من بعض... (٢)
وقد يعجب الانسان وهو يدرس اوابد العربية من تدقيق العرب في ضبط
مايعرض لهم في بيثتهم مما يتصل بالسحاب والبرق والمطر والريح، ومن اجل
ذلك نشط اللغويون الاوائل في ضبط هذه الاشتات في «رسائل» خاصة.

وقد كان للخل عندهم كنى هي ابو عامر وابو ثقيف وابو عون وابو
نافع وهي كلها تشير إلى فائدة الخل ومكانه من طعامهم فهو عامر وعون
ونفع، اما قولهم: ابو ثقيف «فيشير إلى الحقيقة وهي: ثقف الخل وثقف
بمعنى حذق وخمص فهو ثقيف.

ولنعرض للخمر وماورد فيها من كنى واقوال مشهورة مأثورة:
ام الاثام، ام الخبائث، ام الكباثر، ام الشر.

اقول: من غير شك ان هذه النعوت للخمير قد ولدت في العصور
الاسلامية وذلك لان الاسلام حرّم الخمر ونبذها بقوله تعالى: «انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان» س. ٩ سورة المائدة.

(١) المرصع ص ١٠٠

(٢) وانشد ابن الاعرابي (المرصع ص ٣١٦)

كأن بنات المخمر في كرز قنبر بواسق بحدوهسن بالفور شمال

ولكنهم قالوا في «الخمر» أنها بنت الدن وابنة الزرجون وبنت العنقود
وبنت الكرم اشارة إلى اصلها وموضعها، وقولهم: «بنات مسيع» وهي
ضرب من الخمر منسوبة إلى الزق، و«المسيع» هو الزق المطلي بالسباع وهو
الشحم (١) قال الاعشى:

من خمر بابل معرقاً بمزاجها

او خمر عانة او بنات مسيعا

وقالوا انها ام الحنين وام طرب وام زنبق استحسانا ، ولا ادري مأم
العبائر وكما استحسنا الخمر وقالوا فيها قالوا في «القدح» : ابو الانوار
لسطوعه ولونه وابو دارة وكأن ذلك اشارة إلى انه يدور بين الشرب ، ولا
ادري ماوجه ابو صابر وابو القيد وابو النوم !!

وقالوا في «الطست» ابو الانيس وابو كامل وابو مالك!!

وكنت اشرت في اول هذا الفصل ان «الداهية» شغلت مكانا في لغة
العرب، على اننا نجهل الكثير من دلالات الكلم الذي اطلق على «الداهية»
وكان هذا الكلم المعنى مقصود، ذلك ان «الداهية» شيء غامض فقد يكون
تيهاء مخوفة كما يكون حيوانا مفترسا غريبا او عفرينا من العفاريت او شخصا
من شخوص الجن.

واليك هذه المجموعة من الكلم الغريب التي اريد بها «الداهية»

ام ادراص، ام الأربى، ام الاريق، ام الازلم، ام البليق، ام العليل ، ام الجبل،
ام الجذع، ام الجلويق، ام جنذب، ام الحنين، ام حبوكر، ام خشفين،
ام الخلقف، ام الخلق، ام حنشفير، ام الخنقق، ام خنور، ام خنشور ،
ام خشاف، ام درخمين، ام الدهاريس، ام الذقى، ام الدهيم، ام الربيس،
ام الريق، ام رشم، ام الرقبوت، ام الرقون، ام الرقم، ام زنقل، أم زوبر، ام صبار،

(١) جاء في « المرصع» ان « بنات مسيع » خمرة منسوبة إلى موضع يقال له « مسيع » والوجه
ما اشرفنا اليه .

ام صبور، ام زيت، ام ضيغم، ام طبق، ام عبيد، ام العريط، ام الغتيم،
ام عنتم، ام قار، ام قسطل، ام قشعم، ام قوب، ام كلبة، ام كلواذ،
ام اللهيم، ام اللهمي، ام مرزم، ام ملدم، ام المليق، ام نآد، ام الهريندي،
ام يستعور، ام يقصوم، ابن احداها، ابن برح، ابن بريخ، بنو برح، بنو
بيش، ابنة الجبل، ابنة رشم، ابنة معير، بنت احداها، بنات برح، بنت
الرقم، بنات اودك، بنات بئيس، بنات الدهر، بنات صمام، بنات طبل،
بنات عين، بنات العتقفيز، بنات غير، بنات معير، احدى بنات طبق،
ذات العراقي.

قلت : قد يتجه لناوجه في « بنات الدهر » و « بنات غير » ولكننا نقف
حيارى أمام بنات العتقفيز ، وام يستعور ، وام الهريندي وام الجلويق وام
الخلفق وغير ذلك كثير ، وكأنهم اخترعوا هذه الأسماء لتكون معبرة عن
« الداهية » العجيب امرها ، ارادة التعمية لينسجم اللفظ مع المعنى الغائم الخفي .
وقد نجد بعضها مشيراً إلى علم مانحو: ام عبيد وام قشعم وام ملدم،
ولعل ذلك خاص بحكاية او خبر على غرار مانجد في المثل القديم .

ومن المفيد ان نعرض لمادة اخرى قريبة من « الداهية » من حيث انها
منبوزة ، تلکم هي « الدنيا » ، والدنيا بخيرها وشرها لصيقة بالمكان والزمان .
وقد ذم العرب الدنيا كما برموا بالزمان طوال العصور المتتابعة فلن نجد شاعرا
الا شكوا الزمان و ذم الدنيا .

ومن أجل ذلك كانت الدنيا ام خنور وام قشعم وهما يفيدان « الداهية »
كما أشرنا ، على انها ام درن أي انها قلندرة ، ومثلها ام دفر وام ذفر وام زافرة،
وكلها يشير إلى وسخها ووضرها ، وهي ام وافرة وام وافذة وام سلمة وام
حباحب .

وهي ايضا ام الغول ، والغول معروف من حيوانهم الخرافي وام الفناء
وفي هذه الاخيرة وصف للدنيا بـ « الفانية » وهي تقابل الحياة الباقية وهي
الاحرة التي آمن بها المسلمون وحفلت آيات القرآن بذكرها .

ومن الطريف ان نشير ان اغلب ما جاء في وصف « الداهية » و « الدنيا » كان باضافة كلمة « ام » إلى الكلمة بعدها ليتكون من المركب الاضافي الاسم المراد ، وكأن هاتين المادتين لصيقتان بفكرة الأمومة وقلما يأتيان باضافة « الاب » إلى الكلمة بعدها .

أقول : لعل هذا حاصل من ان لفظ « الداهية » مؤنث فهي مؤنث في اللفظ ، وكذلك « الدنيا » هي مؤنث « الأدنى » .

وجاء في القول على « ابليس » بانه : ابو الكروس « ابو ليلي ، أبو مخلد ، ابو مرة ، وهو أشهرها ، وابو ققرة ، وابو الجن . ولبس فيها مايوحى إلى الشر والنخبث ، وهذا امر غريب . وقد ارتبط « الباطل » في هذه المسميات بما لايعرف فقالوا : ابن الألال ، وابن التلال وابن بهلّل وابن تهلّل ، وابن سبهلّل ، وابن فهلّل ، وبنيات الطريق ، وبنات غير ، ومن أجل ذلك نجد طائفة من هذه الالفاظ المذكورة في « الرجل المجهول وهي :

الضلال بن الالال ، والضلال بن التلال ، وابن بهلّل وابن تهلّل ، وابن تهلّل ، وهي بن هي ، وابن صبح ، وضل بن ضل ، وطامر بن طامر ، وابن فهلّل ، وابن قلمعة ، ودقة بن جرعب ، وقال ابو نخيلة : ا
اصبحت تنهض في ضلالك سادرا

يا ابن الضلال بن الالال فاقصر(١)

أقول : كأن « الباطل » او « الرجل المجهول » مما لايفهم فاختر له من اللفظ ماعدم المعنى ! !

ولا بد ان نعطف على هذه الفوائد ما جاء في الساقط والخامل « وهو : حارص بن حارص ، وذل بن ذل ، وضل بن ضل ، وقل بن قل ، وابن درك وابن عود ، وابناء درزة .

وابن درزة كان مما نيزت به الدنيا ، والدرزة الخياطة ، ولا ادري
اكانت الخياطة من حيث كونها مهنة قد نيزت ام
واذا كنا في حيز اللفظ الذي ينصرف إلى «الساقط والخامل» فمن المفيد
ان نعرض لالفاظ «السب والذم» وهي ابو الجلوبق ، قال الشاعر :
يلقن بنات ابي الجلوبق مزعاً

محض القيون وما يهن نفار(١)

وابو حاجب : هو سب يسب به الانسان يراد به انه ولد زنية لان أمه اشير
اليها بالحاجب لاجل الزنا .

قال ابو سهل : ويحتمل ان يكون بالجيم قبل الخاء من قولهم :
رجل جخابة اي لانيخ فيه (٢) .

اقول : ولما كان ابن الأثير قد اتى برأي اخر احتمالي لابي سهل
وهو من اخذ ابن الأثير من كتابه كما اشار في «المقدمة» فالموضوع عندي
يشير النظر ، فقد يكون «ابن حاجب» شيئاً غير ماورد في تفسير ابن الأثير .
وابن حاجب : وقد اختلف فيه فليل : هو رجل من بني محارب بن
خصفة يضرب به المثل في البخل واخفاء النار مخافة الطراق ، وقيل هو
اسم ابن لكلب بن وبرة ، وقيل هو سب يسب به الرجل .

وفي المثل : اخلف من نار ابي حاجب (٣) .

وابن استها : يقال لمن سب ويصغر امره ، قال :

تعادوننا يا ابن استها وبني الخنا

واستاهكم عما تريدون اضيق (٤)

(١) المرصع ١٢٠

(٢) المرصع ١٢٦

(٣) مجمع الأمثال ٢٥٣/١

(٤) المرصع ٦٧ .

وابن آكلة البرير ، والبرير الاراك ، وكأن اكل الاراك دليل على ان آكله معوز لاغناء فيه .

وابن امة : يطلقونه في معرض الذم ، وفي المثل :

«انا عدلة وانت خذلة ولسنا بابني امة» اي انا اعذلك وانت تخذلني ولم تؤت من قبل امنا .

وابن ترني : في لغة معدّ الامة ، وفي لغة اهل اليمن الفاجرة ، قال ابو ذؤيب :

فان ابن ترني اذا جئتكم

يدافع عني قولاً بريحا(١)

وهو ذم للرجل من جهة امه .

ومن ذلك ابن ثأداء وابن ثأطاء للسب والذم ، والثأطة الحمأة ، فكأن ابن ثأطاء الفاسد .

وابن ثغر الكلب ذم وسب ، والثغر فرج السباع وكل ذات مخلب ، قال الاخطل :

اصخ يا ابن ثغر الكلب عن آل دارم

فانك لن تستطيع تلك الذوائبا (٢)

ومن ذلك : ابن حمراء العجان ، كلمة يسب بها ، والعجان يراد به الاست ، وهو في الاصل ما بين الدبر والخصية ، قال الفرزدق :

اذا ما قلت قافية شروداً

تنخلها ابن حمراء العجان (٣)

(١) شرح اشعار الهذليين ٣/١ .

(٢) المرصع ١١٥

(٣) المرصع ١٤٥

ومن ذلك ابن دأء أي ابن الأمة ، والدأءاء الأمة ، قال الكميّ :
وما كنا بني دأءاء حتى

شفيئنا بالاسنة كل وتر (١)

ويقال : ما فلان بابن دأءاء ، اذا لم يكن عاجزا في الامور .

ويقال ذلك لمن يدم من قبل امه ، وهو ابن تاداء ايضا .
وابن الدموك : هو ولد الزنا ، والدموك كل شيء سريع المر ، ورحى دموك :
سريعة الطحن وربما كانت الزانية دموكاً لهذه العلاقة من المشابهة الخفية .
وابن دمن الأرض ، وهو سب وذم ، من الدمن وهو البعر ، قال الفرزدق :
كذبت ابن دمن الأرض وابن مراغها

لآل تميم بالسيوف الصوارم (٢)

وابن الدموك : ولد الزنا .

وابن ذات الراية وهو سب وشتم ، وذات الراية هي الخمارة كانت تعلق
على بابها راية او رايات لتعرف .

اقول : وفي ذلك فائدة اجتماعية تاريخية لهذا النمط من النمط التجاري .

ومثله : ابن ذات الفللس وهو سب وذم قاله جرير للاخطل .

جزعت ابن ذات الفللس لما تداكأت

من الحرب انياب عليك وكلك كل

وقد كان الأخطل نصرانيا ، واراد جرير ان امه كانت تدفع عنه

الجزية وتأخذ الفللس من نواب السلطان وتجعله في عنقه كالبراءة له (٣) .

ومن ذلك قولهم : ابن سيئة البنات ، وهو ذم وقيل : هي الخرقاء

التي تفسد كل ماتصنع ، قال :

(١) اللسان (نأد)

(٢) المرصع ١١٢

(٣) المصدر السابق ١٧٩

زعم ابن سيئة البنان بأنني
لذم لأخذ اربعاً بالاشقر (١)

والذم : الحريص .

وهنه ايضاً: ابن نافخ كبيره، وهو سب وذم وكأنه جعله حدادا ، قال جرير:

لعمرك ترجو يا ابن نافخ كبيره

قروماً شبا انيابها لم يفلل

اقول : وفي هذا اشارة إلى ان « القين » اي الحداد وكثير غيره من اصحاب

الفرف كالحائك ونحوه كانوا ممن لا يحضون بقدر واحترام لدى العرب ،

وفي هذا التبر اشارة تاريخية مفيدة . واجتزى بهذا القدر من هذه الفوائد

التي تنصرف إلى السب والذم (٢) .

ولنعرض لمواد اخرى مختلفة فنقول:

الاحلام وهي بنات الليل وبنات الكرى.

والاراء وهي بنات الافكار وبنات الفكر.

والارض ام آدم، وام صبار، وام عبيد، وام كفات، وابن خلاوة.

وقولهم: ابن خلاوة، للارض التي لاحشيش فيها، وهذا من الخلال.

اما (ام كفات) فهي اشارة الى الآية الكريمة: «الم نجعل الارض كفاتا» (٣).

ودلالة : ام آدم معروفة ، ولكنني لا ادري ماوجه ام صبار وام عبيد .

والجوع: ابو جهاد، وابو غمرة ، وابو مالك، وكونه ابا جهاد معروف

اما ابو غمرة وابو مالك فلم يتجه لي فيه شيء.

والحرب: ام صبار، وام صبورة، وام قسطل، وام قشعم، وابن القسطل .

والجن : بنو زوبعة وبنو غزوان وبنو هنام، فكأن للجن عالماً خاصاً عندهم

كما هي الحال عند الاناسي.

(١) المصدر السابق

(٢) ولقد استبعدنا الشتم الفاضح .

(٣) سورة المرسلات الآية (٢٥) .

والشياطين جملة كنى هي ابو شغل، ابو لبنى، ابن شفتاق. ونحن ازاء
الفاظ مستغلقة وذلك لمناسبتها لموضوع عالم مجهول.

ولليل جملة الفاظ اخرى هي: أبو جمع، وهو معروف وام معمر وابن
ثمير (وهو القمر) وابن جمير (وهو المظلم)، وابن سمير (وهو الذي يسمر
فيه).

وللهوم والافكار قولهم: بنات الصدر، وبنات الضمير، وبنات الفكر،
وبنات القواد، وبنات النفس وبنو الاشراف : كواكب على اثر برج الحوت
منها الشرطان، وهما المنزلة الاولى من منازل القمر.

ومن هذا الباب مما يتصل بعلم الفلك القديم قولهم: ابن إلهة وهو ضوء
الشمس وهو الصبح ايضا وهذه الكلمة تشير الى جاهلية العرب وكيف
كانت الشمس معبودة إلهة.

وقد تجد في هذا الكتاب مادة «شعبية» كقولهم: بنات الابل ويريدون بها
«البعر»

قلت ان هذا من التصور الشعبي على اني اود ان اقول: ان مادة
الكتاب عامة تقسم بما يسمى التطور الشعبي وهو اضافة الابوة والامومة
والبنوة الى هذه الشخوص وهذه الافكار وهذه الرسوم والعادات.

وقولهم: بنات الابل للبعير يذكرني بما حدثني به صديق جزائري
من ان المرء قد يسمع في الجزائر من يسمى «البيض» اولاد دجاج، وهذا
من التصور الشعبي .

وفي الختام أخلص إلى أني أتيت على ما في هذا السفر الجميل فأبنت
فوائده ، ووقفت عليها ووقفات نافعة .

رحم الله مجد الدين بن الاثير وجزاه عن العلم واهله اوفى الجزاء .

of all, Ibn al-Athir himself became sad, stopped the treatment and asked his Brother to send the doctor off after paying his fees. When his brothers and other family members asked the reason for this strange decision of Ibn al-Athir, he replied: "As long as I am paralysed and unable to move, the notable scholars and men of learning shall continue frequenting my abode and I will be benefitted by their learning and scholarship. But no sooner will I get cured than these eminent personalities shall stop visiting me and I shall have to go to their own places instead, for search of knowledge". "During my illness", he continues, "a number of scholars are gathered together at one place, but after I get recovered, I myself shall have to visit these scholars individually. Consequently, there will be no collective gathering of men of learning". I, therefore, prefer to remain handicapped and be benefitted by the knowledge of profound scholars than to be cured of my illness and be deprived of their scholarship".

Ibn al-Athir insisted upon this decision so much that the brothers had to clear the account of the physician and let him go with many thanks. (cf. Ibn Khallikan, *op. cit.*, p. 290).

59. Subki, *op. cit.*, p. 154.
60. *Ibid.*; Dhahabi, *Kitab Duwal al-Islam*, Hyderabad, 1365 A.H; p. 84; Tashkuprazaide, *op. cit.*, p. 17.
61. Dhahabi, *op. cit.*, p. 84.
62. Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 199.
63. Ibrahim Zaki Khurshid, *et al*, *op. cit.*, p. 83.
64. Yaqut, *op. cit.*, p. 239.

48. Kuhhala, *op. cit.*, p. 174.
49. 'Abd al-Qadir al-Arnawut (ed) *Jami' al-Usul* of Ibn al-Athir al-Jazari, vol. i, (Introduction) Cairo, 1389/ 1969, p. 12.
50. *Ibid.*; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.
51. 'Abd al-Qadir al-Arnawut (ed), *op. cit.*, p. 12; Yaqut, *op. cit.* p. 239; It was in the honour of this official that Ibn al-Athir had composed panegyric verses: (of.Yaqut Alyan Sarkis, *op. cit.*, p. 34; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 199)
52. Ibrahim Zaki Khurshid et al, *Da' irat al-Ma' arif al-Islamiya* (tr), vol. i, Cairo, 1352/ 1933, p. 82; Yaqut, *op. cit.*, p. 239...
53. 'Abd. al-Qādir Arnawut, *op. cit.*, p. 12; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.
54. 'Abd al-Qadir Arnawut, *op. cit.*, p. 12; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.
55. Subki, *op. cit.*, p. 154.
56. Bustani, *op. cit.*, p. 370.
57. Ibn Kathir, *op. cit'*, p. 54; Yaqut, *op. cit.*, p. 239.
58. The story goes as follows:

It is reported on the authority of his brother that when his hands and feet became paralysed and his disease (Paralysis) was declared incurable by all the local physicians, a doctor from *Maghrib* examined him took him under his treatment, and assured his family members that he would get cured in due course of time. After a few days, clear signs of recovery did appear and his hands and feet started moving. The whole family became naturally happy. But to much astonishment

32. Subki, *op. cit.* p., 153.
33. Yaqut, *op. cit.*, p. 241; Tashkuprazade, *op. cit.*, p. 17.
34. Suyuti, *op. cit.*, p. 386; Haji Khalifa, *op. cit.*, p. 219; Subki, *op. cit.*, p. 154; Yaqut, *op. cit.*, p. 241.
35. Subki, *op. cit.*, p. 154; Yusuf Alyan Sarkis, *op. cit.*, p. 34f; Yaqut, *op. cit.*, p. 241.
36. Yaqut, *op. cit.*, p. 241f. n. i; Baghdadi, *Idah al-Maknun fi dh-Dhayl' Ala Kashf az-Zunun*, vol. ii, Istanbul, 1362 A.H, p. 468F.
37. *Urdu Da'ira Ma'arif Islamiya*, *op. cit.*, p. 418f.
38. Suyuti, *op. cit.*, p. 386; Ibn al-'Imad, *op. cit.*, p. 23; Yaqut *op. cit.*, p. 241.
39. Yaqut *op. cit.*, p. 241; Ibn Taghri Bardi, *An-Nujum az-Zahira fi muluk Misr wa'l-Gahira*, vol. vi, Cairo, p. 198; Kuhhala, *op. cit.*, p. 174; Haji Khalifa, *op. cit.*, p. 236; Yaqut, *op. cit.*, p. 241.
40. Subki, *op. cit.*, p. 154.
41. *Ibid.*; Kuhhala, *op. cit.*, p. 174; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 198.
42. Ibn al-'Imad, *op. cit.*, p. 23; Abd al-Hayy, *op. cit.*, p. 35; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 198.
43. Yaqut, *op. cit.*, p. 241.
44. Ibn Kathir, *op. cit.*, p. 54; Yaqut, *op. cit.*, p. 240.
45. Bustani, (ed) K. *Da'irat al-Ma'arif*. vol. i, Beirut, 1876, p. 370; Yusuf Alyan Sarkis, *op. cit.*, p. 34; Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 199.
46. Yaqut, *op. cit.*, p. 240f.
47. Ibn Taghri Bardi, *op. cit.*, p. 198; Kuhhala, *op. cit.*, p. 174.

perform it, it is sufficient or equivalent to all having performed it.

16. Yaqut, *op.cit.*, p. 241; Ibn Kathir, *op.cit.*, p.54.
17. *Hadith* has been used here in its strict sense, meaning the prophatic tradition related by the companion (*Sahabi*).
18. By *Athar* is meant the tradition related by a successor (*Tabi'i*).
19. 'Abd al-Hayy, *At-Ta'liqat as-Saniyya' ala l-Fawa'id al Bahiyya fi Tarajim al-Hanafiyya*, Karachi, 1393 A.H.p.35.
20. Haji Khalifa, *Kashf az-Zunun' an Asama l Kutub wa l-funum*,. vol. i, Istambul, 1360 A.H. p.537.
21. *Ibid.*, p.536.
22. *Ibid.*, p. 537.
23. *Ibid.*
24. *Ibid.*
25. *Ibid.*, p. 536.
26. *Ibid.*, p. 537.
27. Kuhhala, *op. cit.*, p. 174; Ibn al' Imad, *op. cit.*, p. 23; Tashkoprazade, *op. cit.*, p. 17; Ibn kathir, *op. cit.*, p. 54; Yaqut *op. cit.*, p. 241.
28. Yusuf Alyan Sarkis, *MuJam al-Matbu' at al-'Arabiya wa'l Mu'arraba*, Cairo, 1346/1928, p. 34.
29. Haji Khalifa, *op. cit.*, p.256.
30. Yaqut, *op. cit.*, p. 241; Haji Khalifa, *op. cit.*, vol. i, p. 182; Ibn al 'Imad, *op. cit.*, p. 23.
31. Yaqut, *op. cit.*, p. 241; Ibn al-Imad, *op. cit.*, p. 23; Ibn Kathir, *op. cit.*, P. 54; Subki, *op. cit.*, p. 153.

iii, Cairo, 1367/1948, P. 289 (No. 524); Kuhlala, Umar Kida, *Mujam al-Muwallifin, Tarajim Musannif al-Kutub al-Arabiyya*, vol. viii, Damascus, 1378/1959, P. 174.

- 5 Jazira ibn Umar is a locality on the upper part of Musal on the river Tigris (of Ibn Khallikan, *op.cit.*, p. 291; Izz ad-Din Ibn al-Athir, *Al-Lubab fi tahdhib al-Ansab*, vol. i, Beirut, n.d., p. 277). It is named after 'Jazira' because it was surrounded by River Tigris. It was built by Abd al-Aziz b. Umar of Barqaid. (of. Bustani, *K. Da' irat al-Maarif*, vol.i,Beirut,1876,p.77),According to Yaqut al-Hamavi, the contemporary of Ibn al-Athir, Jazira Ibn Umar is situated at a distance of 3 miles from the upper part of Musal. (of. Yaqut, *op. cit.* vol. vi, p. 238).
- 6 Tash Kuprazade, *Miftah as-Saada wa Misbah as-Siyada*, vol. ii, Hyderabad, 1329 A. H., p. 17; Yaqut, *op.cit.*, p. 238.
- 7 Ibn al'Imad, *Shadharat adh-Dhahab*, vol.v, Cairo, 1351 A.H. p. 22.
8. Ibn Kathir, *al-Bidaya wa'n Nihaya*, vol. xiii, Cairo, 1358 A.H.P. 54.
9. Suyuti, *Bughyat al- Wu at fi Tabaqat al-Lughwiyin wa'n Nuhat*, Cairo, 1326 A.H. p.385.; Yaqut, *op.cit.*, p.238.
10. Tashkumarazade, *op.cit.*, p. 17.
11. Subki, *Tabaqat ash-Shafi iyat al-Kubra*, vol.v, Cairo, n.d, p. 153.
12. *Ibid.*, Suyuti, *op.cit.*, p.385.
13. Subki, *op.cit.*, p.153.
14. *Ibid*
15. Technically, *Fard Kifaya* is a command which is imperative (*Fard*) upon all Muslims but which if few persons

References and Notes

- 1 . Abu's Sa'adat al-Mubarak b.'Abi'l Karam Muhammad b.'Abd al-Karim b.Abd al-Wahid ash-shaybani, popularly known as Ibn al-Athir al-Jazari, nick-named as Majd ad-Din (d.606 A.H). It is this very scholar with whose life and works the present paper deals. (of. *Infra* pp. 1-9).
- 2 . Izzad-Din Abu'l Hasan' Ali b.Muhammad Ibn al-Athir (d. 630 A.H). is the author of the celebrated works like *Al-kamil fi't Tarikh*, dealing with the events upto 628 A.H, and *Usd al-Ghaba fi Ma'rifat as-Sahaba*, containing the biographies of no less than seven thousand five hundred persons (of. *Urdu Da'ira Ma'arif Islamia*, vol.i, fascicule, vii, Lahore, p. 418)
- 3 . Diya ad-Din Abu'l Fatah Nars Allah Ibn al-Athir (d. 637 A.H), *Salah ad-Din the Vazier of Al-Malik al-Afdal, the son of Sultan was well known for lucidity of his style and was appointed Chief Secretary of *Diwan Insha* of the prince Nasir ad-Din, Muhammad. His book entitled "*Al- Mathal as- Sa'ir fi Adab al- Katib wa'sh- Sha'ir*" is an authoritative literary work on speech and eloquence. (of. *Da'ira Ma'arif Islamia*, *op.cit.*, p. 418). Another standard literary work of the author is *al-Muras-sa'* which has been wrongly ascribed to his elder brother Majd ad-Din under the title "*Al-Muvassa' fi'l Aba wa l'Ummahat*" (of. *Ibid.*; Yaqut, *Irshad al-Arib ila ma' rifat al-Adib*, popularly known as *Mu jam al-Udaba*, *Wa Tab-aqatal- Udaba'ed*. Margoliuth, 2nd ed. vol. vi, Cairo, 1930, p. 241f.
- 4 Ibn Khallikan, *Wafayat al-Ayan wa Anba' Abna' az-Zam-an*, ed, Muhammad Muhiy ad-Din Abd al-Hamid, vol.

Baghdad we find him narrating Ahadith and writing books in Musal. In fact he had devoted the major part of his life in disseminating knowledge. He himself says: I remained in pursuit of *ilm* throughbhout my life. *qad khadamtu'al-ihm'Umri*(64).

Although Ibn al – Athir wrote on various branches of knowledge, yet he devoted himself mainly to Prophetic traditions. He is, therefor, reckoned among the eminent traditionists of the Seventh century A.H.

In sum, we can say that by rendering unforgettable services to knowledge in general and *hadith* in particular, Ibn al Athir al- Muhaddith earned an everlasting fame.

Lu' lu to Ibn al-Athir offering the latter the post of a minister, but when Majd ad-Din declined it he himself called at his house and persuaded him to accept the same. But Majd ad-Din in the most polite manner expressed his inability to accept this responsible position (54).

At his old age, Ibn al-Athir was afflicted with a chronic disease which paralysed his hands and feet. As a result of this he could neither write nor walk and stayed all the time at his house (55). He employed, therefore, scribes who helped him in writing his works. It was during this period of his life that his house had become the rendezvous of scholars and intellectuals (56). Ibn al-Athir, being fully devoted to learning and scholarship made full use of the knowledge of the scholars frequenting his house. The fact that he whole heartedly devoted to the pursuit of knowledge is evident from the fact that in later years he declined the post of a minister and preferred a quiet life of a simple scholar over a high position in the government (57). Moreover, the strange anecdote about his serious illness from which he refused to be cured (58) is another proof of his love and devotion to knowledge. Moreover, we find that he had built a *Ribat* in one of the villages of Musal which was frequented by the *Sufis* and elites of his time. He named the *Ribat* as 'Qasr-e- Harb' and gave it away along with his own home at Musal as endowments (59).

Shaykh Maj ad- Din died in 606 A.H. (60) at the age of 62 (61) at Musal and was buried in the *Ribat* of Darb ad- Durj. (62)

It is believed that most, if not all, of Ibn al - Athir's works were written during the period he was confined to his house due to paralysis (63), for it is in these days that he found much time to devote for his studies. But this does not seem to be true for even during his young age, soon after his return from

Secretary which Ibn al-Athir held was considered as one of the highest positions in the Government. It, therefore, aroused jealousies in the hearts of other courtiers who levelled baseless charges against him where upon he was put into prison. Later, however, when proved not guilty, he was released and was reinstated to his post. He held this office till the death of Izz ad-Din Mas'ud but after the latter's death he resigned from this post.

Even before coming to Mosul Majd ad-Din held various high positions at Jazira ibn 'Umar, his birth Place. To take for example, he became Chief of the Court of Justice of Jazira Ibn Umar (49). Similarly, he was appointed Incharge of the Treasury by Sayf ad-Din al-Ghazi b.Mawdud b.Zengi (50).

On arrival at Mosul, he associated himself first with Vazier Jalal ad-Din Abi l' Hasan 'Ali b.Jamal ad-Din Muhammad b.Mansur al-Isbahani, and then with Mujahid ad-Din b.Qaymaz who received him with great honour. After Mujahid's death in 589 A.H.

He remained associated with his successors Atabek 'Izz ad-Din Mas'ud b. Mawdud (51) and Nur ad-Din Arsalan Shah (52). The latter held him with such high regard that during Ibn al-Athir's old age when he was stricken with chronic paralysis, he used to call at his house personally seeking administrative advices from him. (53)

Although Ibn al-Athir, al-Muhaddith, in his early life, remained attached with the court life, yet in later years he dissociated himself from all official positions. He was in fact, by nature, averse to accepting any position in the court. Thus we see that after the death of 'Izz ad-Din b.Mas'ud, when his son and successor, Arsalan Shah offered him his original post, he refused to accept it. It is reported that Arsalan Shah, first sent his Vazier

Although Majd ad- Din was basically a prose-writer, yet he is reported to have composed few verses also. According to his own statement he was incapable of writing poetry in the beginning and could compose few lines only after long persuasion by his grammar teacher Sa'id b. ad- Dahhan. He describes that while he was studying Arabic with his teacher the latter asked him to compose some poetry but he could not do so. After the teacher's death, he once saw him in his dreams and found him persuading him so much that he did compose few rhymes which were liked by his teacher. It is reported that he got up the next morning and composed twenty couplets (44).

In addition to this, he is reported to have composed the following four lines extempore when amule over which Atabek, the ruler of Musal, was riding stumbled:

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنْ فِي زَلَّتِهَا عَذْرَا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمَنْ نَدَى رَاحَتَهُ بِحِرَا (45)

His brother after quoting few more lines composed by Ibn al-Athir, gave the final remark about his poetry:

«كَانَ أَخِي قَلِيلَ الشَّعْرِ لَمْ يَكُنْ بِهِ تِلْكَ الْعِنَا» (46)

meaning "My brother composed only few verses. He cared little for it".

As to the events of his life Majd ad - Din was held in high esteem by the officials of the government who sought administrative advices from him even after his retirement (47). It is reported that he began his early career as a scribe, writing letters for the princes (48). Later, he was appointed as Chief Secretary in the Court of Amir Qaymaz b. Al-Khadim az-Zayni writing letters to the monarchs of the world. This office of the

- 4) *Kitab al-Insaf fi'l Jami' bayn al-Kashf wa l-Kashshaf*: (30)
A work on exegesis based on *Tafsir Tha' labi* and *Tafsir Zamakhshari*.
- 5) *Kitab ash-Shafi fi Sharh Musnad al-Imam ash-Shafi' i*: (31)
A commentary on the *Musnad* of al-Shafi'i explaining the uncommon and difficult words and expounding the legal rules occurring in the book.
- 6) *Kitab al-Mustafa wa'l Mukhtar fi'l ad' iya wa'l adhkar*: (32)
- 7) *Kitab al-Mukhtar fi manaqib al-Akhyar* (33).
- 8) *Al-Bahir fi'l-Furuq*: A work on grammar (34).
- 9) *Kitab al Aba' wa'l Ummahat wa'l Banin wa'l banat wa'l adhwat wa' dhdhawwat* (35): Yaqut and others have maintained that this book is also known as *Kitab al-Murassa* (36). According to others, it is an independent work of his brother named Diya ad-Din Ibn al-Athir (37). The fact, however remains, that they are one and the book.
- 10) *Tahdhib fusul b. ad- Dahhan* (38): A work on philology.
- 11) *Kitab al-Badi' fi sharh al- Fusul* (39): The book, dealing with philology, has been written in unique style and its chapters have been arranged on an unprecedented pattern.
- 12) *Sharh Gharib al-Tiwal* (40): A work dealing with explanations of less common words.
- 13) Anthology of letters (*Diwan Rasa'il*) (41).
- 14) A book on the art of writing (*Kitab fi sun'at al-kitabat*) (42).
- 15) An epistle on Mathematics (*al- Hisab*) (43) .

Looking at the list of Ibn al- Athir,s works given above one can easily say that Majd ad- Din excelled in various branches of knowledge including *Fiqh*, *'Ilm al- Usul*, *Hadith*, *Nahw* and *Lugha*.

Hadith, described various categories of unreliable narrators (*ruwat*) and explained different kinds of *Ahadith* like *Munqati'*, *Mawquf*, *Mu'dal* etc.

It is on account of these significant characteristics that *Jami' al-Usul* has become a reference book on the science of *Hadith*. A number of compendiums and commentaries have been prepared, therefore, out of this glorious work of Ibn al-Athir. The notables among these are as under:

- i) '*Tashil Tariq al-Wusul ila al-Ahadith az-Zaida'ala Jami' al-Usul*' by Nasir b.al-Ashraf (20).
- ii) *Tajrid al-Wusul* by Sharaf ad-Din Hibat Allah b.'Abd ar-Rahim b.al-Barzi al-Hamawi (d.738 A.H.) (21).
- iii) *Tahdhib al-Usul* by Shaykh Salah ad-Din Khalil b.Kaykaldi al-'Alla'i (d.761 A.H.) (22).
- iv) *Mukhtasar* by Shaykh Majd ad-Din Abi Tahir Muhammad b.Yaqub al-Fayrozabadi (d.817 A. H.) (23).
- v) *Taysir al- Wusul ila Jami' al- Usul* by Shaykh' Abd ar-Rahman b.'Ali, known as Ibn ad-Dayba ash-Shaybani (d. 950 A.H.) (24).
- vi) *Mukhtasar* by Abu Jafar Muhammad al-Maruzi (25).
- vii) *Mukhtasar* by Shaykh Ahmad b.Rizq Allah al-Ansari al-Hanafi (26).

In addition to the above mentioned reference book on *Hadith* the following are the other major works of Ibn al-At-hir:

- 2) *An-Nihaya fi Gharib al-Hadith* (27). A book (arranged in alphabetical order) dealing with explanation of uncommon and difficult words occurring in *Hadith* works. The book is also known as *An-Nihaya' l Athiriya fi'l lughat al-Hadithiya* (28).
- 3) *Al-Banin wa l Banat min Rijal al-Ahadith* (29): As its title suggests, the book deals with the biographies and characters of the narrators of *Ahadith*.

with the long chains of narrators and limiting it only to the first reporter, Ibn al-Athir, like his predecessor Razin, made *Hadith* study easy and accessible to common man.

But the main contribution of Ibn al-Athir lies in the fact that unlike Razin, he arranged the traditions in his *Jami' al-Usul*, according to subject matter. This is a very significant improvement upon the earlier *Hadith* works, for with this device, the relevant tradition of a given subject could now be easily traced in the canonical works.

Ibn al-Athir not only arranged the traditions according to subject matter but also pointed out the exact corpus of *Hadith* where this tradition occurs. For this purpose he uses abbreviations such as 'b' for Bukhari is *Sahih*, 'm' for Muslim's *Sahih* and 'b' for Maliks *Muwatta* and so on. In case the *hadith* is found in all the *Sihah* books, the abbreviations of all the books are given at the beginning of the particular *hadith*.

Ibn al-Athir was not contented with merely pointing out the subject with which a particular *hadith* dealt but also tried to explain its meaning. With this view in mind, he explained on a separate page the difficult and less common words occurring in the *hadith* and gave explanatory notes on the difficult *Ahadith*.

Ibn al-Athir rightly considered *hadith* a complete discipline and an independent branch of knowledge. He, therefore, laid down rules for the systemic study of the subject in 'Preface' to his "*Jami al-Usul*". Similarly, realising fully well the importance of *Asma' ar-Rijal* Ibn al-Athir added a supplement in his *Jami' al-Usul* giving therein the biographical notes on the narrators (*ruwat*) of *Ahadith*. (19)

In addition to all this, Ibn al-Athir, in his *Jami' al-Usul*, gave an historical account of the writing and compilation of

was his significant contribution to the *Hadith* literature. In his writings on these subjects, Ibn al-Athir explained in unequivocal terms the importance of the study of *Hadith*, calling it *Fard Kifaya* (15) and laid down principles of criticism of the reported traditions and explained the technical terms (*mustalahat*) and different modes of taking up traditions (*tahammul al-hadith*). His monumental work on this subject the "*Jami al-Usul li-ahadith ar-Rasul*" is a living testimony to the fact that he was wholly devoted to *Hadith* study.

Ibn al-Athir is said to have employed scribes and scholars for preservation of his knowledge. With the help of these associates, Ibn al-Athir compiled a score of books the notable among them are as under:

1) *Jami al-Usul li-Ahadith ar-Raoul* (16).

This can be considered as the masterpiece of all the writings of Ibn al-Athir. Compiled on the pattern, but an improvement upon *Kitab at-Tajrid* of Razin (d. 525 A.H.), *Jami' al-Usul* is a significant contribution to the vast literature of *Hadith*. The book incorporates the traditions of the *Muwatta* of Malik, *Sahihayn* of Bukhari and Muslim, the *Lunans* of Abu Da'ud and An-Nasa'i and the *Jami'* of Tirmidhi. As was done by his predecessor Ranin,

Ibn al-Athir, in this book, omitted from the *Isnad*, the names of long chain of narrators and retained, instead, only the names of the first narrator i.e. the name of the companion (*Sahabi*) in the case of *Hadith* (17) and the name of the successor (*Tabi'i*) in the case of *Athar* (18). This alone could have been a positive contribution to the study of *Hadith* for it helped the general reader know a prophetic tradition without spending his time in reading out the names of all the narrators. By doing away

and *Fiqh* from the local teachers he moved to Musal in 565 A.H.(6) It was here that he perfected his knowledge (*atcana Ulumahu*) (7) of *Fiqh* and *Hadith* and wrote useful books. (8)

Ibn al-Athir was devoted mainly to philology and religious studies. He studied these subjects from reputed scholars of the time. Thus he learnt Arabic grammar from Nasih ad-Din Abi Muhammad Sa'id b. ad-Dahhan, the well known grammarian of Baghdad, Abu Bakr Muhammad b.Sa' dun Al-Maghribi al-Qurtubi, Abu l-Hazm Makki b.ar-Rayyan and Ibn Shubbah al-Maksi An-Nahwi (9). In the main, however, he was devoted to the religious studies particularly *Hadith*. At first he frequented the literary sittings of the reputed *Hadith* scholars of his native town and heard the traditions from them (10). Later, he came to Musal and attended the literary circles of *Hadith* scholars of this city. Among the *Hadith* scholars of Musal from whom Ibn al-Athir heard the prophetic traditions included Abu l-Fadl b.al-Tusi, the Khatib of Musal, and Yahya b.Sa' dun al-Qurtubi (11). Having acquired the *Ahadith* from the local scholars, Ibn al-Athir went to Baghdad and heard the traditions from Abu l-Qasim Sahid b.al-Khall, Ibn Kulayb and Abd al-Wahab b. Sukayna (12). Thereafter, he returned back to Musal and began narrating and dictating *Hadith* here. Among the students who heard from him and narrated *Abadith* on his authority included his own son and Shahab al-Fusi and others(13).

Ibn al-Athir not only narrated and dictated *Ahadith* to his students but he at times used *Ijaza* method of transmitting traditions. Thus it is reported that one Fakhr ad-Din b.an-Najjari narrated from Ibn al-Athir after obtaining *Ijaza* from him (14).

Apart from narrating and dictating traditions Ibn al-Athir wrote books and monograms on the science of *Hadith*. This

"IBN AL-ATHIR AL-MUHADDITH" — HIS LIFE AND WORKS

by

Prof. Dr. Imtiaz Ahmad

Dean, Faculty of Islamic Studies, University of Karachi, Karachi, Pakistan.

(A paper read in the "Abna' I-Athir Colloquium" held in the College of Arts, University of Mosul, Mosul, Iraq, w. e.f. 27. 3. 82-31. 3. 82)

Rarely does it happen that all the sons of a father find a distinctive place in the pages of history on account of their erudition and scholarship. But this has come true in the case of a fortunate father named Muhammad b. Muhammad 'Abd al-Karim Ibn al-Athir, a high official of the Zangids of Mosul. Ibn al-Athir's all the three sons namely Majd ad-Din, 'Izz ad-Din and Diya 'd-Din were reputed scholars and historians of their time. Although they are all known by the common name of "Ibn al-Athir", yet we can, for our own convenience, distinguish them, according to their fields of specialisation as Ibn al-Athir al-Muhaddith (1), Ibn al-Athir al-Muwarrikn (2), and Ibn al-Athir al-Adeeb (3) respectively. Being a student of *Hadith*, I have chosen Ibn al-Athir al-Muhaddith, as the topic of my discussion today. In this paper I have tried to give a brief but critical account of the life and works of our celebrated scholar.

Majd ad-Din Ibn al-Athir al-Jazari was born in 544 A.H/ 1149 A. C. (4) at Jazira Ibn 'Umar, (5) where he received his early education. Having studied *Tafsir*, *Hadith*, Arabic grammar

and *Fiqh* from the local teachers he moved to Musal in 565 A.H. (6) It was here that he perfected his knowledge (*atcana Ulumahu*) (7) of *Fiqh* and *Hadith* and wrote useful books. (8)

Ibn al-Athir was devoted mainly to philology and religious studies. He studied these subjects from reputed scholars of the time. Thus he learnt Arabic grammar from Nasih ad-Din Abi Muhammad Sa'id b. ad-Dahhan, the well known grammarian of Baghdad, Abu Bakr Muhammad b. Sa'dun Al-Maghribi al-Qurtubi, Abu l-Hazm Makki b. ar-Rayyan and Ibn Shubbah al-Maksi An-Nahwi (9). In the main, however, he was devoted to the religious studies particularly *Hadith*. At first he frequented the literary sittings of the reputed *Hadith* scholars of his native town and heard the traditions from them (10). Later, he came to Musal and attended the literary circles of *Hadith* scholars of this city. Among the *Hadith* scholars of Musal from whom Ibn al-Athir heard the prophetic traditions included Abu l-Fadl b. al-Tusi, the Khatib of Musal, and Yahya b. Sa'dun al-Qurtubi (11). Having acquired the *Ahadith* from the local scholars, Ibn al-Athir went to Baghdad and heard the traditions from Abu l-Qasim Sahid b. al-Khall, Ibn Kulayb and Abd al-Wahab b. Sukayna (12). Thereafter, he returned back to Musal and began narrating and dictating *Hadith* here. Among the students who heard from him and narrated *Abadith* on his authority included his own son and Shahab al-Fusi and others (13).

Ibn al-Athir not only narrated and dictated *Ahadith* to his students but he at times used *Ijaza* method of transmitting traditions. Thus it is reported that one Fakhr ad-Din b. an-Najjari narrated from Ibn al-Athir after obtaining *Ijaza* from him (14).

Apart from narrating and dictating traditions Ibn al-Athir wrote books and monographs on the science of *Hadith*. This

"IBN AL-ATHIR AL-MUHADDITH" — HIS LIFE AND WORKS

by

Prof. Dr. Imtiaz Ahmad

Dean, Faculty of Islamic Studies, University of Karachi, Karachi, Pakistan.

(A paper read in the "Abna' l-Athir Colloquium" held in the College of Arts, University of Mosul, Mosul, Iraq, w. e.f. 27. 3. 82-31. 3. 82)

Rarely does it happen that all the sons of a father find a distinctive place in the pages of history on account of their erudition and scholarship. But this has come true in the case of a fortunate father named Muhammad b. Muhammad 'Abd al-Karim Ibn al-Athir, a high official of the Zangids of Mosul. Ibn al-Athir's all the three sons namely Majd ad-Din, 'Izz ad-Din and Diya 'd-Din were reputed scholars and historians of their time. Although they are all known by the common name of "Ibn al-Athir", yet we can, for our own convenience, distinguish them, according to their fields of specialisation as Ibn al-Athir al-Muhaddith (1), Ibn al-Athir al-Muwarrikh (2), and Ibn al-Athir al-Adeeb (3) respectively. Being a student of *Hadith*, I have chosen Ibn al-Athir al-Muhaddith, as the topic of my discussion today. In this paper I have tried to give a brief but critical account of the life and works of our celebrated scholar.

Majd ad-Din Ibn al-Athir al-Jazari was born in 544 A.H/ 1149 A. C. (4) at Jazira Ibn 'Umar, (5) where he received his early education. Having studied *Tafsir*, *Hadith*, Arabic grammar

University Of Mosul
College Of Arts

**Abna' Al-Athir
Symposium**

27 March – 1 St April

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد [٧٢٧] لسنة ١٩٨٣

طبع بمطابع جامعة الموصل
مديرية مطبعة الجامعة